بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

الكاتب والمؤلف محمد منير ادلبي في ذمة الله،
نرجوا الدعاء له بالمغفره والرحمة

سلسلة كتب "الإسلام الذي يجهلون"

توُزّع هذه السلسلة بصيغة PDF إلكترونيًا فقط كصدقة جارية عن روح الكاتب محمد منير إدلبي وعائلته.

هذه الكتب ليست مخصصة للطباعة أو البيع، وأي جهة أو دار نشر ترغب في نشرها أو طباعتها يجب أن تحصل على موافقة خطية موقعة من أبناء الكاتب محمد منير إدلبي.

للتواصل
Info@muniridilbi.com
www.muniridilbi.com

سلسلة الإسلام الذي يجهلون (6)

نزع فتيل الإرهاب الدّولي

إسلام السلام وأمان العالم

محمد منير إدلبي

المؤلّف : محمد منير إدلبي

الطّبعة الأولى: 2003م

موافقة وزارة الإعلام : رقم 73951 تاريخ 2003/1/28

جميع حقوق النشر والطباعة محفوظة © محمد منير ادلبي وأولاده

كل الحقوق محفوظة. لا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور. تخزينها في نظام استرجاع، أو نقلها، بأي شكل أو بأي وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو تصوير أو تسجيل أو غير ذلك، دون إذن كتابي مسبق من المؤلف أو أولاده.

All Copyrights © MHD Munir Idilbi & Sons

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced. stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the written prior permission of the author or his sons.
www.muniridilbi.com
All publications by Munir Idilbi are exclusively authorized and protected under copyright laws for distribution and publication by Idilbi Publishing and Trading.
www.idilbi.com

"جميع منشورات منير أدلبي مُصرح بها حصريًا ومحمية بموجب قوانين حقوق النشر للتوزيع والنشر بواسطة دار ادلبي للنشر والتجارة".

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء..

إلى فتح مكة العظيم؛ ذلك الفتح الفريد الذي لم يَهدُر فيه محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلّم، رسولُ الله ورحمته إلى العالمين، قطرةَ دم واحدة حتّى ممّن استباحوا دمه ودماء أتباعه المؤمنين المسلمين.

وإلى الفتح العالمي الجديد الذي سيُثبت التاريخ الموثّق عنه أنّ دين الله، الإسلام، هو النظام العالمي الجديد الذي سيَرحم اللهُ به الناسَ ويحفظهم في العالم كلّه من جميع أشكال العنف والإرهاب؛ وسيكسو اللهُ به الأرضَ كلّها برداء السلام—سلام الإسلام ورحمته وأمانه.

وإلى الروح الطاهرة الطيبة والنفس المطمئنة الراضية المرضية للإمام الراحل ميرزا طاهر أحمد[1]—اللهم أتمم له نوره، واغفر له ذنوبه، وارحمه، وأكرمه في جنتك، واجمعه بآله الأبرار، وألحِقه بسيدنا المصطفى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم .. آمين.

محمد منير إدلبي

[1] - الخليفة الرابع في الجماعة الاسلامية الأحمدية العالمية، حيث كُتب هذا الكتاب زمن خلافته.

الفصل الأول

دم المسيح !

هل ما زال ينزف من جنبه المطعون على صليب مضطّهديه الذين أرادوا قتله خوفاً على دينهم من بشائر السلام التي جاء بها إلى الناس فعلّمهم أن يُصلّوا مؤمنين: 'المجد لله في الأعالي .. وفي الناس المحبة .. وعلى الأرض السلام'؟

أتُراهم أرادوا قتله خوفاً من أن تجمع الناسَ المحبةُ؟

أَم أنهم أرادوا صلبه خشية أن يعمّ الأرضَ السلامُ؟

جاءهم المسيح بالإنجيل، وهو بشارة الله إليهم: أنهم إذا أقاموا كلّمة الله وعملوا بوصاياه، كان لهم الملكوتُ خالدين بإيمانهم، ناعمين في جنات أعمالهم.

جاء المسيح إليهم وكانوا قساةَ القلوب يملؤهم الغرور والتعالي، فأوصاهم مبشِّراً:

﴿**طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ**﴾ إنجيل متى 5 : 7

وعلَّمهم التواضع قائلاً:

﴿**طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.**﴾ متى 5: 3

﴿**طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ**﴾ متى 5: 5

ووَجد أنّ العداوة والبغضاء تملأ قلوبهم وتحفِّزهم لقتل وتمزيق بعضهم بعضاً،

فقال لهم:

﴿**لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا**﴾ متى 5: 39

وأمرهم بالحب حتى لأعدائهم:

﴿**أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ** ﴾ متى 5: 44

وبيَّن لهم أنّ أبناء الله حقاً من عباده المؤمنين هم صانعو السلام، فقال:

﴿**طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ**﴾ متى 5: 9

كما بيَّن لهم أنّ صانعي السلام هم ليسوا من يمتنعون عن الإساءة إلى عدوهم فحسب، بل إنما هم الذين يُحسنون إليه أيضاً:

﴿**فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ**﴾ رومية 12: 20

وهكذا يُعلِّم الكتابُ المقدَّس المسيحيين المؤمنين الحُبَّ والتسامح والسلام للناس جميعاً لأنهم من دم واحد:

﴿**وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ أعمال الرسل 17: 26

ولأن الله إله واحد وهو بمثابة الأب الواحد للناس جميعاً:

﴿**إِلهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ**﴾ أفسس 4:6

ولم يكتفِ الكتاب المقدّس بتعليم المؤمنين الحُبَّ والسلام، بل حضّهم على ألاّ

يُقابَل شرٌّ بشَرّ:

﴿**انْظُرُوا أَنْ لاَ يُجَازِيَ أَحَدٌ أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ**﴾ تسالونيكي 5:15

وأَمَرهم أن يتوجّه بعضُهم لبعضهم الآخر بالخير بدل المجازاة بالشرّ:

﴿**اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ**﴾ 1 تسالونيكي 5: 15

وحذَرهم ألاّ يملأهم الغرور وينفخهم التكبُّر، لأنّ الله يغضب ويحارب المستكبرين:

﴿**اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾ بطرس 5: 5

وحذَّرهم من النفاق في ادّعاء الحب لله، فقال:

﴿**إِنْ قَالَ أَحَدٌ**: «**إِنِّي أُحِبُّ اللهَ**» **وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ**﴾ 1 - يوحنا 21:4

ثم بيَّن لهم أنّ حقيقة حب الله إنما تكمن في حب الإنسان لأخيه الإنسان:

﴿**إنّ مَن يُحبّ اللهَ يُحبّ أخاهُ أيضاً**﴾ 1- يوحنا 4: 21

وعلَّمهم أنّ من يريد أن يثبت في محبته لله فإنّ عليه أن يثبت في محبته للناس، فقال:

﴿**اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ**﴾ 1- يوحنا 4:8

* اضطهاد المحبة.. تعذيب الرحمة.. وقتل السلام !

فعلوا ذلك في شخص المسيحيين المؤمنين بدءاً من أتباع المسيح الأوائل من تلاميذه وحوارييه وحتى الماضي القريب والحاضر القائم أيضاً!

آمن المسيحيون بالمسيح عليه السلام، وتعلَّموا منه الدين:

كانوا رحماء كما علَّمهم، وكانوا مساكين بالروح عملاً بتعاليم دينهم. لم يقاوموا الشرّ.. أحَبّوا أعداءَهم.. بارَكوا لاعنيهم.. وأحسَنوا إلى مبغضيهم. صلّوا لأجل الذين كانوا يُسيئون إليهم ويطردونهم.. صنعوا السلام لكي يُدعوا أبناء الله كما بشَّرهم المسيح عليه السلام. وكانوا إذا جاع عدوُّهم أطعموه.. وإن عطش سقوه. وآمنوا أنّ الكلّ من دم واحد من كلّ أمة وجميع الناس. وآمنوا أنّ الإله واحد. وأنه آب للكلّ.

لم يجازوا عن الشر بالشر. بل اتبعوا الخير بعضهم لبعض وللجميع. وآمنوا أنّ من يحب الله يحب أخاه الإنسان، وإن لم يفعل ذلك فهو كاذب. وآمنوا أنّ الله محبة.. وأنه رحمة.. وأنّ دينه السلام.

فاضطهدوهم!

عذَّبوهم!

وقتلوهم!

وبذلك كانوا يقتلون، في المؤمنين الرحماء من المسيحيين الأوائل، المحبةَ والرحمة والخير والسلام—والتاريخ يشهد.

* من تاريخ الاضطهاد الديني

اقرؤوا تاريخ الإرهاب والاضطهاد (الديني) الذي أوقعه أرباب العداء لحرية

الدين والمعتقد، وسيَعصر الألمُ قلوبَكم، وتطفر دموعُ الحزن والأسى من عيونكم.

قلِّبْوا صفحات الكتب التاريخية والوثائقية، تَرَون أنها تروي صُوَر الاضطهاد الظالم البشع والتعذيب الوحشي الكاسر الذي عاناه المؤمنون الأوائل بالمسيح عليه السلام؛ وقد ذَكر القرآنُ الكريم بعضَهم، فتحدَّث عن حرقهم وتعذيبهم، لا لذنب جنوه بل لمجرّد أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد! ويصوِّر اللهُ عزّ وجل في كتابه المجيد التعذيبَ الظالم لهؤلاء المؤمنين فيقول:

﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ البروج 2-10

وهكذا يصف القرآنُ الكريم هَولَ هذا الإرهاب (الديني) الوحشي الذي أوقعه الطغاةُ على المؤمنين من المسيحيين الأوائل. [1]

كما نقرأ في القرآن المجيد القصةَ القرآنية عن (**أصحاب الكهف**) وهم أيضاً من المسيحيين الأوائل الذين تمّ اضطهادهم لمدة تزيد على ثلاثمائة سنة. ومعروفة هي الأماكن التي تمّ تعذيب هؤلاء المساكين فيها—مسارح المدرّجات الرومانية التي بُنيت من أجل تمتّع رجالات السّلطة الرومانيين بمشاهد مصارعة العبيد والأسرى مع الأسود والثيران الهائجة حيث كان يُلقى فيها المسيحيون، العُزَّل

[1] - من الخطأ تسمية أيّ إرهاب بأنّه ديني؛ إذ لا يمكن للدين الحق أن يكون إرهابياً بأي شكل كان؛ ولذلك فقد وضعتُ كلمة ديني هنا بين قوسين قاصداً بذلك: زعم من يبرّر الدين للإرهاب./ المؤلّف.

من كلّ قوة أو سلاح، إلى الحيوانات الجائعة التي كانت تقفز عليهم مزمجرة، وتلتهمهم وهم لا حول ولا قوّة لهم في هَربٍ أو نجاة!

كانت قلوبُ وصدور المسيحيين تُخترق بقرون الثيران المُثارة الهائجة، وكانت أجسادهم الهزيلة الواهنة تُسحق تحت حوافرها الثقيلة حتى الموت؛ في حين كان الرومان المبتهجون يعودون بعد تلك المهرجانات الدموية إلى بيوتهم مقهقهين ومنتشين—فلقد تمّ عقاب أتباع دين عيسى المسيح كما يجب!

ولكن في الوقت الذي كانت فيه أرجل المسيحيين ترتجف بِوَهَن، كانت قلوبهم تنبض، بكلّ قوة، بالإيمان بالله الواحد الذي أَرسل إليهم رسولَه المسيحَ عيسى بن مريم بدين الرحمة والمحبة والسلام.

استمرّ هذا الإرهاب (الديني) والاضطهاد الوحشي من حين إلى آخر لمدة تزيد على ثلاثة قرون. وعندما لم يجد المسيحيون مكاناً يحتمون فيه، لجأوا إلى كهوف (**الكتاكومز**) الشهيرة تحت الأرض. عاشوا في المتاهات التي لا تزال موجودة حتى اليوم، وهي تُذكّرنا بأنّ المسيحيين الأوائل استطاعوا أن يعيشوا مع الحشرات والعقارب والأفاعي السامة، في حين لم يستطيعوا العيش مع أرباب الإرهاب (الديني) بثيابهم الجميلة الفاخرة، وابتساماتهم الساخرة، وملامحهم الوسيمة.[1،2]

ونقرأ في كتاب أنطونيو غالونيو (**عذابات وآلام الشهداء المسيحيين**) عن القديسين الذين كانوا يُعَذَّبون بطرائق شيطانية تشمل جميع صنوف العذاب

[1] - (التعذيب عبر العصور) لمؤلفه: بيرنهاردت ج.هروود، ترجمة: ممدوح عدوان. ص (21).

[2] - راجع كتاب " القتل باسم الدين " للإمام ميرزا طاهر أحمد رحمه الله.

المخصّصة للمجرمين والخونة الذين كانت تعدّهم الدولةُ الرومانية أعداءً لها. حيث يروي صاحب الكتاب كيف أنّ المسيحيين المؤمنين كانوا يُفضِّلون -وباختيارهم- تلك العذابات على تقديم الولاء للآلهة والأوثان الرومانية.

ويُعلِّق بيرنهارت ج. هروود صاحب كتاب (**التعذيب عبر العصور**)[1] على القسوة والإفراط في تعذيب المسيحيين في الاحتفالات والأعياد الرومانية فيقول:

"وعلى الرغم من أنّ الإنسان المعاصر قد فاق الرومان فيما يتعلّق بالقسوة المجرّدة، إلاّ انه حتى رجال السينما في هوليوود لم يستطيعوا محاكاة عظمة الحفلات الخيالية التي أغرقت الإمبراطورية الرومانية ذات يوم بالدماء"!

كان الرومان في احتفالاتهم يُلقون بالأسرى والعبيد من المسيحيين إلى الوحوش الضارية الجائعة، ويتلذّذون مع ضيوفهم وجماهيرهم وهم يرون هذه الوحوش تُمزِّق المسيحيين المساكين بالمخالب والأنياب وتفترسهم، بشراهة مريعة، جزاءً لهم على إيمانهم بالله وكفرهم بالآلهة والأوثان الرومانية ومَن يريد فرضها عليهم بالإكراه!

ومن الجدير بالذكر أنه بعد اكتشاف هؤلاء الطغاة لحقيقةَ أنه ما مِن وحشٍ يمكن أن يهاجم البشر ويأكلّهم بشكل غريزي، سخَّروا مدرّبين مختصين لدفع هذه الوحوش وَوَخْزِها وتعذيبها بعد تجويعها إلى أن تعلّمتْ أنّ انقضاضها على النساء والرجال العُزّل العاجزين وتمزيقهم وأكلهم هو فرصتها الوحيدة للخلاص من الضرب والوخز والتعذيب، وبالتالي البقاء على قيد الحياة.

---

[1] - " التعذيب عبر العصور " لمؤلّفه: بيرنهاردت ج. هروود. ترجمة ممدوح عدوان. ص (21).

وهكذا سجَّل التاريخ أنّ تعذيب وتقتيل المسيحيين، في الدولة الرومانية، كان جزءاً من التسلية والرياضة العاديّة في المناسبات والاحتفالات المختلفة! ولم يكن ثمة نوع من العذاب يمكن للمسيحيين المساكين أن يجتنبوه!

كان بعضهم يُعَلَّقون من أصابعهم فوق نار خفيفة ثم يُجلدون أو يُسلخون أحياء .. وكان بعضهم يُجبَرون على ارتداء دروع وخُوَذ مُحمّاة حتى الاحمرار. كانت الألسن تُنتزع، والنهود تُقتلع، والأحشاء تُستخرج ثم تُطعَم للوحوش الجائعة حتى قبل أن يموت أصحابها! هذا وإنّ أدقّ وصف لهذه العذابات الغريبة يمكن أن يُقرأ في تاريخ الكنائس، وبشكل خاص في سِيَر الشهداء العديدة[1].
وهكذا تعدّدت اضطهادات وعذابات المسيحيين مع تعدّد واختلاف الطغاة في كلّ خَطوٍ تاريخي يرصد هذه المجازر الوحشية البشعة باسم الله والدين والمعتقد، حتى أنّ بعضهم كان يُسمّي أمثال هذه المجازر (**مَسلخ الله**)[2] ـــسبحانه وتعالى عمّا يصفون!

ويعلّق هروود صاحب كتاب (**التعذيب عبر العصور**) على هذه المآسي البشرية عبر التاريخ، فيقول:

"وهكذا كان الأمر ينتقل من وحشية إلى فساد ثم عود على بدء. وما حدث في النهاية نعرفه كلّنا. ليس فقط أنّ روما تبنَّت عقيدة أتباع المسيح.. الذين عذَّبتهم، بل إنهم هم ـــ المسيحيون ـــ قد تبنّوا روما! ويا له من أمر مثير أن تصبح لغة أسوأ مضطَّهِدي المسيحية

[1] - التعذيب عبر العصور، ص (24).

[2] - المرجع السابق، ص (71).

هي لغة الكنيسة، وأن تكون عاصمة هؤلاء المضطهِدين هي المنصب الأسمى في البابوية! ولربما كانت قصة كهذه ملائمة لطرح عدالة مثالية عظيمة. ولربما كانت المفارقة الحقيقية كامنة في مكان آخر: فبعد قرون قام الأحفاد الروحيون لأولئك الذين ماتوا تحت التعذيب دفاعاً عن عقيدتهم، باستخدام الوسيلة ذاتها – والأمر كلّه باسم العقيدة"[1].

* ما بعد الرومان

لم يكن الرومان مضطهِدي المسيحيين الوحيدين، بل جاء بعدهم الكثير ممّن أوقع العذاب على أتباع المسيح الذين تمسَّكوا بإيمانهم بكلّ شجاعة وثبات. ويقرأ المطَّلِعون وصفاً تفصيلياً **لمجزرة يابانية** غاية في الوحشية والقسوة ضد المسيحيين حدثت في ناغازاكي في أيلول 1662م.

يتحدث عن هذه المجزرة شاهدا عيان أوروبيان هما (فرانسوا كارون) و(جوست كورتين)، فيصفان القتل والتعرية والإحراق والإلقاء في حفر مليئة بالأفاعي السامة وإجبار الآباء على قتل أولادهم أو حرقهم بأيديهم وإطلاق المئات من المسيحيين من النساء والرجال بعد وَسْمِهم بعلامات خاصة يحرقون بها جباههم كي تتمّ معرفتهم، ويتم صيدهم كالحيوانات[2].

ويذكر المؤرخون والمحققون أنّ أمثال هذه الممارسات الوحشية القاسية قد نجحت—بسبب استمرارها—في إجبار الكثيرين على التنكّر لأديانهم ومعتقداتهم.

[1] - المرجع السابق، ص (25).

[2] - التعذيب عبر العصور. ص (32).

* الاضطهاد المسيحي- المسيحي (المقدّس)

في معرض تعليقه على سفر الرؤيا 17:6 يقول ماثيو هنري في تفسيره المختصر للكتاب المقدس:

"We cannot but wonder at the oceans of Christian blood shed by men called Christians!"

أي: "لا يسعنا إلاّ الاندهاش من بحار دماء المسيحيين التي أهرقها أناسٌ يُدعون بالمسيحيين أيضاً!"

ويقول بيرنهاردت ج.هروود في معرض سرده للاضطهاد والتعذيب عبر العصور:

"وعلى الرغم من أننا لا نحبُّ أن نعترف، إلاّ أنّ أسوأ الفظاعات التي ارتكبها أسلافنا الأوروبيون إنما ارتُكِبت باسم الرب والوطن والصالح العام"[1].

ونجد مصداقاً لهذا الاعتراف الملفت في ما يُسمّى بـ (**الاضطهاد الصالح**) الذي يتحدث عنه القديس أوغسطين الشهير، فيقول:

"هنالك الاضطهاد الصالح، وهو الاضطهاد الذي توقعه الكنيسة على الفاسقين. إنها تضطهد بروح الحب، فلعلها تُصلِح وتُصحِّح .. وتستعيد الناس من الخطأ، وتسعى إلى صالحهم لتؤمّن لهم الخلاص الأبدي."

ويتابع هروود سرده لتاريخ الإرهاب الديني لدى أسلافه الأوروبيين فيقول إنه

[1] - المرجع السابق 48

في العصور الوسطى—وبعدها بزمن طويل أيضاً—لم يكن ثمة ما يُعتبر رهيباً لدى الكنيسة ورجال الدين أكثر مما يُسمى بالجريمة بحق الرب. فجريمة كهذه تَستنزِل عقوبةً سماوية على المجتمع ككلّ! ولذلك كان لابدُ من التعامل مع المذنبين فوراً، وقبل حدوث الكارثة. إنّ للجريمة أنواعاً عديدة، ولكن كان لها عندهم اسم واحد (**الهرطقة**). ولقد كان في أذهان العامة أنّ النهاية المنطقية للهراطقة هي الموت مع الألم الشديد!

وعلى الرغم من أنّ الكنيسة—إلى أيام محاكم التفتيش—كانت تتخذ موقفاً متسامحاً نسبياً، وكانت تُعاقِب الهرطقة بالكفارات والحرمان من الحقوق الكنسية، إلاّ أنّ العامة كانت تطالب بالدم؛ هذا رغم وجود مواقف مختلفة كموقف القديسة (هيلديغارد) التي كانت تصرّ على أنه حتى الهراطقة هم أبناء الرب، ويجب ألاّ يُحرم أيٌّ منهم من حياته. غير أنّ دعوة هذه القديسة من أجل هؤلاء الخاطئين لم تُحقق نفعاً كبيراً، فالقليل من (الهراطقة) من نجا بحياته، إذ كان معارفهم يمسكون بهم ويُعذِّبونهم حتى الموت، وبالنار عادةً! / المرجع السابق ص 48

ولكن مع مرور الأيام، ومع انغماس السلطات الكنسية في أمور غير روحية تغيَّرت الظروف، حيث كان الملوك والأباطرة والأساقفة والباباوات يتنافسون فيما بينهم على الممتلكات والإقطاعيات والثروات والسّلطة. وكانت للكنيسة الكلّمة العليا، لأنها تمسك بمفاتيح أبواب العالم الآخر! وكلّما شكّل أفراد أو جماعات خطراً من أي نوع كانت الكنيسة تقف في وجوههم بغض النظر عن المركز أو العمر أو الجنس.

ونجد مثالاً وافياً لذلك في مذبحة (الألبيجنسيين Albigenses) وهم أبناء طائفة دينية ظهرت في جنوب فرنسا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وجاء اسمهم هذا من المنطقة التي كانوا يعيشون فيها، وقد بدأت حملة الاضطهاد (الديني) ضد أبناء هذه الطائفة عام (1209م) واستمرت حتى القضاء التام عليهم عام (1244م)[1].

لم يُقدِّم أبناء هذه الطائفة ولاءهم لروما، وقد تناموا إلى درجة أنّ البابا (ألكسندر الثالث) أصدر في المجلس المسكوني الحادي عشر عام (1179م) فتوى كنسية ضد أتباعها. وبدأت حملة صليبية ضدهم انتهت، بعد خمس وستين سنة، بحرب مدمرة كانت نتيجتها مذبحة هائلة لمن تبقّى من (الهراطقة) في برج (مونتسينيور) في (لانغيدوك) في فرنسا[2].

ونقرأ في كتاب (**الحكم بالسرّ**)[3] للكاتب الأمريكي جيم مارس وصفاً للأهوال التي تعرض لها المسيحيون الذين كان يعدّهم البابا كفرة وهراطقة كما يلي:

"شهدت لانغويدوك أوّل حدث من الإبادة البشرية الجماعية الأوروبية، حيث تمّ ذبح 100,000 فرد من الكاثاريين بناءً على أمر البابا خلال الحملات الصليبية على الألبيجينسيين Albigensian..

وعد البابا إنوسنت بامتياز حالة حرب status صليبية عنيفة لكلّ من ينضم إلى

---

[1] - المرجع السابق، ص (49).

[2] - المرجع السابق، ص (49).

[3] - (**الحكم بالسر**) **Rule By Secrecy** لمؤلفه جيم مارس. ترجمه إلى العربية محمد منير إدلبي

جيشه. وكان هذا يعني كليهما: الحِلّ من أيّة آثام وخطايا تُرتكب أثناء العملية، بالإضافة إلى حصّة في أيّ غنيمة حربية .. ورأى الكثيرُ في ذلك فرصةً للسلب والنّهب والربح الكبير، ولم يكن ثمة سعي لجعلهم ييأسون بشكل كامل، فقد كان الصليبيون مُحفَّزين، بشكل أساسي، بالحماس الديني.

نُهبت الكنيسة والمدينة كلاهما، وذُبح السكان، وقُتل الكهنة، والنساء والأطفال داخل الكنائس .. وعندما صادر قادة الجيش الغنائم من أجناد المعسكر تمّ تدمير وإحراق المدينة." وبحسب تقرير رسمي فقد تمّ ذبح عشرين ألفاً من السكان ..

وسرعان ما اجتمع جيش البابا، "أكبر جيش يتمّ جمعه في العالم المسيحي" في ليون تحت قيادة آرنالد–آمالديك بالإضافة إلى عدد من النبلاء والأساقفة.

عندما تحركت هذه القوة الهائلة—حوالي ثلاثين ألف متحمس—انحدروا إلى وادي رون. كان لدى ريمون أفكار ثانية وقرر الانضمام. بعد التعهد بالانضمام إلى الحملة الصليبية، تصالح ريموند مع الكنيسة ووعد بالحصانة من الهجوم.

جاء أوّل هجوم شامل على مدينة بيزيرس. هنا، وبالرغم من دعوة أساقفتهم ليستسلموا، قرر أهل المدينة المقاومة. وبحسب كوستن، فقد اقتحم أجناد الجيش الملهوف على الغنائم بوابات المدينة وسرعان ما انضم إليهم العاملون بدون أوامر: نُهبت الكنيسة والمدينة كلاهما، وذُبح السكان، وقُتل الكهنة، والنساء والأطفال داخل الكنائس .. وعندما صادر قادة الجيش الغنائم من أجناد المعسكر تمّ تدمير وإحراق المدينة. وبحسب تقرير رسمي فقد تمّ ذبح عشرين ألفاً من السكان ..

لقد كانت (هذه المجزرة الدينية) في 'بيزيرز' و عندما سئل قائد الحملة البابوية آرنالد-آماليك، كيف تستطيع قوّاته أن تميّز بين الكاثوليكيين والهراطقة، أجاب آمراً: "**اذبحوهم جميعاً، فالله يعرف خاصّته**"!

وفيما يتعلق بمذبحة بيزيريه، فقد سقطت مدينة إثر مدينة في جميع لانغويدوك أمام الجيش البابوي بدون حرب. كان الصراع الداخلي منتشراً عندما تسابق السكان في تسليم الهراطقة المعروفين أو المشتبه بهم. في مدينة كاستريه، أُحرق الكاثاريون، المسلِّمون إلى الجيش البابوي، على الخوازيق، وهي الممارسة التي استمرت، فيما بعد، طوال الحروب/الحملات الصليبية."[1]

في ذلك الحين كانت محاكم التفتيش قد تأسست وانتشرت فروعها القوية في كافة أنحاء أوروبا مثل شجرة زقّوم هائلة. وصارت السياسة مسألة أكثر ضغطاً من الإيمان إلى حد بعيد. وبرزت تحاملات وصراعات، فكان ثمة من يتصارعون مع الكنيسة ويتصارعون فيما بينهم، وكان الخوف في جميع هذه المجالات هو السلاح الأكثر فاعلية، وكان التعذيب من أفضل الوسائل للإبقاء على السيطرة، ولذلك فقد استخدمه الجميع وبشكل مفرط!

وحين بدأت محاكم التفتيش في النصف الأول من القرن الثالث عشر لم تحكم على (الهراطقة) بالحرق. فقد كان المحققون أكثر حساسية من أن يفعلوا ذلك. كانوا رجال دين منضبطين غير معنيين إلاّ بشنِّ الحرب ضدّ (أعداء الله)[2]

---

[1] - من كتاب (الحكم بالسر) تأليق جيم مارس ترجمة محمد منير إدلبي

[2] - "أعداء الله" بحسب تصنيف رجال الدين طبعاً وتكفيرهم لخصومهم أو مخالفي أفهامهم، كما هي الحال دائماً!

والكنيسة! وكان رئيس اللجنة القضائية يعلن عند النطق بالحكم على (مهرطق) قائلاً:

"بما أنّ الكنيسة لا تستطيع أن تفعل شيئاً بمهرطق من نمطك فإننا نحيلك إلى المحاكم الدنيوية، ومع ذلك فإننا نوصيها، بالسّلطة التي لنا عليها وحسب مقتضيات القانون، أن تحافظ على حياتك وعلى أعضائك من خطر الموت إذا ما اعترفتَ اعترافاً كاملاً بتهمة الهرطقة المنسوبة إليك"[1].

ولم تكن المحاكم الدنيوية تُلقي بالاً لهذه التوصية، كما أنّ أحداً لم يتوقّع منها ذلك. وإلى جانب ذلك فقد كانت ثمة سُبل لانتزاع الاعترافات من أولئك الذين يرفضون الكلام، وذلك لأن ثمة فتوى بابوية كانت في القرن الثالث عشر تسمح باستخدام التعذيب. وقد تسلّطت محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال إلى حدٍّ أصبح فيه هذا التسلط حُكماً سياسياً قوامه التعذيب والإرهاب.

* وكر التعذيب

ويصف الواصفون بأنّ مجرد النظرة إلى غرفة التعذيب كانت كافية لدفع الإنسان إلى الاعتراف. فقد كانت عبارة عن قبو معتم، دون نوافذ تحت الأرض، لا يضاء إلاّ بشموع ضئيلة عند الحاجة وعند الدخول الأول للسجين إلى زنزانته، وذلك كي يلقي نظرته الأولى على معذبيه .. كانوا متلفّعين بالسواد وغارقين في صمت جلمودي، يخفون ملامحهم بأقنعة سوداء مخيفة لا تُظهر إلاّ عيونهم. ولمزيد من الإرهاب عند الوصول، كان السجين أو السجينة، يعرّى أو تُعرّى دون

[1] - المرجع السابق، ص (50).

اعتبار للإنسانية أو الشرف[1].

كان الأسلوب المفضّل في التعذيب هو المخلعة والبكرة والحديد المحمّى والجَلْد. ولم تكن ثمة وسيلة واحدة يمكن اعتبارها الأكثر قسوة. فالنظام ككلّ كان يقوم على التعذيب. وكان مجرد الوقوع في قبضة محاكم التفتيش يعني الحكم النهائي بالموت، لأنّ قِلّةً فقط استطاعت النجاة! وكان الجَلد شائعاً بالنسبة إلى هؤلاء السجناء مثل استنشاق الهواء! ويروي هروود صاحب الكتاب المذكور آنفاً عن شهود عيان أنه:

"لأقلّ خطأ كان يُجلد المسجون جَلْداً عنيفاً، يُعَرّونه ويُلقونه مكبّاً على وجهه على الأرض. ويمسك به عدة رجال وهو في هذه الوضعية بينما يقوم آخرون بجَلده بقسوة بالغة بحبال تزداد قسوتها بغمسها بالقطران حتى تصير قادرة على انتزاع اللحم مع كلّ ضربة وحتى يصير الظهر كلّه قرحة واحدة" [2].

ويقول بأنه كان ثمة تشكيلة واسعة لوسائل أخرى معقدة للتعذيب كانت تستعملها محاكم التفتيش في اضطهادها (الديني) (الصالح)!

ويشهد التاريخ مرحلة جديدة من الإرهاب والاضطهاد (الديني) مع بداية عصر الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر حين صار أتباع الحركة الجديدة أعداء ألدّاء للكنيسة الكاثوليكية. وقد كانت كلّ فئة منهما مصممة على قمع الأخرى بجميع الوسائل، وكان من المفضّل لكلّيهما اللجوء إلى العنف

[1] - المرجع السابق، ص (50).

[2] - المرجع السابق، ص (50).

والإرهاب باسم الدفاع عن الدين والإصلاح والكنيسة. ولقد لخّص **مارتن لوثر** الحسّ العام حين قال:

"لا حاجة لأحد أن يظن أنّ العالم يمكن أن يُحكَم دون دماء. كان السيف المدني وعليه أن يكون دموياً" [1].

ولقد كان الصدع العميق، الذي شقّ المسيحيين إلى معسكرين، قاتلاً بحيث أنه، حين كان يحدث الصدام المنتظر، كان الضعفاء يُسحقون دائماً، كما كانت الأقليّات عُرضة للاضطهاد الساحق بشكل مستمر!

وينقل هروود عن شاهد عيانٍ لمذبحة فرقة مسيحية اسمها (**الدولدويون**) من جنوب فرنسا نشأت عام 1170م فيقول :

"وهجم الجمع المسلح على (**الدولدويين**) بشكل عنيف جداً، ولم يكن لشيء أن يُرى إلاّ الرعب والأسى: دم يصبغ أرض البيوت؛ أجساد ميتين ملقاة في الشوارع؛ الصرخات والتأوهات تثقب الأسماع في كلّ مكان! وفي إحدى القرى عذّبوا بوحشية 150 امرأة وطفلاً وذلك بعد أن هرب الرجال، ثم قطعوا رؤوس النساء ونثروا أدمغة الأطفال" [2].

ولقد قرأ الناس عن أحداث مشابهة في أيرلندا عام 1642م عندما تم تقتيل البروتستانت الإنكلّيز، حيث شُوّهت أجساد الرجال والنساء والأطفال بعد أن رُجموا حتى الموت أو تم شواؤهم أحياء! بل كان ثمة ما هو أسوأ من ذلك، حيث

---

[1] - " **التعذيب عبر العصور** " بيرنهاردت ج هروود. ترجمة ممدوح عدوان، ص (52).

[2] - المرجع السابق، ص (53). ولقد جاء في رواية مُوثقة أوردها الكاتب الأمريكي **جيم مارس** في كتابه (**الحكم بالسّر**) أنه عندما سئل أحد قادة الجيش البابوي المهاجم لقرية في حرب إبادة دينية: "كيف نعرف أتباع مذهبنا من غيرهم" أجابه القائد: "اقتلهم جميعاً فإنّ الله يعرف خاصّته"—راجع أيضاً موسوعة غروليير مادّة "الإرهاب الديني" تيروريزم.

بُقرت بطون الحوامل وأُخرجت الأجنّة منها، وأُجبر الأطفال على ذبح آبائهم وأمهاتهم، وأُجبرت الأمهات على ذبح أطفالهن، والرجال على ذبح نسائهم[1]!

ويبيّن (**جورج بيشوب**) في كتابه (**نيو إنغلاند تحكمها روح الرب**)[2] أنه حتى العالم المعاصر الذي يشاع عنه أنه مأوى من الاضطهاد (الديني) لم يكن في الحقيقة إلاّ جحيماً للمنشقّين، إذ عندما طوردت جماعة من (**الكويكرز**)[3] خارج بريطانيا في القرن السابع عشر لأنهم اعْتُبِروا تهديداً للنظام، هربوا إلى أمريكا آملين أن يجدوا فيها الحرية والأمان، لكنهم بدلاً من ذلك لاقوا الاضطهاد القاسي في (**نيو إنغلاند**) من قِبَل (**البيوريتانيين Puritans**) الذين كانت ذاكرتهم قاصرة بشكل واضح.

وبزعامة الحاكم (**جون انديكو**) قام مستوطنو (**ماساتشوستس**) في أمريكا بتعذيب القادمين الجدد تعذيباً خالياً من أي أثر للرحمة. إذ لم يلاقِ هؤلاء المساكين الإذلال العلني فحسب، بل كانوا يُسجنون ويعُدمون أو يُباعون عبيد أرقّاء[4]!

* حرق الساحرات

وبالرغم من اختلاف الكاثوليك والبروتستانت إلى حدّ رغبة كلّ منهما في

---

[1] - التعذيب عبر العصور، ص (53).

[2] - كتاب (**نيو إنغلاند تحكمها روح الرب**) لـ(**جورج بيشوب**) نُشر في لندن عام (1703).

[3] - (**الكويكرز**) هم أصحاب مذهب يدعو إلى البساطة وإلغاء الطقوس وتجنُّب الحروب.

[4] - يمكن للمهتمين قراءة أحداث هذه القصة المخزية في كتاب (جورج بيشوب) المذكور آنفاً.

إفناء الآخر، إلاّ أنّ تاريخهما يشهد أنهما كانا متفقَين ضمنياً على اضطهاد الساحرات وإحراقهن وقتلهنّ باسم الدين!

ويذكر مؤرّخو تلك الأحداث كم كانت شنيعة وقاسية الفظاعات التي أوقعها صيّادو الساحرات على ضحاياهم إلى درجة لا يرقى إليها الخيال! وكما هي الحال في الطقوس الجماعية العنيفة، فقد تطوَّر الهوَس بتعذيب وقتل الساحرات تطوّراً بطيئاً. في القرون المسيحية الأولى كان السّحرة يُعدَمون بسبب جرائم محدّدة مرتكبة كالقتل. وكان السّحر في حدّ ذاته يُعدّ في مجمله نشاطاً متناقضاً مع المسيحية[1].

وحين بدأت محاكم التفتيش حربها على الارتداد والهرطقة، كان الذين يُتَّهمون بممارسة السحر غالباً ما يُعَذَّبون حتى الموت، ولكن ليس بصفتهم كسحرة بل كهراطقة. وتعود عملية الإحراق حتى الموت بشكل عام إلى رأي يُعزى إلى **(بارتولوس)** من **(ساسوفيراتو)**، وهو قاض يُعتبر من أهم العقول المسيحية المشرِّعة في القرن الرابع عشر. وقد أمر بإحراق الساحرات معتمداً على تأويل كلّمات للمسيح، حيث يقول:

﴿**إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ.**﴾ (إِنْجِيلُ يُوحَنَّا 15 : 6)

ومن خلال بيان البابا الشهير ضد السحرة، شهدتْ ألمانيا سلسلةً مروِّعة من

[1] - راجع **(مطرقة الساحرات)** للمحقّقين الراهبين الألمانيين " **جاكوب شبرنغر وهايزش كرامر** ".

عمليات القمع؛ ولقد هيمن الخوف الدائم من الاعتقال والتعذيب والموت الغامض على البلاد كلّها، وألقى بظلِّه المرعب الرهيب على كلّ من فيها.

كان الرجال والنساء والأطفال يُشوَّهون وتُقَطَّع رؤوسهم ويُحرقون أحياءً بالمئات. ووصل الجنون إلى درجة مروّعة بحيث أنه قام ذات مرّة أسقف **(تريفيس)** بإحراق معظم النساء في أبرشيته. ويُقدِّر أحد المؤرخين الألمان أنه خلال الحملة المسعورة على السحرة تمَّ قتل ما لا يقلّ عن مئة ألف شخص في تلك البلاد. ولكن (جانسين) في كتابه **(تاريخ الشعب الألماني)** يقول:

"من كلّ محرقة، كانت تبرز مجموعة جديدة من الساحرات"[1].

ويبيِّن **(شارل مالكي)** في كتابه **(أوهام شائعة غاية في الغرابة)** كيف أنّ الإرهاب (الديني) اتُّخذ ذريعة في كلّ مكان من أوروبا لإلقاء الفرسان في السجون ومصادرة ممتلكاتهم، ووضع المئات منهم على المخلعات وتعذيبهم حتى يعترفوا في النهاية بجميع تُهَم الهرطقة المنسوبة إليهم، فيتم بعد ذلك إلقاؤهم في النار على أنهم هراطقة مرتدّون. ويروي المؤلِّف كيف تم إحراق تسعة وخمسين من هؤلاء المساكين دفعة واحدة في نار هادئة في حقل من حقول ضواحي باريس وهم يصرخون ويحتجّون حتى آخر رمق، ويعلنون براءتهم من الجرائم المنسوبة إليهم، ويرفضون قبول العفو المشروط باعترافهم بذنوبهم المفتراة عليهم. وأخيراً، اختُتِم المشهد من هذه المأساة بإحراق الزعيم الأكبر **(جاك دوموليه)** ومساعده **(غي)**

[1] - راجع هذه المعلومات في كتاب (التعذيب عبر العصور) وكتاب (تاريخ الشعب الألماني) لـ جانسين.

زعيم نورمانديا!

ويعلِّق (**هروود**) على هذه المآسي الاضطهادية باسم الدين فيقول:

"إنه لمن الصعب تصوّر ما هو أكثر بشاعة، وما هو معيب أكثر للسلطان، وللبابا الذي أيَّد، وللعصر الذي تسامح مع هذا الظلم الرهيب. إنّ تمكّن قلّة من الناس من اختراع تهمة كهذه هو أمر مُهين لكلّ غيور على جنسه. أما أن يقبله الملايين، فهو أكثر إهانة"[1].

ويؤكِّد المؤرّخ (**و. هـ. ي. ليكي**) أنه لم يكن من الضروري دائماً اللجوء إلى التعذيب الفعلي للمتَّهمين لجعلهم يعترفون بالجرائم الملفّقة والمفتراة عليهم، فيقول:

"إنّ رهبة المحكمة وتوقُّع أشدّ الميتات شناعة، وتطبيق أقسى أنواع التعذيب على جسدٍ ضعيف لامرأة عجوز واهنة كان يجعل عقلها يختلّ، وتنهار أعصابها أمام الألم الدائم، فيغيب الوعي بالبراءة وتهيم الضحية المسكينة إلى النيران وهي قانعة بأنها على وشك أن تهوي إلى جهنم الأبدية"[2].

ويختم (**هروود**) سرده لفظاعات الاضطهاد والتعذيب الوحشي باسم الدين فيقول:

"لعل المرء يتساءل وهو يستعيد الفظاعات الماضية لدى أسلافنا: ما علاقتنا بهذا كلّه؟ والجواب بالطبع هو أنّ الإنسان المعاصر ليس أفضل من المحقق في محاكم التفتيش أو من صيّاد الساحرات أو أيّ طاغوت آخر من طغاة الأيام السالفة ... لقد كانت عصابة حاملي الجثث المسعورين، الذين كانوا يعذِّبون الأبرياء أيام الكوارث الكبرى، تقترف جرائمها المروّعة لمجرّد تحقيق الربح المادي. وفي أيام الرقّ كان المالكون والمراقبون يفرضون أشنع أنواع العقوبات

[1] - المرجع السابق، ص (57).

[2] - المرجع السابق، ص (57).

من أجل ترويض العبيد ولإجبارهم على القيام بالحدّ الأقصى من العمل. وفي مراحل التاريخ كلّها كان السجّانون يستخدمون التعذيب لبثّ الذعر في المساجين ولفرض الهيمنة عليهم.

وسيّان ارتُكِبَت الفظائع في زنزانات القرون الوسطى أو في معسكرات الاعتقال في القرن العشرين فإن المبادئ كانت ذاتها ... والتفرقة الجلية هي أنّ أفظع أنواع المجازر الجماعية كانت دائماً من صنع أولئك الذين كانوا أكثر (تحضُّراً)".

ولقد لمس السير (**جيمس فريزر**) مؤلف (**الغصن الذهبي**) صميم المسألة حين كتب قائلاً:

"يبدو في الحقيقة أنه حتى في أيامنا هذه يظلّ الفلّاح—صاحب المصالح الزراعية—وثنياً ومتوحشاً في أعماقه. وإنّ تمدُّنه مجرّد قشرة رقيقة سرعان ما تزيلها ضربات الحياة القاسية لتكشف عن الجوهر الصلب للوثنية والهمجية تحتها ".

ويتابع (**هروود**) تعليقه، فيقول:

"ولم يعش السير جيمس حتى نهاية الحرب العالمية الثانية؛ وربما لو عاش حتى ذلك الحين لاستبدل كلّمة (فلّاح) بكلّمة (إنسان)[1].

أي أنّ الإنسان بشكل إجمالي، قد تورَّط في سفك الدم بوحشية فاقت، إلى حدٍّ بعيد، وحشية الوحوش ذاتها!

وهكذا سفكوا دم المسيح مرّات ومرّات ..

سفكه أرباب الإرهاب (الديني) الزّاعمون الدفاع عن معتقداتهم وأوثانهم

---

[1] - (**التعذيب عبر العصور**) بيرنهاردت. ج. هروود، ص (26 - 63). منشورات دار الحوار، ترجمة ممدوح عدوان.

وحمايتها من (**جريمة**) حرية المعتقد، أو التبشير بإيمان جديد أو حتى الاعتقاد به بشكل شخصي وخاصٍّ بالمعتقِد نفسِه.

لم يدرك (المسيحيون) الذين سفكوا دم أتباع المسيح أنهم كانوا يسفكون دماءهم هم أيضاً بحسب تعاليم الكتاب المقدس الذي يقول عن الله عزّ وجل:

﴿**وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ (أَعْمَالُ الرُّسُلِ 17 : 26)[1].

ولكن ما يحيِّر هو أنه من المفروض أنّ أتباع المسيح المؤمنين به كانوا يَعلَمون هذا التعليم المسيحي، ويقرؤونه في الكتاب المقدّس، ويعلّمونه للناس فكيف إذن لم ينتبهوا إليه ولم يعملوا به، بل تجاوزوه بإفراط شديد، وذلك في ما يُسمّى باضطهادهم (الصالح) ضد الطوائف المسيحية الأخرى التي كانوا على اختلاف معها في معتقد أو آخر، فراحوا يمارسون إرهاباً (دينياً) شديداً، وأخذوا:

يُعَذِّبون أتباع المسيح ويُمزّقونهم باسم المسيح!

ويقتلون أبناء الرَّب باسم الرَّب!

ويسفكون دماء المؤمنين المُخلِصين من المسيحيين باسم المسيحية والدين والكنيسة!

وحين يتذكّر المُطّلع على فتاوى الكنيسة واضطهاداتها، ومظالم محاكم التفتيش وإرهابها للمسيحيين المساكين الذين وقعوا في براثن أحكامها ومخالب قبضاتها، يدرك بسهولة براءة الدين والمسيح والكتاب المقدّس والكنيسة الحقيقية والمسيحيين

[1] - راجع الكتاب المقدّس لدى المسيحيين / أعمال الرسل / 17: 26.

المؤمنين المخلصين من كلّ هذه الممارسات الهمجية باسم الدين وبحجّة الدفاع عنه وعن مقدّساته أو نشره بين الناس!

رحمكم الله أيها الشهداء المسيحيون الأوائل، يا من كان استشهادكم ذوداً عن إيمانكم العظيم وفي سبيل نشر تعاليم المسيح في الرحمة والمحبة والسلام وتعليم الكتاب المقدّس بأن الله عزّ وجل قد:﴿**صَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ**﴾، فجاء أحفادكم من بعدكم بممارساتٍ وحشية تخالف هذا التعليم، فأوقعوا الاضطهاد والإرهاب والتعذيب بأبنائكم، وقتلوهم، وسفكوا دماءهم باسم المسيح والرب الواحد الذي ﴿**صَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ (أَعْمَالُ الرُّسُلِ 17 : 26)!

وتشهد الأرض -التي أغرقتْها يدُ الإرهاب بالدماء- في أركانها الأربعة بدءاً من أوروبا إلى آسيا وأفريقيا ومن أُستراليا إلى أمريكا .. تشهد على أنّ الإنسان قد عانى الكثير من الإرهاب والاضطهاد والتعذيب الوحشي على يد من يُسمّى بالأمم المتحضِّرة المتقدِّمة، كما تشهد أنّ أشدّ وأبشع أنواع الإرهاب والاضطهاد إنّما تلك التي كانت تُوقَع على أجناسٍ من البشر المسالمين باسم الربّ أو الدّين—من أيّ دين كان أو معتقد!

الفصل الثاني

دم موسى!

﴿**لا تعملوا بالآخرين ما هو مكروه لكم، هذا هو الناموس برمّته، وكلّ ماعداه**﴾ **شروح**. التلمود

هكذا اختصر النبي الشاهد موسى –عليه السلام– الناموسَ الذي أُنزل عليه، وبه اختصر جميع وصاياه لليهود.

وكذلك اختصر المسيح عيسى ابن مريم، عليه السلام، تعاليم الناموس للمسيحيين، فقال لهم:

﴿**فكلّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا انتم أيضاً بهم، لأنّ هذا هو الناموس والأنبياء**﴾. إنجيل متّى 5: 7

بهذا التعليم العظيم اختصر كلّ من النبيين العظيمين دينَ الله وناموسَه الذي أُنزل عليهما، ليُعلِّماه لأتباعهما من اليهود والمسيحيين.

المفروض أنّ اليهود هم أتباع النبي موسى عليه السلام الذي جاءهم بشريعة الله المقدّسة، ثم أَرسل اللهُ المسيحَ عيسى ابن مريم تابعاً للشريعة الموسوية وشارحاً ومُفسِّراً لها، فكان بذلك مجدداً تابعاً مؤمناً بموسى وشريعته مؤيِّداً لها ومعزّزاً

لأحكامها. وكي لا يظنّ أتباعه المسيحيون أنه قد جاء بدين أو شرع جديد، قال لهم:

﴿**لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ.**﴾ (إِنْجِيلُ مَتَّى 5 : 17)

إذن فالمنهل الروحي لليهود والمسيحيين واحد، وهو شرع النبي موسى عليه السلام، وما المسيحية التي جاءت مع المسيح إلاّ شرح وبيان وتفسير للشريعة الموسوية التي جاء بها النبي المشرّع موسى عليه السلام.

جاء في كتاب (**حكمة الأديان الحية**) لمؤلفه (**جوزيف كاير**) قوله:

"إنّ المسيحيين الأوائل لم يعتبروا أنفسهم أتباع دين جديد، وإنما، فقط، مفسِّرين للديانة الموسوية الوطيدة الأركان"[1].

ويقول:

"لقد قامت المسيحية كحركة تحرّرية **ضمن** الديانة الموسوية"[2].

إذن كان من المفروض على المسيحيين واليهود أن يكونوا إخوة في اتّباعهم لدين واحد، ذلك أنّ إيمانهم بعيسى ما كان ليعني أنهم قد رفضوا دين موسى، بل على العكس، فإن اتّباعهم عيسى عليه السلام كان إحياءً لدين موسى وتكميلاً له من حيث البيان والتطبيق وانتصاراً للشريعة التي يزعم اليهود الإيمان بها نفسها، والحض على التمسّك بها والعمل عليها.

[1] - (حكمة الأديان الحية) لـ (جوزيف كاير)، ص (55).

[2] - المرجع السابق، ص (56).

قال بولس في رسالته إلى الرومانيين:

﴿**لا أقول شيئاً غير ما قال عنه الأنبياء وموسى: إنه سيكون**﴾ 2: 6

ويذكر المفكر الفرنسي الشهير (**روجيه غارودي**) في كتابه (**حفّارو القبور**) ملاحظة جاءت في ترجمة (**الكتاب المقدّس المسكونية**) تقول:

"لا يضيف الإنجيل شيئاً إلى العهد القديم، لأن كلّ ما يقوله قد أُعلن مسبقاً"[1].

ثم يتابع (**غارودي**) قائلاً:

"فيجب إذن إظهار مدى التصاق الإيمان المسيحي بإيمان إسرائيل (اليهود).. لم يعد يسوع عندئذٍ سوى حامل رسالة العهد القديم .. إنه مصلح ديانة اليهود .. فكلّ من يقبل تفسير بولس، إذا كان مؤمناً بالأنبياء، إنما هو مسيحي من دون أن يخرج من الإيمان اليهودي"[2].

فكيف حدث الخلاف إذن بين اليهود والمسيحيين؟ وكيف استحكمت بينهم العداوة والبغضاء، فنشأت في تاريخهم مشكلة قاصمة؟

بدأت المشكلة عندما رَفض علماءُ اليهود وأتباعُهم المسيحَ الناصري، واتهموه بالكفر والهرطقة والتجديف على الله والتآمر على القيصر.. ثم طالبوا بقتله على الصليب ليبرهنوا على أنه كاذب ملعون مصداقاً لكتابهم المقدّس الذي يقول بأنّ الذي يموت على الصليب يكون ملعوناً من الله[3]. وأما الذين صدّقوا بنبوءات كتاب موسى المتعلقة بمجيء المسيح ابن مريم الناصري، واتّبعوا التعاليم الحقّة فيه فقد صدّقوا

[1] - (حفارو القبور) لـ (روجيه غارودي): ص / 133 /.

[2] - المرجع السابق: ص / 133 /.

[3] - التثنية 23

بالمسيح، وآمنوا به نبياً ورسولاً من عند الله مصدّقاً بالتوراة مفسِّراً لها ومبشِّراً بالهدى والحق من الله تبارك وتعالى، وبذلك صار هؤلاء المؤمنون مسيحيين بالرغم من أنهم هم اليهود أنفسهم، ولكنهم بإيمانهم الجديد هذا افترقوا عمَّن كفر من اليهود برسالة المسيح الناصري وآذوه وافتروا عليه وأرادوا صلبه وقتله. ويشرح القرآن المجيد هذه الواقعة فيقول:

﴿**فَآَمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَة**﴾ الصف 115

وبذلك نشأت أسباب العداوة والبغضاء، بين المسيحيين واليهود، واستحكمت، وبدأ عهد الاضطهاد (الديني) الظالم بينهم..

* وانطلق مارد الإرهاب الوحشي من قمقمه!

بدأ اليهود إرهابهم بملاحقة المؤمنين من أتباع المسيح الناصري واضطهادهم وتعذيبهم، كما يشهد التاريخ بذلك. وكان المسيح ابن مريم هو أول المُضْطَهَدين والمعَذَّبين على أيدي اليهود وعلمائهم وفقهائهم وعامَّتهم وغوغائهم وساستهم ودُهاتهم .. ثم تابعوا اضطهاد وتعذيب أتباعه من بعده، فاضطر هؤلاء إلى التخفّي والفرار بدينهم وإيمانهم إلى شتى بقاع الأرض.

وهكذا عانى المسيحيون الكثيرَ الكثير على أيدي اليهود في سبيل إيمانهم ودينهم الحق!

ولكن المسيحيين لم ينسوا فعال اليهود بالمسيح وأتباعه على مدى الزمان الذي

لم يزدهم إلاّ بُغضاً وعداوة كانت تؤججه تصرفات اليهود ودسائسهم الماكرة كلّما سنحت لهم الظروف بذلك.

وهكذا نقرأ في سجل التاريخ اضطهاداً قاسياً أوقعه المسيحيون على اليهود في مناسبات وتواريخ عديدة؛ كما نقرأ أنّ اضطهاد البلاد المسيحية الغربية لليهود كان حقيقة واقعة[1]، وإليكم البيان:

عندما شرع الصهيوني (**تيودور هرتزل**) لأول مرّة في عرض مخططه لإنشاء دولة إسرائيل برَّرَ ذلك قائلاً:

"نحن نُضطهَدُ منذ آلاف السنين، وتعرَّضنا للاضطهاد في أوروبا على وجه الخصوص".

وقبل أن نتحدث عن اضطهاد اليهود في أوروبا، نذكر اضطهاداً لليهود عانوا فيه دمارين كبيرين، وكان ذلك في عهدهم القديم:

* الدمار الأول

في عام (721) **ق.م.** قام الآشوريون بالقضاء على المملكة الشمالية من المملكتين اليهوديتين واحتلالها. وكانت هذه المملكة ترتبط بمدينة (**ساماريا**) وتُدعى (**مملكة إسرائيل**). وقد بدأ دمارهم بهذه الواقعة، ثم اكتمل ابتداءً من عام (**597**) ق.م، ووصل ذروته عام (**587**) ق.م؛ أي إنّ عملية التدمير التي استهلَّها الآشوريون بدأت مرحلتها الثانية بعد (**124**) عاماً. وفي هذه المرحلة هاجم

---

[1] - أقول هذا مع التأكيد على أنني ارفض المبالغات والافتراءات التي يستخدمها ساسة اليهود ودهاتهم تحفيزاً للعواطف واستثارة للعداء.

(**نبوخذ نصّر**) ملك (**بابل**) المملكة الثانية، وكانت تُدعى (**يهوذا أو اليهودية**)، وعاصمتها (**أورشليم**). وساق عدداً كبيراً من اليهود أسرى إلى بابل، وكان من بينهم (**حزقيال**) النّبي. ونعلم من كتاب حزقيال في أسفار العهد القديم أنّ العقاب الذي نزل باليهود كان بحسب القول الإلهي الوارد في الكتاب في مَثل المدينتين اللتين، كعاهرتين، تاجرتا بجسديهما، وتجاوزتا كلّ الحدود بلا حياء، ولم تتورعا عن إقامة علاقات مع الأغراب، فقطعتا علاقتهما بالله. وهكذا يصوِّرهما المثَل في أبشع صورة، ويقول بأنّ العقاب المقدَّر لفعلهما هو أنّ الله قد قطع صلته بهما، وقال: أيتها المرأتان العاهرتان .. أنتما لمن تبيعان جسديكما لهم. وبالفعل فقد أقصى الله هؤلاء من الأرض كلّها، ونقض كلّ حَجَر في معبد سليمان.

وفي عام (**551** أو **553**) ق.م، وبجهود النبي حزقيال، بدأت عملية اتصالهم مع أهل فارس. ويشير القرآن الكريم إلى هذه الفترة وإلى محاولة حزقيال الاستعانة بهم فيما ورد في سورة البقرة عن هاروت وماروت[1]. ومع أنّ الثورة وقعت فيما بعد في زمن حزقيال، وبعد **48** عاماً من الهجوم الذي دمَّرَ فيه (**نبوخذ نصّر**) أورشليم تماماً.. تغلَّبَ اليهود على الأرض المقدّسة مرّة ثانية بمساعدة شعب فارس عام (**539**) ق.م حيث عادوا بمعونة من الملك (**قورش**) الذي أخذهم ليستقرّوا ثانية في أورشليم.

* الدمار الثاني

[1] - راجع تفسير قصة (هاروت وماروت) الواردة في القرآن الكريم في كتاب (**أبناء آدم من الجِنّ والشياطين**) للمؤلّف، والصادر في دمشق (**1993**) ضمن سلسلة (**الإسلام الذي يجهلون**).

وردَت نبوءات في كتب أخرى أنّ هاتين المدينتين ستكونان كعاهرتين تصيران شرّيرتين مرّة أخرى، وتُعاقَبان على شرورهما مرّة ثانية. ولقد صَوَّر القرآنُ الكريم حالَ اليهود هذه، فقال لهم إنكم ستفعلون الشرور في فلسطين مرّتين، وترتكبون التمرّد والعصيان مرّتين!

كلّ ذلك تحقَّق تماماً، فهم ارتكبوا الشرور أولاً، ثم جاءت الأمم لعقابهم، ثم ثاروا، ثم تمَّ سحقهم!

وفي المرّة الثانية بدأ العقاب عندما احتلَّ الإمبراطور (**بومبي**) مملكة يهوذا عام (**63**) ق.م، ومن ذلك الوقت بدأ دمارهم الثاني الذي اكتمل عام (**132**)م، وذلك في زمن الإمبراطور (**هادريان العظيم**) ذي المكانة الكبرى بين أباطرة الرومان، والذي امتدَّ ملكه من بريطانيا شمالاً إلى أفريقيا جنوباً ونهر الفرات شرقاً[1]. ولما بلغ هذا الإمبراطورَ نبأُ تمرّد اليهود، استدعى قائدَه الذي كان حاكماً على بريطانيا وقتئذٍ، وكان معروفاً بكفاءته فكلّفه بسحق الثورة اليهودية.

كان ذلك عام (**132**)م أو (**134**)م على اختلاف المؤرّخين، فلقَّنهم هذا القائد درساً رهيباً. ويقول المؤرّخون إنه قتل نصف مليون من اليهود، وهدم معبدهم مرّة أخرى. وهكذا بُني معبد سليمان مرتين، وهُدِم مرّتين.

جاء في سورة الإسراء، في القرآن المجيد، قولُ ربنا عزَّ وجلّ:

---

[1] - وقد بنى هذا الإمبراطور في شمالي بريطانيا سوراً مثل سور الصين قيل إن طوله قد بلغ (70) أو (80) ميلاً، وما يزال موجوداً حتى اليوم.

﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِم وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا**﴾ الإسراء 4 – 9

هذا ما كان في تاريخ اليهود من دمار وقتل عانوه على أيدي الغزاة الأغراب في عهدهم القديم. وأما في التاريخ الحديث فإنّ ما كان من اضطهاد البلاد المسيحية الغربية لليهود حقيقة واقعة؛ فقد أنزلوا بهم الفظائع الوحشية التي جعلت من اليهود هدفاً للمظالم والعدوان المتكرّر لألف عام بشكل لم تتعرّض له أمّة أخرى من أمم العالم، وإليكم بعض البيان:

بدأت الحملات الصليبية عام (**1095**)م من فرنسا، وكان أول من حرّكها أمير فرنسي اسمه (**جودفري أُف بويون**)، وانضم إليه ملوك فرنسا، ونظّموا الحملة الأولى، فقال هذا الأمير لهم إنّ عليهم في سبيل هذا الغرض النبيل أن يقدّموا بأنفسهم قرباناً! وكان خير قربان، في هذه المناسبة في نظر أمير (**بويون**)، هو أن ينتقموا للمسيح ابن مريم ويقتلوا جميع اليهود!

وهكذا قام هؤلاء الصليبيون بمذبحة واسعة النطاق في أرجاء فرنسا .. ويندر أن ينطلق الطغيان بمثل هذا الوصف ضدّ أمة بلا حيلة. وبعد ذلك صار من تقاليدهم، على مدى (**200**) عام، أن يذبحوا اليهود قبل خروجهم لحملة صليبية قرباناً للمسيح

.. وهكذا كانت فظائعهم في حق اليهود رهيبة ظالمة!

ولم تكن القرابين اليهودية تُقَدَّم قرباناً فحسب، بل كانت أيضاً تُقَدَّم لطرد الشرور! وعلى سبيل المثال، لعلكم سمعتم بـ (**الموت الأسود**) الذي انتشر في أوروبا فيما بين عامي (**1347 – 1352**م). كان ذلك وباء الطاعون الرهيب الذي جاء من الصين وانتشر بالتدريج من شرق أوروبا حتى وصل إلى بريطانيا. فأخذ هؤلاء، خلال تلك المحنة، يضحّون باليهود كي يتخلّصوا من الشرّ. ولقد لفّقوا عنهم الكثير من الخرافات الباطلة التي تزعم أنّ كلّ ما نزل بهم من بلاء إنما كان بسبب شؤم اليهود! ولاشكّ في أنّ وجدانكم سيصرخ ذعراً ودهشة لو عرفتم كيف أنّ أعداداً كبيرة من اليهود قد قُتلوا أو أُحرقوا أحياء في بيوتهم، بحيث تقول التقديرات التقريبية إنه قد تمّ إفناء **60** مدينة كبيرة لليهود و **140** بلدة صغيرة .. وكان هذا هو الانتقام المسيحي الثاني ضد اليهود!

وأما الانتقام الثالث الكبير من بين انتقامات أخرى عديدة، فهو الذي قام به النازيون في ألمانيا .. ومع أنّ الخبراء لا يتفقون على الأرقام، فإنّ اليهود يصرّون على أن (**6**) ملايين يهودي زهقت حياتهم داخل غرف الغاز، وقاسوا غير ذلك من الفظائع .. وقد وقع كلّ هذا خلال عشر سنوات فقط!

ويروي التاريخ أيضاً كيف أنّ اليهود في إسبانيا لبثوا في العذاب قرنين من الزمان. وبالرغم من أنّ (**إيزابيلا**) و (**فرديناند**) قد أَمرا عام (**1492**)م بطرد اليهود من إسبانيا فإنّ اليهود مع ذلك لم يغادروها إلاّ حين أخرجهم النصارى منها جبراً، حيث اضطرّ عدد كبير منهم ــــ بسبب التعذيب ــــ إلى التنصُّر. ولكن حركةً قامت بين

النصارى تقول: إنّ اليهود قد تنصّروا في الظاهر ليخدعوا المسيحيين؛ وبما أنّ اليهود كانوا يملكون ثروات كبيرة، فقد قال أرباب تلك الحركة إنه لابدّ من سبب يتذرّعون به لتجريد اليهود من ممتلكاتهم وأموالهم، لذلك ناشد البابا الملكةَ إيزابيلا والملكَ فرديناند بأنّ الحلّ الوحيد لعلاج تلك الأزمة هو التفتيش عليهم وعدم الوثوق في تنصُّرهم. ولقد كانت **حركة التفتيش** في الواقع اسم لطريقة التعذيب التي كان النصارى يستخدمونها ضد معارضيهم، وقد ارتكبوا من خلالها فظائع رهيبة ضد مخالفيهم في الاعتقاد، وكذلك ضد النصارى المشكوك في عقيدتهم. ويروي التاريخ أنّ جدلاً طويلاً استمرّ حول ذلك. ولما كانت الملكة إيزابيلا ساخطة على البابا لأنه لم يعيِّن كاردينالات رشَّحتْهم من جانبها، لذلك لم توافق على أن تقوم لجنة عليا عيَّنها البابا للتفتيش. وأخيراً قال القس للملك **فرديناند**: نعطيك كلّ ما نصادره من أموال اليهود في مقابل الإذن لنا بالتفتيش. دعنا فقط نكون أحراراً في التفتيش وأما الثروة فهي لك. وهكذا بدؤوا حملات التفتيش الرهيبة عام (**1480**)م والتي كانت، في حقيقة الأمر، حملات فظائع وإرهاب أوقعها النصارى في أوروبا على اليهود بحيث يندر أن يروي تاريخ العالم مثلها. وأخيراً، ولعدم اكتفائهم بتعذيب اليهود، أمروا بنفيهم من أسبانيا عام (**1492**)م**!**

وهكذا فقد عانى اليهود الذين من المفروض أنهم أتباع موسى عليه السلام الكثير من التعذيب والاضطهاد على أيدي المسيحيين في أوروبا والذين هم أيضاً أتباع موسى بالإضافة إلى المسيح عيسى ابن مريم عليهم السلام؛ علماً بأنّ المسيحيين واليهود هم في الحقيقة أتباع لدين واحد وشريعة واحدة؛ وأنّ الناموس

المقدّس لديهم يأمرهم ويعلِّمهم ألاّ يؤذوا أحداً وألاّ يضطهدوا أحداً، وألاّ يفعلوا بأحد من الناس ما لا يحبون هم أن يفعله الناس بهم.

فأين موسى في اليهود؟!

وأين المسيح في المسيحيين؟!

وأين الله السلام فيما يمارسه هؤلاء من اضطهاد وقتل وتعذيب وسفك للدم البريء باسمه؟!

سبحانه وتعالى عمّا يفترون.

الفصل الثالث

إرهاب أرباب الحضارة الحديثة

(تبشير، تجارة، سياسة، عنصرية، أم استراتيجية هادفة؟!)

لماذا يُضطهَدُ الإنسان من أي أرضٍ، جنسٍ، عرقٍ، دينٍ كان أو معتقد؟

لماذا يُعَذَّبُ ويُقتَل وتسيل دماؤه أنهاراً تلعن (الحضارة) التي تَضطهدُ الإنسانَ -الناس، وتعذب الإنسان- الناس، وتقتل الإنسان-البشرية .. تحت أيّ شعار (حضاري) كان؟!

جاء في الإسلام، دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم في القرآن الكريم قولُ الله ربّ العالمين للناس جميعاً:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة 33

* أرباب الحضارة الحديثة وماضيهم الإرهابي الفاضح

منذ مطلع ما يُسمّى بـ (الحضارة) الحديثة والإنسانُ المسالِم يُضطّهَد، ويُعَذَّب، ويُقتَل في بلاده، وعلى تراب أرضه في بلاد كثيرة، ومن أجناسٍ مختلفة!

* إبادة الهنود الحُمر

يقول **مايكل هولي إيغل**–أحد نشطاء الهنود الحمر من شعب **'سو'**:

"إنّ تاريخنا مكتوب بالحبر الأبيض. إنّ أوّل ما يفعله المنتصر هو محو تاريخ المهزومين. ويا ألله ما أغزر دموعهم فوق ضحاياهم، وما أسهل أن يسرقوا وجودهم من ضمير الأرض! إنها واحدة من الإبادات الكثيرة التي واجهناها وسيواجهها الفلسطينيون ... إنّ جلاّدنا المقدّس واحد"[1].

إنها استراتيجية الاغتصاب الاستعمارية المؤسسة على فكرة: "استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة"!

لقد كان عدد الهنود الحمر السكان الأصليون لقارّة أمريكا **112 مليوناً**، ولم يبقَ منهم في إحصاء أوّل القرن العشرين سوى **ربع مليون**—أي أنّهم قد أُبيدوا جميعاً [2].

يمكنكم أن تقرؤوا في تاريخ (**الحضارة الغربية**) كيف انطلق شذّاذ آفاقها في بداية القرن السابع عشر إلى أمريكا، بعد اكتشافها لأول مرّة، فاحتلّوا شمالها وجنوبها، وأطلقوا هناك العنان لفظائعهم سائبة دونما قيد أو وازع إنساني، حيث أهلكوا الأجناس البشرية التي كانت تعيش هناك في أمان وسلام قبل قدومهم! أهلكوهم بطرائق يندر أن نجد لها مثالاً من الوحشية والقسوة في التاريخ، فقد

---

[1] - (**حق التضحية بالآخر.. أمريكا والإبادات الجماعية**) ص 7 منير العكش، الناشر رياض نجيب الريس

[2] - أنظر كتاب هنري دو بينز Henry F. Dobyns (أرقامهم التي هزلت..) / عن كتاب (**أمريكا والإبادات الجماعية**) منير العكش / الناشر رياض نجيب الريس.

أبادوا الهنود الحمر طبقاً لخطة منظّمة، ولم يُبقوا منهم أثراً إلاّ القليل[1]. كان أسلوبهم في إبادة هؤلاء المساكين وحشيّاً إلى أقصى الحدود ولا أثر فيه لأية رحمة إنسانية—عدا عن أن تكون حضارية!

كانوا بتفوقهم (الحضاري) بالعدد والسلاح يحيلون مخيّمات الهنود الحمر إلى مجازر جماعية يبيدون فيها الرجال والنساء والأطفال، وينسفونهم بالرصاص والبارود، في حين لم يكن أولئك المساكين يملكون غير السكاكين والحراب البدائية!

ويسجّل **دوبينز** في كتابه (**أرقامهم التي هزلت** ..) "أنواع الحروب الجرثومية الشاملة التي شنّها الغزاة المستعمرون على قبائل وشعوب الهنود الحمر خلال القرون الأربعة الماضية، فيقول بأنّ المعلومات المؤكّدة تتحدث عن **93** وباءً شاملاً منها: **41** جدري، **4** طاعون، **17** حصبة، **10** أنفلونزا، و **25** سلّ ودفتيريا وتيفوس وكوليرا. ولقد كان لكلّ من هذه الحروب الجرثومية أثار وبائية شاملة اجتاحت مساحات شاسعة من الأراضي من **فلوريدا** في الجنوب الشرقي إلى **أورغون** في الشمال الغربي، بل إنّ بعض الجماعات الهندية وصلتها الأوبئة وأبيدت بها حتى قبل أن ترى وجه الإنسان الأبيض".

هؤلاء (البشر) العجيبون من أبناء هذه الأمم الحضارية التي تحب الحيوانات والكلاب وتذيع في برامجها وصحفها دراسات ومناهج تخصصية للحفاظ عليها

[1] - راجع كتاب (**كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد**) للإمام المرحوم ميرزا طاهر أحمد.

والرحمة بها إلى حدّ أن ثمة تخصص يدعى بـ (علم نفس الكلاب)! هؤلاء الرحماء بالحيوان من (الحضاريين) أبناء هذه الأمم هم الذين أَفنوا الكثير من قبائل الهنود الحمر التي كانت تملأ براري القارة الأمريكية الواسعة، تتغذى على الصيد، وتعيش في خيامها آمنة في بلادها تحيا حياة بسيطة مسالمة وادعة، إلى أن دَهَمَهم هؤلاء (الحضاريون) من أوروبا بحضارتهم وبنادقهم وبارودهم فاحتلّوا أراضيهم وبلادهم وسفكوا دماء رجالهم ونسائهم وأطفالهم في مجازر جماعية مروّعة حتى قضوا عليهم وأبادوهم بلا رحمة، بحيث أنه لم يعد موجوداً منهم إلاّ بقية من ذكرى، ولا تراهم إلاّ على شاشة السينما[1]، إذ مازال الغربيون يستغلون ما تبقى منهم في تجارة السينما التي كثيراً ما صوّرت، وتُصوِّر، هذه المجازر (الحضارية) البشعة من غير تحفّظ ولا حياء !

"ولقد كان نظام السخرة أشدّ فتكاً من أسلحة الأوبئة، ولاسيما في **فلوريدا وتكساس وكاليفورنيا وأريزونا ونيو مكسيكو**. كان الهدف المعلن هو تمدين هؤلاء المتوحشين في الدنيا وإنقاذ أرواحهم في الآخرة /ولكنّ/ حملات التمدين والتطهير الروحي لم تكن إلاّ مصائد خرافية لتعليب هذا السردين الآدمي. كان ثمة جنود مدربون على هذا الصيد يُطاردون الهنود الحمر كما يُطارد رعاة البقر جواميس البراري عبر أسوار منصوبة على شكل زاوية حادة تظلّ تضيق وتضيق إلى أن يصبح أمام هذه البهائم الغافلة خيار وحيد اسمه المصيدة. وهي مصائد أشبه بحظائر الكلاب لا يخرجون منها إلاّ للتغوّط الجماعي المقنّن في حُفَر

[1] - راجع المرجع السابق.

مفتوحة، أو للعمل الإجباري في الحقول والطواحين والأعمال القذرة من الصباح حتى المساء. خلال أسابيع قليلة كان الهندي المسكين يموت من المرض والإجهاد وسوء التغذية، فقد كانت كمية الطعام التي تُقدّم للعبد الأسود تُعادل ثمانية أضعاف الطعام الذي كان يُقدّم للهندي الأحمر. ولم يكن ذلك حبّاً بأفريقيا أو بالعبيد السود أو تمييزاً عنصرياً، بل قد كان سببه الأوّل والأخير هو أنّ الهنود الحمر كانوا أرخص من السمك، حيث كانت كلفتهم في متناول اليد، وكانت كلفة استبدالهم أرخص من إطعامهم ... وبسبب احتياجهم إلى أيد عاملة غير مُكْلِفَة لاستخراج الذهب والثروات في كاليفورنيا فقد نشطت تجارة خطف أطفال الهنود الحمر. ولطالما كتبت صحف تلك الفترة عن الشاحنات المحشوة بأطفال الهنود وهي تهوي في الطرقات الريفية الخلفية إلى أسواق العبيد في **سكرامانتو** و **سان فرانسيسكو**.

ومع نقص عدد النساء في سنوات الاحتلال الأولى فقد راج أيضاً اختطاف الفتيات اللواتي يُقدّمن خدمة مضاعفة: العمل والمتعة. وهذا ما أحال آباء هؤلاء المخطوفين والمخطوفات إلى "**عناصر شغب**" تستوجب العقاب، وأدّى كذلك إلى هروب معظم الأسر الهندية من منعزلاتها وأماكن سكنها التقليدية. وأمّا شركات الخطف فقد تحوّلت إلى ميليشيات خيرية؛ حيث صار الخاطفون يقتلون الآباء ويشاركون الدولة في القضاء على عناصر الشغب في حين كانوا يعدّون خطف اليتامى وبيعهم مهمة إنسانية نبيلة وعملاً أخلاقياً يتباهون به!

وفي أوائل عام **1850م**، وفي أوّل جلسة تشريعية لكاليفورنيا، سَنَّت الولاية

قانون "**حماية الهنود الحمر**" الذي أضفى الشرعية على خطفهم واستعبادهم. وقد اقتضت "حماية" الهنود بموجب الملحقات التي أُضيفت إلى القانون في عام **1860م** إجبار أكثر من عشرة آلاف هندي على أعمال السخرة. ولأنّ معظم الذين هربوا بأرواحهم وأطفالهم إلى الغابات والجبال الوعرة صاروا يعيشون في ما أصبح يُسمّى بأملاك الولايات المتحدة فقد تحوّلوا بموجب قوانين الذين سرقوا بلادهم إلى "لصوص معتدين على أملاك الغير"! ولم تمض سنة على صدور قانون "حماية الهنود" حتى ضاق حاكم الولاية بيتر بيرنِت Peter Burnett ذرعاً بحمايتهم وعبّر عن الحاجة إلى إبادة هذا "الجنس اللعين"، وقام بتوجيه رسالة إلى المجلس التشريعي قال فيها:

> "إنّ الرجل الأبيض الذي يعتبر الوقت ذهباً، والذي يعمل طول نهاره ليبني حياة سعيدة، لا يستطيع أن يسهر طوال الليل لمراقبة أملاكه ... ولذلك فإنّه لم يعد أمامه من خيار سوى أن يعتمد على حرب إبادة. إنّ حرب الإبادة قد بدأت فعلاً، ويجب الاستمرار فيها حتى ينقرض الجنس الهندي تماماً".[1]

ولا يزال التاريخ يذرف الدمع، فإنّ إبادة قبائل وشعوب الهنود الحمر في أمريكا على أيدي الغربيين قصة واقعية لا يحتمل الوجدان البشري الشريف سرد وقائعها بدقائقها وتفاصيلها!

*استعباد الشعوب الأفريقية:

---

[1] - عن خطف أطفال الهنود أنظر "Indians of California" By James J. Rwals ص 96-976 / نقلاً عن أمريكا والإبادات الجماعية لمنير العكش/ وعن تصريحات الحاكم بورنت في
"Indian Survival on the California Frontier" by Albert L. Hurtado p. 134

ولا يزال التاريخ يحكي أيضاً كيف أنّ الأوروبيين في هجماتهم الوحشية واحتلالهم لأفريقيا قد ارتكبوا كلّ الفظائع الوحشية في حقّ الأفريقيين المُسالمين؛ إذ أسروا السكان العُزّل، واستعبدوهم، وباعوهم رقيقاً بأعداد كبيرة بعد أن فَصلوا الآباء عن أبنائهم، والأمهات عن أطفالهن، والزوجات عن أزواجهن، وأجبروهم جميعاً على الأعمال الشاقة لغاية الإنتاج والربح التجاري، حيث كان الطلب على هؤلاء الأرقّاء كبيراً جداً في أمريكا. ويذكِّرنا اليوم العدد الكبير للسكان الأفارقة في أمريكا بذلك التاريخ الحالك للأوروبيين الذين اقترفوا فيه تلك الفظائع في حق الإنسان بشكل تقشعرّ لهول ذِكْره الأبدان!

الذين زاروا الحصون التي كان يوضع فيها هؤلاء العبيد، يروون كيف أنّ هؤلاء الغربيين القساة كانوا يحشرون أعداداً كبيرة من الأفارقة المساكين المستعبدين في أماكن ضيّقة تشبه تلك الثقوب الخانقة التي قرأنا عنها في تاريخ الهند. لقد هلك الكثيرون فيها اختناقاً وهم محشورون فيها! وكان السادة من الأوربيين والأمريكان يقذفون بمن تبقّى منهم حيّاً في القوارب كالأنعام! ويذكر مؤرّخ لهم بأنه قد هلك الكثير منهم بسبب عذابات السفر ومشاقّه؛ وأما من استطاع منهم الوصول إلى شواطئ أمريكا فقد وصل في حالة تقارب الموت!

كان الغربيون يسوقون المستعبَدين من الأفارقة المساكين سَوقَ الماشية؛ وكانوا يجبرونهم على العمل والسياط تُلهب ظهورهم.. وكان هؤلاء البؤساء الذين سُرقوا من بلادهم وأهلهم يَدفعون العربات تحت الضرب بالعصي والسياط تُلهِب ظهورهم، ويجرّون المحاريث التي تسحق عظامهم؛ يحملون الأحمال، ويقومون بجميع

الأعمال التي تعجز عنها حتى الدواب والبهائم!

احتَلَّت الدولُ الغربية الاستعمارية أفريقيا وتقاسمتها بجميع خيراتها وأهلها وما فيها ومن فيها. إذ، كما هو معلوم في التاريخ الاستعماري العريق، تقاسمتْ كلّ من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا والبرتغال القارةَ الأفريقية ببلدانها وشعوبها وقبائلها، وقَتلوا الأفارقة المُسالمين العزّل واستعبدوهم بعد أن سفكوا دماء أبنائهم وأهلهم وأزواجهم وكبارهم وصغارهم، وأجبروا الأحياء منهم على الأعمال الشاقة لاستخراج خيرات بلادهم بأيديهم وعرقهم ودمائهم وتسليمها إلى مخازن وسفن الأسياد المستعمِرين بسهولة وذلّة وهوان لتزداد بلادهم المستعمِرة قوةً وثراءً وتزداد شعوبهم شبعاً وبِطْنة، في حين كان الأفارقة الفقراء المساكين يَنفُقون، كالحيوانات، جوعاً وإرهاقاً في أراضيهم التي يزرعونها لأسيادهم المستعمرين الأوروبيين، وفي مناجمهم التي يستخرجون لهم منها كنوز بلادهم لتُشحَن إلى الدول والأسواق الأوروبية والغربية لتنعم وتثرى بها شعوبها على حساب الفقر والجوع والموت والاستعباد الذي يلاقيه أبناء أفريقيا على أيدي شعوب الحضارة الغربية!

كان الأوروبيون المستعمرون يسوقون الإنسان الأفريقي إلى الأعمال الشاقة تحت الجلد بالسياط التي تلهب ظهره كالحيوانات. وكان الأفارقة العزّل لا يملكون ما يدفعون به عن أنفسهم قهر المستعمر الأوروبي المدجّج دائماً بآلة الحرب الحديثة الفتّاكة. وبهذا تمكّن الأوروبيون من إذلال الشعوب الأفريقية جميعاً وبشكل يندى له جبين الإنسانية خزياً وعاراً، إذ يذكر تاريخهم الاستعماري كيف أن (السير

فريدريك) قائد الحملة الاستعمارية الإنكلّيزية في أفريقيا أَجبر **أحدَ الملوك الأفارقة على تقبيل حذائه أمام شعبه وقومه، وقد خلّدوا ذكرى هذا الإذلال الوحشي القبيح في لوحة تذكارية عَرضتها أفلامُهم الوثائقية التي تتحدّث عن تاريخهم الاستعماري (المجيد)!**

* وثيقة غربية

أورد الإمام ميرزا طاهر أحمد في كتابه (**كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد**) بيانَ وثيقةٍ نُشِرت في مجلّة أوروبية تصدر في بريطانيا اسمها (الحقيقة الواضحة) The Plain Truth حيث تقول: إنّه في تشرين الثاني نوفمبر من عام 1884م اجتمع مندوبو 13 دولة أوروبية مع مندوب الولايات المتحدة في برلين بُغية تقسيم أفريقيا لصالحهم. ولا شكّ في أنهم عند القيام بهذه التقسيمات الاستعمارية الغربية في أفريقيا لم يضعوا في حسابهم صالح أيّة أمّة أو دولة أفريقية. لم يقسموا الناس على أساس القومية أو اللغة أو مصالحهم الاقتصادية أو مواردهم الطبيعية من مناجم وغيرها؛ ولم يهتمّوا فيما إذا كانت بعض الأقسام ضئيلة الحجم بدرجة لا تسمح للأمّة المقسومة بالاستقلال الاقتصادي، أو أنّ بعضها كبير لدرجة أنها تُهدد حقوق الدول الأخرى ومصالحها[1].

ويُعلّق الإمام المرحوم ميرزا طاهر أحمد على هذه الوثيقة فيقول:

"هذا ما نجده في التاريخ، وهذا ما غطّاه المقال جيداً. ونتيجة لتلك التقسيمات حصلت

---

[1] - الصفحة 53 من الكتاب المذكور.

المعاناة الشديدة الأليمة التي فُرض على البلاد الأفريقية مُقاساتها، ولا تزال تُقاسي منها!

لقد مزّقوا قارّة أفريقيا إلى دويلات صغيرة جداً، أو أقسام كبيرة جداً بهدف أن تعود المنفعة في ذلك جميعاً إلى دول الغرب، وأن يستمرّ انتفاعها منها على مدى الأيام. هذا وإنّ معظم المصاعب والمشاكلّ التي تُعاني منها أفريقيا بعد تحرّر بلادها إنما تعود إلى هذا التقسيم الجائر"[1].

* فرض المعاناة على الأفارقة المستعبدين

كان العمال الأفارقة العاملين في استخراج الذهب في (روديسيا) يموتون بمعدّل 20 عاملاً في الأسبوع ولمدّة ثلاثين عاماً، كما كان المستعمرون يُجبِرون السجناء والأطفال على العمل لديهم كالعبيد الأرقّاء، وكانوا يُجبِرون المزارعين على زراعة القطن في أراضيهم ليشحنوه إلى بلادهم لتصنيعه هناك، في حين كان هؤلاء المزارعون وزوجاتهم وأطفالهم يموتون جوعاً لعدم السماح لهم بزراعة، جانب من أراضيهم، بالمحاصيل الغذائية كالذرة وغيرها.

ومن المعروف أنّ بعثات تبشيرية مسيحية غربية كانت تُرافق هذا الغزو الاستعماري الماحق، حيث جاء في فيلم تلفزيوني وثائقي بريطاني عنوانه (أفريقيا) كيف أنّ المدارس التبشيرية كانت تُعلّم الأطفال في أفريقيا أن ينشدوا، في مجموعات، مُغنّين: "**انشروا تعاليم الكتاب المقدّس بحدّ السيف**"!

[1] - (كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد) للإمام ميرزا طاهر أحمد إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية السابق، رحمه الله.

*دارونِ يستنكر الإرهاب الغربي في أفريقيا

ويصف صاحب كتاب (**سِيَر علماء الغرب**) كيف أنّ العالِم الشهير (تشارلز دارونِ) قد استنكر أشدّ الاستنكار وانتقد بشدّة الاضطهاد والظلم الغربي الموقَع على الأفارقة المستَعبَدين، فيقول:

"ولقد تألم دارونِ في مذكّراته أشدّ الألم لما يقاسيه السود من ظلم البيض واضطهادهم، وقد رثى لحالهم أبلغ الرثاء، وحمل في مذكّراته حملة شديدة على هؤلاء المتاجرين بالأجساد البشرية، وصرَّح عن كرهه للاستعباد قبل الحرب الأهلية بعشرين سنة بكلّمات لم تُلفظ في مثل نعومتها وعذوبتها شفتا أشدّ القائلين بإلغاء العبودية حماسة في أمريكا، فقال:

" إن هؤلاء الذين ينظرون بعطف على مالك العبيد، وببرودة قلب تجاه العبيد المماليك، لم يحاولوا، على ما يبدو لي، أن يضعوا أنفسهم محلّ هؤلاء العبيد، فيا لله لهؤلاء المساكين المروَّعين، ويا لمنظرهم الذي يفتّت الأكباد "[1]!

ثم يتابع (تشارلز دارونِ) كشاهد عيان للاضطهاد والإرهاب الغربي والأمريكي الأبيض في حقّ الإنسان الأفريقي الأسود، فيقول:

"تصوَّر أنّ سيف العبودية مسلَّط فوق رأس امرأتك وأولادك الصغار.. تصوَّر ما ينتابك لو اغْتُصِبَت امرأتك وأولادك منك اغتصاباً وفُصِلوا عنك إلى الأبد، وبيعوا أمام ناظريك بيع السلع لأول مُزايد. فإذا رفعتَ عقيرتَك بالاحتجاج، انهال عليك الضرب بسياط من نار"![2]

ثم يتابع دارونِ انتقاده المرير للإرهاب الموقع على الإنسان الأفريقي الأسود من

---

[1] - راجع كتاب (سِيَر علماء الغرب).

[2] - المرجع السابق، فصل دارونِ.

قِبَلِ رجال يدَّعون الإيمان بالله والمسيحية ورسالة المسيح عليه السلام، فيقول :

"وهاتيك العقود، عقود البيع أعدَّها رجال مسيحيون وقد وجدوا لإعدادها عذراً! رجال يدَّعون الإيمان بالله ويجأرون بقول الكتاب المقدّس:

﴿أَحبّ جارَكَ كنفسك﴾ ويصلّون بانتظام قائلين: ﴿لتَكُن مشيئة الله على الأرض﴾"[1].

إنّ هذه الشهادة القيّمة لهذا العالِم المسيحي الشهير لتؤكّد حقيقة الإرهاب والاضطهاد التي ارتبطت بما يُسمّى بـ (حضارة الإنسان الغربي الأبيض) سواء في أوروبا أو أمريكا، كما تؤَكِّد عراقة أرباب هذه الحضارة المزعومة في الإرهاب والاضطهاد.

*تاريخ بريطانيا الأسود في أستراليا

وأما بريطانيا التي كانت ذات يوم (الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس) فقد حاكت، إبان احتلالها أُستراليا، تاريخاً وحشياً أسود من الفظائع الهمجية البشعة. كان رجال القبائل الأُسترالية البدائية (الأبروجينيز) مسالمين لا يعرفون القتال. وكان البريطانيون يصطادونهم في الغابات كالطرائد والحيوانات. ولم تكن حظوظ الذين ينجون من الصيد أفضل من حظوظ إخوتهم، إذ كان البريطانيون يُخْصُونهم بعمليات جراحية خاصة حتى لا يتكاثروا .. ولقد أبادوهم بأشدّ الطرائق فظاعة! كان عدد لغات القبائل الأسترالية (قبل الهجمات الحضارية عليها) يُقارب الـ 600 لغة، لم يبق منها اليوم إلاّ القليل. وثمّة أيضاً اليوم مساحات صغيرة

[1] - المرجع السابق.

محدودة في أُستراليا تقطنها قبائل أُسترالية قليلة، يحفظون أفرادَها النادرة، كما تُحفظ الحيوانات في حدائق الحيوانات، كي يشاهدهم السوّاح ويتفرّجوا عليهم، وليُخبروا العالم قائلين: إننا نحفظهم من الانقراض![1].

ولقد رأى الكثير من المشاهدين في العالم الفيلمَ الوثائقي (إنسان متوحّش) الذي يُري كيف كان يتم اصطياد أفراد القبائل الأُسترالية في قلب الغابات حيث كانت بعض المؤسّسات تريد بناء مطار تجاري؛ وكانوا — إرهاباً للسكان الذين كانوا يرفضون مغادرة أراضيهم وقراهم — يصطادون الكثير منهم بعد مطاردتهم في الغابات، وكانوا، حين يقع واحد من هؤلاء المساكين حيّاً بين أيدي المطارِدين، يستلّون أمواس الذّبح الحادّة، ويقطعون أعضاءه التناسلية، ثم يضعونها في فمه، ويلقونه مقيّداً في الغابة إرهاباً للباقين. كانوا يفعلون ذلك وهم يضحكون ويمرحون ويشربون الخمور احتفالاً بما يُنجزون من أفانين الإرهاب (الحضاري) للإنسان البدائي (المتوحِّش). وكانت تُصوَّر تلك المشاهد حَيّةً ومباشرةً وبشكل يجعل الوجدان البشري عاجزاً عن تَقبّل صدور هذه الممارسات الإرهابية عن مثل هؤلاء البشر (المتحضِّرين)!

تلك العراقة في إرهاب إنسان الحضارة الغربية، ماذا كان وراءها أو الدافع إليها؟!

أهي الإحسان والهداية للإنسان (المتوحش) أو الأقلّ تحضُّراً!

[1] - راجع كتاب (كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد) للإمام طاهر أحمد.

أم أنها كانت تحضيراً له وإنقاذاً له من همجيته ووحشيته!

أم أنها كانت تطويراً وتنمية لخيرات بلاده وكنوزها!

ولعلّها السياسة العنصرية أو الاستراتيجية الشيطانية لاستعباد الشعوب والأمم وسرقة كنوزها وطاقاتها تحت ستار الحضارة والتحضُّر وغيرها من الشعارات التي طالما تمّ في ظلّها قُتل الإنسان بعد إرهابه وتعذيبه واضطهاده في معظم أنحاء الأرض!

*الإرهاب العالمي الحديث

واتّخذ الاضطهادُ والإرهاب في عصرنا الراهن شكلَ الحروب التي طَحَنَ بها أربابُ الحضارة الحديثة شعوباً كثيرة في الأرض، إلى حدّ أنه لم تَسْلَم شعوب أوروبا ذاتها من هذا الطحن المفترس، وذلك حين داهمها بلاءُ الحربين (الحضاريتين) العالميتين المريعتين الأولى والثانية.

جاء في قواميس اللغة الأجنبية تعريف للإرهاب يقول:

الإرهاب: **"حرب سرّية نظامية لإحداث الرعب بغية الإكراه سياسياً"**[1].

ورغم قصِر هذا التعريف ومحدوديته فهو، على كلّ حال يعني أنّ الإرهاب، هو

---

[1] - لا نعدّ هذا تعريفاً شاملاً للإرهاب وإنما هو جانب من التعريف اللغوي نستخدمه في هذا السياق. وسنتحدث عن حقيقة الإرهاب وتعريفه الحق في المكان المناسب من هذا الكتاب.

أساساً، حرب نظامية الغاية منها إكراه الناس والشعوب على الاستسلام لإرادة سياسية معينة. وإذا كانت القواميس تقول بأنّ الإرهاب هو حرب سرّية، فلماذا لا تكون الحرب العدائية السافرة إرهاباً أشدّ وأوقح طالما أنّ الغاية في الحربين واحدة وهي قَتل الإنسان، فردياً أو جماعياً، بأشكال مختلفة **من أجل** غايات سياسية أو استراتيجية أو عنصرية أو اقتصادية أو غير ذلك؟!

إنّ هذا التعريف يبيّن لنا أنّ **تاريخ الإرهاب الحقيقي هو تاريخ الحرب العدوانية** على الإنسان والشعوب أنّى وأينما كانت، وبأي شكل كانت——ومن هنا نستطيع الإشارة إلى الكيانات الإرهابية في عصرنا الحديث وتحديد هويّاتها.

تعلمون أنه ليس ثمة رعب أو إرهاب ترتجف منه القلوب خوفاً وهلعاً أشدّ من الحرب التي تُزهِق أرواح أبناء الشعوب، وتدمِّر بنيانها ومنجزاتها العمرانية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

ويعلم أهل كوكبنا الجميل أنه في عصرنا الحديث لم تُعاني شعوب العالم رعباً ولا إرهاباً أو ترويعا أشدّ وأقسى من الحربين العالميتين وما تلاهما من حروب حديثة أقسى وأقبح وأشد وحشية في أنحاء متفرقة من الأرض.

لقد خلعتْ تلك الحروب قلوبَ البشرية خوفاً ورعباً بأهوالها وأسلحتها الحديثة وفَتْكِها بحيث أنّ الإنسانية لا تزال تعاني من هواجسها هلعاً ورعباً حتى اليوم.. إذ كيف لأوروبا ودوَلها وشعوبها أن تنسى عشرات الملايين من أبنائها الذين فقدتهم في أتون الحرب المجنونة:

قتلاً بالرصاص،

تمزيقاً بشظايا القنابل،

حرقاً بالنار،

نسفاً بالبارود،

ردماً تحت أنقاض السقوف والجدران المنهارة،

دفناً أحياءً وأمواتاً تحت ركام التراب،

أو قبراً تحت ركام ثلوج العواصف القاسية الهوجاء التي كانت تلفع وتقتل الجنود المساكين الذين زُجَّ بهم في حرب ظالمة، فكانوا يموتون مكفّنين بالثلج القارس وهم ممسكون ببنادقهم للقتل أو انتظاراً للموت: قتلاً برشّات من رصاص يثقب صدورهم ورؤوسهم، أو بشظايا قنابل تمزّق أجسادهم وتهشِّم عظامهم، أو بوابلٍ حارق من جهنّم تنقضّ عليهم من طائرات مغيرة تقذف حمم اللهب المنفجر فتحرقهم في جحيم أتون مستعر يُذيب بلهبه أيديهم المتجلّدة على بنادقهم ورشاشاتهم أو—إن أبقَت على حياتهم—تتركهم مشوّهين يحملون وجوهاً مخيفة عليها بصمة الإرهاب الوحشي الفظيع، وأطرافاً مبتورة بقواطع آلة الحرب المريعة المجرّدة من أية أثارة لرحمة أو رأفة إنسانية!

ثم ماذا عن التفنّن الشهير بتعذيب الأسرى الأوروبيين مِن قِبَل رجالات وزبانية الدول المتحارب بعضها ضدّ بعض.. وكم كانت أعداد الذين نجوا من التعذيب أو ماتوا أثناءَه بين أيدي أخصائيي التعذيب أو بعد ذلك؟

الله وحده أعلم!

وهل ثمة عاقل يقول إنّ هذا كلّه ليس إرهاباً، بل حرب شريفة وإنسانية وحضارة؟!

*الإرهاب الذّري

وهل نسي العالم أو يمكن أن ينسى الإرهاب الذرّي الذي ذهبت ضحيةً له مدينة يسكنها البشر، كانت يوماً، ثم في ثوانٍ قليلة: انمحتْ .. ولم تكن؟!

وهل ينسى العالم كيف احترقت، بعد أيام قليلة، في أتون الجحيم الذري، مدينةٌ أخرى بأهلها وكلّ من فيها وما فيها، فصارت هباء يعوي فوق جثّتها هول الفناء؟!

فقط بضغطة زرٍّ واحدة!

وفي انقضاض قنبلة واحدة!

وفي ثانية واحدة!

قَتل الأمريكيون مدينةً كاملة.. كانت، ثم، بعد ثانية واحدة.. لم تكن!

في كتاب **(يوميات هيروشيما)** الذي نشر فيه الدكتور **(متشهيكو هاتشيا)** وثائق يومية عن آثار القصف الذرّي لمدينة هيروشيما اليابانية نقرأ الواقعة التالية:

"إنّ هذه القنبلة (الواحدة) على قدر كبير من القوة لأنها محتْ كلّ شيء كان قائماً فيما بين هيكلّ (جوكوك) ومستشفى الصليب الأحمر الذي كان يعجّ بالمرضى وقد أحاط بها الموتى والمحتضرون من كلّ جانب.. وفيما بين المستشفى ووسط المدينة لم أجد شيئاً قُدّرت له النجاة من الحريق، إذ كلّ ما كان يقع في تلك المنطقة تحوّل إلى هشيم".

ثم يصف الدكتور هاتشيا الحالة التي مات عليها الناس لحظة انفجار القنبلة الأمريكية فيقول:

"وكانت عربات الترام في (**كواياتشو**) و (**كاميياتشو**) تقف محترقة وقد اكتظت بعشرات الجثث المتفحّمة التي يتعذّر التعرّف على أصحابها.. كما رأيت خزّانات المياه الخاصة بالإطفاء ممتلئة بالموتى الذين بدوا وكأنهم قد سُلِقوا في تلك الخزّانات.. وفي أحد تلك الخزّانات شاهدت رجلاً مصاباً بحروق بالغة وبجانبه جثة لرجل آخر وكان يشرب من مياه الخزّان المختلطة بالدماء، ولم يكن باستطاعتي أن أمنعه من ذلك لأنه كان فاقد الرشد.. وفي أحد الخزّانات أيضاً كان عدد الموتى يملأ الخزّان تماماً حتى أنه لم يكن هناك مكان لموضع قدم في الخزّان.. ويبدو أنهم لفظوا أنفاسهم الأخيرة بينما كانوا يجلسون في الماء.. وحتى حمام السباحة بمدرسة المحافظة الإعدادية كان مملوءاً بجثث الموتى، ويبدو أنهم قد اختنقوا عندما كانوا يقفزون إلى الماء هرباً من النيران لأنه لم تكن تبدو عليهم آثار حروق، ولم يتسع حمّام السباحة لجميع من حاولوا الدخول فيه، لأن الكثير من الجثث كانت حول الحمّام من كلّ جانب وقد تدلّت رؤوسها في الماء"[1].

وينقل الدكتور (**هاتشيا**) تقرير شاهد عيان لدمار المدينة الشامل، فيقول:

"التفت السيد (**كاتسوتاني**) إلى الدكتور (**ساسادا**) وقال له بصوت مهموم:

---

[1] - راجع هذا الوصف في كتاب (يوميات هيروشيما) للدكتور " متشهيكو هاتشيا ". ترجمة: الدكتور رؤوف عباس حامد. ص (60 - 61).

كان دخولي هيروشيما بالأمس متعذّراً، وإلاّ لما توانيت عن الحضور، لقد تغيّرت المدينة تماماً، وحين بلغتُ جسر (**ميساسا**) صباح اليوم وجدت كلّ شيء قد تبدّل، وحتى اليوم مازالت الحرائق مشتعلة في بعض الأماكن، ولم يبق في المنطقة كلّها مبنى قائم سوى هذا المبنى الذي كان باستطاعتي رؤيته من بعيد.

توقف السيد **كاتسوتاني** عن الحديث ليلتقط أنفاسه، ثم استطرد قائلاً:

لقد سرت بجوار سكّة الترام لأصل إلى هنا، ولكن الطريق كانت مملوءة بأسلاك الكهرباء وعربات الترام المحطّمة، وكان القتلى والجرحى يرقدون هنا وهناك، وما كدت أصل إلى الجسر حتى رأيت شيئاً فظيعاً لا يمكن تصديقه، رأيت رجلاً يجلس فوق درّاجته وقد تفحّم جسده، وكان على ما يبدو يلتمس سبيلاً للفرار حين وقعت الواقعة .. إنه من الصعب أن نصدّق أنّ مثل هذه الواقعة قد حدثت!

ثم استطرد قائلاً:

يبدو أنّ معظم من ماتوا كانوا إمّا فوق الجسر أو تحته، فقد نزل كثيرون إلى مجرى النهر يلتمسون شربة ماء ثم ماتوا هناك، وقد رأيت بعيني رأسي بعضَ الأحياء الذين كانوا يقفون في مجرى النهر بين الجثث الطافية، ولا بدّ أن يكون المئات بل الألوف ممَّن التمسوا سبيلاً للفرار من الحريق باللجوء إلى النهر قد غرقوا!

وكان منظر الجنود المصابين لا يقلّ هَولاً عن منظر أولئك الذين طَفَتْ جثثهم وأجسادهم فوق مياه النهر.. لقد رأيت الكثير منهم وقد احترقت ظهورهم من أكتافهم حتى أعجازهم، وسُلِخَت جلودهم، وبدا لحمهم لزجاً متهتّكاً، ويبدو أنهم كانوا يرتدون خوذاتهم العسكرية لأن شعرهم لم يحترق، أمّا ملامحهم فقد اختلطت جميعاً، لم تكن لهم وجوه، فقد احترقت عيونهم وأنوفهم واختفت تماماً من وجوههم، وكذلك احترقت آذانهم حتى أصبح من الصعب التمييز بين الرجل وقفاه.. وقد سألني أحد الجنود الذين احترقت وجوههم وبرزت أسنانهم

أن أعطيه شربة ماء، ولم يكن باستطاعتي مساعدته في الحصول على الماء، كلّ ما استطعت صنعه هو الصلاة من أجله، ولم أعد أسمع صوته فقد كانت رغبته في الماء هي آخر كلّمة نطق بها قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. إنّ الطريقة التي احترقوا بها تجعلني أتعجَّب، إذ يبدو أنهم فقدوا ثيابهم تماماً"[1]!

وهكذا بعد أن كانت هيروشيما مدينة عامرة بالطيور والزهور والأطفال والأشجار والناس، صارت بضربة أمريكية (حضارية) واحدة، وبلمحة واحدة، مقبرةً هائلة للجثث السوداء المتفحّمة بالأتون الذري الماحق. هكذا وصفها، شاهد العيان، الدكتور (**هينوئي**) فقال:

"كانت الشوارع خالية إلاّ من الموتى، وبدا بعضهم وقد جمَّد الموتُ حركتَه وهو في موضع الفرار، بينما كان الآخرون يفترشون الأرض وكأن مارداً قذف بهم من علوٍّ شاهق.. ولقد تحوَّلت هيروشيما إلى ساحة واسعة محترقة خالية إلاّ من الموت والفناء"[2].

ويتحدَّث الدكتور (**تابوتشي**) مبيِّناً أنّ حال من بقوا أحياء لم تكن أفضل ممّن ماتوا، فيقول:

"لقد كان منظراً مخيفاً! كان المئات من الجرحى الذين يحاولون الهرب إلى التلال يمرون أمام بيتنا؛ وكان منظرهم لا تطيق العين رؤيته، فقد احترقت وجوههم وأيديهم، وتورَّمت وسُلِخَت مساحات واسعة من جلودهم وتدلَّت، مهتزّة، من أجسادهم"[3].

ويتحدَّث الدكتور (هاتشيا) صاحب كتاب (يوميات هيروشيما) ذاكراً بعض

---

[1] - (يوميات هيروشيما) د." متشهيكو هاتشيا " ترجمة د. رؤوف عباس حامد. ص 56 - 57

[2]- المرجع السابق، ص / 48 /.

[3]- المرجع السابق، ص / 55 /.

الحالات ممّا رأى فيمَن نجا من الموت، فيقول:

"فهنا سيدة عجوز على شفا الموت لا يستر جسدها سوى قميص قطني رقيق، وشاب احترق جسده يجلس عارياً تماماً إلاّ من قطعة حصير تغطي جزءاً من جسده، وثمة شابة تحتضر وقد تفحَّم صدرها بينما ينام طفلها فوق ذراعها يرضع من ثديها[1]، وفتاة شابة جميلة احترق جسدها كلّه فيما عدا وجهها ترقد في بركة من الدماء والصديد و...و..."[2]

"وأما الذين نجوا حتى من الجروح أو الحروق واعتقدوا أنهم سالمون فسرعان ما ظهرت عليهم أعراضٌ يهون الموت أمام معاناتها.. ويذكر الدكتور **(هاتشيا)** أنّ هؤلاء بدؤوا يعانون من سكرات الموت حين ظهرت عليهم أعراض النزيف الشرجي ونزيف الأنف والبصاق والقيء الدمويين، كما انتشرت البثور على شكل طفح جلدي فوق أجسادهم، بالإضافة إلى سقوط شعورهم[3].

ويتابع الدكتور **(هاتشيا)** وصفه للأعراض التي نجمت عن الإشعاع الذرّي الذي لم يكونوا يعرفون شيئاً عنه آنئذٍ، فيقول:

"وأما المرضى الذين بدت عليهم تلك الأعراض فقد ساءت حالتهم وماتوا، وكان الكثير ممن ماتوا يعانون من الإسهال الدموي الشبيه بالدوسنطاريا، بينما كان الآخرون يشكون من البول الدموي والبراز الدموي. كما أنّ الالتهابات الحميّة الشديدة عند المريضات اللواتي كنّا قد شخّصناها خطأً على أنها اضطرابات وظيفية كانت تنتشر عند النساء، وبعض من ظلّوا على قيد الحياة لمدّة أسبوع ماتوا نتيجة التهاب الفم واللوزتين.."[4].

---

[1]- تُرى كم تكررت مثل هذه الصور في فلسطين ولبنان وفييتنام والعراق وسورية وأفريقيا وبعض دول أمريكا اللاتينية، بالإضافة إلى دول أوروبا في الحرب العالمية الأولى والثانية؟

[2] - المرجع السابق، ص / 99 /.

[3] - المرجع السابق، ص / 119 /.

[4] - المرجع السابق، ص / 151 /.

هي ذي هدية الحضارة الغربية إلى شعوب الأمم المغلوبة على أمرها!

إنّها النار الموقدة، والفناء الموعود!

توقّفوا برهة لتسألوا ضمائركم وتجيبوا بصدق وأمانة:

هل، **فقط**، قَتْلُ الأبرياء بطلقاتٍ أو تفجيرٍ من مجهولين إرهابٌ جديد ببثّ الرعب واستنكار العالم وتهييج الناس والأبواق، في حين أنّ إبادة وإفناء مدينة كاملة بأطفالها ونسائها وشيوخها وشبابها وعسكرييها ومدنييها وحيواناتها وأشجارها وأزهارها وطيورها وحمائمها بقذيفة واحدة هو حرب شريفة ونضال سياسي حضاري مشروع لا يبرر رَفْعَ الصوت بأيِّ احتجاج أو حتى باعتباره——ولو في الضمير——إرهاباً؟!

أم أنّ هذا هو الإرهاب بعينه؟

رحم الله الشاعر أديب اسحق الذي وصف ضمير الحضارة الغربية ومنطقها الوحشي العجيب قائلاً:

" قَتْلُ امرئٍ في غابة جريمةٌ لا تغتفر   وقَتْل شعبٍ آمنٍ مسألةٌ فيها نظر"!

*حروب ما بعد العالميتين

ويا ليت العالم استفاد، بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، من درس معاناة جهنم الحرب وإرهابها الوحشي المريع.. إذ تابعتْ –بعد الحربين المذكورتين–

الحربُ (الحضارية) الحديثة بثّ إرهابها، وطَحنَ رحاها، ونَشْبَ مخالبها في قلوب الشعوب التي كانت تأبى الرضوخ أو الاستجابة إلى فرض الإرادة الغربية أو الاستعباد الغربي عليها كما شاهد العالم في فلسطين ولبنان وفيتنام وأفغانستان والعراق وسورية وليبيا واليمن ودُوَل أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية.

* الهجمة التدميرية على فيتنام

في (4 آب 1964م) قضت الإرادةُ الأمريكية أن تُنزل بالشعب الفيتنامي حرباً عاصفةً، فانقضَّت عليه بحرب أسمتها (العاصفة المدارية)، وفي خلال عام –أي قبل نهاية عام 1964م– أرسلت أمريكا إلى فيتنام 200 ألف من جنودها، وفي عام 1967م بلغت القوات الأمريكية في فيتنام 540 ألف جندي (مسالم) مزوَّدٍ بآلة القتل والحرب الأمريكية الحديثة القاصفة العاصفة "لمصادقة" الشعب الفيتنامي وإنقاذه من نفسه!

لم يكن لهم حق في الذهاب إلى فيتنام ليُناصروا فريقاً، من أمّة واحدة، في ارتكاب الأعمال الوحشية ضدّ الفريق الآخر. لقد خسرت أمريكا في هذه الهجمة الإرهابية 54 ألف جندي أمريكي نَفَقوا في فييتنام، ولكن قَدَر أمريكا المخزي سيجعل العالم يذكر دائماً أنّها قتلت **مليونين ونصف فييتنامي** في أرضهم، **ومحت آلاف القرى بمن فيها**، في حين أنه لن ينظر إلى مقتل الـ 54 ألف من جنودها القتلة الذين شُحنت جثثهم إلى أهاليهم في أمريكا![1]

[1] - أنظر (كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد) لميرزا طاهر أحمد

ولو قرأتم فِعال الجنود الأمريكيين هناك لاقشعرَّت منكم الأبدان ولارتعدت فرائصكم من هول تصور جرائمهم وهمجيتهم وقسوة إرهابهم الذي أنزلوه بالشعب الفيتنامي المغلوب على أمره والذي—بالرغم من ذلك —أبى الرضوخ والاستسلام، ونهض بكلّ كرامة وإباء، فحطّم الصلف العاتي لزعيمة العالم الغربي، حتى اعترفت أمريكا بهزيمتها في مذلّة وصَغار!

أمطر القصف الأمريكي فيتنام بالقنابل الثقيلة والمختلفة بشدة وكثافة لم تعهدها البشرية من قبل.

كان القصف الجوي الأمريكي—في تلك الحرب التي سافروا إليها من أقصى الأرض إلى أقصاها—شديداً ولمدة ثماني سنوات ونصف السنة..

كانوا يضربون فيتنام ليلاً ونهاراً، حتى بلغ مجموع ما ألقوه **مليونين ونصف مليون طن من القنابل**[1]، أي ما يُعادل طن لكلّ مواطن فييتنامي! وهذا يعادل جميع ما أُلقي خلال ست سنوات في الحرب العالمية الأخيرة في أنحاء العالم كلّه في أوروبا وآسيا وأفريقيا.. علماً بأنّ مساحة فيتنام لا تساوي أكثر من مساحة ولاية فلوريدا الأمريكية.

دمّروا قرى فيتنامية بأكملها!

أهلكوا كثيراً من أنواع الحياة فيها!

[1] - وإذا ما تذكّرنا أيضاً أنّ أمريكا قد قتلت مليونين ونصف المليون فييتنامي نجد أنّ حصّة كلّ فييتنامي من القصف كانت بمعدّل طن من القنابل لكلّ فييتنامي. وإذا ما حسبنا كلّفة هذا القتل فسنعرف كم يتكلّف الشعب الأمريكي في تمويل ساسته لقتل الأمم عدا عن مقتل أبناء الأمريكيين أنفسهم!

قضوا على اقتصاد فيتنام!

وارتكبوا فظائع إرهابية في حق الشعب الفيتنامي بشكل يندر أن يُرتَكب مثلها من جانب واحد ضدّ بلد آخر. وبلغ مجوع القتلى الفيتناميين من عسكريين ومدنيين في الشمال **مليونين ونصف مليون إنسان**، أي تقريباً بقدر عدد سكان إسرائيل من اليهود. ورغم هذا كلّه فإن العالم كاملاً يشهد أنّ الفيتناميين لم يحنوا الرأس أبداً، بل قصموا ظهر الصلف الأمريكي، حتى اعترفت أمريكا بهزيمتها في مذلّلة ومعرّة"[1].

وتحمَّلت أمريكا وحدها 120 بليون دولاراً على مدى سنوات حربها كي تُمطِر على فيتنام العدوان والموت والإرهاب. [2]

وتعلم شعوب العالم المعاصرة أنّ إنزال القتل والفتك والإرهاب من خلال الحروب الأمريكية والغربية السياسية والاستراتيجية أو غيرها لم ينته عند فيتنام بل تتابعت وما تزال في أنحاء مختلفة من أمريكا الجنوبية وآسيا وأفريقيا وحتى أوروبا حديثاً، حيث شهد العالم إبادة وإفناء الشعب البوسني المسلم في البوسنة والهرسك تحت عنوان التطهير العرقي، أو قُل إن شئت النظام العالمي الجديد!

ولابدّ لنا من وقفة متأملة مع هذه الحروب الإرهابية (الإبادية) الأكثر معاصرة، كما في فلسطين والخليج وأفغانستان، إلاّ أنها ستأتي في حينها، بعون الله تعالى، في هذا الكتاب.

---

[1] - راجع كتاب (كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد) للإمام طاهر أحمد - ترجمة الحاج حلمي الشافعي / ص 207 /.

[2] - انظر المرجع السابق، / ص 208 /.

القسم الثـــاني

الفصل الرابع

الإسلام— دين الكون والإنسان

ثمّة مغالطات كثيرة منتشرة في العالم الغربي عن الإسلام والمسلمين.

اسأَلْ أيّ طالب مدرسة في الغرب—أو حتى أستاذ مادّة التربية الدينية هناك—عمّا يعرفه عن الإسلام وسيكون الجواب الذي تحصل عليه بسيطاً إلى حدّ الإدهاش، والجواب هو تقريباً ذاته بشكل دائم في دماغ الإنسان الغربي، ويأتي على الشكل التالي:

'الإسلام الذي بشَّر به محمد العربي هو دين موجَّه للبدو ويناسب الحالات والأحوال البدائية المتعلِّقة بالماضي. وكان محمد قد اطَّلع على التعاليم المسيحية واليهودية فتأثَّر بهما بشكل عميق.. ثم كتب بعد ذلك كتاباً سمّاه (القرآن).. ثم نشر محمدٌ الدينَ البدوي الجديد باستخدام السيف، وبعدها تغلغل العرب إلى عدّة بلاد أخرى وحوَّلوا أهلها إلى الإسلام بقوة السيف!'

وسيتابع: 'إنّ تعاليم الإسلام تلائم أحوال العصور الوسطى. وبشكل عام فإنّ محور الإسلام هو تعاليم قديمة بالية لا تنسجم مع الحضارة الحديثة، ولا يمكن تطبيقها في زماننا الراهن. وإنّ الملامح البارزة للإسلام هي التعصُّب الديني

الأعمى وعدم التسامح العقائدي، والإيمان الجبري بالقضاء والقدَر إلى جانب التعصُّب الطائفي والمذهبي.'

وسيقول: 'الإسلام ليس ديناً ملائماً لبلادنا ومناطقنا، وهو، على الأقل، لا يلائم حضارتنا في القرن العشرين. إنه دين الرجال، ويحتقر النساء، ويحدِّد لهنّ مكانة دونية في المجتمع. وهو دين إرهابي يسعى إلى تحويل الناس والشعوب عن أديانهم ومعتقداتهم ولو بالقتل وسفك الدماء. ولا يقبل الحوار والجدل.. ولا يعترف بحرية الرأي والمعتقد، وإنّ الذي يدخل فيه ليس حرّاً في الخروج منه واختيار غيره، بل لابدّ من تنفيذ حُكم المرتدّ فيه فيُقتَل وتُضرَب عنقه أو يتوب ويعود إلى الإسلام ولو نفاقاً.. وهكذا فقد أسلم الكثيرون بحدّ السيف من غير إيمان ولا تصديق بل خوفاً من القتل وضرب الأعناق!

وباختصار هو دين الإكراه والقتل والحرب، وأتباعه المسلمون يتحيّنون الفرصة للحصول على القوة والانقضاض على شعوب العالم بحرب دموية ليُدخِلوهم إلى حظيرة الإسلام بحدّ السيف والدم، وهو لذلك يُشكل أكبر خطر على أمم العالم!'[1]

هذا هو المفهوم الخاطئ والبشع عن الإسلام والمسلمين لدى شعوب دول الغرب وغيرها من غير المسلمين.

فهل الإسلام حقّاً في مصادره دين الهمجية والقتل والحرب والإرهاب والدم؟!

[1] - عن مجلة ريفيو أُف ريليجن التي تُصدرها الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.

وهل هو الخطر المحدق بالعالم، أم أنّه الضمانة الأهمّ لأمنه وسلامه؟

تعالوا لنرى!

* الإسلام في اللسان العربي

"الإسلام في اللسان العربي كلّمة مشتقّة من السلام.. وهو أيضاً الاستسلام والخضوع لله تعالى وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلّم. والإسلام السّلم، قال امرؤ القيس بن عابس:

"فلستُ مُبدِّلاً بالله ربّاً ولا مُستبدلاً بالسِّلم ديناً"

يُريد: ولا مستبدلاً **بالإسلام** ديناً.

وأسلمَ الرجلُ أي دخل في السِّلم، وأسلم دخل في الإسلام".[1] وهذا يعني أنّه يصحّ أيضاً إطلاق لفظة (المسلم) على الذي دخل في السّلم وامتنع عن الحرب والعدوان.

* الإسلام بالمعنى الديني

في محاضرة ألقاها الإمام ميرزا غُلام أحمد[2] عليه السلام في لاهور يُبيّن أنّ حقيقة مفهوم الإسلام بالمعنى الديني للكلّمة، هو أن يُسلِمَ الإنسان رقبته لخالقه عزّ وجلّ

---

[1] - راجع لسان العرب مادّة سَلَمَ

[2] - هو الإمام ميرزا غلام أحمد القادياني (الإمام المهدي والمسيح الموعود) عليه السلام، مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية. وقد أورد جانباً من هذه المحاضرة السير ظفر الله خان في كتاب روح الإسلام The Essence of Islam الذي جمع فيه مواضيع إسلامية كثيرة من كتب ومؤلفات وخطب ومحاضرات الإمام. وقد اقتبستُ تعريف الإسلام والمسلم من هذا المرجع ص 13 - 14

ككبش الفداء، وأن يتخلّى عن التمسك بتدبيره الذاتي، وأن يكرّس نفسه لمشيئة الله ورضاه، وأن يفقد نفسه في الله، وأن يفرض على نفسه نوعاً من الموت في سبيل الله، وأن يصطبغ بحبٍ شخصي له سبحانه وتعالى، وأن يُطيعه بشكل كامل من أجل ذلك الحب؛ وأن يحصل على عينين لا تريان إلاّ من خلال الله؛ وأذنين لا تسمعان إلاّ من خلال الله، وأنّ يطوّر قلباً يكون مكرّساً بكامله لله عزّ وجلّ، وأن يحصل على لسان لا يتكلّم إلاّ بأمر الله.

ولذلك فالمسلم هو الذي ينطبق عليه قول الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم:

﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ البقرة 113

وهذا يعني أنّ المسلم هو الذي يُلزم نفسَه بشكل كامل لقضية الله عزّ وجلّ، يعني أنّه يكرّس نفسه لله عزّ وجلّ من خلال اتّباع مشيئته وكسب رضاه، ثم يستقيم على فعل الخير لوجهه تعالى، ويكّرس كلّ ما يملك من قدرة وخصائص وميزات لذلك السبيل. وبمعنى آخر فإنّه يصير كلّه لله بالعقيدة والممارسة./ انظر الملاحظة الهامشية السابقة.

* الإسلام في بيان الله عزّ وجلّ

يُطالعنا القرآن الكريم ببيان الله عزّ وجلّ عن الدّين الأوحد عند الله فيقول:

﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**﴾ آل عمران 20

ونقرأ في (**الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**) للإمام جلال الدين السيوطي:

"أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن جريج ﴿**لِمَ تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون**﴾ على أنّ الدين عند الله الإسلام، ليس لله دين غيره."

وجاء في (**مختصر تفسير ابن كثير**):

"وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**﴾ إخبارٌ منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتّباع الرسل فيما بعثهم الله به في كلّ حين، حتى خُتِموا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي سدّ جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد صلى الله عليه وآله وسلم".

يُعلِمنا الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة بأنّه قد جعل للبشرية ديناً واحداً وهو " الإسلام". وعلى ضوء ما بيّنا من معنى لـ "الإسلام" في اللسان العربي، نفهم أنّ ربنا عزّ وجلّ قد شرع للبشرية أن يُدينوا له بالخضوع المطلق، ولشرعه بالطّاعة التامّة، وأن يُسلموا له في كلّ أمر.

وحاشى لله أن يطلب من عباده هذا التسليم المطلق، والخضوع الكامل، والثقة التّامة من غير مبرّرٍ حقٍّ لخيرِ خَلْقهِ جميعاً؛ بل إنّ مبرّر هذا التسليم ينبثق من منطق الإيمان بأنّ الله يملك هذا الحق لأنه هو الذي خَلق بعلمه وقدرته الكونَ وما فيه ومن فيه، وأبقى على مخلوقاته جميعاً فحفظها من الهلاك والفناء، وهو الحي القيوم الذي يمدّها بأسباب الحياة والتطوّر والبقاء، وهو الذي يَعْلَم خيرَ عباده، وهو وحده القادر على هدايتهم وحمايتهم. ولذلك فإنّ العبد الذي يخضع بالعبادة إلى الله ويُسْلِم أمرَه كلّه إليه، إنما يُسلِم أمرَه إلى الذي لا يُخيّب رجاءَ من يتوكلّ عليه ويُسلِم أمرَه إليه، لأنه هو الخالق العليم القوي القدير البالغُ أمْره، ولا

يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، يقول تعالى مطمئناً عباده:

﴿وَمَن يَتَوَكلّ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ الطلاق 4

وهل مَن يستطيع الزعم بأنّ ثمة أمر لا يستطيع الله أن يبلغه؟!

وهل مَن يستطيع الزعم بأنّ ثمّة مِن دون الله من هو أيضاً على كلّ شيء قدير ويستطيع أن يبلغ كلَّ أمر؟!

مطلقاً!

بل الله وحده هو القوي القادر على كلّ شيء.

وهو وحده بالغٌ أمرَه.

من هنا نفهم لماذا جعلَ الله دينه "الإسلام". لأنه—بعلمه وقدرته—يريد أن يهدي عباده جميعاً إلى الخير المطلق على الصراط المستقيم إلى النجاة الأكيدة.

ولكن ثمّة خطأ كبير تورّط فيه الناس والمسلمون جعلهم عاجزين عن فهم معنى الإسلام باعتباره دين الله! وهو خطأ لا بدّ من تداركه بتصحيح الفهم على ضوء بيان الله في كتابه المُبين:

* دين الله الواحد

نعود هنا للبدء بما ذكرناه آنفاً وهو أنّ الله عزّ وجل قد بيّن في القرآن المجيد بأنّ الدين عنده تبارك وتعالى واحد وهو الإسلام. ونُتابع فنرى أنّ الكون كلّه بما فيه ومن فيه قد أسلم لله عزّ وجل، يقول ربّنا:

﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ آل عمران 84

* الكون كلُّه يأتي اللهَ طائعاً ويخرّ له ساجداً

وكذلك أتته، سبحانه وتعالى السموات والأرض طائعين أمرَه، يقول تعالى:

﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ فصّلت 12

ولاشكّ في أنّ هذا هو المنطق الإيماني السليم، إذ لابدّ من أن تكون كلّ ذرّة في الكون خاضعة لأمر الله خالقها وقانونه الذي سنّه لها فتُطيعه ولا تحيد عنه وتُسلمُ وتسجد له مع كلّ خليقة بثّها في الكون كلّه، يقول تعالى:

﴿**وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ النحل 50

ويقول عزّ وجلّ:

﴿**وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾ الرعد 16 ويقول تبارك وتعالى:

﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ الحج 19

* الكون كلّه يُسبح بحمد ربه

وهكذا فكلّ ما في الكون ومن في الكون أتى اللهَ ساجداً عابداً خاضعاً مُسلماً ومسبّحاً، يقول تعالى:

﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ الجمعة 2

﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ الإسراء 45

﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِه**﴾ الرعد 13

* الكون كلّه مسلم ويدين لله بالإسلام

فإذا كان كلّ من في الكون وما في الكون قد أتى اللهَ طائعاً ساجداً ومُسبّحاً، ألا يعنى هذا أنّ الكون كلّه بما فيه ومن فيه قد أتى اللهَ مُسلِماً، وأَسْلَمَ له؟

وهكذا دانَ الكونُ كلّه بالإسلام لله الواحد القهّار الذي قدّر وشاء أن يكون الدّين عنده الإسلام:

﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**﴾

ولأنّ الكون كلّه قد أسلمَ لله وجاءه مسلماً فقد جعل الله (الإسلامَ) رسالتَه إلى الناس وأَرسل أنبياءه ورسلَه جميعاً بـ (الإسلام)، وقرأ بيانه لنا وعلينا في كتابه المجيد قائلاً:

﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**﴾

* إبراهيم أبو الأنبياء أسلمَ وكان من المسلمين

يُخبرنا ربنا عزّ وجلّ في كتابه المجيد أنّ إبراهيم أبا الأنبياء عليهم السلام قد أسلم لله ربّ العالمين وكانت ملّته الإسلام التي لا يرغب عنها إلاّ من أهلك نفسه وسَفِهها، يقول تعالى:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ البقرة 131-132

ويؤكّد ربنا عزّ وجل:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ النساء 126

وليقين سيدنا إبراهيم أنّ الدين عند الله الإسلام فقد ابتهل إلى ربّه داعياً أن يجعله هو وابنه إسماعيل عليهما السلام مسلمين وأن يهب لهما من أمتهما ذرية مسلمة. نقرأ في القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة 128-129

ونقرأ تأكيد القرآن الكريم لحقيقة أنّ إبراهيم، أبا الأنبياء، كان حقّاً من المسلمين حيث يقول تعالى:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين﴾ آل عمران 68

* الأنبياء إسماعيل وإسحق ويعقوب وبنوه كانوا مسلمين

ويُتابع ربُّنا عزّ وجلّ بيانه عن إسلام أنبيائه فيُتمّم الآية الكريمة السالفة بذكر وصيّة النبي يعقوب لبنيه بأن لاّ يموتوا إلاّ وهم مسلمون، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون﴾ البقرة 133

ويوضّح بيانُ الله مؤكّداً حِرصَ النبيين على عبادة الله الواحد والالتزام بدينه الإسلام، حيث يقول عزّ وجلّ:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة 134

* النبي موسى وأتباعه كانوا مسلمين

عندما وجد سيدنا موسى عليه السلام قومه خائفين من فرعون وبطشه شدّ من أزرهم، وقوّى عزيمتهم وذكّرهم بأنهم إن كانوا قد آمنوا بالله وصاروا مسلمين حقاً فعليهم أن يتوكّلوا على الله حق التوكلّ وألاّ يخافوا أحداً سوى الله:

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِين﴾ يونس 85

ولذلك فإنه عندما هدّد فرعونُ المؤمنين من قوم موسى بأنّه سيعذبهم ويقطّع

أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلّبنهم في جذوع النخل أعلنوا إيمانهم ورجاءهم من الله أن يفرغ عليهم صبراً وأن يتوفّاهم مسلمين فقالوا:

﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾ الأعراف 126-127

* فرعون أعلن أنه من المسلمين

وتأكيداً لحقيقة أنّ دعوة موسى عليه السلام إلى الإيمان بالله ورسالته كانت أيضاً دعوة إلى الإسلام، نجد في القرآن دعاء فرعون الذي أدرك أنّه كان عليه أن يؤمن وأن يكون من المسلمين قبل أن يُدركه الغرق. يصفُ ربنا عزّ وجل حال فرعون عندما أدركه الغرق، فيقول:

﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَه الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيل وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ يونس 91

* جميع أنبياء اليهود أسلموا وكانوا مسلمين

ويؤكّد ربُّنا عزّ وجلّ في القرآن الكريم على أنّ جميع أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يحكمون بالتوراة ويعلّمونها لليهود وعلمائهم قد أسلموا وكانوا مسلمين، فيقول:

﴿**إِنَّا أَنزلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء**﴾ المائدة 45

***كانت دعوة النبي سليمان إلى 'الإسلام'، وكان هو من 'المسلمين':**

يُبيّن القرآن أنّ النبي سليمان دعا قومه إلى الإسلام، إذ نقرأ أنّ ملكة سبأ أعلنت لقومها عن كتابِ سليمان الذي جاءها بقولها:

﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ النمل 31-32

ونقرأ في القرآن تأكيداً بأنّ دعوة سليمان لقوم سبأ كانت إلى الإسلام، حيث:

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ النمل 39

* ملكة سبأ أسلمت وصارت هي وقومها من المسلمين

ولذلك فإنّه عندما أقام سليمان الحجة الإيمانية على ملكة سبأ أدركتْ أنها يجب أن تؤمن بدينه ودعوته وأن تُسلمَ فقالت:

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل 45

ومن المعلوم أن قومها دخلوا معها في الإسلام وصاروا مسلمين بدليل الآية 39 من سورة النمل السالفة الذِكر.

* المسيح عيسى وحواريوه كانوا مُسلمين

يذكر لنا ربنا عزّ وجلّ في القرآن الكريم أنّه عندما أوحى إلى الحواريين أن يؤمنوا به تعالى وبرسوله المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، كان ردّهم أنهم آمنوا

ودعوا الله أن يشهد عليهم بأنهم مسلمون، يقول تعالى:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُون﴾ المائدة 112

ويذكر القرآن شهادة ثانية لأتباع المسيح بأنهم كانوا مسلمين فيقول:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْن أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُون﴾ آل عمران 52

وهكذا فقد كان جميع أنبياء بني إسرائيل أيضاً مسلمين.

* جميع أنبياء الله ورسله كانوا مسلمين

وردّاً على اليهود الذين زعموا قائلين بأنه لا يهتدي إلاّ من كان يهودياً، وعلى النصارى الذين زعموا أنه لا يهتدي إلاّ من كان نصرانيا بَيّن الله عزّ وجلّ بأنّ جميع الرسل والأنبياء كانوا مسلمين، وأنّ المسلمين لا يفرقون بين أحد منهم، يقول تعالى:

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيم حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة 136-137

وجاء في تفسير ابن كثير:

"فأخبر تعالى أنه بعث رُسُلَه بالإسلام ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة، التي

ينسخ بعضها بعضاً إلى أن نُسخت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي لا تُنسخ إلى أبد الآبدين، ولا تزال قائمة منصورة وأعلامها منشورة إلى قيام الساعة، ولهذا قال عليه السلام: '**نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد**' فإنّ أولاد العلات هم الإخوة من أب واحد وأمهات شتى، فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات."

* الدعوة إلى الله هي دعوة إلى الإسلام

ويبين لنا ربنا عزّ وجلّ بأنّ أحسن القول عند الله تعالى هو أن يدعو الإنسانُ إليه عزّ وجلّ ويكون من المسلمين، يقول تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصّلت 34

أيّ إنّ أحسن القول هو أن يكون الإنسان، على الإطلاق، مسلماً إلى الله ويدعو الناس إليه عزّ وجلّ وهو يعمل صالحاً.

* الإسلام هو دين الفطرة القيّم

ويُخبرنا الله عزّ وجلّ في كتابه أنّ الإنسان السليم يتطوّر مع العمر باتجاه إدراك نعمة الله عليه فيرغب في أن يعمل صالحاً وأن يُسلِم إليه تعالى فيكون من المسلمين، يقول ربّنا:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْه كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأحقاف 16

ولا شك في هذا المنطق السليم، إذ أنّ الإنسان باعتباره مخلوقاً لا يملك إلاّ أن يكون خاضعاً لقَدَره كمخلوق يتميّز بصفات معيّنة لا يستطيع تجاوزها، وهو بهذا يسلّم لحقائق واقعهِ التي لا يَد له في وجودها أو عدمها رغم امتلاكه القدرة على التصرف بحقائق أخرى. ولاشكّ في أنّ حقائق حياة الإنسان المتفكّر تقوده إلى ضرورة أن يؤمن بالله ويُدرك نعمته عليه وعلى من سبقه من الآباء والأجداد، فيرغب في أن ينال رضى الله عزّ وجل من خلال العمل الصالح، ويتمنى لذريته أن تسير على درب هُداه مُعلناً توبَته عمّا أسلف من جهالة وخطأ، وإسلامَه للخالق العظيم الذي يُقيم الكونَ كلّه بقدرته ونعمته وحده لا إله إلاّ هو.

وإلاّ **فمن** هو هذا الإنسان الذي وصّاه الله؟ ومن هو هذا الذي قال إني تُبت إليك وإني من المسلمين؟

لا شكّ في أنّ الله عندما يذكر الإنسان بصفة عامّة فهو يُعْلِمنا بذلك عن خليقةٍ وفطرة يتّصف بها الجنس البشري؛ وهي هنا أنّه يتطوّر في الوعي والإدراك ليتوب ويكون من المسلمين.

ونقرأ في حديث لسيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلّم تعليماً يرشدنا إلى أنّ الله يخلق الإنسان على دين الفطرة الذي هو الإسلام، فيقول:

(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يُهوّدانه أو يُنصّرانه أو يمجسّانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء).

ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ التي فَطَرَ الناسَ عليها لا تَبديلَ لِخَلْقِ اللهِ، ذلكَ الدّينُ القيّم**﴾ الآية: الروم 31 ش أخرجه مسلم في القدر، باب: معنى كلّ مولود يولد على الفطرة.

ولا شكّ في أنّ **الإسلام** هو الدين القيم.

وهكذا فالكون **كلّه** مسلم!

والخلق كلّهم ـ طوعاً أو كرهاً ـ أتوا اللهَ ربَّهم مسلمين!

والدّين عند الله الإسلام!

الفصل الخامس

الإسلام والمسلمون من منظور إسلامي

* تحقيق هام، وتصحيح لا بدّ منه

يتبيّن بالتحقيق من معاجم اللغة العربية، وبيان القرآن الكريم، وهَدي خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم أنّ لفظة (**الإسلام**) لا تعني فقط الدين الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلّم؛ كما أنّ لفظة (**المُسلم**) أو (**المسلمين**) لا تعني فقط الفرد أو الناس من أتباع محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم. وكذلك الأمر بالنسبة للفظة (**المؤمن**)، فهي لا تعني فقط الاصطلاح الديني الذي يُشير إلى المؤمن بالله تعالى ودينه الحنيف. وهذا أمرّ لا بدّ من تفهّمه وتصحيح الأفهام بناء عليه لخير المسلمين والناس جميعاً، في العالم كلّه. وإليكم البيان:

في صحيح مسلم كتاب الإيمان، نقرأ عن ظهور جبريل عليه السلام للصحابة الكرام في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، حيث يسأل جبريلُ الرسولَ

الكريم عليه الصلاة والسلام عن الإسلام، كما في الحديث التالي المروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

(قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يُرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منّا أحد. حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فاسند ركبتيه إلى ركبتيه. ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت) صحيح مسلم. كتاب الإيمان

نعلم من هذا الحديث الفريد **تعريفاً** أكيداً للإسلام، حيث نجد أنّ الإسلام هو:

* أن تشهدَ أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله،

* وأن تُقيم الصلاة،

* وأن تؤتي الزكاة،

* وأن تصوم رمضان،

* وأن تحجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً.

وهي أركان الإسلام الخمسة التي يقوم عليها دين جميع المسلمين من أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم. ولكننا وجدنا أيضاً في الفصل السابق من بيان الله تعالى أنّ الدين، أساساً، عند الله هو الإسلام، وأنّ جميع رسل الله عزّ وجلّ قد أسلموا ودعوا أقوامهم إلى الإسلام. وهذا يعني تعريفاً آخر للإسلام غير التعريف المحدّد لأتباع محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم. كما أننا قد وجدنا— من قول ربنا عزّ وجل في سورة آل عمران 84: ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾—أنّ جميع خلق الله، سواء في السماوات من الملائكة أو سكّان الكواكب الأخرى، أو مَن في الأرض، التي نعيش عليها، قد أسلموا ودخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً، وهذا يؤدّي بنا إلى تعريفٍ آخر للإسلام وهو خضوع جميع الخلق ـ طوعاً أو كرهاً ـ لله تعالى.

من هذا البيان العظيم نستطيع أن نتوصّل ـ باليقين ـ إلى تعريف '**المسلم**' أو '**المسلمين**' على النحو التالي:

من تعريف الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم للإسلام في حضرة جبريل عليه السلام، نجد أنّ **المسلم** هو، كما ذكرنا:

* من يشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم رسول الله،

* ويُقيم الصلاة،

* ويُؤتي الزكاة،

* ويصوم رمضان،

* ويحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً.

ولا شكّ في أنّ هذا هو **المسلم الذي يكون من أتباع محمدّ صلى الله عليه وآله وسلّم ومن أمته**. ولكننا وجدنا من القرآن الكريم أنّ **ثمة من المسلمين الذين ليسوا من أتباع محمد** عليه وعلى آله الصلاة والسلام **ولا من أمّته**، وهم أتباع إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وعيسى وسليمان، بل وجميع أتباع وأمم الأنبياء السابقين الذين أكّد ربنا في القرآن بحقّهم أنهم **كانوا جميعاً مسلمين** دون أن يكونوا من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلّم الذي ما كان قد بَعثه الله تبارك وتعالى بعد[1].

ويكفينا برهاناً على صحة هذا البيان هو أنّ **لله دين واحد** يبعث به النبيين والرسل إلى الناس والأمم جميعاً وهو الإسلام، قال تعالى:

﴿إنّ الدّينَ عِنْدَ الله الإسلام﴾

ولا شك في أنّ جميع المصدّقين بالدين الذي عند الله يكونوا مسلمين.

وهكذا نجد في بيان ربنا المجيد:

* ثلاثة أصناف من المسلمين *

* الصنف الأوّل: المسلمون من غير أمّة محمد عليه الصلاة والسلام

وهم المسلمون الذين آمنوا برسالة أنبياء الله ورسله السابقين من أتباع إبراهيم

---

[1] - راجع الآيات الكريمة التي أوردناها في الفصل الرابع

وموسى وعيسى وإسحق ويعقوب وسليمان وغيرهم. وهؤلاء، بتأكيد القرآن الكريم، هم مسلمون من غير أتباع محمد[1] ولا من أمّته. وهم الذين قال الله عنهم أنّهم **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** حتى ولو كانوا من غير أتباع محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، يقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة 63

ولا شكّ في أنّ الذين يتقبّل الله منهم إيمانهم يكونوا قد أسلموا له طوعاً فكانوا مسلمين حتى لو لم يكونوا من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلّم كما نرى من هذه الآية. لأنّ الدين عند الله واحد[2]، وهو الإسلام، ولقد قال تعالى: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** آل عمران 86. ولو كان هؤلاء قد ابتغوا غير الإسلام ديناً فما كان ليقبل الله منهم، ولمَا نجوا وكانوا من الذين آتاهم الله أجرهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[3].

* الصنف الثاني: وهم المسلمون من أتباع محمد[4] وأمته:

وهم الذين آمنوا بمحمدّ صلى الله عليه وآله وسلّم ويشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم رسول الله، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة،

[1] - صلى الله عليه وآله وسلم

[2] - بدلالة قول الله تعالى **﴿إنّ الدّين عند الله الإسلام﴾**

[3] - لهذه الآية الكريمة دلالة هامّة عظيمة سنناقشها في مكانها المناسب من هذا الكتاب.

[4] - صلى الله عليه وآله وسلم

ويصومون رمضان ويحجّون البيت إن استطاعوا إليه سبيلاً. ولا شك في أنّ كِلا هذين الصنفين هم من الذين أسلموا لله طوعاً بدليل إيمانهم بأنبياء الله ورسله.

*الصنف الثالث: المسلمون كَرهاً

وهم الذين يقول ربنا عنهم، في القرآن الكريم، بأنهم "أسلموا كَرهاً" وهذا يعني خضوع هؤلاء الخلق لله عزّ وجلّ باعتباره، عزّ وجلّ، الخالق القاهر الذي يَخضع لمشيئته وإرادته وقوانينه جميعُ خلقه شاءوا أم أبَو، أو بحسب بيان القرآن الكريم: "**طوعاً أو كَرهاً**".

وهكذا نجد في بيان الله عزّ وجل ورسوله الكريم ثلاثة أصناف من المسلمين؛ وهذا بدوره يوجب علينا انتباهاً خاصّاً ودقيقاً عندما نواجه لفظة: "**الإسلام**"، "**المسلم**"، أو "**المسلمين**"، سواء في القرآن الكريم أو في أحاديث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، **كي لا نُخطئ في الفهم، ويختلط البيان، ونقع في السلوك الخطر!**

وسأعمد فيما يلي –مستعيناً بالله تعالى– إلى أن أشرح خطأً خطيراً في الفهم وقع فيه المسلمون وغيرهم، فكان من شأنه أنّه قد أساء إلى المسلمين كثيراً وَشكّل منحى آخرَ منحرفاً عن هدي الله ورسوله فَتَهدَّدَ، بشكل مؤلم، أمنُ وسلامُ المسلمين والناس والعالم في مجالات وآفاق كثيرة. وإليكم البيان:

* المسلم سلام شامل

يسمع الناس أحياناً، وبين حين وآخر، بعقيدة أنّ المسلمين إخوة، ويشدّدون على معنى أنّ هذا محصور في المسلمين وحدهم، فيزعمون أنّه ليس ثمّة أُخُوّة حقّة بين المسلمين وغيرهم! ويشتطّ بعضهم في هذا الفهم الباطل فيُضَيّق حدود هذه الأُخُوّة على الطائفة الواحدة، ولا بدّ أن تكون هي الطائفة التي ينتمي إليها هذا المُنظِّر فقط، دون باقي طوائف المسلمين!

أقول إنّ الأوان قد حان، بل ومنذ وقت طويل جداً، لأن ينتبه المسلمون جميعاً إلى خطورة هذا المفهوم الباطل والمنحرف. وعليهم أن يفهموا الألفاظ: "**الإسلام**" و "**المسلم**" و"**المسلمين**"، في بيان الله ورسوله بحسب، ما أرادها بيان الله ورسوله، وفي سياق هديهما العظيم، وعليهم أن يحذروا من تَضييق مفهوم كلّمة الإسلام على دين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، وكلّمة المسلمين على أتباعه فحسب، بغضّ النظر عن أيّ معنى أو سياق!

* بيان خطأ حصر مفهوم الإسلام والمسلمين فقط بأتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلّم

وأما الدليل على أنّ مشاكلّ وأخطاراً كثيرة ستنجم عن المفهوم المحدود للفظة المسلم والمسلمين فيتبيّن معنا من خلال مناقشة الأحاديث التالية:

في صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي نقرأ الحديث التالي:

(عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: "**'المسلم' من سلِم 'المسلمون' من لسانه ويده؛ و 'المُهاجر' من هجر ما نهى اللهُ عنه**").

الإشكال: لو أنّ المقصود من لفظة: "**المسلمون**" في هذا الحديث هو المسلمون من أتباع محمّد **حصراً** لأدّى هذا الحديث بالمسلمين وغيرهم إلى الاعتقاد بأنّ الإسلام يُعلّم أتباعه أنّ المسلمين لا يتعاملون بالسلام وعدم الأذى سواء باليد أو اللسان **إلاّ مع المسلمين** من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلّم **حصراً!** وعلى هذا فسوف يُتّهم المسلمون بأنهم غير مسؤولين في دينهم عن إيذاء غير المسلمين سواء بالاعتداء باليد أو باللسان، ويجب أن نعترف بأنّ هذا هو واقع الظنّ بالمسلمين في جميع دول العالم الغربي أو غير الإسلامي، مع الأسف الشديد!

ونقرأ في حديث آخر لسيدنا خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام يقول فيه:

(**كلّ 'المسلم' على المسلم حرام: ماله وعرضه ودمه**). مسند أبي داود وابن ماجة عن أبي هريرة

نقول وماذا يعتقد المسلمون في مال غير المسلم—أَهوَ حلال لهم؟!

وماذا عن عِرض غير المسلم—أَهوَ مُباح للمسلمين؟!

وماذا عن دمِ غير المسلم—أَهو مَهدور لهم؟!

حتماً لا.

وفي حديث ينهى فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عن **سبّ 'المسلم'** أو الاعتداء عليه، فيقول:

(سُباب 'المسلم' فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه) عن ابن مسعود في الطبراني، وأورده صاحب الجامع الصغير

وهنا أيضاً إذا كان المقصود بـ "**المسلم**" الفرد من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلّم **حصراً**، فسيجعل هذا غير المسلمين يظنّون بأنّ من المُباح للمسلم سُباب غير المسلم، أو قتاله، أو استباحة ماله ودمه! وهذا أيضاً ما يظنه عامّة العالم الغربي وغيرهم من غير المسلمين! وإذا ما سعى مُسلمٌ إلى مجادلتهم فإنهم يحتجّون بأنّ ما تقصده هذه الأحاديث من لفظة "**المسلم**" هو، **حصراً**، الفرد من أتباع محمد[1]؛ وأن المقصود بـ "**المسلمين**" هم، فقط، أتباع محمد[2]. وإذا ما قَبِل المسلم المُجادل هذا المفهوم فسيقع، بسهولة بالغة، في فخّ اعتبار الإسلام ديناً إرهابياً يُبيح للمسلمين الاعتداء على غيرهم وإيذاءهم باليد واللسان والقتل وسفك الدّم، في حين أنه يحرّم عليهم فعل ذلك في تعاليمهم مع المسلمين فقط!

ولكننا إذا عدنا إلى كتاب الله العظيم، وبيان رسوله الرؤوف الرحيم، واللسان العربي المُبين نجد أنّ لفظة '**المسلم**' و '**المسلمين**' تعني أيضاً أتباع جميع الأنبياء السابقين، **كما أنها تعني الناس المسالمين الذين لا يؤذون الآخرين بالاعتداء عليهم وعلى حُرماتهم فهم: مسلمون—أي مُسالمون**؛ ونتذكّر:

---

[1] - صلى الله عليه وآله وسلّم

[2] - صلى الله عليه وآله وسلّم

نبدأ بالمعنى العامّ للفظة **المسلم** من بيان اللسان العربي، فنجد أنّ هذه اللفظة موجودة في اللغة العربية من قَبل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وقبل دينه الإسلام، وإليكم البيان:

بالإضافة إلى معنى الدخول في الإسلام نقرأ في معاجم اللغة العربية ما يلي:

"**أسلم الرجل: دخل في السّلم.. أسلم: انقادَ.. أسلمَ عن الشيء: تركه بعد ما كان فيه.. أسلم في البيع: تعامل بالسلم.. أسلمَ دخل في دين الله.. أسلم: أخلص لدين الله**".[1]

وفي **لسان العرب** لابن منظور نقرأ:

" **أسلمَ: دخل في السّلم، وهو الاستسلام**".

وهكذا، بالإضافة إلى أنّ المسلم هو الذي دخل في دين الله سواءً أكانَ مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً، أو من أتباع أي نبي ورسول لله عزّ وجلّ، وكذلك الذي أخلص لدينه عزّ وجلّ، **فإنّ المسلم هو أيضاً الرجل الذي يدخل في السّلم أو الاستسلام فيكون قد أسلم أيضاً وصار من المسلمين** –**أي المُسالمين**[2].

إذن يُمكننا أن نُطلق –**أيضاً وبحسب السياق**– على الداخل، أو الداخلين في السّلم بأنه **مسلم**، أو **مسلمون**، مهما كان دينهم أو عقيدتهم، حتى لو لم يكونوا مسلمين من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلّم. ومنطلقين من هذا البيان

[1] - المعجم الوسيط

[2] - راجع معاجم اللغة العربية، مادة سلم

يمكننا أن نُدافع عن الإسلام والمسلمين في أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، ونستطيع أن نبرهن بأنّ الإسلام يأمر جميع أتباعه بأن يكونوا سلماً وسلاماً ليس للمسلمين وحدهم بل وللناس 'المسالمين' جميعاً في العالم كلّه، وإليكم البرهان:

نعود لحديث سيدنا خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم حيث يقول:

(المسلم من سَلِمَ 'المسلمون' من لسانه ويده) عن ابن عمر في صحيح البخاري كتاب الرقاق

ونسأل: هل يأمر هنا سيُدنا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلّم المسلمين بأن يَسلم من ألسنتهم وأيديهم **فقط المسلمون من أتباعه، في حين أنهم أحرار في ألاّ يَسلم بقية الناس من غير المسلمين لا من ألسنتهم ولا من أيديهم؟!** أم أننا نفهم ـ في هذا السياق ـ أنّ المقصود من هذا الحديث الشريف بأنّ المسلم الحقّ هو من يَسلم الناسُ جميعاً من أذاه سواء باللسان أو باليد أو بأية وسيلة أخرى—بشرط أن يكونوا مسالمين غير مُعتدين؟!

لا شكّ في أنّ جميع المسلمين يفهمون من هذا الحديث أنّ على المسلم أن يكون سلاماً لجميع الناس فلا يتعرّض لهم بالأذى لا باللسان ولا باليد ولا بأي شيء آخر، وأنّ أموال ودماء جميع الناس حرام عنده في شرع الإسلام الذي ينتسب إليه. ولكن لماذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام "مَن سَلِمَ "**المسلمون**" من لسانه ويده؟! ولم يقل: "من سلم **الناس**" ـ هكذا على الإطلاق—من لسانه

ويده؟!

أقول، الناس ليسوا، عموماً، مُسالمين للمسلمين، فمنهم المسالمون الداخلون في السلم معهم ومنهم المعتدون باليد واللسان؛ **فكيف يمكن للمسلم أن يُسالم حتى من يؤذيه ويؤذي المسلمين ويعتدي عليهم وعلى حُرُماتهم؟!** وهل يصحّ أن يَسْلَمَ المعتدون على المسلمين بالقتال أو التحريف وتشويه السمعة من يد المسلمين دفاعاً عن أنفسهم، أو باللسان دفاعاً عن سمعة دينهم، حتى لو كانوا مسلمين؟!

مطلقاً!

ولكن كيف لا يَسلم من يد المسلم ولسانه جميعُ المسالمين من الناس "**الداخلين في تعاملهم مع المسلمين بالسّلم**" ممن يصحّ عليهم أيضاً وصْف "**المسلمين**"! أقول كيف يُمكن ألاّ يَسلم هؤلاء من لسان المسلمين وأيديهم، وهم قوم مسالمون لا يعتدون؟!

ولبيان هذا الهدي الإسلامي الحكيم العظيم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّ المسلم من سلم المسلمون: أي المسالمون، من لسانه ويده، ليس فقط من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، ولكن جميع المسالمين من الناس أجمعين—**المسالمين فقط، وليس غير المسالمين.**

ومع ذلك، وبعد أن بيّن سيدنا رسول الله، ببلاغته العظيمة، هذا الهدي الرشيد، أضاف إلى ذلك بياناً عامّاً، غاية في الوضوح ولا لَبس فيه، ليكون محمولاً على

هذا التخصيص فقال:

(**المسلم من سلِم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم)**. عن أبي هريرة في النسائي كتاب الإيمان وشرائعه، صفة المؤمن

وبالمقارنة مع الرواية السابقة من الحديث الآنف الذكر، نجد هنا أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم يوضّح بأنّ المقصود من لفظة "**المسلمون**" —في حديثه: (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)**—هو **جميع الناس،** ولكن المسالمين منهم فقط لا المعتدين، وليس مجرّد المسلمين من أتباعه حصراً، **لأنّ ذلك لا يصحّ في حالة المعتدين سواء أكانوا من المسلمين أو غير المسلمين.** وهل يدعو الإسلام إلى أن يَسلَم المسلمُ القاتلُ من يد الحاكم المسلم، أو أن يسلمَ المسلم المشوِّهُ والمحرِّف من بيان العلماء المسلمين لمجرّد كونه من المسلمين؟!

كما نجد في هذه البلاغة المحمدّية العظيمة تعريفَ رسول الله في من ينطبق عليه وصف المسلم الذي يحق له التعامل معه باعتباره مسالماً؛ ويبدو ذلك لنا إذا قلبنا جهة القرآءة فتكون كما يلي:

"**من سلم الناس من لسانه ويده فهو مسلم**" (أي **مسالم**) يحرم إيذاؤه مهما كان دينه وعقيدته.

* الإسلام سلام شامل للمسالمين

وهكذا نستطيع الآن أنّ نفهم هدي الرسول العظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلّم فيما يتعلّق بسلام الإسلام والمسلمين الشامل لجميع أهل السلام والعالم

من أي عقيدة أو جنس:

* التعريف الأهم للمسلم

إدراكاً من الإسلام لبشاعة الأذى وسفك الدماء في الحروب وغيرها، وتأكيداً على أهمية سلم الإنسان وسلامه في العالم، نجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يُبين حقيقة المسلم الحق في شكل تعريف يوحي بأنّه لو خالفه لم يكن من المسلمين، وهكذا نقرأ الأحاديث التالية على ضوء البيان الآنف:

في البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال:

(المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر مَن هجَر ما نهى اللهُ عنه).

وكما بيّنا، فإننا نجد في بيان خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه يُوضّح تعريفاً للمسلم الحق من أتباعه بأنه هو الذي لا يصدر عنه أيّ أذى كان للمسالمين من الناس لا باللسان ولا باليد. **وهذه هي ضمانة الإسلام والمسلمين لجميع المسالمين في العالم أجمع.** فالمسلمون لا يردونّ بالأذى إلاّ على من تعرّض لهم بالأذى؛ ولا يعتدون إلاّ على من اعتدى عليهم أوّلاً، ولا يُقاتِلون إلاّ من يبادرونهم بالقتال، قال تعالى:

﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة 191

وتأكيداً لما بيّنا من معنى يتعلّق بمفهوم "**المسلم**" و"**المسلمون**" في الحديث نجد هنا أيضاً أنّ لفظة '**المهاجر**' لا تعني، كما هو مصطلح عليه: أي المسلم الذي هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى المدينة، بل تعني **مفهوماً آخر تماماً**، وهو **التقيّ** الذي يجتنب ويهجر، إلى غير رجعة، جميع نواهي الله عزّ وجلّ. وهذا يؤكّد ضرورة التبيّن والانتباه الشديد عند الأخذ بالمعاني.

* المسلم لا يسبّ ولا يقتل ولا ينتهك الحُرُمات

وأما هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في حديثه الشريف:

(سُباب 'المسلم' فسوق، وقتاله كفر، وحُرمة ماله كحرمة دمه) ابن مسعود في الطبراني الجامع الصغير

فيُشير إلى أنّ **المسلم الحق** لا يشتم ولا يسب أحداً من الناس سواءً أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، على عقيدته أو مخالفين لها. ونقرأ تأكيداً لهذا التعليم في كتاب الله المجيد يقول:

﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام 109

وهذا يؤكّد على أنّ الإسلام بريء من جميع المهاترات التي تتمّ بين أتباع الطوائف والعقائد والسياسات المختلفة. ولا يُسمح إلاّ بالحوار الكريم المتعالي عن أية مسبّة أو إهانة أو إيذاء.

وكذلك يُشير هذا الحديث إلى أنّ **قتال المسالمين من الناس** إنما هو كُفر بتعاليم

الله عزّ وجلّ في **كتابه المجيد الذي منع المسلمين من القتال إلاّ دفاعاً عن أنفسهم وعقيدتهم وحُرماتهم وضدّ الذين يُقاتلونهم فقط**، فقال:

﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ[1] **وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾** البقرة 191

ويؤكّد هذا الحديث على أنّ أموال ودماء المسالمين من الناس جميعاً **حرام** على المسلم، وهو لذلك أمين عليها لا يتعرّض لها ولا ينتهك حُرمتها، وإلاّ لصار **مجرماً** وسقط عنه تعريف: "**المسلم**".

ونقرأ تأكيداً لهذا المعنى في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، حيث يقول:

(كلّ 'المسلم' على المسلم حرام: ماله وعِرضه ودمه) في أبي داود وابن ماجة عن أبي هريرة

وهكذا فإنّ الإسلام يُطمئن الناس، في العالَم كلّه، مُعلناً بأنّ أموال وأعراض ودماء وحُرمات المسالمين من جميع الناس هي حرام على المسلمين فلا يُمكن أن ينتهكوها أو يتعرّضوا لها بأيّ أذى. وهذا الضمان العظيم جاء نتيجة أنّ المقصود بلفظة "**المسلم**" الأولى تشير إلى **المسالمين من الناس** الذين لا يتعرّضون للمسلمين بالأذى ولا بالقتال، في حين أنّ لفظة "**المسلم**" الثانية تعني المسلم الحق من أتباع دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، وبذلك فإنّ **كلّ المسالمين**

[1] - فقط

من جميع العقائد والأمم والملل والأديان حرام على المسلمين: أموالهم، وأعراضهم، ودماؤهم وجميع حُرماتهم.

وبما أنّ أغلى ما يملك الإنسان هو دمه الذي هو كناية عن حياته، نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قد بيّن للمسلمين والعالمين بأنّ **دم غير المسلم يُساوي تماماً—في شرعِ الإسلام—دمَ المسلم، وحياتُه تُساوي حياتَه،** ولهما الحرمة ذاتها فقال:

(ديّة الذمي ديّة المسلم) عن ابن عمر في الطبراني في الأوسط وأورده صاحب الجامع الصغير

والمعروف أنّ الدية هي المال الذي يدفعه القاتل لأهل المقتول إذا صفحوا. والذمّي هو الفرد من غير المسلمين سواء من أهل البلاد التي احتلّها المسلمون أو ممن يعيش بينهم في بلادهم وهو من غير دينهم فهو ودمه وماله وعرضه ذمّة في أعناقهم.

وتأكيداً على تقديس حرمة الذمّي من غير المسلمين نورد الأحاديث الشريفة التالية حيث يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

(من آذى ذمّياً فأنا خصمه، ومن كنتُ خصمه خصمته يوم القيامة) عن ابن مسعود، وهو حديث حسن في تصحيح السيوطي وأورده صاحب الجامع الصغير

وفي حرمة شرف الذمي يقول عليه الصلاة والسلام:

(من قَذَف ذمّياً حُدّ له يوم القيامة بسياط من نار) حديث حسن في الطبراني في الكبير عن واثلة.

وفي التشديد على حُرمة ظلم الذّمي يقول:

(مَنْ ظَلَمَ ذِمِّيّاً كُنْتُ خَصْمَهُ) أبو داود بسند حسن

اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على رحمتك للعالمين، محمد الأمين——آمين.

* الإسلام يدعو إلى أخوّة عالمية حقّة غير مشروطة بالدخول فيه

جاء في حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّ على المسلمين أن يعتبروا جميع المسالمين من الناس **كالمسلمين تماماً** إخوةً لهم يحفظون لهم حقوقهم ويسترونهم ويفرّجون كروبهم، فقال:

(المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يُسلمه. ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرّج عن مُسلمٍ كُربة فرّج الله عنه كُربة من كُربات يوم القيامة. ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر.

* مناقشة الحديث

ابتداءً أقول إنني موقن بأنّ هذا الحديث يُرشد المسلمين من أتباع دين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم إلى جميع ما فيه من برّ وخير بعضهم لبعض. **ولكنني أقول أيضاً** إنّ هذا الحديث الشريف يؤكّد على أنّ الإسلام العظيم قد دعا، برسالة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، إلى **تأسيس أُخُوّة عالمية** تجمع ليس فقط بين طوائف المسلمين على اختلافهم، ولكن بين جميع المسالمين أيضاً من أهل الأرض والأمم كلّها. وأمّا الدليل على ذلك ففي الحديث ذاته وإليكم البرهان:

يبدأ الحديث بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: **(المسلم أخو المسلم)** ولا شكّ في أنّ تعريف المسلم ينطبق على أتباعه، ولكنّ تتمّة الحديث تقودنا إلى أنّ هذه الأخوّة تنطبق، أيضاً، على جميع الناس المسالمين وغير المعتدين. فهو يقول: **(لا يظلمه، ولا يُسلمه)**. والسؤال هنا: إذا كانت لفظة المسلم هنا تعني المسلم المحمدي **حصراً، فهل يجوز للمسلم أن يظلم غير المسلم؟** طبعاً لا!

ولقد مرّ معنا في الحديث الشريف الآنف أنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم قد قال بأنه سيكون هو ذاته خصم المسلم الذي يظلم الذمّي غير المسلم. **إذن فإنّ هذا التعليم يقصد المسالمين من غير المسلمين أيضاً.**

ويُتابع الحديث فيقول: **(ولا يُسلمه)** أي لا يُسلمه للأذى والفقر والبؤس والحاجة والخطر إلخ ..

فهل يجوز للمسلم أن يُسلِمَ جاراً أو صديقاً له أو واحداً من معارفه لكونه غير مسلم!

وهل يجوز للدول الإسلامية القادرة، أن تُسلم الدول المنكوبة بالزلازل أو الطوفانات والأوبئة، فلا تُعينها ولا تُقدّم لها يد المساعدة إلاّ إذا كانت تدين بالإسلام؟!

ويتابع الحديث فيقول:

(ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته).

أولا يجوز للمسلم أن يسعى في حاجة غير المسلم من مريض أو عجوز أو منكوب أو محتاج؟

ألا يكون الله في حاجة من يسعى في حاجة مسكينٍ مِن خَلْقه سواء أكان مسلماُ أو غير مسلم؟

إذن هذا التعليم الإسلامي العظيم يشمل جميع الناس أيضاً بالإضافة إلى المسلمين.

وهكذا نستطيع أن نفهم بقية الحديث:

(ومن فرّج عن مُسلم كربة فرّج الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة).

ألا يُثيب اللهُ المسلمَ الذي يفرّج كروب الآخرين ولو كانوا من غير المسلمين، أم أنّه سبحانه وتعالى لا يحتسب له أجر مثل هذه الأعمال إن كانت مع غير المسلمين؟!

ألم يرد في سيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنه كان أسوة في تفريج كروب جيرانه، من اليهود وغيرهم، وكان يسأل عنهم ويقدّم لهم الطعام ويسعى في حاجتهم؟

ألم يفعل الخلفاء والصحابة الكرام وآل البيت الأطهار والمؤمنون عليهم السلام مثل ذلك من بعده؟

كما يجب الانتباه هنا جيداً إلى ورود لفظة (**أخيه**) التي جاءت بشكل مطلق.

* المسلمون أخوة للناس جميعاً لأنهم عيال الله

ثم إنّ حديث سيدنا رسول الله الذي يضرب فيه المثل **بالأسرة العالمية** الواحدة التي يكون الله سبحانه وتعالى[1] فيها بمثابة الأب ويكون جميع الناس فيها بمثابة العيال والأبناء له عزّ وجلّ، لَيؤَكّدُ على حقيقة هذه الأخوّة العالمية؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(الخلق عيال الله، فأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله) عن أنس في مجمع الزوائد للهيثمي ورواه أبو يعلى والزّاز

(الخلق عيال الله، فأحبّ الناس إلى الله تعالى مَن أحسن إلى عياله) عن ابن عباس في كنز العمال للمتقي الهندي.

وهكذا نجد بكلّ وضوح أنّ الإسلام يدعو المسلمين إلى تحقيق أخوّة عالمية حقيقية يكون المسلم فيهاً أخاً حقيقياً لغير المسلم كائنا من كان من أيّ جنس ولون ودين ومعتقد حتى لو كان كافراً أو ملحداً طالما أنّه يكون مسالماً لا يؤذي ولا يعتدي. وبذلك يسعى الإسلام إلى تحقيق أخوّة إنسانية شاملة يحفظ فيها المسلمون دماء وأموال وأعراض وحقوق الناس جميعاً ويؤاخي فيها المسلمُ جميعَ الناس في العالم كلّه ودُوَل الأرض كلّها، بغضّ النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم، طالماً أنّهم مسالمين لا يعتدون، بل يتخذون من السلم والسلام

[1] - وله المثل الأعلى

الوسيلة الوحيدة في التعامل والتعاون والتفاهم[1].

* اتّقوا حُرمة الطوائف وأهل الأديان

وبعد أن فهمنا حقيقة الأُخُوّة الإنسانية العالمية التي يدعو الإسلام إلى تطبيقها في التعامل مع الناس والأمم جميعاً.. وإذا ما عُدنا إلى تذكّر حديث النبي المصطفى محمد بن عبد الله رسول الله وخاتم النبيين الذي يقول فيه:

(كلّ المسلم على المسلم حرام، ماله وعِرضه ودمه) سبق تخريجه

نجد أنّ **الإسلام يحرّم على المسلمين حرمات الجنس البشري جميعاً**: دماءهم وأموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم. لا فرق في ذلك بين المسلمين وغيرهم، وندرك أنّ حَصْر مفهوم كلّمة "**المسلم**" على المسلم المحمّدي، فقط، قد أوقعت الجاهلين في أخطاء فادحة ما تزال موجودة، حتى اليوم، في معتقدات وممارسات أصحاب الطوائف والأديان بعضهم ضدّ بعض، ومنهم المسلمون **الذين** يضيّقون مفهوم الأُخُوّة الإسلامية على المسلمين من أتباع دين محمد عليه الصلاة والسلام ولا يسمحون لها بالامتداد لتشمل الناس جميعاً!

ولقد تفاقمت هذه الأخطاء وتزايدت واستشرت إلى حدّ أنّ عُرى الأُخُوّة الإسلامية قد انفصلت حتى بين المسلمين أنفسهم من أصحاب الطوائف المختلفة فنشأت عداوات ووقعت جهالات وممارسات إجرامية لا علاقة لها بالإسلام مطلقاً. ولو أنّ هؤلاء قد فهموا حقيقة الأخوّة العالمية التي أسس لها

[1] - وأما من اعتدى وقاتل فقد وجب عليه القتال.

الإسلام لوجدوا أنّهم أولى بأنّ يهبّوا لمعانقة بعضهم بعضاً في أُخُوّة حميمة صادقة تُزيل خلافاتهم وتحفّزهم جميعاً، بوعي واحد، للتعاون والتكامل ليرفعوا من شأن مجتمعاتهم وأوطانهم وأمّتهم وينصروا قضاياهم ويدفعوا كلّ ظلم وينتصروا لكلّ حق .. ولكن!

ونجد في الحديث السالف ما يشجّعنا بحقّ على حبّ بعضنا بعضاً بأخوّة حقيقية من أية طائفة كنا أو مذهب، منطلقين أولاً من هدي هذا الحديث العظيم فنُعلن اعتبارَ كلّنا بعضنا على بعضنا حراماً: دمنا ومالنا وعِرضنا. فيهبّ **السنّي والشيعي والعلوي والدرزي والاسماعيلي** وغيرهم وغيرهم من أبناء طوائفنا الإسلامية، فيعانق بعضُنا بعضاً بالأُخُوّة التي أسسها الإسلام لنا كمسلمين مصدقين بدعوة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ودينه الإسلام. **وكذلك** نقوم جميعاً مُعانقين **إخواننا المسيحيين** بجميع طوائفهم ومذاهبهم **كإخوة لنا نحبّهم بالإخلاص ذاته الذي نُحبّ به إخوانَنا وأبناءَنا المسلمين من جميع الطوائف الإسلامية المختلفة.**

إنّ على المسلمين ألاّ ينسوا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الذي بيّن فيه أنّ الله قد جعل الخلق كلّهم عيالاً له كالإخوة والأبناء في أسرة واحدة وضرب لهم من نفسه مثلاً ليكون بمثابة الأب الذي يحب من أبنائه أن يكونوا إخوة صادقين ويكون الأحبّ فيهم هو الأكثر خيراً ونفعاً لإخوته الآخرين— عيال الله (خلق الله جميعاً)، يقول الحديث:

(الخلق عيال الله، فأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله) عن أنس في مجمع الزوائد للهيثمي ورواه أبو يعلى والزّاز

(الخلق عيال الله، فأحبّ الناس إلى الله تعالى مَن أحسن إلى عياله) عن ابن عباس في كنز العمال للمتقي الهندي.

* نظرة في بيان قرآني يتعلّق بالطوائف والفِرق

نقرأ في سورة الأنعام بيانَ ربّنا عزّ وجلّ بأنّ أمرَ الفرق والطوائف الذين فرّقوا دينهم عن دين محمّد وكانوا شيعاً مختلفة **إنّما هو إلى الله حصراً** حيث يُنبئهم هو يوم البعث بحقيقة ما كانوا يفعلون ثم يُحاسبهم على أعمالهم الحسنة والسيئة طبقاً لسنّته الحكيمة الرحيمة التي لا يظلم بها أحداً. فلننتبه إلى التعليم الإلهي العظيم التالي حيث يقول تعالى:

﴿إنَّ الَّذِين فَرَّقُوا دِيَنهُم وَكانوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُم في شَيءٍ، إنّما أَمْرُهم إلى الله ثُمَّ يُنَبّئهُم بما كانوا يَفْعَلُون*مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمثالها وَمَن جاءَ بِالسَّيئةِ فَلا يُجْزى إلاّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُون﴾ الأنعام 158-159

تتحدث الآيات هنا عن الذين فرّقوا دينهم عن دين محمّد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم وكانوا شيعاً مختلفة. ويُبيّن لنا الله عزّ وجلّ أنّ كلّ من يفرِّق دينه عن دين محمّد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم فإنّ محمّداً عليه وعلى آله الصلاة والسلام لا يكون منه في شيء—وهذا قرار من الله الملك العليم الخبير. ولا ينطبق هذا البيان على شيعة أو فرقة مُعيّنة، بل هو يطال كلّ مخالف لدين محمّد في أية عقيدة أو ممارسة أو بدعة ليست من الدّين في شيء. ورغم هذا البيان

الإلهي الصريح فإنّ الله تبارك وتعالى يحذّرنا من أنّ أمر هذه الفرق جميعاً إنما هو إليه وحده عزّ وجلّ. وهذا يعني أنّه ليس لأحد أن يكفّرهم أو يُحاسبهم أو يضطهدهم أو يسيء معاملتهم بأيّ شكل كان، وذلك لأنّ أمر العقيدة والمحاسبة عليها إنما هو من خصوصيات الله وحده. ويُبيّن لنا ربنا عزّ وجل في هذه الآيات أنه سوف يتعامل مع هؤلاء الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً بموجب نواياهم وأعمالهم، إذ أنه سيُحاسب كلّ واحد منهم على مقتضى ما يأتي به من الحسنات فيجزيه بعشر أمثالها، أو من السيئات فلا يُجزيه إلاّ بمثلها بغضّ النظر عن فرقته وشيعته، تماماً مثلما يجازي أيّ مؤمن مقبول. ولا يعني هذا أنّ الله سيعدّ الذين فرّقوا دينهم عن دين محمّد مثل الذين تمسّكوا بدينه الحق كما أنزله الله عليه، بل يعني أنّ الله هو أعلم بالقلوب والضمائر والنوايا والحسنات والسيئات، ولذلك فهو وحده الذي يحق له حساب الناس مهما كانت أديانهم وعقائدهم. كما أنّ من المهمّ الانتباه إلى أنّ هذه الآية لا تُشير إلى فرقة دون فرقة، وشيعة دون شيعة وإنما تُشير إلى جميع من فرّقوا دينهم عن دين محمّد وكانوا شيعاً وفرقاً مختلفة من جميع الفرق والمذاهب سواء أكانوا من السنّة أو الشيعة أو غيرهم من أية فرقة أو شيعة كانوا.

وهكذا فإنّ على المؤمنين أن يهتدوا ببيان الله العظيم في أن يتركوا أمر الشيعة والفرق **إلى الله وحده**، وأن يعلموا أنّ حسابهم على حسناتهم أو سيئاتهم سواء في العقيدة أو غيرها **إنما هو من اختصاص الله وحده**.

* نظرة الإسلام إلى اليهود[1]

إنّ الإسلام لا يستثني اليهود **المسالمين** من هذه النظرة الأخوية باعتبارهم بشراً في الأسرة الإنسانية من عباد الله، ولكن **على أساس الشرط الملزِم بالسلام والمسالمة وعدم الاعتداء** على الناس، وهو المبرِّر لدخولهم حَرَم هذه النظرة الإسلامية الرحيمة السمحاء، **وذلك لأن الإسلام لا يسمح للمسلمين بالتعامل مع الناس على أساس ديني أو طائفي أو عرقي**، بل—وكما رأينا— على أساس الأخوّة الإنسانية الشاملة التي أكّدها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في الأحاديث التي رويناها، إضافة إلى الحديث الشريف التالي:

(الناس كلّهم بنو آدم، وآدم خُلق من تراب) عن أبي هريرة في سنن الترمذي وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس وهذا حديث حسن

وباعتبار هذا البيان الإسلامي العظيم تقوم الأُخُوّة الإنسانية الشاملة بين المسلمين والمسالمين ممن لا يعتدون على الحقوق والحُرمات الإنسانية ولا بأقلّ القليل.

* نظرة الإسلام إلى البوذيين والهندوسيين وأهل الديانات الأخرى

يقول ربنا عزّ وجلّ في كتابه المجيد:

---

[1] - المقصـود هنا بـ(اليهود) كأتباع دينٍ ومعتقد باعتبارهم أتباع النبي موسى عليه السلام وأهل الكتاب، وليس الصهاينة المجرمين القتلة الغاصبين الذين لا يؤمن لهم بوعد ولا عهد ولا صلة؛ فقد أثبت التاريخ الإجرامي البشع لهؤلاء حقيقة أنهم أعداءً ألدّاء للجنس البشري بأكمله، فهم لا يهتمّون إلاّ بمصالحهم الدّنيئة التي من أجلها يبرّرون كلّ جريمة وغدر وقتل وسفك دم حتى ضدّ أبناء قومهم وأصدقائهم وأعوانهم، فاحذروا!

﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ فاطر 25

ويقول تبارك وتعالى:

﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكلّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ الرعد 8

ومُبيّناً شمول رحمته وعظمة حكمته، يقول:

﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكلّمَ اللّهُ مُوسَى تَكلِّيمًا *رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ النساء 165-166

ويُبيّن ربنا في القرآن الكريم حقيقةً يُفرّد بها الإسلام والمسلمين بكونهم وحدهم يؤمنون بجميع أنبياء الله تعالى ورُسله، فيقول عزّ وجلّ:

﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كلّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ البقرة 286

وهذا يؤكّد بأنّ ربنا تبارك وتعالى برحمته الشاملة التي وسعت كلّ شيء[1] لم يترك قوماً من البشر دون رسالة أو هداية تنزل على رسول منهم ليكون نذيراً أو بشيراً سواء في آسيا، وأوروبا، وأفريقيا أو حتى لدى الهنود الحمر في أمريكا، أو سكان أستراليا الأصليين. وبقليل من التفكّر نجد أنّ أولئك الرجالات العظام الذين يدين بهديهم ويقدّسهم الملايين من أقوامهم مثل **بوذا وكرشنا وكونفوشيوس وزارادشت وغيرهم، عليهم السلام جميعاً**، ما هم في حقيقة الأمر إلا أنبياء الله

[1] - قال تعالى: {ورحمتي وسعت كلّ شيء{

الكرام ورُسُله الذين أرسلهم إلى أقوامهم. ولا بدّ أنّ الكتب المقدّسة التي بين أيديهم اليوم هي التي كانت، في الأصل، الكتب التي نزلت على أنبيائهم ورسلهم، بغضّ النظر عما تسرّب إليها من تحريفات أدّت إلى حرف عقائدهم التي كانت في الأساس هدايات سماوية من ربّ العالمين. إنّ هذه الحقيقة تؤدّي بالمسلمين إلى النظر إلى هؤلاء الأقوام نظرتهم إلى أهل الكتاب في المعاشرة الطيبة والأكلّ من ذبائحهم والتعاون معهم والإحسان إليهم، إلخ. وأمّا إنكار عقائدهم كلّية والامتناع عن النظر إلى مقدّساتهم بالاحترام الواجب والسعي إلى النيل منها أو التحقير من شأنها فليس من الإسلام في شيء.

* الإسلام يحضّ على بِرّ الكفّار المسالمين

نقرأ في بيان الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم، قول ربنا عزّ وجلّ:

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الممتحنة 9-10

يؤكّد هذا البيان الإلهي العظيم أنّ الإسلام لا ينهى المسلمين عن التعامل بالبرّ والإحسان حتى مع الكفّار والملحدين **المسالمين** الذين لا يتعرّضون للمسلمين والناس بالاعتداء والأذى. جاء في مختصر تفسير ابن كثير:

"أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة، الذين لا يقاتلونكم في الدين"

"وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿**لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الّذينَ لَمْ يُقاتِلوكُم في الدّين**﴾ قال: أن تستغفروا لهم وتبرّوهم وتقسطوا إليهم.." الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي

إذن يلفتُ القرآن الكريم إلى أنّ الله عزّ وجلّ قد سمح للمسلمين ليس بمجرّد التعامل العادي مع الكافرين، بل أيضاً يمكنهم أن يكونوا بارّين بهم، محسنين إليهم، مستغفرين لهم، ويجب أن يكونوا معهم من المقسطين، تماماً كما يجب أن يكونوا مع المسلمين وغيرهم من الناس، لأنّ الله يُحب المُقسطين. ولكنّ هذا التعامل البار مشروط بكون هؤلاء الكافرين مسالمين غير معتدين بأيّ شكل كان.

ومن المدهش اللافت، هنا، استخدام لفظة '**البِرّ**' في شأن الكفّار! حيث نجد في معاجم اللغة العربية:

"البِرّ: بَرّه..أحسن إليه ووصله.. وبَرّ فلانٌ يبِرّ بِرّاً اتسع في الإحسان.. وبَرّ في القول صدق فيه.. والبررة صفة الملائكة..والبِرّ: الصلة والصلاح والخير والاتساع في الإحسان.. والصدق والعدل إلخ."[1]

وإذا كان الإسلام قد نهى حتى عن سبّ الكافر فكيف يُمكن أن يسمح بإيقاع أيّ أذى عليه طالما أنه لا يعتدي على المسلمين ولا يُقاتلهم بأي شكل كان؟

فمن منطلق هذا التعليم الإسلامي العظيم، أقول: إنه يجب على المسلمين أن يتعاملوا حتى مع الكافرين أو الملحدين بكلّ برّ وإحسان، وأن يكونوا صادقين

[1] - أنظر معجم محيط المحيط

معهم صدقاً تامّاً ومُقسطين إليهم تمام القسط. ولا شكّ في أنّ هذا يُفيد في إنشاء وتأسيس علاقة إنسانية طيّبة عسى أن تدفع هؤلاء المسالمين—متأثّرين بالسلوك الإسلامي البارّ—إلى التفكّر بالإسلام ومن ثم قبوله والدخول فيه، أو على الأقلّ الدفاع عن سمعته وسمعة المسلمين ضدّ الدعايات المُغرضة القاتلة.

* الإسلام يعدّ قتل النفس البريئة كقتل الجنس البشري بأكمله

يُشدّد الإسلام على حرمة دماء الناس فيُبيّن أنّ **قَتل النفس البريئة الواحدة يُعادل، عند الله، قتل الناس جميعاً**. يقول ربنا عزّ وجل الذي له الحكم وله الأمر:

﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ المائدة 33

وهذا هو منطق الأمر، إذ إنّ استباحة قتل النفس البريئة الواحدة لا بدّ أن يؤدّي بالناس جميعاً إلى استباحة دماء بعضهم بعضاً بغير حقّ ولا تحقيق عدل، فيتهدّد الجنس البشري بأكمله ويصير الناس جميعاً عُرضة للإفناء الشامل. ولا بدّ من الانتباه هنا إلى أنّ **الآية الكريمة قد عمّمت التحريم بقتل النفس الإنسانية البريئة** دون تخصيص دين أو عقيدة أو عرق أو جنس أو لون—﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْساً**﴾ هكذا ﴿**نَفْساً**﴾ على الإطلاق. وقوله تعالى: ﴿**بِغَيرِ نَفْسٍ أو فَسادٍ في الأرضِ**﴾ أيّ إنّ هذه النفس الحرام يجب ألاّ تكون مطلوبة بجرم القتل أو الفساد في الأرض الذي يُثير فتنةً هي أشدّ من القتل. ولكن من الواضح تماماً أنّ المقصود هنا هو **حُرمة النفس البشرية على الإطلاق** بغض النظر عن الدين أو العقيدة

أو الجنس أو القوم إلخ. **ولهذا فإنّ كلّ قتلٍ في الإسلام حرام إلاّ ما كان دفاعاً عن حقوق الإنسان الأساسية** التي تكون في حمايتها والدفاع عنها حماية للجنس البشري ودفاعاً عن حقوق وحرمات الناس جميعاً، وهي التي أجملها الحديث الشريف بقوله:

(من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد) التخريج (مفصلا): أحمد في مسنده والثلاثة (أبو داود، الترمذي، النسائي) وابن حبان في صحيحه عن سعيد بن زيد تصحيح السيوطي: حسن

نجد هنا أن القصاص بالقتل الحق هو الذي يكون، فقط، في حالة:

1) **الدفاع** عن المال ويدخل فيه أيضاً القتال دفاعاً عن الأرض والوطن وكلّ ما يملك الإنسان فيهما وعليهما.

2) **الدفاع** عن النّفس.

3) **الدفاع** ضدّ القوى التي تُريد أن تفرض، بالإكراه، ديناً أو مُعتقداً على الناس، أو تسعى لأن تمنعهم من حرية الاعتقاد أو ممارسة عباداتهم[1].

4) **الدفاع** عن الأهل وأبناء الوطن جميعاً ضدّ كلّ معتد. ويشرح هذا قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم الذي يُضيف إلى ما سبق: **(من قُتل دون أخيه**

---

[1] - بشـرط ألاّ يكون في ممارسة العقيدة المعنية أيّ أذى للناس أو اعتداء عليهم بحجة الدين والمعتقد. لأنّ دين الله عموماً يحرّم الأذى ولا يُبيحه مُطلقاً.

فهو شهيد، ومَن قُتل دون جاره فهو شهيد). ابن عساكر عن علي / السيوطي صحيح

لا شكّ في أنّ القانون، أيضاً، يُبيح الدفاع عن النفس والأرض والمال والعرض والعقيدة ضدّ أيّ مُعتد، ويُعاقب المعتدين عليها—**شريطة ألاّ يأخذ هذا الدفاع منحىً اعتباطياً يتجاوز القوانين والأعراف والحقوق العامّة. بل لا بدّ من العمل ضمن قوانين البلاد وفي ظلّ السلطات المخوّلة بتطبيقها والعمل على تنفيذها.**

وأمّا القتل خارج هذا التشريع الإلهي العظيم وتحت أيّ عُذر كان فهو خروج عن الشريعة والقانون وجريمة فاضحة في حقّ البشرية والنفس التي حرّم الله قتلها إلاّ بالحق، قال تعالى:

﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾ الأنعام 152

وعلى الناس عموماً، والمسلمين خصوصاً، أن يحذروا أشدّ الحذر من الوقوع في الدّم الحرام، وإلاّ فإنّهم لن يخسروا أنفسهم وأهليهم وحقوقهم فحسب، وإنما سيخسرون دينهم ذاته؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

(لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ولا شكّ في أنّ الدّم الحرام هو ما بيّن الله تفصيله في قوله تعالى:

﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ المائدة 33

وهذا يعني أنّ الدم الحرام هو قتل أيّ نفس مسالمة بريئة لم يصدر عنها أي

عدوان أو أذى يستحق القصاص الشرعي والقانوني العادل.

* تعريف تمهيدي للفظة "مؤمن"

وكما ذكرنا سابقاً فإنه يُفيد المسلمين كثيراً أن يتبيّنوا من جديد المفاهيم الحقة للفظتي "**مسلم**" و "**مؤمن**" على ضوء اللسان العربي وبيان القرآن الكريم وشروح سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم في أحاديثه الشريفة.

في معجم (**مفردات ألفاظ القرآن الكريم**) للأصفهاني نقرأ:

"أمِنَ: أصل الأمن طُمأنينة النفس وزوال الخوف. والأمن والأمان والأمانة في الأصل مصادِر... وآمَنَ: إنما يُقال على وجهين:

* أحدهما متعدّياً بنفسه، يُقال: آمَنتُه، أي جعلتُ له الأمن، ومنه قيُل لله: **مؤمِن /أي جاعِلُ الأمن للعباد**/[1]

* والثاني غير مُتعدّ: أي **صار ذا أمنٍ**".

وفي ابن كثير عن ابن عباس في شرح معنى اسم الله "**المؤمن**"، قال:" **أي أمِنَ خلقَه من أن يظلمهم**"

وفي مُعجم **لسان العَرب** يقول ابن منصور:

" أمِنَ: الآمان والأمانة. وقد أَمِنتُ فأنا آمِنٌ. وآمَنتُ غيري من الأمن والأمان.

آمّنَ فُلانٌ العدوَّ إيماناً، فأمَنَ يأمَنُ، والعدوُّ مُؤمَنٌ." أي مؤمَنٌ بالنسبة لنا وهو مؤمِنٌ لنا."

---

[1] - هذا الشرح بين المعترضتين من المؤلّف.

ونقرأ في حديث لسيدنا خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم **تعريفاً للمؤمن** يقول فيه:

(**المؤمِن**: **من أمِنه الناس على أموالهم وأنفسهم**) حديث حسن في ابن ماجة عن فضالة بن عبيد

وهو هنا **من الأمن والأمان**.

وفي حديث آخر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يعرّف فيه المؤمن، قال:

(**المؤمن**: **من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفُسهم**) أورده ابن منظور في لسان العرب عن ابن عُمر وثمة روايات تقول (من أمنَه) وهي تؤدي المعنى ذاتُه.

وهو هنا من **الأمانة**، يقول تعالى:

﴿**فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ**﴾ البقرة 184

وإلقاء السّلم والسلام إعلام بالأمن، يقول تعالى:

﴿**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً**﴾ النساء 91

جاء في ابن كثير: "﴿**وَأَلْقَوا إلَيْكُمُ السَّلَمَ**﴾ أي المُسالَمة" ولا شكّ في أنّ المسالمة هي السلام؛ وبهذا نستطيع فهم قوله تعالى:

﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**﴾ النساء 95

أي يجب أن تعدّوا من ألقى **إليكم**[1] السَّلام **مؤمِناً** مسالماً.

وأورد صاحب لسان العرب أنّ " أبا جعفر المدني قرأها: **لستَ مؤَمَناً، أي لا نؤَمّنك**"
مادة مؤمن . مؤمناً

وهكذا نجد من بيان اللسان العربي والقرآن الكريم تأييداً لبيان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأنّ لفظة المؤمن بالإضافة إلى أنهاّ تُشير إلى المؤمِن المصدِّق بدين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، **ولكنها تُطلق أيضاً**—وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على كلّ **(من أمِنه الناس على أموالهم ودمائهم)** ويؤكّد القرآن الكريم على هذا المعنى باعتبار أنّ المؤمن هو أيضاً من يُلقي السلام إلى المسلمين فيُسالمهم بحيث يأمَنون منه على أموالهم وأنفسهم. **وهذا لا علاقة له بالإيمان المتعلّق بتصديق دين الله وكتابه ورسوله. بل بالمسالمين الذين يأمنهم المسلمون على أموالهم وأنفسهم فهم مؤمِنون من الأمان.**

* وقفة تفكّر هامّة جداً

يقول ربّنا عز وجلّ في كتابه المجيد:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء 94

يجب علينا، كمسلمين، أن نُلاحظ ونتذكّر أنّ لفظة: "**مؤمن**" لا تعني المسلم

[1] - إليكم، وليس عليكم.

المسالم وحسب[1]، بل—وكما بيّنا آنفاً—فهي تعني أيضاً **كلّ مسالم يأمَنه الناس على أموالهم وأنفسهم**. بغضّ النظر عن دينه وعقيدته –بشرط أنّه يتعامل مع المسلمين بالسلام والأمان فهو "**مؤمن**". ودليلنا في ذلك هو أنّ **الإسلام لا يُبيح قتل غير المؤمنين**[2]، وإنما، فقط، يسمح بالقتال **والدفاع عن النفس ضدّ المعتدين** سواء أكان **هؤلاء المعتدون مؤمنين مسلمين** من أتباع محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، أو غير مسلمين طالما أنّهم باغون معتدون. قال تعالى:

﴿وإنْ طائفتانِ مِنَ المؤمنينَ اقتتلوا فَأَصْلِحوا بَينَهُما، فإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلى الأُخْرى فَقاتلوا التي تَبغي حَتى تَفيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ﴾ الحجرات 10

وجاء في القرآن الكريم قول الله تعالى في سورة البقرة 76 عن اليهود: **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤمنوا لَكُمْ﴾** وجاء في تفسير ابن كثير: أي "**ينقادوا لكم بالطّاعة**" وهذا لأنّ **معنى آمن له: "خضع وانقاد له"**./ أقرب الموارد. ومن قوله تعالى: **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤمنوا لَكُمْ﴾** أي أن يصيروا **مؤمنين لكم**، أي منقادين بالطاعة وبالتالي مسالمين أيضاً. ومن هذا البيان أيضاً نجد أنّ **المؤمن: هو أيضاً المسالم المنقاد بالطاعة والخضوع وغير المتمرّد على أمن المسلمين والناس وسلامهم**، وهو الذي بحسب بيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: **(من أَمِنَهُ الناسُ على أموالهم وأنفسهم)** —كما في الحديث الشريف. والآن نستطيع

[1] - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: **(المؤمن من أمِنه الناس على أموالهم و أنفسهم)** حسن في ابن ماجة عن فضالة بن عبيد.

[2] - عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: **(لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

فهم الموقف الحق للإسلام من القتل.

* الإسلام يعدّ قتل النفس البريئة أعظم عند الله من زوال الدنيا

الآن وبعد أن فهمنا معاني لفظتي "**مسلم**" و "**مؤمن**" في سياقهما نستطيع أن نُدرك حقيقة تشديد الإسلام على حُرمة وبشاعة قتل النفس البريئة المسالمة للناس والمؤمنة لهم، بغض النظر عن الدين أو الطائفة أو المعتقد.

ولقد جاء هذا البيان المشدّد في سلسلة أحاديث لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، حيث نقرأ في النسائي عن عبد الله بن عمرو، حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، يقول:

(لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مُسلم) النسائي عن عبد الله بن عمرو

لماذا "رجل" مسلم؟

وهل قتل المرأة المسلمة مُباح؟

ألم يكن يكفي أن يقول: أهون عند الله من قتل مُسلم، فيعني بذلك المسلم والمسلمة معاً؟

وهل قتل الرجل غير المسلم مُباح؟! قطعاً لا!

لقد قال ذلك لأنّه يعني بـ "**الرجل المسلم" الرجل المسالم، أي غير المُقاتل**، ولأنّ المرأة لا تكون عادة مُقاتلة فلم يذكرها.

ثم ألا يجوز قتل[1] "**الرجل المسلم**" إن كان قاتلاً لنفس بريئة أو مفسد في الأرض عملاً بقول الله تعالى:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾ المائدة 33

وفي حديث أخرجه الترمذي عن أبي الحكم، قال: سمعت أبا سعيد الخدري، وأبا هريرة يذكران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

(لو أنّ أهل السماء، وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن، لأكبهم الله في النار) وأخرجه الحاكم في "المستدرك"

وجاء في النسائي وابن ماجه والضياء عن بريدة، وسنده حسن، في حديث رواه ابن ماجه عن البراء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم، يقول:

(لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق). النسائي وابن ماجة بسند حسن/ وفي الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات

وكما بيّنا آنفاً فإنّ المؤمن أيضاً هو—كما بيّن رسول الله[2]—من يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، وهذا يعني أنّ الحديث **يحذّرنا من أنّ قَتْل الرجل المسالم الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم هو قَتْلُ نفس بريئة بغير نفس أو فساد في الأرض، ولذلك هو أشدّ عند الله من زوال الدنيا**. إذا لا مبرّر لقتل النفس البريئة تحت أيّة حجة كانت ومهما كان معتَقَد صاحبها أو دينه سواء

---

[1] - بناء على حكم قضائي شرعي.

[2] _ صلى الله عليه وآله وسلّم

أكان مؤمناً مسلماً من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، أو من أهل أي دين أو معتقد آخر.

وجاء في رواية أخرى قول النبي الرؤوف الرحيم:

(والذي نفسي بيده، لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا) النسائي باب تعظيم الدم

وجاء في شرح هذا الحديث: " يُفيد هذا الكلام من تعظيم القتل وتهويله وتقبيحه وتشنيعه ما لا يُحيطه الوصف"

وفي شرح للحديث في مسند ابن ماجة، نقرأ: "(لزوال الدنيا): الكلام مسوق لتعظيم القتل وتهويل أمره".

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

"(من أعان على قتل المسلم ولو بشطر كلّمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله)" في ابن كثير

ولا شكّ في أنّ هذه الأحاديث الشريفة تقصد تحريم النفس البريئة عموماً بغضّ النظر عن الدين أو العقيدة، وأنّ **لفظة المسلم أو المؤمن إنما تعني المسالمين وال (مؤمنين–الآمنين) من الناس.**

ويحذِّر ربّنا عزّ وجلّ من أنّ الخلود في نار جهنّم هو جزاء قتل المسالم الآمن من الناس، فيقول:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ

عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء 94

وروي عن ابن عباس أنه قال:

("والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: ثكلَته أمه قاتلُ مؤمنٍ متعمداً، جاء يوم القيامة أخذه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن، يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني"). أورده ابن كثير وأخرجه ابن جرير عن سالم بن أبي الجعد

ومما يؤكّد أن هذا الحديث يقصد أيضاً قاتل النفس عموماً الحديث التالي الذي ورد في كنز العمال في المجلّد الخامس عشر، الفصل الرابع، تحت عنوان **(وعيد قاتل النفس)** حيث نقرأ الحديث بالرواية التالية:

(يجيء المقتول[1] بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما فيقول: يا رب سَل هذا فيم قتلني حتى يدنيه من العرش). في الترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس.

وهكذا نجد أنّ تحريم قتل المؤمن ينسحب على تحريم قتل النفس الآمنة البريئة عموماً، ومن الناس جميعاً مهما كان صاحبها أو عقيدته. **وأنّ المقصود بلفظة "المؤمن" في هذا السياق هو المسالم الآمن الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم بغض النظر عن دينه أو عقيدته حتى ولو كانت الكفر والإلحاد.**

[1] - المقتول عموماً بغض النظر عن دينه ومعتقده.

* المؤمن لا يفتك ولا يغتال

بما أنّ الإسلام لا يُبيح إلاّ القصاص بيد السلطات المختصة، أو القتال دفاعاً عن الوطن والحرمات، فقد أكّد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّ المؤمن الحق لا يتورّط في اغتيال أحد من الناس أو الفتك به، فقال:

(الإيمانُ قيَّد الفتكَ، لا يفتكُ مؤمنٌ). التخريج (مفصلا): البخاري في التاريخ وأبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة أحمد في مسنده عن الزبير، و أبو داود عن معاوية. تصحيح السيوطي: حسن

وجاء في شرح الحديث:

"أيّ أنّ الإيمان يمنع الفتكَ كما يمنع القيدُ عن التصرّف فكأنّه جعل الفتكَ مُقيَّداً" النهاية لابن الأثير

وجاء في لسان العرب:

" (**لا** يفتك مؤمنٌ)، قال أبو عبيدة: الفتك أن يأتي الرجل صاحبه وهو غافل حتى يشدّ عليه فيقتله"

وجاء في شرحٍ في صحيح مسلم:

"(**يفتك**) هو الأخذ في غفلة وخديعة".

ويشرح الإمام المناوي صاحب (الفيض القدير) معنى الحديث فيقول:

"(**لا يفتك مؤمن**)، خبر بمعنى النهي لأنه متضمن للمكر والخديعة"

ثمّ يبيّن أنه يفهم هذا الحديث باعتبار أنه وقائع مخصوصة بأمر سماوي فيقول:

"أو هي وقائع مخصوصة بأمر سماوي لما يقع في المفتوكين من الغدر وسبّ الإسلام وأهله ... وقال الزمخشري: الفرق بين الفتك والغيلة –أي الاغتيال– أنّ الفتك أن تهتبل (أي تتحين وتغتنم) غرّته (أي غفلته) فتهلكه جهاراً؛ والغيلة أن تكمن له في محلّ فتقتله خُفية. **والظاهر أنّ المراد في الحديث هما معاً**". فيض القدير

وهكذا نجد أنّ الإسلام لا يُحرّم القتل الغادر بالفتك والاغتيال فحسب، بل لا يعدّ الفاتك أو المغتال مؤمناً، لأنّه لو كان مؤمناً لقيّده إيمانه عن الفتك الغادر والاغتيال الجبان. ويمكن تبيّن حقيقة نفي صفة المؤمن عن الفاتك من بيان الحديث ذاته حيث يقول (**لا يفتك مؤمن**)؛ أي أنّ الذي يفتك **لا يكون مؤمناً**، بل **فاتكاً غير مؤمن**.

وهذا —كما بيّنا آنفاً— تحريم قاطع باتّ لجميع أنواع القتل والغدر والاغتيال، بأيّ شكل كان، ولأيّ من الناس، إلاّ فيما كان قصاصاً بيد الحكّام أو قتالاً واضحاً، على سواء، في دفاعٍ عن الأرض والوطن والمواطنين وكافّة حقوقهم وحُرماتهم؛ وهذا لأنّ الغدر والخيانة حرام في الإسلام بأمر الله تعالى وفي كتابه المجيد، حيث يقول:

﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ**﴾ الأنفال 59

وهكذا نجد من البيان الإلهي العظيم بالإضافة إلى هَدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّ الإسلام قد شدّد بتهويل كبير على تحريم قتل النفس الآمنة المسالمة.

وبناءً على ما رأينا من بيان فإنّ على المسلمين وغيرهم أن ينتبهوا إلى لفظتي "**المسلم**" و"**المؤمن**" في هذه الوثائق الإسلامية جيداً، وأن لا يفهموهما خارج سياقهما وألاّ يحصروا معناهما، فقط، بالفرد من أتباع دين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم إلاّ بالدليل والبرهان الحق. وإلاّ فإنّ هذا الفهم القاصر يسيء جداً إلى الإسلام والمسلمين ولا يستقيم مع عقيدة المسلم الحقّة مطلقاً.

وإننا، على ضوء هذا البيان، نستطيع، باطمئنان كامل، أن نتبيّن بكلّ جلاء ووضوح أنّ الإسلام:

1) يحرّم أيّ قتلٍ خارج القصاص الشرعي بيد الحكام والسلطات المختصة

2) أو خارج القتال في ميدان الحرب دفاعاً عن الوطن والمواطنين وكلّ ما يتعلّق بحقوقهم وحُرماتهم.

3) ولذلك، فإنّ قتل المسالمين والآمنين من الناس باسم الجهاد والدين والمعتقد إنما هو، في نظر الإسلام، جريمة نكراء وإرهاب أكيد.

4) ولذلك أيضاً فإنّ الإسلام لا يُبيح خلط الأمور بحيث يُقتل المسالمون الآمنون انتقاماً من المجرمين أو المقاتلين ولو في دار الحرب[1] يقول ربُّنا الملك الحق المبين: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام 147

* الإسلام ينهى عن إرهاب وترويع الآمنين

[1] - أنظر (الإسلام يوصي بحماية الناس والبيئة حتى في دار الحرب) / الفصل التاسع من هذا الكتاب

لا يقتصر الإسلام على تحريم قتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق، بل إنه يمتد شمولاً في رحمته الواسعة فينهى عن تخويف وترويع المسالمين الآمنين من الناس. جاء في الحديث الشريف عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال:

(من أخافَ مؤمناً بغير حقّ، كان حقّاً على الله أن لا يؤمنه من أفزاع يوم **القيامة)** عن ابن عمر في فيض القدير للإمام المناوي.

ونقرأ في حديث آخر، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم:

(من روّع مؤمناً لم يؤمن الله روعته يوم القيامة) في البيهقي عن أنس

وقال عليه وعلى آله الصلاة والسلام:

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يروّعن مسلماً) الجامع الصغير وفي الطبراني الكبير عن سليمان بن صرد

وقال:

(لا تُروّعوا المسلم فإنّ روعة المسلم ظلم عظيم) في الطبراني عن عامر بن ربيعة

ولا شكّ في أن جميع هذه الأحاديث تنهى عن ترويع المسالمين الآمنين من الناس سواءً أكانوا مسلمين من أتباع محمد أو من أتباع أيّ دين آخر كما برهنا آنفاً، وإلاّ **فمَن يقول أنّ الإسلام يبيح إرهاب الناس وترويعهم إن لم يكونوا مسلمين؟!**

* طاعة أولي الأمر واحترام قوانين الحُكام

جاء في بيان ربنا عزّ وجلّ في كتابه الحكيم أمراً مُبينا ومُفصّلاً يقول فيه:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ النساء 60

نجد في هذا البيان الإلهي العظيم أنّ الله عزّ وجلّ يأمر المؤمنين:

1) بأن يطيعوا الله.

2) وأن يُطيعوا رسوله.

3) وأن يُطيعوا **أولي الأمر** منهم.

ولا شكّ في أنّ طاعة الله ورسوله تعني طاعة جميع ما جاء في كتاب الله المجيد وصحّ في أحاديث رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وسنته الشريفة. وهذا يعني الالتزام بالطاعة في كلّ أمر أو حُكم يأتي عن هذين المصدرين بحق. ولكن كيف يمكننا أن نفهم الأمر بطاعة أولي الأمر؟

إنّ التعبير "**أولي الأمر**" يعني ذوي الأمر وأصحابه الذين يرجع عنهم الأمر[1]، ولاشك في أنهم الحكّام سواء أكانوا خلفاء أو أمراء، ملوكاً أو سلاطين، قادة أو رؤساء، لأنّ هؤلاء هم الذين يكونون عادة على رأس الأمر في أقوامهم وبلادهم، ويتميّزون بإصدار الأوامر باستمرار لتنفيذ القوانين وتسيير أمور البلاد وشؤون الرعايا، ولذلك فقد أُطلق عليهم أولي الأمر.

[1] - أنظر مادّة آلَ في محيط المحيط وتفسير الرازي

والآن كيف نفهم أمر الله بوجوب طاعة المؤمنين لأولي الأمر؟

يزعم بعض المسلمين بأنّ الطّاعة لا تجوز إلاّ للحاكم المسلم! ولكننا إذا تدبّرنا هذا الأمر الإلهي في القرآن المجيد نتأكّد من خطأ هذا الفهم وتتبيّن لنا خطورته البالغة، كما نجد في الإشكالات التالية:

* الإشكال الأول

إذا صحّ الزعم بأنّ الله سبحانه وتعالى يأمر المسلمين بأن لا يُطيعوا إلاّ الحاكم المسلم، فهذا يعني أنّ طاعتهم للحاكم غير المسلم أو لقوانينه هي حرام عليهم، وسينتج عن هذا أنّ المسلمين لا بدّ أن يكونوا—في جميع بلاد العالم التي لا يحكمها حُكّام مسلمون—من العُصاة فيما لو أطاعوا أوامر حُكامها أو قوانينهم؛ وهذا، بدوره، سيؤدّي إلى اعتبار العالم الرعايا المسلمين أو الزائرين خارجين عن القانون بحكم عقيدتهم في عدم جواز طاعتهم لأوامر وقوانين تلك البلاد. إذ سيقول أهلها بأنهم لا يستطيعون أن يأمنوا المسلمين الذين يعدّون طاعة حكامهم— هم (غير المسلمين) — وقوانينهم حراماً. وهذا سيؤدّي بأهل دول العالم غير الإسلامي إلى عدم الإحساس بالثقة والأمان تجاه أيّ مسلم. كما أنّ ذلك سيحفّزهم لمواجهة خطر مخالفات الرعايا والزائرين المسلمين للقوانين المتعلّقة بسلامة وأمن بلادهم ومواطنيهم؛ وهذا بدوره سيجعل دول العالم غير الإسلامي تتعامل مع دول العالم الإسلامي ورعاياه المسلمين بشكل عدائيّ شاذّ ومسيء؛ ويجب أن نعترف بأنّ هذا ما يحصل فعلاً!

فهل يستطيع مؤمن واحد أن يُصدّق بأنّه يمكن لله سبحانه وتعالى أن يأمر المسلمين أمراً يجعلهم بتطبيقه منبوذين وخارجين عن القانون في نظر أهل بلاد العالم غير الإسلامي قاطبة؟!

* الإشكال الثاني

والإشكال الثاني ينتج عن السؤال التالي: ماذا لو كان الحاكم غير المسلم يأمر بأمر فيه طاعة لله كالالتزام بحقوق المواطنين، أو نظافة البيئة والحفاظ على صحّة الناس أو أيّ خير آخر، فهل يرفض المسلمون مثل هذه الأوامر بدعوى أنّهم لا يستطيعون أن يُطيعوا أمر الحاكم إلاّ إذا كان مُسلماً؟!

* الإشكال الثالث

ثم ماذا لو أمَرَ **الحاكمُ المسلمُ** المسلمين بأمرٍ فيه معصية لله، فهل يُطيعه المسلمون لمجرّد أنّه من أولي الأمر المسلمين؟

مطلقاً! فقد أكّد سيَدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بأنّه:

(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) أخرجه ابن شيبة عن عمران بن حصين وهو في الدرّ المنثور

نجد من هذا الحديث أنّ الأساس من هذا الأمر الإلهي هو أنّ طاعة الله ورسوله هي الأَوْلى وتأتي في المقام الأعلى والأوّل ولا تجوز مخالفتها ولا عصيانها لأيّ سبب كان. ولكن كي لا يظنّ المسلمون بأنّ الالتزام بطاعة الله ورسوله وحدها كافية لقيادة المجتمعات البشرية من غير وجود حاكم يدير شؤون الناس في البلاد،

بحيث يكتفي كلّ فرد بالتصرف بمفرده على ضوء طاعته لله ورسوله، فقد أكّد على أنّ طاعة الحكّام وقوانينهم في جميع البلاد واجبة، لأنّ فيها نظام المجتمعات وخيرهم وتسهيل أمورهم ورعاية مصالحهم، شريطة ألاّ تختلط هذه الطاعة بمعصية الله ولا رسوله لأنها هي الأَولى والأساس.

ومن المعلوم أنّ حُكام البلاد عموماً يسنّون قوانيناً القصدُ منها رعاية أحوال ومصالح الناس في بلادهم وحمايتهم من أية أخطار يمكن أن تُهدّد أمنهم وحقوقهم ومصالحهم. وكيف يمكن للمسلم ألاّ يلتزم بمثل هذه القوانين ويطيع أحكامها بحجة أنّ الحكام الذين سنّوها أو أقرّوها غير مسلمين؟!

فهل يرفض المسلمون من رعايا بلد غير إسلامي طاعة رؤسائهم وحكّامهم في الدفاع عن بلدهم بحجّة أنّ حكّامها غير مسلمين ولا تجوز طاعتهم؟!

ولو تفكّرنا قليلاً لوجدنا أنّ جمع طاعة "أولي الأمر"، في هذه الآية الكريمة، مع طاعة الله وطاعة رسوله، إنما يؤكّد على الأهمية القصوى لطاعة الناس عموماً والمسلمين خصوصاً لحكّام وقوانين بلادهم بشرط ألاّ يكون فيها معصية لله كظلمٍ أو عدوان أو انتهاك لأيّ حقّ من حقوق الله والعباد.

* التعليم القرآني في طاعة قوانين الحاكم غير المسلم وحكمه

نقرأ في سورة يوسف في القرآن الكريم تعليماً حكيماً يتعلّق بسلوك الأنبياء في احترامهم لقوانين الحاكم غير المسلم وأمره. يذكر ربُنا في هذه السورة النبيَّ يوسف عليه السلام، فيقول:

﴿**كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كلّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ يوسف 77

جاء في تفسير " الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور" للإمام جلال الدين السيوطي:

"﴿**ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ في دينِ المَلِك**﴾ يقول: في **حُكم** الملك".

وفي تفسير ابن كثير نقرأ:

"أي لم يكن له أخذه **في حُكم ملك مصر**، وإنما كان يعلم ذلك من **شريعتهم** /أي قانونهم/ ولهذا مدحه الله تعالى وقال: ﴿**نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاء**﴾ وقال: ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليم**﴾" مختصر ابن كثير للصابوني.

نرى من هذا البيان القرآني العظيم ومن فهمِ علماء المسلمين الأفاضل له أنّ ربنا عزّ وجل يُعلّمنا أنّ سيّدنا يوسف عليه السلام، باعتباره نبياً، **ما كان ليخالف شريعة وقانون وأمر فرعون أو عزيز مصر** فيأخذ أخاه كما يشاء ضارباً بعرض الحائط بأمرِ حاكم البلاد وقانونه. وهذا تعليم قرآني مُبين ينبغي على جميع المسلمين تبيّنه والانتباه إليه، حيث نجد في هذا البيان درساً قرآنياً عظيماً: وهو أنّ الإنسان **إذا ما أقام في بلد ما فعليه أن يطيع قوانين مَلِكه أو رئيسه أو حاكمه**؛ فلقد كان يوسف عليه السلام نبيّاً، ولكنه كان مُطيعاً لقوانين عزيز مصر؛ ويؤكّد القرآن على تقوى ونزاهة يوسف عليه السلام في تصرّفه حيال قوانين وأوامر الحاكم فيقول بأنه ما كان يليق بيوسف، كنبيّ، أن يأخذ أخاه بالقوّة من رجال الحاكم—رغم مكانته—مخالفاً بذلك قانون البلد الذي يعيش فيه. مما يعني **أنّ عيش النبي مُطيعاً لقانون حكومةٍ أو مَلكٍ لا يتنافى مع مكانته**

الروحانية، بل العكس هو الصحيح. وهذا يُذكّرنا بتعليم المسيح عليه السلام لأتباعه عندما سألوه فقال:

﴿ **أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله** ﴾ متى 22:21

* برهان من هدي الحديث الشريف

وإذا ما تذكّرنا شهادة سيدنا خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم بملك الحبشة النصراني حين أمر بعض أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة قائلاً:

(إنّ بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلَم أحد عنده...الحديث) البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة

إنّ شهادة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بملك الحبشة الذي لم يكن مُسلماً تُعلّمنا من ضمن ما تُعلمنا:

1) بأن نشهد لجميع الناس بالحق والعدل مهما كان دينهم أو عقيدتهم.

2) بأنّ نثق بأصحاب الحق والعدل ونأمن لهم ونشهد لحكمتهم ونأخذ بها حتى لو لم يكونوا مسلمين، فالمسلم يشهد بالحق، والحكمة ضالّة المؤمن.

3) بأن ثمّة من الملوك غير المسلمين من تقوم قوانينهم وتشريعاتهم على الحق والعدل حتى لو لم يكونوا مسلمين.

4) بأنّ احترام قوانين الحكام العادلين وطاعتهم واجبة على رعاياهم المسلمين حتى لو لم يكونوا مسلمين؛ إذ هل كان من الممكن أن يأمر النبي الكريم محمد

صلى الله عليه وسلّم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة والالتجاء إلى ملكها النصراني العادل ثم يقول لهم ولكن لا تُطيعوا أمره ولا تُنفّذوا قوانينه لأنه ليس من أولي الأمر (المسلمين) منكم؟!

وهكذا نجد من بيان الإسلام العظيم أنّ طاعة أولي الأمر بصدقٍ وإخلاص ودون ما أيّ غش سواء في الظاهر أو الباطن—بشرط ألاّ يكون في طاعتهم معصية لله—هو أمر إلهي عظيم فيه خير المسلمين خصوصاً والبشرية عموماً، وعلى المسلمين أن يُطبقوه ويُعلّموه ويُعلنوه في العالم كلّه ودول الأرض جميعاً.

ولربما نستطيع الآن وعلى ضوء ما تقدّم من بيان أن نفهم هدي الإسلام في أحاديث سيدنا خاتم النبيين بشكل أفضل:

أخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله ﴿**وأولي الأمر منكم**﴾ قال: قال أبي: هم السلاطين قال:

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(**الطاعة الطاعة، وفي الطاعة بلاء**). وقال:

(**لو شاء الله لجعل الأمر في الأنبياء**[1]).

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن أبي أمامة، قال:

(**سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فقال:** اعبدوا **ربكم،**

[1] - لو تفكّرنا في هذا الحديث الهائل لكفانا.

وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم".

وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**".

* حُبّاً بالوطن الغالي

وأحبّ في هذا المقام أن أذكر حديث رسول الله ورحمته إلى العالمين سيدنا خاتم النبيين محمد العربي صلى الله عليه وآله وسلّم الذي يقول فيه:

(حبّ الوطن من الإيمان)

وأتساءل كيف يكون حبّ الوطن دون الحبّ الحقيقي لأبنائه من جميع المواطنين بلا تفريق؟

وكيف يكمل إيمانُ المؤمن بدون حبّه الصادق لجميع إخوته أبناء وطنه؟

وهل يجتمع الحب وحافز التربّص والتمرّد للسيطرة والأذى في قلب المؤمن بحجة التدين والتقوى والحماس لمذهبٍ أو لفكرٍ ما أو لرؤوسه؟ أم أنّ الشاغل الأقوى في وجدان كلّ مؤمن حقٍّ هو نشر سلام دين الله وأمنه بين أبناء الأمّة والوطن، ومن ثمّ الانطلاق بهذا السلام حمامة بشرى للناس جميعاً، حيث الشعار فيه: "**الحبّ للجميع، ولا كراهية لأحد**".[1]

---

[1] - أطلقَ هذا الشعار حضرة ميرزا ناصر أحمد—الخليفة الثالث في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.

كما أحُبّ في هذا المقام أن أذكر هَدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في حديثه الشريف الذي يقول فيه:

(حُبّ العرب إيمان، وبُغضهم نفاق) المستدرك في المناقب عن ابن أنس وقال الحاكم: صحيح

وأقول هذا شرف ساقه إلينا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بفضل الله تعالى ورحمته. وهو شرف يوجب علينا أن نكون مثالاً لأمم الأرض جميعاً في نشر الحب والخير والأمن والأمان والسلام الحق في بلدنا ووطننا والعالم أجمع. وبذلك نكون جديرين بالحب الذي دعا سيدُنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام الناسَ ليولونا إيّاه حُبّاً بكتاب الله الذي نزل للعالمين باللسان العربي، وحباً بالنبي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

ولكن من الخطورة البالغة أن **ننسى** تعليم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الذي يقول فيه:

(يا أيها الناس إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ فليبلغ الشاهد الغائب). في كنز العمال عن جابر

هذا سلام الإسلام؛

وهذا أمنه وأمانه لبلادنا وأمتنا، ولدول وشعوب العالم قاطبة؛

هدية من الله ربّ العالمين؛

ورسوله الصادق الأمين؛

ورحمته إلى الناس أجمعين—سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم وبارك، في العالمين إنه حميد مجيد.

* دعوة وبلاغ

من منطلق هذا البيان الإسلامي العظيم، وسعياً لنشر الوعي الإسلامي السليم، وتداركاً لما فات من أخطاء وأخطار في دولة أو أخرى من وطننا العربي والإسلامي وغيره، وحرصاً على صون كنوز وطننا وأمتنا وأرواحنا وأموالنا وقُدراتنا، فإنني أدعو علماء العالم الإسلامي جميعاً من سائر الطوائف والمذاهب الإسلامية في جميع أرجاء العالم الإسلامي، أن يأخذوا سلامَ الإسلام وأمنه وأمانه **مأخذ الجد** فيُعلنوا لجميع أتباعهم بشجاعة وجرأة وبلاغة ووضوح، دون أي لبس أو مواربة:

1) أنّ جميع الفرق والطوائف الإسلامية في الوطن والعالم كلّه هي من الجسد الإسلامي الواحد الذي يجب صَوْن وجوده وسُمعته وسلامة بنيانه.

2) وأنه لا يجوز التعرّض للمسالمين من أبناء أيّ من هذه الطوائف بأيّ شكل من أشكال الأذى، لا باليد ولا باللسان ولا بأيّ طريق آخر؛ لأنّ كلّ المسلمين على المسلمين حرام: دماؤهم وأموالهم وأعراضهم عملاً بحديث رسول الله ورحمته إلى العالمين سيدنا محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام الذي يقول:

(كلّ المسلم على المسلم حرام: ماله وعرضه ودمه) في أبي داود وابن ماجة عن أبي هريرة

3) وأنّ هذه الحُرمة تشمل أيضاً وبشكل كامل جميع المسالمين من أهل العقائد والأديان الأخرى من مسيحيين وكتابيين وغير كتابيين، حيث إنّ حرمة دمائهم

وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم هي كحرمة دماء وأموال وأعراض وحقوق المسلمين تماماً تماماً.

4) وأنّه بناءً على بيان الله عزّ وجل ودستوره في حريّة المعتقد، في أمره البالغ: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾، وقوله الحكيم: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُر**﴾ فإنّ هذه الحرمة تشمل أيضاً جميع المشركين والكافرين والملحدين المسالمين الآمنين الذين لا يعتدون على المسلمين ولا أوطانهم ولا مواطنيهم من أي جنس أو عقيدة أو لون بأي شكل كان.

5) وأنّ حبّ الوطن، في أي مكان من الأرض، من الإيمان والدفاع عنه واجب في ظلّ أولي الأمر مهما كانت عقيدتهم.

6) وأن طاعة أولي الأمر واحترام وتطبيق قوانين البلاد واجب إيماني لا يجوز إنكاره إلاّ فيما يَفرض معصية أو يَغتصب حقّاً.

7) والتأكيد على قول الله تعالى بأنّه:

﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾.

8) وأنّ على المسلمين ألاّ يحرصوا فقط على عدم قتل النفس؛ وإنما عليهم أيضاً أن يسعوا إلى إحيائها بالحق والعدل وخير الحكمة.

والحمد لله ربّ العالمين ..

الفصل السادس

الإسلام ـــــ السلام

* الله السلام

وبما أنّ الإسلام يعني أيضاً: السّلم فهذا يعني أنّه السلام وأنّ المسلمين عموماً يؤمنون بالسّلم والسّلام. قال رسول لله صلى الله عليه وآله وسلّم:

(السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم) رواه البزّاز والبيهقي في شُعب الإيمان عن ابن مسعود

ولقد روي عن رسول الله إلى العالمين، أنه كان يدعو الله قائلاً:

(اللّهم: أنت السّلام، ومنك السّلام، تبارَكْتَ يا ذا الجلال والإكرام) في صحيح مسلم عن ثوبان

ويتلو المسلمون في قرآنهم قولَ ربِّهم عزّ وجلّ يصف نفسه بأنه:

﴿المَلِكُ القُدّوسُ السَّلامُ﴾

*المسلمون مأمورون بإفشاء السلام

وهم لذلك يُقدِّسون السلام حقاّ، ويعتبرونه واجباً مقدّساً من واجباتهم الدينية، لا ينالون رضى الله تعالى بدون التخلُّق به وإفشائه بين الناس عملاً بأمر خاتم

النبيين، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بنشر السلام بين الناس، حيث قال:

(**أَفْشوا السّلام تسلموا**). البخاري في الأدب وأبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعب الإيمان عن البراء تصحيح السيوطي: صحيح

وقال عليه الصلاة والسلام:

(**أفشوا السلام بينكم تحابّوا**) الحاكم في المستدرك عن أبي موسى تصحيح السيوطي: صحيح

وقال: (**أفشوا السلام فإنه لله تعالى رضاً**) الطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل عن ابن عمر

وأمر اللهُ عزّ وجل المسلمين أن يفهموا بأنّ هداية الإسلام تُملي عليهم أن يُبادروا بالسلم ويدخلوا فيه جميعاً فقال:

﴿**يا أَيُّها الَّذينَ آمنوا ادْخُلُوا في السِّلْمِ كافَّة**﴾ / البقرة 208 /.

* المسلمون يُحيّون العالم بالسلام

وهكذا فقد ركَّز الإسلام على السلام، وشدَّد على المسلمين في السعي به والعمل عليه حتى جعل تحيَّتهم للناس هي (**السلام**)، ولذلك فإنك حين تلقى مسلماً تجده يبادرك بتحية الإسلام قائلاً: (**السلام عليكم**).

وتذكر قواميس اللغة العربية هذه التحية المشهورة عن المسلمين، حيث يقول

المعلّم بطرس البستاني في معجمه محيط المحيط:

"السلام تحية عند الإسلام، يقولون سلام عليكم، وهو دعاء بالسلام من الآفات في الدين والعقل والنفس والعرض والجسم والمال والجاه والولد والأهل، أي كان الله معكم حافظاً لكم"[1].

وهكذا فالمشهور عن الإسلام أنه يأمر أتباعه حين يلقى أحدُهم أحداً من الناس أن يبادره بتحية يدعو له فيها أن يحفظه الله سالماً مُعافى هو وأهله من أيّ أذى أو آفة أو مصيبة وبلاء في الدين أو العقل أو المال أو الجاه أو الأهل.. وأن يكون الله تعالى دائماً معه حافظاً له في كلّ حال.

وهكذا فقد جعل الله تعالى تحية الأمة المسلمة هي **السلام** لجميع الناس تماماً كرسالتهم التي هي أيضاً سلام لجميع أمم الأرض، ولذلك فإن تحيتهم من الله ربهم في السماء على لسان الملائكة ستكون أيضاً سلاماً، قال تعالى: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ**﴾ إبراهيم 23

ولذلك فإن الباحث المحقِّق في إيمان المسلمين يجد أن الله ربهم هو: **الله السلام، يأمر بالسلام، وقوله السلام، ويهدي إلى السلام.**

ولو رصدتم كلّمة السلام في القرآن الكريم، كتاب الله المُنزل على المسلمين رسالة رب العالمين للناس جميعاً، لوجدتم أنها قد وردت عشرات المرّات في بيان إلهي يحضّ المسلمين على السلام الحقّ للناس، جميع الناس، إلاّ على من اعتدى

[1] - المعلِّم (بطرس البستاني) في قاموسه (محيط المحيط)، مادة " سلام ".

وبغى، وأمّا فيما عدا ذلك فإنّ سلام الإسلام والمسلمين هو رحمة من الله عزَّ وجَلَّ ربّ الناس جميعاً الذي أنزل في كتابه المجيد أنّ (**السلام**) اسم من أسمائه الحسنى، فقال:

﴿**هُوَ اللّهُ الَّذي لا إِلهَ إِلاّ هُوَ: المَلِكُ القُدّوسُ السَّلامُ**﴾ الحشر 23

*المسلمون يدعون العالم إلى دار السلام

والمسلمون لا يدعون إلى الحرب والإرهاب كما يزعم المفترون، بل هم يدعون—بدعوة ربّهم—المسلمين والناسَ جميعاً إلى دار السلام يقول الله عزَّ وجلَّ:

﴿**اللّهُ يَدْعُو إِلى دارِ السَّلامِ**﴾

وإذا كان رب المسلمين يدعو الناس في كتابه إلى دار السلام، والمسلمون يدعون بِدَورهم إلى كتاب الله؛ أفلا يعني ذلك أنهم هم أيضاً يدعون العالم إلى دار السلام وليس إلى دار الحرب والقتل وسفك الدماء؟

* الإسلام يهدي العالم إلى سُبل السلام

تشير هذه الآية القرآنية الكريمة وتؤكِّد على أنّ دعوة المسلمين جميعاً إنما تقوم على السلام، وأنّ من يخالف العمل بالسلام والتوجُّه بالسلام والدعوة إلى السلام، إنما يخالف أول ما يخالف دينَ الله الإسلام، ويتناقض معه، وهو بذلك يُخرِج نفسه من رضوان الله تعالى الذي يهدي إلى **سبل السلام** كلّ من آمن بالإسلام

واهتدى بكتابه القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿**يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ**﴾ المائدة 16

إذن فخلاصة الإسلام وكتابه القرآن ورسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، أنه يدعو ويهدي المسلمين والناس جميعاً إلى سبل السلام:

السلام مع النفس..

والسلام مع الناس..

والسلام مع الله.

*الإسلام يأمر بالصفح وقول السلام

ويتعلَّم المسلمون ذلك ويحفظونه جيداً من خلال تعدّد الآيات الكريمة في القرآن الكريم التي تُكرِّر كلّمة السلام وتركِّز عليها في هدايات البيان الإلهي العظيم لأمة الإسلام والسلام، حيث يأمر الله المسلمين بالصفح وقول السلام:

﴿**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ**﴾ (الزخرف 89)

وحتى في خطابهم للجاهلين لا يقولون إلاّ سلاما:

﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ (الفرقان 63)

وهكذا نجد في القرآن الكريم—كتاب المسلمين المقدّس—أنّ الله ربهم وربّ العالمين يأمرهم جميعاً أن يكونوا:

سلاماً في إيمانهم،

سلاماً في قولهم،

سلاماً في عملهم وسعيهم،

وسلاماً في نواياهم وتوجُّهاتهم،

وألاّ يكونوا في محصِّلتهم إلاّ سلاماً مع أنفسهم ومع غيرهم من الناس جميعاً، وفي العالم كلّه - إلاّ مع المعتدين.

الفصل السابع

دين الحريّة في المعتقد

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة 257

بهذا النداء القرآني العظيم وضع ربُنا تبارك وتعالى أساس حرية الاعتقاد في الإسلام.. تلك الحرية التي صانها وحفظها في بيانه المجيد، ومَنَع أن يُهتك حَرمُها بأيّ شكل كان.

وتنزّلت ملائكة السماء بأمر ربها، تحمل إلى الناس في الأرض البُشرى من الله، في القرآن العظيم المنزل على رسول الله ورحمته إلى العالمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بأنّ الله عزَّ وجلَّ قد ضمن حرية المشيئة والاختيار في الدين والاعتقاد لكلّ الناس، وفي كلّ زمان ومكان يعيش فيه الإنسان فقال، وهو رب العالمين:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ الكهف 30

هكذا بأمر وضمان الله العليّ القدير الذي هو: **رَبُّ الناس* ملك الناس* إله الناس،** يستطيع أيّ إنسان كان، وبمحض مشيئته واختياره أن يؤمن، أو يكفر. وليس من حقِ أيّ فرد أو جهة أو فئة من الناس أن يمنعوه، بل تُصان حريته أيضاً في معتقده ودينه، وتُحمى مقدّساته، ويُمنع الاعتداء عليها مهما كان اعتقاده بشرط ألاّ يكون هو من المعتدين.

ويبيِّن لنا الإسلام أنَّ مسؤولية الإيمان أو الضلال إنما تقع على المرء نفسه، وليس عليه وكيل في محاسبته إلاّ الله وحده الذي يأمرنا في قرآنه قائلاً:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ يونس 109

أي أنَّ نفع الهداية أو وزر الضلال في الدين والمعتقد إنما يعود على صاحبهما وحده، فإن اهتدى للإيمان الحقّ، فقد أحسن لنفسه، وإن ضلّ عن الإيمان الدين القيّم فإنما يُهلِك نفسَه هو، ولم يجعل الله أحداً من الناس وكيلا عنه في حساب مثل هذا الإنسان أو إيقاع الجزاء عليه ولا حتى رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

يقول ربنا تعالى في سورة الأنعام:

}**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾** الأنعام 67

يقول الإمام فخر الدين الرازي صاحب (التفسير الكبير) في تفسير هذه الآية:

"**لستُ عليكم بوكيل، أي: لست عليكم بحافظ حتى أُجازيكم على تكذيبكم وإعراضكم عن قبول الدلائل، إنما أنا منذر والله هو المُجازي لكم بأعمالكم**".

ويزخر القرآن الكريم في البيان للمسلمين والعالمين بأنّ الله لا يرضى الإكراه في الدين ولا يقبله، وأنه **لم يُعطِ الحقَّ لأحد** في:

أن يكون وكيلاً عنه، سبحانه وتعالى، في حساب الناس على معتقدهم، **ولا**

جبّاراً عليهم فيُكرههم أو يُجبرهم على معتقد معيّن، **ولا** حفيظاً مسؤولاً فلا يرضى للناس إلاّ ديناً معيّناً——فإما أن يقبلوه أو أنه يُكرههم عليه!

لقد أكَّد الله عزَّ وجلَّ للعالمين أنّ أمر الدين والعقيدة يعود إليه وحده، وهو ذاته عزَّ وجلَّ الضامن لحرّية المؤمن أو المعتقِد بأية عقيدة كانت، وفي هذا نقرأ بيانه العظيم الذي لا يترك مجالاً لأيّ لَبْس أو افتراء:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة 257

ويبيّن لنا ربنا في قرآنه العظيم علاقةً جديرة بالتوقّف والتأمل والتدبّر، وهي أنّ الله عزَّ وجلَّ لم يشأ أن يُكرِه الناس على الإيمان به واتّباع دينه الذي يرضاه لهم، وذلك لأن الإيمان يتناقض مع الإكراه، فمن أُكرِهَ لا يمكن أن يكون مؤمنًا ولا يستحق المكافأة، لذلك فإنه لا ضرورة ولا فائدة من الإكراه أساساً، يقول تعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم:

}وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كلّهُم جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ يونس 100

أي لا يمكن –يا محمد– أن تُكرِه، أنت، الناسَ على الإيمان، ولن تفعلَ ذلك، ولن يصحَّ هذا الافتراء عليك، لأنك أنت رسولي الذي يعمل بتعليمي وأنا ربُّك الذي أنزل عليك هذا التعليم. ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا جاء النداء والتعليم الإلهي بلفظة **(ربّك)** وليس ربّ الناس أو العالمين وغيرها.. أي إذا كنتُ –وأنا ربك– لا أُكرِه الناس على الإيمان فكيف يصحّ الزعم وأنت رسولي وحامل رسالتي

أن تُكرِه الناس على الإيمان، وكيف يمكن أن يَصْدق افتراء ذلك عليك؟!

وكذلك نقرأ في بيان الله عزَّ وجلَّ أنه، هو،لم يشأ أن يُكرِه الناس على إيمانٍ ودين واحد ليكونوا -بالإكراه- أمة واحدة، قال عزَّ وجلَّ:

﴿**وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ**﴾ المائدة 49

ويؤكّد القرآن الكريم على حرّية الإنسان في اختيار الدين والإيمان الذي يريد، فيؤمن بما يشاء دون أن يكون عليه مُكْرِه أو مسيطر، فيقول مبيّناً أمرَ الله تعالى لرسوله الكريم:

﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ الغاشية 22 - 23

﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّار**﴾ ق 46

﴿**وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**﴾ الأنعام 108

﴿**فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾ الأنعام 105

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلا**﴾ الإسراء 55 .

﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيل**﴾ الشورى 7

﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً**﴾ الفرقان 44

﴿**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيل**﴾ الأنعام 67

جاء في تفسير هذه الآية الكريمة:

"والمعنى أنّ النبي لم يُؤمَر إذا رُفِضت رسالته بأن يقاتل الناس ليُجبرهم على الإيمان، وأن يُكرِههم بالسيف وأن يمنع الكافرين من رفض دعوة الحقّ"[1].

هذا هو الإسلام.. وهذا هو القرآن. فَمِنَ العلمِ بهذه الآيات الكريمة ومن الاستنارة بهذا الفيض من النور الإلهي تشرق شمس الإسلام الحقّ ساطعة على العالمين:

أن يا أيها الناس لا إله إلاّ الله وحده ..

فلا تُنَصِّبوا من أنفسكم آلهة على ضمائر الناس ووجدانهم.

هو ربُّ الناس، مَلِكُ الناس، إلهُ الناس.

هو الذي شاء فأعطى حرّيّة الضمير والدين والمعتَقَد للناس..

وهو وحده الذي يُجازي الناس على هذه الحرّية.

هو وحده السلام المؤمن المهيمن..

فلا هيمنة لأحد من الناس على أحد فيفرض عليه دِيناً أو عقيدة،

أو يمنعه من الإيمان بدين أو عقيدة!

وهو وحده العزيز الجبّار المتكبِّر.

---

[1] - راجع روح المعاني وروح البيان.

فلا يتجبَّرن أحد على أحدٌ فيُكرِهه على ما يعتقد..

ولا يتكبَّرن أحدٌ على أحد بسبب عقيدته أو بما ظنَّ في نفسه من عِلمٍ أو تَدَيُّن.

فالكبرياء والجبروت للّه وحده.

إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يجعل حتى رسولَه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وكيلاً أو مسيطراً أو حفيظاً على عباده. أفتجعلون أنتم من أنفسكم وكلاء عن الله على عباده فتوزِّعون الكفر والإيمان على الناس كما تشاؤون أو تسعوَن إلى إكراههم على ما تدينون أنتم به أو تعتقدون؟! كيف يحقّ لكم ذلك وقد نهى اللهُ ربُّ العالمين الناسَ أن يُكرِه بعضُهم بعضاً على أيّ دين أو مُعتقَد، فقال في القرآن الكريم:

﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ البقرة 256

كما بيَّن أنّ رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لابُدَّ أن يَتْبع—هو وأمته الإسلامية—هذا التعليم الإلهي، فقال مخاطباً إيّاه:

﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّار**﴾ وقال: ﴿**وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ وقال: ﴿**لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾ وقال: ﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيل**﴾.

إنّ هذه الآيات الكريمة تنفي الافتراء بأنه يمكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون على الناس جبّاراً أو حفيظاً أو مسيطراً أو وكيلاً فيُكرِههم على الدين، وهذا يعني أيضاً أنه لا يمكن للمسلمين من أمّته أن يفعلوا ذلك مطلقاً.

وأما الذين يُكرِهون الناس على الدين أو يحرمونهم من حرّية المُعتَقَد فهم معتدون ولا يمكن أن يكونوا— بذلك—عاملين بالهدي الإسلامي أو ممثِّلين له، بل هم، على العكس من ذلك، مخالفين للإسلام وشرع الله الحكيم الذي يرفض الإكراه في الدين بأيّ شكل كان، ذلك أنّ الإسلام يعلن في بيان واضح ساطع جامع في القرآن الكريم أمْرَ الله عزَّ وجلَ وقوله:

﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**﴾ الكهف 30

هذا شرع الله الملك القاهر وبيانه العظيم:

﴿**من شاء فليؤمن**

ومن شاء فليكفر﴾

حقٌّ من الله للعباد جميعاً.

وهذا ما يؤمن به المسلمون الملتزمون، المخلصون لدين الله ربّ العالمين.

الفصل الثامن

قَتْلُ المُرتد—الجريمة التي حرَّمها الإسلام

قد أثبتنا في الفصل السابق أنّ الإسلام دين يصون حرّية الدين والمعتَقَد للناس جميعاً، ويؤكِّد هذا البرهان **بطلان الافتراء والبهتان الكبير** بأنّ الإسلام يُبيح في شرعه قَتلَ المرتدّ. إذ كيف يمكن في شرع الله تعالى أن يؤكّد على حرية الدين والمعتقد من جانب، ثم يعود فيصادر هذه الحرية من جانب آخر! نعوذ بالله من ذلك، وحاشى له أن يصدر عنه إكراه على الدين، بل هو افتراء وبهتان وإثم مبين!

إنّ هذه الحقيقة الإسلامية ليست مجرّد تأليف مؤلِّف أو بيانِ خطيب، بل هي حقيقة مؤكّدة راسخة يثبتها القرآن الكريم في كلّ حين، ويتحدّى أن يستطيع كائن من كان من الناس أو العلماء تقديم أيّ نصّ أو برهان من القرآن الكريم يدعم افتراء مشروعية الحكم بقتل المرتدّ في كتاب الله ودينه الإسلام.

وبالرغم من أنّ هذا البحث قد استلزم منا البيانَ المفصّل في جوانب متعدّدة منه في كتابنا (**قتل المرتدّ: الجريمة التي حَرَّمَها الإسلام**)[1]، إلّا أننا سنتعرّض هنا للبحث بإيجاز وافٍ يتناسب مع موضوع هذا الكتاب، ويمكن للذي يريد التوسّع في الحقائق المتعلّقة ببطلان الزعم بمشروعية قتل المرتدّ في الإسلام أن يعود إلى

[1] - صدر الكتاب بعون الله تعالى لأول مرّة عام 1991 وأعيد طبعه مرات عديدة.

كتابنا المذكور والمنشور في معظم أقطار الوطن العربي.

ونعود إلى بحثنا..

قلنا إنّ الافتراء على الإسلام بأنه يأمر بقتل المرتدّ لا يمكن أن يجد له دليلاً ودعماً في القرآن الكريم الذي هو الكتاب المقدّس لدى جميع المسلمين. وأما دليلنا على هذه الحقيقة فهو كما يلي:

من المعلوم جيّداً أنّ القرآن الكريم، ولكونه خاتم الرسالات السماوية للبشر جميعاً، قد بيَّن جميع الأحكام التي يريد الله من عباده المؤمنين أن يعملوا عليها ويطبِّقوها في حياتهم ومجتمعهم، وذلك من أجل الحفاظ على حياة الناس والمجتمع من كلّ خطر يهدّدهم ويؤذيهم.. ولهذا فإنّ قارئ القرآن الكريم يجد أحكاماً تتعلَّق بجميع جوانب الحياة الاجتماعية للناس، سواء فيما يتعلّق بتعامل بعضهم مع بعض أو فيما يتعلّق بالأحكام الدينية.

كما يجد دارس القرآن الكريم أنّ الله عزّ وجلّ قد وضَّح **وفَصَّل الجزاء** في الأحكام التي يريد من المسلمين أن يطبّقوها على مرتكبي الفعل الموجب للجزاء المحدّد، فمثلاً نجد الحكم بقطع يد السارق جزاءً يُطبّق على من قام بجرم السرقة، قال تعالى في سورة المائدة / 39 /:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ **فَاقْطَعُواْ** أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ﴾

نجد هنا في بيان الله عزَّ وجلَّ أنّ هذا الحكم بقطع يد السارق أو السارقة إنما هو **جزاء** من الله، وهو الذي حَكَم به فقال:

﴿**جَزَاءً بِمَا كسبا**﴾

إذن هذا جزاء محدَّد من الله، وقد فَصَّلَ بوضوح أنه يتناول المرأة والرجل على السواء. كما جاء في القرآن الكريم بيان الحكم المتعلّق بالزانية والزاني، وهو الجلد، فقال تعالى:

﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كلّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ**﴾ سورة النور 3

كما يعلم دارسوا القرآن الكريم أنّ الله عزَّ وجلّ قد بيّن الجزاء في مختلف الأحكام وفصَّلَها بكلّ وضوح، وأمَرَ المسلمين بتطبيقها، وكذلك أقَرَّ الله تعالى في كتابه **مبدأ العين بالعين والسنّ بالسنّ والجروح قصاص** كما ورد في (سورة المائدة).

فإذا كان الله عزَّ وجلّ قد بيَّن في القرآن الكريم الحُكْمَ والجزاء المتعلّق حتى بالجروح، فهل من المعقول أن يكون قد أَغفل في كتابه الجزاء الأخطر والأشدّ المتعلّق بالقتل كحُكم إسلامي يجب تنفيذه لو كان ثمّة حُكم أو جزاء في ذلك؟!

وإذا كانت الأحكام الإسلامية هي بمثابة الصيانة للمجتمع الإسلامي من الأذى والتدهور والانحلال فكيف يذكر اللهُ عزّ وجلّ في أحكامه الأمورَ المتعلّقة بصيانة الجوانب الصغيرة، والصغيرة جداً—مثل الجروح—ثم يَترك الأحكامَ الهامة والخطيرة والمتعلقة بأخطر جانب في حياة المسلمين بخاصّة، والناس بعامّة، وهي: الدّين والحياة ذاتها؟!

إنَّ هذا الدليل المنطقي القوي لَيبرهن بكلّ وضوح على أنّ الله سبحانه وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم ما يُسمّى بـ (قتل المرتدّ)، **لأنّ قتل المرتد ليس حُكماً إسلامياً يأمر الله المسلمين أن يُطبِّقوه**، بل بيَّن عزَّ وجلّ في كتابه أنه **قد تَرك جزاء المرتد له هو تبارك وتعالى ليجازيه عليه يوم الجزاء**. وسنرى ذلك واضحاً في الآيات القرآنية الكريمة التي سنعرضها وندرس معانيها وبياناتها. ونبدأ بدراسة الآية التالية من سورة البقرة:

﴿..وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ..﴾ 218

هاهنا ذِكرٌ للمرتد، وقد كان من المفروض أن يأتي الحُكم هنا، قياساً على أسلوب القرآن الكريم في تحديد الجزاء بعد ذِكر الجرم أو الذنب مباشرة، كما رأينا في الآيات السابقة، ولكن بماذا تُتابع هذه الآية بعد قول الله تعالى:

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ..﴾

نجد الآية هنا تُبين الجزاءَ بوضوح فتقول:

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة 812

فأين الحكم المزعوم بقتل المرتد إذن؟!

بل إنّ الشرط في هذه الآية—لمن يتقن العربية—هو **أن يموت المرتد قبل أن يتوب ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، وهذا يعني أنّ الله عزّ وجلّ قد أعطى المرتدّ**

العمرَ كلّه فرصة ليتوب، ثم—إنْ لم يتُب—فإنّ مصيره عند الله أنه من أصحاب النار؛ **ولا نَجد هنا ذِكراً لجزاءٍ أو حدٍّ يُقام في الحياة الدنيا.**

فلِمَ الافتراء إذن والاستعجال بقصف عمر المرتد؟!

أَخوفاً من أن يهتدي ويتوب قبل أن يتمكّن القاتلون من قطع رقبته وقصف عمره؟!

ونجد في الآية الكريمة التالية من سورة النساء بياناً آخر يزيدنا نوراً ومعرفة يقول الله عزّ وجل:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ..**﴾

هنا نترقَّب الحكم بقتل هؤلاء باعتبار أنهم قد ارتدّوا عن الإسلام بعد أن آمنوا، ولكن بدلاً من أن نقرأ الحُكم بالقتل المزعوم نجد أن الله عزَّ وجلّ يتابع فيقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ، **ثُمَّ كَفَرُواْ، ثُمَّ آمَنُواْ، ثُمَّ كَفَرُواْ، ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا..**﴾

وهنا أيضاً نترقَّب الحُكم بقتل المرتد، وخاصّة بعد أن آمن هؤلاء وارتدّوا مرّات عديدة، ولكننا نجد الآية الكريمة تستمرّ كما يلي:

﴿**لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً**﴾ النساء 138

فها هنا قوم آمنوا، **ثم ارتدوا،** ثم آمنوا، **ثم ارتدوا، ثم ازدادوا كفراً.. فأين الحُكم المزعوم بقتل المرتد الذي يأمر الله المسلمين بتطبيقه؟!**

ليس من حكم، ولا حدّ، ولا جزاء كما يزعمون!

ونتابع البحث في آيات القرآن الكريم المتحدِّثة عن المرتد، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى..﴾

ما هو الحكم والجزاء في الدنيا والحدّ الذي يجب تطبيقه؟ تتابع الآية فتقول:

﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ سورة محمد 26

وهنا أيضاً لا نجد ذِكراً للحدّ المزعوم بقتل المرتد عن الإسلام بعد أن آمن وتبيَّن له الهدى.

وفي آية أخرى، تذكر المرتد صراحة. في سورة المائدة نقرأ قول الله تعالى يُحَذِّر الذين آمنوا من الارتداد، فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ...﴾

ما هو الحدّ؟

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم﴾ المائدة 55

وهنا أيضاً لا نجد حدّاً ولا حُكماً ولا جزاءً يُطَبَّق في الحياة الدنيا كما يزعم المفترون.

وفي سورة النحل نقرأ أنّ غضب الله عزّ وجلّ سينال الذين يكفرون بالله بعد إيمانهم ويرتدّون عن دينهم، ولكنه لا يُحَدِّد حُكماً جزائياً يُطبّق عليهم في الحياة

الدنيا، فيقول:

﴿مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل 107

إنّ الذي يكفر بعد إيمانه يكون مرتدّاً ولا ريب، ولا شكّ في أنّ المرتد سيكون موضع غضب عظيم من الله عزّ وجلّ وعذابه الشديد، ولكن أين الحكم المزعوم بقتل المرتد هنا أيضاً؟

لا حكم ولا حدّ. أو هاتوا آية واحدة إن استطعتم!

وتقرؤون في سيرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه عندما أشاع الكفّارُ في إحدى المعارك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قُتِل، فإنّ عدداً من الذين كانوا قد أعلنوا إسلامهم **ارتابوا وارتدّوا** وانقلبوا على أعقابهم دون أن يتعرّض لهم أحد. فهل عندكم برهان من السيرة أنّ رسول الله قد أمر بقتل أحد منهم لارتداده، قال تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ..﴾

فما هو الحكم؟؟.

﴿فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا﴾

ليس من حكم يأمر بقتل المرتد الذي انقلب على عقبيه.

ونقرا الآية الكاملة في سورة آل عمران 145حيث يقول ربنا:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

ويبيّن الله تعالى في القرآن الكريم أنّ العبد الذي يكفر بعد إيمانه ثم يعود لنفسه مدركاً خطأه ولا يزداد كفراً، ثم يتوب راجياً قبول ربه عزّ وجلّ فقد يقبل الله توبته إن شاء؛ ولكن إذا ازداد كفراً وقسا قلبه بعد كُفره فإنّ الله تعالى لن يقبل توبته وسيكون في عداد الضالّين.

ويجد المتفكّر في الآيات التالية أنّ على الذي وقع في براثن الارتداد أن يسارع إلى التوبة قبل أن يقسو قلبه ويزداد كفراً ويصير من الضالّين فلا تُقبَل توبته، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُم وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ﴾ آل عمران 90

وبناء على مؤامرة حاكها اليهود وخطّطوا لها زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يروي لنا القرآن الكريم الآية التالية:

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ آل عمران 73

هاهنا برهان متين يثبت بطلان الافتراء بوجود حُكمٍ شرعي يقضي بقتل المرتد عن الإسلام، فما هو؟

نبدأ بقصة هذه الآية:

كان المشركون من العرب ينظرون إلى اليهود بتقدير خاص بسبب علومهم الدينية كأهلٍ للكتاب. وأراد اليهود استغلال هذه النظرة لصالحِ عِدائهم للإسلام، ففكَّروا بخطة خبيثة لعلّهم يجعلون، من خلالها، المسلمين الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم يرتدّون عن دين الإسلام، وخاصة أولئك الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام. فقرّروا أن يُعلنوا في الظاهر أنهم قد قبلوا الإسلام وأن يكون ذلك في أول النهار ثم يعلنوا كفرهم وارتدادهم عن الإسلام آخر النهار، وبذلك يتأثَّر بهم العرب الأمّيون فيعتقدون أنه لابدّ من وجود خطأ كبير في الإسلام مما يجعله غير صحيح، وإلاّ لَما رجع هؤلاء اليهود المتعلّمون وارتدوا عنه هكذا سريعاً وهم العالمِون بشريعة موسى عليه السلام وعندهم التوراة!

وقد أورد صاحب البحر المحيط هذه الحادثة التاريخية وبيَّن أن اثني عشر حِبراً يهودياً قد آمنوا بالإسلام ثم ارتدوا عنه بقصد فَتْنِ المسلمين عن دينهم.

وكما رأينا فإنّ القرآن الكريم أيضاً قد أكّد حدوث هذه المؤامرة من قِبَلِ اليهود وذلك في الآية الكريمة التالية:

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ آل عمران 73

ولو تفكَّرنا بهذه الشهادة القرآنية بدقّة وعمق لتوصَّلنا من خلالها إلى حقيقة يقينية ثابتة تكون القول الفصل في الحُكم المزعوم بقتل المرتد.

قد وصف اللهُ تعالى اليهودَ في القرآن الكريم بأنهم شديدو الحرص——بل أشدّ الناس حرصاً——على حياةٍ، وأنهم لا يمكن أن يتمنّوا الموت حتى لو كان الجزاء هو الجنة، قال عزّ وجلّ:

﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**﴾ البقرة 97

وفي سورة البقرة 95-96، قال تعالى مفنِّداً مزاعم اليهود :

﴿**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾

وهكذا فبالرّغم من حِرص اليهود الشديد على الحياة وكرههم للموت، كما بيَّن القرآن الكريم، فإنهم قد نفَّذوا فعلاً هذه المؤامرة التي ذكرها القرآن الكريم والمتعلّقة بإعلانهم الإيمان بالإسلام أول النهار وكُفرهم آخره بغية فَتْن المسلمين عن دينهم. وقد ذكر العلاّمة (أبو حيّان) في تفسيره (البحر المحيط) هذه المؤامرة كما يلي:

"**قال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عرينة، وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به آخر النهار، وقولوا: إنّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس كذلك، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك، شكَّ أصحابه في دينهم وقالوا: هم أهل الكتاب، فهم أعلم منّا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم. فنزلت الآية المذكورة**". وقال (الحسن البصري) في تفسير هذه الآية:

"**إنهم طائفة من أهل الكتاب أرادوا تشكيك أصحاب رسول الله صلى الله عليه**

وآله وسلم، فكانوا يُظهِرون الإيمان بحضرتهم ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة أخرى فيكفرون ويستمرّون على الكفر حتى الموت، وذلك معنى قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾" 95-96:

تلك كانت مؤامرة اليهود التي أكَّد القرآن الكريم حدوثها. والآن **فإذا** كان قتل المرتد هو الحكم الشرعي الذي كان يأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويطبِّقه، **فكيف** كان يمكن لليهود الذين هم—كما وصفهم الله تعالى— **﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾**، أن يجرؤوا على التفكير في إعلان إسلامهم أول النهار، ثم إعلان كفرهم وارتدادهم آخره، إذا كانت حياتهم هي الثمن الذي كانوا سيدفعونه بسبب ارتدادهم؟!

كلا، ما كان لليهود أن يجرؤوا على إعلان إسلامهم والارتداد لو كان قَطْعُ رقبة المرتد وقتله هو الحُكم الإسلامي الذي شرَّعه الله وأَمَرَ بتنفيذه. وبما أنه قد ثبت من التاريخ والقرآن أنهم قد فعلوا ذلك، فهذا برهان واضح أكيد على أنّ قتل المرتد في الإسلام، إنما هو افتراء باطل أدخله المفترون على الإسلام وزعموا مشروعيته، في حين أنّ الإسلام بريء من هذا الحكم الذي ما هو في حقيقة الأمر إلاّ جريمة مفتراة!

ولكن ألم يذكر القرآن جزاءً للمرتد؟!

* جزاء المرتد بحسب القرآن الكريم

لا شك في أنّ القرآن الكريم الذي بيّن جزاء الكثير من الجرائم كالقتل والسرقة والزنى وحتى الجروح، **قد بيّن أيضاً جزاء المرتد** ووضّحه، حتى لا يكون ثمة لبس أو خطأ فيجترء المجترؤون أو تُنتهك حرمات الإنسان فيعبث بها العابثون.

وجواباً على السؤال **هل بيّن القرآن جزاء المرتد؟** نقول: نعم، وهو كما يلي:

يقول ربنا تبارك وتعالى في القرآن الحكيم:

﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**﴾ آل عمران 87-92

نعلم من هذه الآيات الكريمةِ البيانَ الواضح المتعلّق بحقيقة جزاء من كفر وارتدّ عن الإسلام، وهو هنا—بالتأكيد—ليس القتل، كما نرى، وإنما هو: ﴿**لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾، وأنهم يكونون ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ**﴾. فهل نجد في كلّمات هذا البيان من ربنا عزّ وجلَّ حُكماً بقتل المرتد؟ أو هل يُمكن استنباط هذا الحكم المزعوم منها؟

فمن أين، إذن، جاء المُفتون بهذا الجزاء وهذا الحكم الباطل الزاعم بمشروعية قتل المرتد؟!

وأين هذا التشريع في كتاب الله [1]؟

وردّاً على الزاعمين بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قد شرعَ قتل المرتد وأمر به نقول:

وهل يُمكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُشرّع حُكماً يُخالف به بياناً واضحاً في كتاب ربّه عزّ وجل؟!

وثمة أمر آخر غاية في الأهمية يجب الانتباه إليه جيّداً، وهو أنّ هذه الآيات الكريمة قد استثنت أيضاً، من الجزاء الأُخروي، الذين يتوبون من ارتدادهم، فيؤمنون ويُصلحون، يقول تعالى:

﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ آل عمران 90

وكذلك يُبيّن الله عزّ وجلّ في هذه الآيات بأنّ على هؤلاء أن يتوبوا قبل أن يموتوا فيخسروا فرصة قبول الله لهم؛ **أي أنّ معهم فرصة للتوبة حتى آخر العمر.** وليس هذا تشجيعاً لهم للبقاء على الكفر والارتداد، بل على عكس ذلك تماماً، هو تشجيع لهم على عدم اليأس من رحمة الله تعالى وعلى العودة إلى الإيمان طمعاً في مغفرة الله لهم لأن ﴿**الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ كما جاء في الآية.

فإذا كان القائلون بقتل المرتد سيسارعون بقطع رقبته فكيف سيكون لديه فرصة للتفكّر ومراجعة النفس، ومن ثمّ التوبة التي يدعوه إليها الله الغفور

[1] - للاطلاع على البرهان الكامل، من القرآن والحديث وقتال أبي بكر لمانعي الزكاة، والمتعلّق ببطلان الزعم بمشـــروعية قتل المرتد يمكن للقارئ الكريم أن يقرأ كتابنا (قتل المرتد، الجريمة التي حرّمها الإسلام).

الرحيم في هذه الآيات الكريمة؟!

وهكذا نجد، بحسب كتاب الله المُبين، أنّه ليس ثمة حُكم يتعلّق بقتل المرتد، ولا جزاء له **إلاّ** عند الله تعالى، وأنّ الله قد فتح له باب الرحمة والمغفرة ليتوب ولو حتى آخر العمر.

فهل يملك أحد مصادرة حق الله تعالى في الحُكم والجزاء؟!

هل تملكون هذا الحق أنتم؟!

هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين!

الفصل التاسع

الجهاد الحقّ في الإسلام

إنّ الدّين الذي اسمه الإسلام، ويقوم على السلام، ويهدي عباد الله إلى ربهم السلام.. لا بدّ أن يكون جهاده فقط في سبيل السلام ولترسيخ أسس الأمن ونشر السلام في جميع الأمم وبين أبناء الجنس البشري جميعاً دون ما استثناء.

وتلك هي:

حقيقة الجهاد في الإسلام

* معنى الجهاد وأنواعه:

وتأتي كلّمة الجهاد في الإسلام من الأصل العربي للكلّمة وهو (الجهد) أي العمل بمشقة وصعوبة لبلوغ هدف ما.

والجهاد في الإسلام ثلاثة أنواع:

أولاً، **(الجهاد الأكبر)**:

وهو مجاهدة العبد هواه، ومجاهدة النفس في حضِّها على العمل بطاعة الله عزّ وجل طلباً لرضاه.. وإرغامها على ترك المعصية اتّقاءً لسخطه عزّ وجلّ. ويؤيّد هذا الفهم قولُ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد عودته من إحدى المعارك، حيث قال:

(رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر). البيهقي في الزهد من حديث جابر

ثانياً، **(الجهاد الكبير)**:

وهو مجاهدة الكافرين بالقرآن الكريم نشراً لدين الله عزّ وجلّ وبياناً لما جاء به كتابه المجيد في رسالة الله السلام رب العالمين للناس جميعاً، يقول تعالى:

﴿ولا تُطِعِ الكافِرينَ وجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبيراً﴾

ثالثاً، **(الجهاد الصغير)**:

وهو الجهاد بالقتال دفاعاً عن دين الله والمسلمين والحقوق المغتصبة التي شرع الله القتال دفاعاً عنها.

وعن حقيقة كون هذا الجهاد—في الإسلام—دفاعاً وليس عدواناً بأيّ شكل كان، نبيّن ما يلي:

الجهاد في الإسلام هو القتال دفاعاً عن الحق والحقيقة. **وفي الوقت الذي لا يسمح فيه الإسلام بالحرب العدوانية، فإنه يعتبر شنّ الحرب دفاعاً عن الشرف والوطن والعقيدة وحقوق الإنسان الأساسية إنما هو عمل من أعلى**

الفضائل.

* حُرمة الحياة الإنسانية

والإنسان هو أشرف أعمال الله، فهو عبده وقمة خليقته وغايتها وهدفها النهائي، وهو خليفة الله في الأرض، وهو ملك الخلائق جميعاً.

قال تعالى: ﴿**إنّي جاعِلٌ في الأَرْضِ خَليفة**﴾ البقرة 31

تلك هي مكانة الإنسان العالية في الكون في المفهوم الإسلامي. لذلك فإنّ من الطبيعي أنّ الدّين الذي يرقى بالإنسان إلى هذا المفهوم العالي أن يكون أيضاً قد أبدى أهمية وقدسية وحرمة عظيمة جداً للحياة الإنسانية.

ونجد في القرآن الكريم أنّ حياة الإنسان هي الأكثر قدسية وحرمة عند الله تعالى[1]. لذلك فإنّ الإسلام يحرّم بشدّة بالغة انتهاك حرمة الحياة الإنسانية، حيث يُحرِّم قتلَ النفس إلاّ بشرطين اثنين من شأنهما حفظ الحياة الإنسانية من السفك بكافّة أشكاله، إنهما الشرطان اللذان بيّنها القرآن المجيد في قوله تعالى:

﴿**مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ المائدة 33

ويقول تعالى:

﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾ الإسراء 33

---

[1] - راجع الفصل الخامس من هذا الكتاب

ولكن حرّيّة الضمير والمعتقد في الإسلام ليست أقلّ أهمية من حرمة الحياة الإنسانية، بل هي أثمن إرث إلهي للإنسان، وهي ربما تكون أغلى من الحياة نفسها.

إنّ القرآن الذي أعطى الأهمية الأعظم لحرمة الحياة الإنسانية لا يمكن أن يكون قد لزم الصمت عن بيان وإعلان حرمة وقدسية هذه الهبة الإلهية للإنسان—حياته.

* الغاية من تشريع الجهاد:

ودفاعاً عن هذه الهبة الأغلى فقد سمح الإسلام للمسلمين أن يرفعوا سلاحهم ويقاتلوا المعتدين.

ومن المعلوم جيداً في تاريخ المسلمين أنّ الجهاد بالقتال لم يكن مسموحاً لهم به ابتداءً، **لأنّ غاية الدين هي إحياء الناس وليس قتلهم وقتالهم**. ويشهد التاريخ على أنّ الاضطهاد الظالم من قِبَل قريش على المسلمين بلغ شوطاً بعيداً في القسوة والوحشية في إيذاء المسلمين والتضييق عليهم إلى حدّ أنهم قد قتلوا الكثير من المؤمنين الذين رفضوا العودة إلى الكفر والشرك ولم ينصاعوا إلى اضطهادِ وتعذيب أسيادهم إيّاهم، إن كانوا عبيداً، أو ذويهم إن كانوا أحراراً؛ إلى أن وصل ظلم القريشيين واضطهادهم للمسلمين إلى حدّ أنهم أخرجوهم من ديارهم ظلماً وعدوانا، بعد أن فشلوا—رغم ما أوقعوه من عذاب عليهم—في أن يعيدوا المؤمنين بالله الواحد ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ملّة

الكفر أو الشرك، كارهين.

*معاناة الرسول من الإرهاب واضطهاد

ويُبيّن الإمام ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام حقيقة الظلم والأذى الذي عاناه سيدنا محمد، صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأصحابه المؤمنين من كفّار قريش، فيقول:

"لقد قاسى نبينا في مكة، وبعد الهجرة منها، أذى كثيراً على أيدي الكفّار، وبخاصّة في السنوات الثلاث عشرة التي قضاها في مكّة، وكابد صنوف الظلم والاضطهاد التي يبكي الإنسان عند تصوّرها؛ ولكنه، صلى الله عليه وسلّم، لم يرفع السيف على أعدائه، ولم يردّ على كلامهم اللاّذع إلاّ بعد أن قُتل كثير من أصحابه وأعزّائه بكلّ قسوة ودون هوادة؛ كما تعرّض هو، صلى الله عليه وسلّم، لصنوف الإيذاء الجسدي، حتى أنهم احتالوا لقتله بالسّم، ودبّروا مكائد عديدة للقضاء عليه ولكنها فشلت جميعاً. فلمّا حان وقت الانتقام الإلهي تآمر رؤساء مكّة وزعماؤها جميعاً على قتله والقضاء عليه نهائياً؛ حينئذ أخبره الله الذي يحمي أحباءه والصدّقين الصالحين أنه لم يبق في هذه البلدة إلاّ الشر، وأنّ أهلها قد أجمعوا على قتله، فعليه أن يُغادرها عاجلاً؛ عندها هاجر صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة امتثالاً لأمر الله تعالى. ومع ذلك لم يكفّ الأعداء عن ملاحقته، بل تعقّبوه وأرادوا بإلحاح شديد أن يسحقوا الإسلام سحقاً. فلمّا تفاقم شرّهم واستوجبوا العقاب لقتلهم كثيراً من الأبرياء، أذِن الله للمسلمين بقتال هؤلاء الكافرين دفاعاً عن أنفسهم وحماية لحرية الخيار. وكان هؤلاء الأشرار وأعوانهم—بسبب إراقتهم للدماء البريئة عدواناً وظلماً ودونما قتال أو حرب مشروعة، وبسبب استيلائهم على أموال المسلمين المقتولين— قد استوجبوا المعاملة القاسية نفسها، ومع ذلك فقد عفا نبينا

صلى الله عليه وسلم عن جميع هؤلاء الأشرار عند فتح مكّة. ولذلك فإنّ الزعم بأنّ النبي صلى الله عليه وسلّم، أو أصحابه قد شنّوا الحرب لأجل نشر الدّين، في حين من الأحيان، أو أَكرهوا أحداً على قبول الإسلام، إنما هو خطأ فاحش وظلم عظيم.

والجدير بالذكر أيضاً أنّ عداوة كلّ قوم ضدّ الإسلام في ذلك العصر كانت قد بلغت ذروتها، وكان المعارضون عاكفين على تدبير الدسائس والمكائد لاجتثاث شجرة الإسلام، ظانّين أنّ المسلمين مجرّد شرذمة قليلة وفئة مبتدعة؛ وكان همّ كلّ واحد من الأعداء هو القضاء العاجل على المسلمين وتفريق شملهم حتى لا يبقى هناك خطر لنهوضهم وتقدّمهم؛ ولذلك كانوا يُعارضون المسلمين عند كلّ خطوة، وكانوا إذا أسلم شخص من قبيلة قتلوه على الفور، أو عرّضوا حياته لأشدّ الأخطار."[1]

ثم جاء بعد ذلك الإذن الإلهي للمؤمنين بالقتال ردّاً على العدوان الظالم وانتصاراً للحق والعدل، وترسيخاً لحرية الضمير والمعتقد، فخاطب الله عزّ وجل المسلمين بقوله:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ الحج 39 - 40

وطبقاً لإجماع العلماء فإنّ تلك كانت الآية الأولى التي أَذِنَ الله فيها للمسلمين برفع السلاح دفاعاً عن النفس وحرية المعتقد. وهي تضع الأسس التي يمكن للمسلمين بموجبها أن يشنّوا حرباً **دفاعية**، وتُبيّن، في مجموعة من الآيات، الأسباب التي دَفعت حفنة قليلة من المسلمين، دونما سلاح أو وسائل مادية

[1] - (المسيح الناصري في الهند) بقلم الإمام ميرزا غلام أحمد القادياني الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، ص 10-9 الناشر الشركة الإسلامية المحدودة

أخرى، إلى أن يقاتلوا دفاعاً عن أنفسهم بعد أن عانوا في مكّة اضطهاداً مستمرّاً، ودون توقّف، لسنوات طويلة، ثم طوردوا ولوحقوا إلى المدينة في حقد لا يكلّ، وعُمِلَ على إيذائهم ومضايقتهم هناك أيضاً.

وتُبيِّن هذه الآيات الكريمة **السبب الأول** الذي برَّر الله فيه للمؤمنين اللجوء إلى القتال فأعطاهم الإذن بذلك وهو أنهم: ﴿**ظُلِموا**﴾ أي أنهم كانوا أصحاب حقّ في الدفاع عن أنفسهم ضدّ عدوانٍ واضطهاد ظالم وقع عليهم.

وأما **السبب الثاني** الذي توضِّحه الآية الكريمة فهو: أنهم قد: ﴿**أُخرِجوا من ديارهم بغير حقّ**﴾ ودونما سبب عادل مشروع، إذ ما كان لهم ذنب إلاّ أنهم آمنوا بالله الواحد!

ويَعلم التاريخ والمؤرّخون والمطّلعون أنّ مشركي مكّة وكفّارها لم يكتفوا باضطهاد المسلمين وتعذيبهم بسبب إيمانهم بالله الواحد، بل هم قد هدَّدوا الإسلام والمسلمين بالفناء الشامل بهجوم مشترك شنَّته قبائل الجزيرة العربية مجتمعة على المدينة بتأثيرٍ وتحريض من قريش التي كانت تتمتع بتقدير عظيم بين القبائل لكونها صاحبة عهدة الكعبة. كما أنّ المدينة ذاتها كانت ميدان تحريض على الفتنة والخيانة والعصيان. واتحد اليهود كذلك، واتفقوا على إيذاء وصدّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الأمر الذي زاد في مصاعب الهجرة بدل أن تنقص.

تحت هذه الظروف البالغة السوء، كان على المسلمين أن يرفعوا السلاح إنقاذاً لأنفسهم ودينهم وللمستضعفين في الأرض منهم من الإبادة المُعلنَة بظلم شديد.

إنّ تلك الأحداث لتشهد صارخةً بالحق والعدل أنه قد كان للمسلمين كلّ مبرّرٍ لأن يقاتلوا المعتدين بحرب دفاعية محضة دُفِعوا إليها كرهاً، ولم يكن لهم أيّ مخرجٌ آخر سواها.

وبعد أن تُبيّن هذه الآية الكريمة الأسباب المشروعة التي اضطرّت المسلمين للقتال بالسلاح، توضِّح الغاية والهدف من الحرب في الإسلام، فتقول:

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج 40

وبالرغم من هذه الحقائق التاريخية المشهودة جميعاً، فإننا نقرأ بدهشة واستغراب كتباً لنقّاد الإسلام يتّهمون فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بشنّ حروب عدوانية على القوى الكبرى وغيرها في زمانه لفرض دينه الإسلام عليهم بالسيف ولإكراه!

لم تكن الحرب الإسلامية، **مطلقاً**، حرباً عدوانية تهدف إلى تجريد الناس من بيوتهم وممتلكاتهم وثرواتهم، أو تجريدهم من حرّيتهم الوطنية وإجبارهم على الخضوع إلى نير أجنبي، أو من أجل اكتشاف سوق جديدة والحصول على مستعمرات جديدة، كما فعلت وتفعل القوى الغربية الحديثة. بل كانت حربُ المسلمين **دفاعاً عن النفس وحرية الضمير والمعتقد ولإنقاذ الإسلام من الإبادة والإفناء، ولتأسيس حرية الفكر والضمير والمعتَقَد** ليس لصالح المسلمين وحدهم، بل لصالح الجنس البشري كلّه. كما نرى من هذه الآية الكريمة أنّ حرب

المسلمين كانت من أجل حماية دور العبادة الخاصة بالديانات الأخرى أيضاً مثل كنائس المسيحيين ومعابد اليهود، وكافة المعابد والأديرة المقدّسة. وإذا كانت هذه الآية الكريمة تبيّن أمْرَ الله تعالى للمسلمين بحماية المعابد والأماكن المقدسة لأصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى فكيف يصحّ الزعم والافتراء بأنّ الإسلام يبيح القتال لإكراه الناس على الدخول فيه قسراً وبحدّ السيف؟!

ونقرأ في كتاب الله عزّ وجلّ بياناً يوضِّح فيه الغاية العظيمة من الحرب الإسلامية، فيقول:

﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كلّهُ لِلّهِ**﴾ البقرة 148

تبيّن هذه الآية الكريمة أنه ليس مسموحاً للمسلمين أن يحاربوا إلاّ دفاعاً عن معتقدهم وأنفسهم، وفقط، حين تُشنّ عليهم حربٌ عدوانية من قِبَل أطراف معينة. وعند ذلك عليهم أن يستمروا في هذه الحرب حتى يتم تحقيق تثبيت وترسيخ حرية الدين والمعتقد، ليس للمسلمين فقط، بل وللناس جميعاً. وما كان للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل في عدد من معاهدات السلام كالتي دخلها مع الكافرين لو أنّ الأمر الإلهي كان يعني استمرار القتال حتى يدخل الكافرون في الإسلام.

ونقرأ قول الله عزّ وجل:

﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ البقرة 191

فلا يُقاتِل المسلمون إلاّ الذين يُقاتلونهم ويعتدون عليهم. وأمّا هم فلا يعتدون على أحد تحت أيّ مبرر كان.

* مبررات الحرب الدينية في الإسلام:

وبإضافة بيان هذه الآية إلى الآية السابقة نتبيَّن بكلّ يقين مبرّرات الحرب الدينية في الإسلام:

1) يجب أن تكون في سبيل الله وحده ولإزالة العقبات الموضوعة في سبيل الإيمان بالله.. أي من أجل تثبيت وترسيخ حرية الضمير والمعتقد وممارسة العبادة للجميع بغضّ النظر عن دينهم وعقيدتهم.

2) تُشَنُّ فقط في مواجهة **المقاتِلين** الذين يكونون قد رفعوا السلاح أولاً في وجه المسلمين لمنعهم عن التمسّك بدينهم.

3) على المسلمين أن يضعوا أسلحتهم حالما يمتنع العدو عن قتالهم.

وفي قول الله عزّ وجل:

﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 256

نجد في هذه الآية أنّ الله لا يُحرِّم على المسلمين استخدام القوة لإكراه الناس على الدين **فحسب**، ولكنه أيضاً يُعطي الأسباب المبيّنة لعدم وجود مبرّر لاستخدام القوة لهذه الغاية؛ وهي أنّ **الحقيقة تقف واضحة بيّنةً متميّزةً عن**

الخطأ، لذلك لم يعد ثمة مبرّر لاستخدام القوة والإكراه.. فالإسلام قد أضحى حقيقة واضحة مبينة لمن يريد أن يختاره أو يُعرِض عنه.

وأما قوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ البقرة 194

فإنّ الآية الكريمة تتابع مبيّنةً أنّ استمرار الحرب مرهون بتوقف الاضطهاد، حيث تتابع فتقول:

﴿فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

أي أنّ الله تعالى يأمر المسلمين هنا أن يقاتلوا حتى يتوقف الاضطهاد باسم الدين وحتى يحصل الناس على حرية وممارسة عقيدتهم ودينهم الذي يختارونه.

الإسلام، بلا شك، أعظم مُناصرٍ لحرية الضمير والعقيدة.

* القتال دفاع لنشر السلام وليس لنشر الحرب

ويتبيّن لنا من أمر الله عزّ وجل في القرآن الكريم أنّ الجهاد بالقتال يجب أن يتخذ دائماً منحى السلام **لأنّ الغاية من الجهاد القتالي إنما هي نشر السلام وليس الحرب**، لذلك فإنّ على المسلمين أن يقبلوا دائماً مبادرات السلام وألاّ يتذرّعوا بأية حجّة لرفضها، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُون عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ النساء 94

أي أنّ الحرب الجهادية في الإسلام لا تكون حرباً عشوائيةً نفعية، بل هي ضرب مبين في سبيل الله، وهي تردّ بالسلام على من يلقي السلام على المؤمنين ولا يبتغي العدوان.

ونقرأ في أكثر من موضع في القرآن الكريم تأكيد وبيان أنّ الحرب الجهادية إنما تكون دفعاً للعدوان وردّاً على الظلم والاضطهاد الذي يرمي إلى اضطهاد وإبادة المسلمين بظلم واضح مبين، يقول ربنا عزّ وجلّ:

﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ النساء 76

فها هو ذا الأمر هنا من الله بالجهاد القتالي نصراً للمستضعفين في الأرض من الرجال والنساء والولدان الذين لم يعودوا يُطيقون العيش في بلادهم وقراهم نتيجة قسوة الظلم والاضطهاد الموقع عليهم، اعتداءً، من الظالمين والطغاة بسبب دينهم ومعتقدهم.

* معاهدات المسلمين وولاياتهم

وأما عن تعاليم الإسلام بالولاية ومعاهدات المسلمين لغيرهم وشروط الالتزام بها فنقرأ في القرآن الكريم آيات عديدة ترشد بهديها المسلمين إلى سبل السلام

من رب العالمين، يقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. الأنفال 72

تضع هذه الآية المدهشة أساس ولاية المسلمين بعضهم لبعض. كما تبيّن أصول التزامات المسلمين بالمعاهدات التي يعقدونها مع غيرهم. إذ نجد فيها التعليم القرآني المجيد بأنّ المسلمين الذين يعيشون في بلد واحد وتحت راية واحدة، سواء أكانوا مهاجرين أو مواطنين أصليين، مُلزَمون بمساعدة وعون بعضهم بعضاً ساعة الحاجة. ولكن المسلمين الذين لا يهاجرون إلى بلد مسلم، ليس لهم حق طلب العون من إخوانهم في الخلافات المتعلّقة بالقضايا الدنيوية. ولكنهم إذا ما اضطُهِدوا بسبب دينهم ومعتقدهم، فإنّ مساعدتهم عندئذ تكون واجبة. وأما إذا كان هؤلاء يعيشون في ظل حكومة غير إسلامية، وكان المسلمون قد دخلوا معها في معاهدة سلام، فإنه لا يجوز عندئذ تقديم أية مساعدة لهم حتى في مسألة الدين.. وفي مثل هذه الظروف فإنّ الطريقة الوحيدة المفتوحة للمسلمين المضطَهّدين هي أن يهاجروا من البلد غير المسلم.

ويؤكد القرآن الكريم على أنّ جميع معاهدات المسلمين مع المشركين وغيرهم يجب الوفاء بها واحترامها في جميع الأحوال، **ولا يجوز انتهاكها** طالما بقي الطرف

الآخر على التزامه بها، يقول تعالى:

﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ التوبة 4

وبناء على ذلك فإنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، بعد عودته في السنة التاسعة للهجرة من تبوك أرسل عليّاً رضي الله عنه إلى مكة بمناسبة الحج الأكبر وجعله ممثلاً عنه في الإعلان بأنّ المعاهدات التي ارتبط بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين والذين لم يخضعوا للإسلام سوف تبقى سارية ومحافَظاً عليها باحترامها والالتزام بكلّ ما فيها حتى نهاية مدّتها.

* إجارة المسلمين للمشركين حتى في الحرب

وتأكيداً لحقيقة أنّ حرب المسلمين مع المشركين لم تكن من أجل إكراههم على الدخول في الإسلام نقرأ في القرآن الكريم هذا البيان الإلهي العظيم الجميل، يقول تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كلامَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾. التوبة 6

وبناء على هذا التعليم القرآني المبين، فإنه حتى في حال الحرب يمكن السماح للمشركين أن يأتوا إلى خيام المسلمين أو مركزهم إذا ما رغبوا في معرفة الحقيقة والاطّلاع على تعاليم الإسلام، ثم بعد أن يتحرّوا حقيقة الإسلام يجب على المسلمين أن يعيدوهم بسلام إلى مأمنهم إذا لم يشعروا بالميل إلى اعتناق

الإسلام—الدين الجديد. وهكذا فإننا بمواجهة مثل هذه التعاليم الإسلامية الصريحة نجد أنّ مِن أشدّ الظلم اتهام الإسلام بالتعصّب وعدم التسامح، أو باستخدام القوة لنشر القناعة والإيمان به!

*كانت حرب المسلمين الدفاعية فقط ضدّ الذين نقضوا عهودهم

وتأكيداً لحقيقة أنّ حرب المسلمين إنما كانت فقط ضدّ أولئك الذين نقضوا عهودهم وانتهكوها، نقرأ قول الله تعالى:

﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ التوبة 7

إنّ قول الله تعالى: ﴿**فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ**﴾ تشير إلى حقيقة أنه لم يكن مسموحاً للمسلمين بالقتال إلاّ ضدّ أولئك الذين يكونون قد خانوا عهودهم ومواثيقهم مع المسلمين وانتهكوها بوضوح.. عند ذلك فقط يسمح الله للمسلمين بقتالهم، لأنهم لم يبقوا لأنفسهم عهداً عند الله ولا عند رسوله والمؤمنين.

ومزيداً من التأكيد بأن حرب المسلمين إنما كانت وتكون فقط ضدّ أولئك الذين لا يحترمون عهودهم ومواثيقهم **ويكونون هم المعتدون أصلاً**، نقرأ بيان الله تعالى:

﴿**لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ**﴾ التوبة 10

* ملخّص أسباب حرب المسلمين القتالية ضدّ المشركين

ولو تناولنا بتلخيص وإيجاز التعاليم الإسلامية الموجودة في الآيات الكريمة السابقة والمتعلّقة بالحرب القتالية ضدّ المشركين فإننا نجدها تبيّن الحقائق التالية:

1) إنّ أولئك المشركين كانوا خائنين وغادرين، فهم قد زعموا بأنهم أصدقاء ومسالمين للمسلمين، ولكنهم كانوا حالما يجدون الفرصة لإيذاء المسلمين وضربهم فإنهم يَنْقُضون عهدهم مع المسلمين بالرغم من أنّ المسلمين كانوا قد وثقوا بهم وأعطوهم الأمان.

2) إنّ أولئك المشركين لم يلتزموا بروابط الصلة مع المسلمين، وقد قتلوا حتى أقاربهم بسبب دخولهم في الإسلام.

3) كان هدف أولئك المشركين من شنّ الحروب ضدّ المسلمين هو منع الناس من قبول الإسلام واعتناقه والدخول فيه، لذلك فقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم: يصدّون عن سبيل الله.

4) كان المشركون هم البادئين بالهجوم على المسلمين وقتالهم، يقول تعالى:

﴿**أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ التوبة 13

على هؤلاء رَدَّ المسلمون بالحرب القتالية، لأنهم كانوا معتدين **وكانوا هم البادئين**، ولم يراعوا صِلةً ولا قرابة ولا ذمّة ولا عهداً ولا ميثاقاً.. لم يكتفوا برفض الاعتقاد بالإسلام، بل أرادوا منعه من الانتشار بالعدوان ومنع الناس من الإيمان به والدخول فيه بالأذى والقتل، فتعاون بعضهم مع بعض على استئصال شأفة الإسلام واجتثاث جذور المسلمين جميعاً من الأرض، وما كان من سبيل أمام المسلمين إلاّ أن يجاهدوا أعداءهم بالرد بالمثل إنقاذاً لدينهم وأنفسهم والرجال والنساء والولدان الذين استُضعِفوا في الأرض وأُخرِجوا من ديارهم وحُرِموا من أموالهم كما يشهد تاريخ اضطهاد المشركين والكافرين للمسلمين. لذلك فقد **أذِن** الله تعالى للمسلمين بالقتال بأنهم ظُلِموا:

﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِير**﴾ الحج 40

وكتب الله القتالَ على المسلمين بالرغم من أنهم **يكرهونه**:

﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُم**﴾ البقرة 217

وليس معنى كُرْه المسلمين للقتال أنهم كانوا جبناء، بل لقد شهد التاريخ بالشجاعة المثلى للمسلمين في قتالهم. وإنما كان المسلون يكرهون القتال **لأنهم أمّة سلام وأمان للعالمين** في رسالتهم الإسلام، **ولأنهم لا يسعون إلى الحرب والقتال إلاّ مكرَهين وذلك لردّ عدوان المعتدين على حقهم في الحياة والحرية والوطن والعرض والمال—والمعتقد قبل أي شيء آخر.**

نعم لقد قاتل المسلمون أعداءهم، **ولكن ذلك القتال لم يكن عدواناً، بل قد**

كان <u>ردّاً للعدوان</u>. كما أنه لم يكن إكراهاً في الدين، بل <u>ردّاً على الإكراه في الدين</u>، كما أنّ **حرب المسلمين لم تكن حرباً عمياء خالية من القيم والرحمة والإنسانية،** بل قد **كانت حربَ قيم ومُثُل ورحمة إلهية للإنسانية جميعاً**، لأنها كانت **من أجل ترسيخ السلام وحرية الحياة والمعتقد للناس جميعاً**، وكانت متميزة بأخلاق جهادية بطولية ذكرها التاريخ، ولا يزال، بكلّ تقدير وإعجاب.

القيم الروحية في دفاع المسلمين وإمعان الإسلام في الرحمة

* الإسلام يوصي بالحفاظ على الناس والبيئة حتى في دار الحرب

إنّ من رحمة الإسلام الواسعة التي لا تتوقف عند حدّ. ما نقرأه في الأحاديث الشريفة والتاريخ الإسلامي عن وصايا الرسول الكريم وخلفائه من بعده للجنود المسلمين بعدم التعرّض بالقتل للمدنيين غير المقاتلين من الشيوخ والنساء والصبيان والأطفال، وإليكم البيان:

في تفسير قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ /البقرة191/ يورد صاحب الدّر المنثور بالتفسير بالمأثور الحديث التالي:

"وأخرج ابن أبي شيبة عن أنس قال "كنا إذا استنفرنا نزلنا بظهر المدينة حتى يخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول:

(انطلقوا بسم الله وفي سبيل الله تقاتلون أعداء الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا)".

ويورد صاحب الدرّ المنثور وثيقة أخرى في رحمة الإسلام بأهل دار الحرب فيقول:

"وأخرج وكيع وابن أبي شيبة عن يحيى بن يحيى الغساني قال: كتبت إلى عمر بن عبد العزيز أسأله عن هذه الآية ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ**﴾،فكتب إلي أن: **(ذلك في النساء والذرية من لم ينصب لك الحرب منهم)**".

ونقرأ في الجامع الصغير للإمام السيوطي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الذي يقول فيه:

(اقتلوا شيوخ المشركين، واستبقوا شرخهم)، ويشرح الحديث فيقول:

"اقتلوا شيوخ المشركين": أي الرجال الأقوياء... ولم يرد الهرِم الذي لا قوة له ولا رأي... روى أنس: **(لا تقتلوا شيخا فانيا)** و قوله: **(واستبقوا شرخهم)**: أي المراهقين الذين لم يبلغوا الحلم؛ شرخ جمع شارخ، والشرخ هو بدو الشباب ونضرته" التخريج (مفصلا): أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي عن سمرة تصحيح السيوطي: صحيح

وهكذا نجد هنا رحمة الإسلام في تحريم قتل النساء والشيوخ والأطفال وحتى الصبيان المراهقين الذين لم يبلغوا الحلم من أبناء المقاتلين في دار الحرب.

* وصية خليفة رسول الله[1] لجنود المسلمين قبل المضي إلى القتال

وفي **وصية أبي بكر الشهيرة** لجنود المسلين الذاهبين إلى القتال نقرأ أنهّ قال:

" أوصيكم بتقوى الله، ولا تعصوا **ولا** تغلوا ولا تجبنوا، **ولا تهدموا بيعة، ولا** تغرقوا نخلا **ولا** تحرقوا زرعا، **ولا** تجسدوا بهيمة، **ولا** تقطعوا شجرة مثمرة، **ولا** تقتلوا شيخاً كبيرا **ولا** صبياً **ولا** صغيراً **ولا** امرأة، وستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسهم في الصوامع **فدعوهم** وما حبسوا أنفسهم له.." كنز العمّال

وفي رواية أخرى أنّ أبا بكر رضي الله عنه، قال:

" أوصيكم بعشرٍ فاحفظوها عني: **لا** تخونوا، **ولا** تغلوا[2]، **ولا** تغدروا **ولا** تمثلوا، **ولا** تقتلوا طفلاً صغيراً، **ولا** شيخاً كبيراً، **ولا** امرأةً، **ولا** تعقروا نخلاً، **ولا** تحرقوه، **ولا** تقطعوا شجرة مثمرة، **ولا** تذبحوا شاة **ولا** بقرة **ولا** بعيراً إلا لمأكلّة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع **فدعوهم** وما فرغوا أنفسهم له.." كنز العمال

وهكذا يستطيع العالم أن يتأكّد من أنّ المقاتلين المسلمين لا يتسلّحون في قتالهم للعدو بالسلاح فقط وإنما **يتسلّحون أيضاً بالأخلاق الإسلامية وبرحمة الله تعالى** من خلال تطبيق تعاليم الإسلام الذي يملي عليهم حتى في أرض المعركة والقتال:

---

[1] - صلى الله عليه وعلى آله وسلّم

[2] - تغلّوا: غلّ في المغنم

* أن يتّقوا الله في الناس وحُرماتهم وحقوقهم وأن يضعوا رحمته نُصب أعينهم..

* وأنّهم بتقواهم لله يُطيعون أمراءهم فلا يتمرّدون ولا يعصون..

* وأنّهم يكونون أمناء فلا يغلّون..

* ولا يهدمون معبداً ..

* ولا يُغرقون شجراً ..

* ولا يحرقون زرعاً ..

* ولا يُقاتلون إلاّ المقاتلين ..

* ولا يذبحون بهيمة ..

* ولا يقطعون شجرة مثمرة ..

* ولا يقتلون شيخاً كبيراً ..

* ولا يقتلون طفلاً ولا صبياً ..

* ولا يقتلون امرأة ..

* ولا يتعرّضون بالقتل أو الأذى لعابد يعبد ربّه مهما كان دينه ومعتقده.

تلك هي رحمة الإسلام العسكري وأخلاق مُقاتليه الذين يحرّمون على أنفسهم ما حرّم الله عليهم فعله سواء زمن السلم في دار السلام، أو زمن الحرب وفي دار الحرب. وهذا يؤكّد أنّ **الحرب بالنسبة إلى المسلمين إنما هي مجرّد دفاع عن**

النفس لحماية الحرمات والمقدّسات البشرية، وحماية للجنس البشري من الفناء باعتداء المُعتدين. وأمّا في حقيقة الأمر فهم يكرهون القتال ويتمنّون لو أنّ الأعداء لا يعتدون، بل يخضعون للحق ويُسلمون له دونما قتال، قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 217

وهكذا فحرب المسلمين الرحيمة لا تكون إلاّ دفاعية لحقن الدماء لا لسفكها، ولصون الأرواح لا لإزهاقها، ولنشر العدل والسلام لا الظلم والحرب والإرهاب.

* أخلاقيات الإسلام العسكري

الحرب الدفاعية الإسلامية ما كانت، ولا تكون، في يوم حرباً هوجاء لا غاية وراءها إلاّ القتل والتدمير لتحقيق المطامع. بل كانت، ولا تزال، حرباً دفاعية، **تردّ العدوان، وتدفع الظلم، وتعيد الحق إلى نصابه في سبيل تحقيق وترسيخ السلام الحقّ للجنس البشري كلّه ورحمة للعالمين**.. ومن هنا ندرك أنّ الحرب الإسلامية كانت دائماً حرباً جادّة حاسمة قوية لا تردد ولا تراجُع فيها لأنها لا تكون إلاّ بعد إصرار المعتدين على تجاوز حدودهم والعناد في الاعتداء السافر الصريح أو المتآمر الماكر الغادر في الخفاء.

ونقرأ في كتاب الله تعالى عن أخلاقيات وأسس الإسلام العسكري قولَ الله عزَّ وجلّ:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِين﴾ الأنفال 9

*إعلان القتال بوضوح وعدم الغدر

يأمر الله تعالى المسلمين في هذه الآية، أنّهم إذا ما أخلف قوم عهداً معهم، فإنّ عليهم أن يُعْلِموهم بوضوح أنّ عهدهم قد انتهى، وأنّ المسلمين سيصدّون القتال حال الهجوم عليهم بكلّ ما يملكون من قوة.. وهكذا نرى أنه **غير مسموح للمسلمين وتحت أية ظروف أن يقوموا بهجوم مفاجئ غادر ودون إعلام مسبق.**

إنّ التعبير القرآني: **(على سَواء)** يعني أنّ كلّ طرف في القتال يجب أن يكون عارفاً بأن الطرف الآخر قد تحرّر من الالتزام بالعهد الذي كان مرتبطاً به.

وهكذا فإنه لا غدر ولا عدوان في الحرب الإسلامية الدفاعية لأيّ سبب كان، بل هي حربُ حقٍّ لا تهدف إلاّ إلى الدفاع عن الحق والحُرمات والحياة والسلام ضدّ القوى العدوانية التي تهدّدها بالحرب والعدوان الهادف إلى نبذ الحقوق وتدمير السلام.

*النصر أو الشهادة بلا تردد ولا إدبار

وبعد أن يعلن المسلمون عن موقفهم من أعدائهم وأنهم قد باتوا في حِلٍّ من المعاهدة التي كانت بينهم بسبب عدوانهم، فإنهم حين يردّون على هجوم العدو ينطلقون إلى النصر أو الموت دون تراجع أو تردّد، ولا يلتفتون وراءهم مطلقاً، يقول تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ**﴾ الأنفال 16

هنا يأمر الله عزّ وجلّ المسلمين أن يقاتلوا حتى النهاية.

عليهم أن يفوزوا بالنصر أو يموتوا،

وليس ثمة سبيل آخر مفتوح أمامهم.

*الثبات والصبر والالتزام بطاعة الله ورسوله

ويلتزم المسلمون في الحرب بالثبات وذِكر الله وطاعته وطاعة رسوله ويتوحّدون في إيمان واحد على الجهاد في سبيل الله وتحقيق النصر لدينه والمؤمنين دفاعاً عن الحق في الحياة والمعتقد. وحالما يدخل المسلون ساحة الحرب دفاعاً عن الحق والسلام فإنهم لا ينسحبون حتى النصر أو الشهادة في سبيل الله وحده، يقول تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ الأنفال 16 – 17

تبين هذه الآية الكريمة أنّ الله تعالى يحرّم على المسلمين الانسحاب أثناء قتال العدو إلا في الشروط المحددة التالية التي يكون فيها الانسحاب ظاهرياً فقط:

1) الانسحاب على أساسِ استراتيجيةٍ حربية أو مناورة قتالية في معركة، وذلك

عندما تُغيّر قوةٌ مقاتلة موضعها لتضليل العدو أو لتحتل موضعاً قتالياً أفضل.

2) عندما يقرر جزء من الجيش الإسلامي أن يتراجع لينضم إلى الجسم الرئيسي من الجيش أو إلى قوة إسلامية أخرى قبل شن معركة على العدو.

وينتصر المؤمنون بإذن الله تعالى لأنهم يتحلّون بالصبر المجاهد ضدّ الظلم والعدوان الهادف إلى محق حرية الإنسان في دينه ومعتقده. وكما رأينا فإنّ الله تعالى يأمر المسلمين في هذه الآية بالصبر وعدم التراجع كي لا يفشلوا وتذهب ريحهم.. ومن بين المعاني الأخرى فإن كلّمة ريح تعني الهيمنة والقوة والنصر.

* الحرب الإسلامية تنتصر للحق ولا تكون عدوانية ولا نفعية

ولا تكون حرب المسلمين إلاّ انتصاراً للحق، ولذلك فهي لا تكون عدوانية نفعية تَشَوُّفيّة تهدف إلى التعالي والتفاخر والظهور بأي شكل كان، يقول تعالى:

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. الأنفال 48

إنّ حرب المسلمين الهادفة إلى نشر الحق والسلام لا يبحث فيها المسلمون إلاّ عن الانتصار للحق أو الموت في سبيل الله، ونقرأ في التاريخ عن **عتبة بن عمير** الذي أرسلته قريش ليستطلع خبر المسلمين يوم بدر أنه قال لهم: لن ينهزم المسلمون لأنهم كما رآهم كانوا يبحثون عن الموت.

وكما يشهد التاريخ أيضاً فإنّ المسلمين قد اضطروا إلى الحرب القتالية مع المشركين لأنهم كانوا ينقضون عهودهم وميثاقهم في كلّ حين، يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كلّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ﴾ الأنفال 57

ولذلك جاء أمر الله لرسوله بقتالهم بهذه الصورة الرائعة:

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ الأنفال 58

إذن فالله تعالى يأمر المسلمين ألاّ يرفعوا السلاح لقتال المعتدين دون مبرّر حقٍّ .ولكنهم حالَ يرفعون السلاح فإنّ عليهم أن يقاتلوا بشجاعة وبسالة وأن يسدّدوا ضربات مميتة تخلع قلوب العدو رعباً وفزعاً. ويبيّن القرآن الكريم هنا أنّ الحرب التي تسير بضعف وتعثّر لا يمكن أن تكون سياسة حكيمة، وإذا كان لا بدّ من الحرب فيجب أن تكون سريعة خاطفة وحاسمة حتى الفوز بالنصر أو الشهادة.

*المسلمون يعدّون للحرب ما يستطيعون من قوّة

وكذلك يأمر الله تعالى المسلمين أن يعدّوا للحرب عدتها على أكمل وجه ممكن، يقول ربنا القوي القادر:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال 61

إنّ كلّمة قوة هنا تعني: كلّ ما في أيدي المسلمين من قوة بما فيها جميع أنواع وسائل الحرب. وتبيّن هذه الآية للمسلمين أنّ **الاستعداد الكافي هو أفضل وسيلة لمنع الحرب**، وتعلّمهم أنه ليس عليهم فقط أن يحتفظوا بقوة كافية ضمن

بلادهم، بل إنّ عليهم أن يضعوا قوات كافية على الحدود، وأن يُلزموا أنفسهم بالإيمان والحكمة والقوة بشكل يدفع العدو في المناطق البعيدة عن موقع القتال إلى التخلّي عن كلّ فكرة تتعلّق بالحرب مع المسلمين.

وتشير هذه الآية أيضاً إلى ضرورة الإنفاق بسخاء لأجل الحرب، كما يبدو أنها تحتوي على التحذير والنبوءة للمسلمين بأنّ العرب المشركين ليسوا الأعداء الوحيدين لهم، ولكن ثمة قوماً آخرين سوف يهاجمونهم ويشنّون الحرب عليهم في المستقبل القريب.

هذه النبوءة كانت تشير إلى الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية اللتين كان على المسلمين محاربتهما دفاعاً عن الكيان الإسلامي في وقت قريب بعد وفاة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

*المصابرة والمرابطة

و يأمر الله تعالى المؤمنين في جهادهم وقتالهم بالصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى الله، فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
آل عمران 201

إن كلّمة رابطوا تعني: ثابروا في القتال ضدّ عدوّكم، واربطوا خيولكم على الحدود، أو أَلزموا أنفسكم باستمرار ومواظبة على الواجبات المطلوبة في دينكم، أو كونوا واعين منتبهين إلى أوقات الصلاة. وتبيّن هذه الآية الكريمة:

*متطلبات النجاح والفوز الخمسة وهي:

1) التدريب على الصبر والثبات.

2) إبداء الصبر والثبات أكثر من العدو.

3) بذل المرء نفسه دائماً لخدمة دينه ومجتمعه.

4) السهر على حماية الحدود ضدّ هجمات العدو.

5) التزام حياة التقوى.

*المسلمون لا يخشون الكثرة

ويأمر الله تعالى رسوله الكريم بتحريض المؤمنين على قتال المعتدين انتصاراً للحق والسلام، ويعده بأنه سيكون مع الصابرين، يقول عزّ وجل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّن الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ * الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال 66 - 67

المسلمون يغلبون أضعافهم من العدو لأنّ جنود العدو غالباً ما يكونون بمثابة المرتزقة ولا تقوى لهم في الحرب التي يخوضونها، وليس لهم هدف سامٍ شريف فيها، فهم لا يشعرون باهتمام ومصلحة حقيقية. أو أنّ الآية تعني أنه ليس لأعداء

المسلمين مُثُلٌ عليا حقّة لنصرها وخدمتها.. هذه الآية تتحدث عن واقعية مشهورة ومشهود لها.

في معارك بدر وأُحُد والخندق كان الفارق بين عدد القوات الإسلامية والمعادية يزداد باستمرار، ومع ذلك فإن المسلمين أثبتوا قوتهم الهائلة في مواجهة العدو إلى حد أنهم هَزموا في معركة اليرموك جيشاً كان قوامه مليون جندي في حين أنّ عدد جيش المسلمين لم يتجاوز الستين ألف جندي.

قال تعالى: ﴿**كَم مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ **(البقرة 250)**

*المسلمون لا يوالون ولا يوادّون عدوّ الله وعدوّهم

وكذلك حرّم الله على المسلمين، اتخاذ عدوه وعدوهم أولياء يلقون إليهم بالمودة، قال تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ**﴾ الممتحنة 2

إن هذه الآية الكريمة تتحدث عن تحديد الصلة بين المسلمين والكيان المعادي لهم حصراً. ويتميز التحريم هنا بالحزم، حيث يُبيّن أمرُ الله تعالى أنه غير مسموح للمسلمين أن ينشئوا صِلات ودية مع الأعداء. وأما عن موقف الإسلام من الكيانات الأخرى غير الإسلامية وغير المعادية فهو واضح، إذ إنّ على المسلمين

أن يكونوا بارّين مع خلق الله جميعاً مهما كانت أديانهم أو معتقداتهم شريطة ألاّ يكونوا معتدين، يقول تعالى:

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة 9

وقد قرأنا في سورة البقرة **عن قواعد الحرب الإسلامية**، حيث يقول ربنا عزّ وجل:

﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ* وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُم فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. البقرة 191 - 194

تحدد هذه الآيات الكريمة:

* قواعد الحرب الإسلامية وقوانينها:

1) يكون اللجوء إلى الحرب في سبيل الله وحده وليس بدافعٍ أو حافز من أية مصلحة خاصة أو غاية أنانية ولا من أجل التوسع أو التقدم لأجل ما يُسمّى بمصلحة الأمة أو أية مصلحة أخرى.

2) لا يحارب المسلمون ولا يقاتلون إلاّ المعتدين الذين يقاتلونهم أولاً، ولا يكونون معتدين بأي حال من الأحوال.

3) على المسلمين، حتى بعد أن يكون العدو قد بدأ هجومه، أن يبقوا الحرب ضمن حدودها وألاّ يجعلوها تتجاوز الهدف القائم.

4) على المسلمين محاربة الجيش النظامي فقط، فلا يهاجموا أو يزعجوا أو يؤذوا غير المقاتلين.

5) يجب تأمين الظروف لجميع الشعائر الدينية والمواعظ والخطب أثناء مسيرة القتال.

6) يحرم الهجوم على المعابد الدينية والكنائس وغيرها من دور العبادة أو إيذائها تحريماً مطلقاً، إلى حدّ أنه لا يسمح بالقتال حتى في المناطق المجاورة لهذه الأماكن المقدسة.

7) إذا ما استخدم العدو مكان عبادة كقاعدة للهجوم.. عند ذلك فقط يمكن للمسلمين أن يردّوا الهجوم في المكان أو قربه.

8) يستمر القتال فقط طالما كان العدو مستمراً ومتابعاً اضطهاده وتدخله في الحرية الدينية.

9) إنّ مفهوم الحرب الشاملة لا وجود له في تعاليم الإسلام؛ وهو ينظر إلى ما يُسمّى بسياسة "**الأرض المحروقة**" باعتبارها سياسة إجرامية غاشمة منبوذة ومحتقرة.

* المسلمون يجنحون للسلم دائماً

وبالرغم من الحق الذي أعطاه الله تعالى للمسلمين في الدفاع عن دينهم

ومعتقدهم وأنفسهم، ورغم أنّ المسلمين إذا دخلوا ميدان القتال لا يلتفتون وراءهم ولا يولون الأدبار ولا يغادرون أرض المعركة إلاّ بالنصر أو الشهادة، فإنّ الله عزّ وجلّ يأمرهم أيضاً أن يهدفوا إلى السلم والسلام عند أية فرصة ممكنة وأن يجنحوا إلى السلم متوكّلين على الله دون خوف أو تردد، يقول تعالى:

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الأنفال 62 - 63

إنّ هذه الآية الكريمة، بالإضافة إلى أنها تبين مبدأً رئيساً يتعلق بمعاهدات السلام الإسلامية، فإنها تلقي ضوءاً مهماً على شخصية الحرب الإسلامية.. فالمسلمون لم يشنوا الحروب إكراهاً للناس على اعتناق الإسلام، بل إنما اضطروا إلى شنها من أجل ترسيخ السلام وحفظه. ولو أنّ أيّ قوم شنوا على المسلمين حرباً، ثم سعوا بعد ذلك إلى السلام، فإنّ الله تعالى يأمر المسلمين ألاّ يرفضوا عرض السلام حتى لو كانت غاية العدو هي التماس فرصة لخداع المسلمين وكسب الوقت، حيث نجد في هذه الآية الكريمة ضماناً من الله عزّ وجل بأن يكون هو حَسْبُ المسلمين وأنه سيؤيدهم بنصره.

إنّ هذا المبدأ الإسلامي العظيم في الجنوح للسلم حتى وقت الحرب حينما يجنح العدو إليها، يُري العالم أجمع وبكلّ وضوح إلى أي مدى يمضي الإسلام العظيم لترسيخ السلام في العالم من أجل الجنس البشري كلّه.

* غزوات الرسول ﷺ كانت جميعها دفاعية

يُنادي البعض بمقولة الحرب المقدّسة زاعمين أنها الجهاد المقدّس، في حين أنّ كلّمة الجهاد في اللغة العربية لا تتضمّن معنى القداسة، كما أنها لا تتضمّن معنى الحرب. وإنّ رَفْعَ كلّمة الجهاد على أنها الحرب المقدّسة، إنما هو تأويل اعتباطي مُغرض ومرفوض! وذلك لأنّ **كلّمة الجهاد إنما تنطبق ببساطة على أيّ نشاط أو عمل يُنفَّذ بجهد ومشقّة ويستلزم المجاهدة الكبيرة.**

والجهاد هو الجهد الأكبر المُطبّق على عمل ما. فالتضحية الكبرى بوقت الإنسان، أو بثروته، أو شرفه الشخصي في سبيل هدف نبيل إنما هو جهاد. كما وإنّ إعلان وتعليم الحقّ والحقيقة في ظروف تتضمّن المخاطرة الكبيرة على حياة المرء جهاد أيضاً. وأن تقوم في وجه طاغية **دفاعاً** عن ضحايا الظلم والاضطهاد هو جهاد؛ وكذلك نضال المرء ضدّ ضعفه الذاتي وأنانيته، أو ضدّ الانحلال الخُلقي للمجتمع، وضدّ الظلم والخطأ وضدّ العدو الذي يُهاجم بلاده وضدّ الإكراه في الدين وضدّ اضطهاد البريئين —كلّ هذه الأمور والممارسات تأتي تحت مفهوم الجهاد.

وأما فيما يتعلّق بالحرب، فإنّ الإسلام لا يسمح بالحرب العدوانية بهدف التوسّع. وكي نفهم مصطلح "الأهداف التوسّعية" فإنّ علينا أن نرجع إلى الشروط الكائنة أيام الإسلام المبكّر عندما كانت مثل تلك الحروب العدوانية هي السائدة. وببساطة فإنّ الإسلام قد وضع حدّاً للحروب العدوانية، وسمح فقط بالحرب

الدفاعية في تلك الظروف، وذلك بعد فشل جميع الجهود التي سعى بها لحفظ السلام، وبعد أن فرضَ العدوُ الحربَ على الدولة الإسلامية آنذاك.

إنّ مثل تلك الحرب الدفاعية مسموح بها **بُغية إعادة الأحوال إلى السلام، وليس لخرق وتشويش السلام**. وستبدو هذه الحقيقة واضحة من خلال بيان الحروب التي تورّط بها المسلمون الأوائل على كُره منهم. في هذا البيان، سنذكر باختصار مفيد دراسة موجزة لأحداثٍ ستة تتعلّق بهذه الحروب:

* معركة بدر

أُخرج المسلمون من بيوتهم في مكّة بعد أن تعرّضوا لمدّة ثلاثة عشر عاماً إلى الاضطهاد الظالم والمعاناة الشديدة على يد المكّيين. وطوال تلك المدة الطويلة من الاضطهاد لم يتعرّض المسلمون لأحد بالأذى. وبعد هجرتهم، أقاموا في المدينة التي كانت تبعد عدّة مئات من الكيلومترات عن مدينتهم ووطنهم مكّة. وخلال وقت قصير اضطُّر المسلمون إلى مواجهة جيش قوامه ألف فارس متمرّس مدجّج بالسلاح؛ حيث أرسل المكّيون هذا الجيش إلى المدينة لاجتثاث شأفة المسلمين في وطنهم الجديد—المدينة. ولمقابلة هذا العدوّ استطاع المسلمون النازحون أن يجمعوا فقط 313 رجلاً من المسلمين. ولم يكن لدى هؤلاء ما يركبوه سوى فرسين وبضعة جِمال. وبفضل الله تعالى ورحمته، فقد نتجت المعركةُ، التي تبعت هذا اللقاء، عن هزيمة بائسة للجيش المكّي الفائق كثيراً عدداً وعُدّة. ويجب الملاحظة هنا، كما في المواضع الأخرى المتعلّقة بهذا الأمر، أنّ المسلمين لم يذهبوا

من المدينة إلى مكّة للقتال، بل على العكس تماماً، فالمكيون هم الذين زحفوا بجنودهم ومقاتليهم إلى المدينة لمهاجمة المسلمين وقتلهم.

تُعرف هذه المعركة في التاريخ بمعركة بدر.

* معركة أُحُد

قرّر المكّيون الانتقام لهزيمتهم المهينة في معركة بدر. ولذلك فإنهم قد زحفوا، بعد سنة واحدة، بثلاثة آلاف مقاتل مدجّجين بالسلاح، إلى المدينة. وحتى في هذه المناسبة فإنّ المسلمين المدافعين كانوا أقلّ عدداً وعدّة. فلقد أتى المكيون بجيش قوامه ثلاثة آلاف جندي، منهم سبعمئة رجل مدرّع، ومئتي راكب فارس. وفي مقابل ثلاثة آلاف جندي مكّي كان لدى المسلمين فقط سبعمئة جندي، مئة منهم مدرّعين وحصانين فقط.

وبعد تراجع جزئي من قبل الجيش المسلم في مرحلة معينة من المعركة، فإنّ هذه المعركة قد انتهت أيضاً بهزيمة العدو بالرغم من تفوّقه الواضح في السلاح وعدد الفرسان والرجال. وأثناء مسيرة هذه المعركة كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم مستهدَفاً لهجوم خطير مركّز عليه شخصياً، ولكنه، عليه الصلاة والسلام، أبدى شجاعة غير عادية في مواجهة الخطر الكبير. وهنا أيضاً، يجب ملاحظة أنّ المكيين هم الذين أجبروا المسلمين على أن يخرجوا من المدينة ويُدافعوا عن أنفسهم. وتُعرف هذه المعركة باسم معركة أُحُد وهو اسم الموقع الذي شهدها.

بعد هذه المعركة بوقت قصير ضَربت مكةَ مجاعةٌ مهلكة. ورحمة من رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلّم فتح تمويلاً لمساعدة العدو المصاب في ساعة الحاجة والعسر.

ويشهد التاريخ على هذه المبادرة الإنسانية الرحيمة المبينة، التي بادر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم تجاه أعدائه رغم أنهمّ كانوا قد شنواّ مرّتين هجوماً ظالماً في حرب عدوانية ضدّه وضدّ أتباعه المسلمين، وبغض النظر عن المعاناة الشديدة التي أوقعها عليه، هؤلاء المعتدون، وعلى المسلمين خلال ثلاثة عشر سنة من الاضطهاد الوحشي القاسي.

* معركة الخندق

في السنة الخامسة للهجرة، شنّ المكيون حملة حقد وكراهية عدوانية ضد المسلمين في الجزيرة العربية كلّها. حيث انضمّت قبائل عربية مختلفة في تحالفٍ جَمعَ قوّةً قوامها ثمانية عشرة إلى عشرين ألف مقاتل من الجنود الأشداء المتحمّسين لإفناء المسلمين. وقد زحف هذا الجيش باتجاه المدينة وكانوا واثقين أنه لا نجاة للمسلمين من الإبادة الشاملة هذه المرّة.

كان مجموع سكان المدينة في ذلك الوقت ثلاثة آلاف نسمة من بينهم يمكن جمع حوالي 1250 مقاتلاً فقط. لقد كان على المسلمين أن يواجهوا جيشاً يفوقهم خمسة عشر ضعفاً عدداً وعُدّة. لقد كانت محنة المسلمين التي لا يُحسدون عليها جلية واضحةً. ولكن الذي حدث ويشهد له التاريخ أنّ رعباً قد انفجر في قلوب أعداء المسلمين بعد حدوث بضعة أحداث غير متوقّعة اعتبروها دلالة

شؤم ماحق مما أدّى إلى انسحاب مُفاجئ سريع لجيش المتحالفين دون تحقيق غايتهم في إنهاء الإسلام وإفناء المسلمين.

تُعرف هذه المعركة في التاريخ باسم معركة الخندق.

* السَّرِية إلى سورية

هذا الحدث الرابع يبرهن بشكل شام على أنّ المسلمين **أبداً** لم ينطلقوا إلى ميدان المعركة بمبادرة من عندهم. ولكنهم كانوا في كلّ حين يُجبرون على ذلك.

أخذت قوات مسيحية على حدود سورية استعداداتها للهجوم على المدينة؛ وكان قد تمّ تحريضهم من قِبل قبائل يهودية ومن العرب المشركين. وبعد انتظار طويلٍ، وعبثاً، على أمل أن ينسحب العدو من الحدود؛ ومن خلال اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الشديد بالحفاظ على أمن المدينة فقد أَرسَل جيشاً قوامه ثلاثة آلاف جندي إلى الحدود مع سورية. وبمناسبة هذه البعثة أصدر الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم تعليمات تحكم سلوك المسلمين في الحرب. ويجد الدارس لهذه التعليمات أنها تشرّف مقررات مؤتمر جنيف المتعلّقة بالحرب.

أمر الرسول المسلمين أن يحاربوا بكلّ شجاعة، شريطة ألاّ يتخلّوا مطلقاً عن السلوك الإنساني القويم. فقد أمرهم ألاّ يتعرّضوا بالإساءة إلى أيّ كاهن أو راهب أو أي عابد منشغل بخدمة الدين والحفاظ على دور العبادة. وكذلك أمَر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلّم جنودَ المسلمين ألاّ يقربوا النساء والأطفال والعجائز، وأن يكونوا رحماء بهم، وألاّ يتعرّضوا لهم بما يسيء إليهم أو يؤذيهم. وأمرهم بأن

لا يدمّروا العُمران، وأن يُحافظوا على الزروع والأشجار فلا يقطعوا شجرة ولا يُغرقوا زرعاً؛ وكذلك أمرهم أن يُحافظوا على البنيان فلا يهدموها[1].

وعندما وصل الجيش المسلم إلى الحدود السورية، علموا أنّ القيصر نفسه قد جاء زاحفاً على رأس مئة ألف مقاتل من جنوده المدججين، بالإضافة إلى عدد مشابه من جنود القبائل المسيحية.

وليس من الصعب هنا تخيّل حال ثلاثة آلاف جندي يسعون إلى مقاومة وصدّ مئتي ألف مقاتل تحت القيادة الشخصية للقيصر.

لقد كان عليهم أن يواجهوا اجتثاثاً بتّاراً مؤكّداً!

وبدأ القادة المسلمون يتساقطون واحداً بعد الآخر، ولكن المجموعة الإسلامية الشجاعة الصغيرة انتصرت في النهاية، واضطر الجيش البيزنطي إلى أن يُخلي ميدان المعركة بمعجزة مبينة أجراها الله عزّ وجل لإنقاذ الجيش المسلم.

لقد اتُّهم الإسلام اتّهاماً باطلاً بأنه قد انتشر بالسيف! **والحقيقة هي أنّ الإسلام كان قادراً على الانتشار رغم السيف الذي رفعه أعداؤه لاجتثاثه**. ويُفيض التاريخ بالبرهان على هذه الحقيقة.

* فتح مكّة

في السنة الثامنة للهجرة، وبعد هجرته إلى المدينة، دخل الرسول صلى الله عليه

[1] - كنز العمال باب أحكام الجهاد

وآله وسلّم ثانية مدينته الحبيبة الغالية وموطن مولده مكّة. كان مصحوباً بعشرة آلاف من أتباعه المؤمنين. ومع ذلك فإنّ هذا الجيش العظيم لم يدخل مكّة بقصد سفك الدم أو السلب أو الاعتداء، بل جاء مكّة فاتحاً ليغفِر للعدو الظالم ويسامحه، وليعلن بأنّ النبي قد جاء مكّة لينسى جميعَ اضطهاداتهم وخطاياهم، وليرحم أولئك الذين اضطهدوه وعذّبوا أتباعه وشنّوا الحروب الظالمة ضدّهم.

إنّ هذا الدخول الفريد إلى مكة، بمثل هذه القوّة الكبيرة، كان يمكن أن يكون فرصة ممتازة لأن يُكرِه العدوَ المقهورَ على الدخول في الإسلام، ومع ذلك فإنّ فرداً واحداً من أهل مكة أو طُغاتها لم يُطلب إليه أن يدخل في الإسلام، كما أنه لم يُهدَّد غاشمٌ واحد بالردّ الانتقامي بالمثل على ما ارتكب من آثام في حقّ المسلمين!

صحيح أنه قد قَبِل، في تلك المناسبة، عددٌ من العرب الإسلامَ ودخلوا فيه؛ ولكنّ التاريخ يشهد بأنّهم قد فعلوا ذلك باختيارهم هم وعن طواعية أنفسهم ودون أيّ إكراه.

*معركة حُنين

خلال شهر واحد من فتح مكة الشهير، اضطُرّ المسلمون ثانية للذهاب إلى أرض المعركة لمواجهة جيش قوامه سبعين ألف مقاتل قرب حُنين. وبعد شيء من الاضطراب في بداية المعركة داخل الجيش الإسلامي، فإنّ هذه المعركة أيضاً قد اختُتمت بالنصر الكامل للمسلمين—الأمر الذي قوّى إيمانهم بالعون والنصر

الإلهي.

إنّ هذا الملخّص الموجز للاشتباكات العسكرية في الزمن المبكّر للإسلام، والذي يشهد عليه التاريخ ويعرفه الناس، لَيتحدّث بكلّ فصاحة وطلاقة، ويبيّن، في جميع صوره، الافتراء الذي طالما ردّده خصوم الإسلام بأنّ المسلمين قد استخدموا القوّة لنشر الإسلام بالإكراه. ولعلّ خصوم الإسلام ومنتقدي رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم يَتبيّنون الحق ويستخدمونه عند حُكمهم على تعاليم الإسلام[1].

وفي بيان منطقي حاسم يؤكّد الإمام ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام أنّ الافتراء بأنّ الجهاد في الإسلام يسمح باستخدام القوّة لنشر الدّين بالإكراه يشكّل مدعاة للطعن يرفضها المنطق الإيماني والإنساني السليم، فيقول:

"ومن السهل جداً أن يُدرك كلّ عاقل أنّ مثل هذه العقيدة مدعاة لطعن شديد، أعني أن نُكره الشعوب الأخرى على قبول الإسلام، وإلاّ فمصيرهم القتل! إنّ الضمير الإنساني ليدرك بسهولة أنّ إجبار إنسان وإكراهه على قبول عقيدة ما بتهديده بالقتل قبل أن يعي حقيقتها ويتبيّن تعاليمها الخيّرة ويطّلع على مزاياها الحسنة لهو أسلوب مستنكر للغاية. وكيف يمكن لدين أن يزدهر بهذا الأسلوب، بل على العكس، فهو سيعرّضه للانتقاد من قِبل كل مُعارض. وإنّ مثل هذه المبادئ لتؤدّي، في نهاية المطاف، إلى خلوّ القلوب من مؤاساة الإنسان نهائياً، كما أنها تقضي على الأخلاق الإنسانية العظيمة كالرحمة والعدل قضاءً تامّاً؛ وتحلّ محلها الضغينة والبغضاء المتزايدتان، وتنمحي الأخلاق الفاضلة، ولا تبقى إلاّ الهمجية. وحاشا أن تصدر مثل هذه التعاليم الظالمة عن الله الذي لا يؤاخذ أحداً إلاّ بعد إقامة الحجّة عليه.

[1] - عن مجلّة Review of Religion العدد 3 عام 1986

علينا أن نفكر هل من الحق في شيء أن نقتل، دون تَروّ أو تريّث، شخصاً لا يؤمن بدين حقّ بسبب عدم اطّلاعه على دلائل صدقه وسموّ تعاليمه ومزاياه؟ كلاّ، بل إنّ مثل هذا الشخص أحقّ بالترحّم، وأجدر بأن نوضّح له، بكلّ رفق ولين، صِدق ذلك الدين وفضائله ومنافعه الروحية، لا أن نُقابل إنكاره بالسيف أو الرصاص."[1]

وفي موضع آخر يُتابع حضرته فيقول:

"ومن الواضح أنّ الإسلام لم يأمر بالجبر والإكراه قط. فإننا لو أمعنّا النظر في القرآن الحكيم وكتب الحديث وكتب التاريخ جميعاً، أو سمعناها من أحد بإمعان وتدبّر قدر الإمكان، لكشف لنا هذا الاطّلاع الواسع، بكل تأكيد، أنّ اتّهام الإسلام برفع السيف لأجل نشر الدّين بالقوّة لهو بهتان عظيم وافتراء مخجل؛ وإن هو إلاّ زعم أولئك الذين لم يدرسوا القرآن والأحاديث وكُتب تاريخ الإسلام الموثوق بها دراسة محايدة خالية من التّعصّب، بل قد بذلوا جهدهم في التزوير والافتراء. ولكنني على علم بأنه قد اقترب الآن الزمن الذي يُدرك فيه المتعطّشون للحقّ زيف هذه البهتانات.

إذن فكيف يُمكننا أن نصِم بالإكراه والجبر ديناً يُعلّمنا كتابُه، القرآن الكريم، في صراحة تامّة أن ﴿**لا إكراه في الدّين**﴾! وهل يحقّ لنا أن نتّهم بعقيدة الإكراه ذلك النبّي العظيم الذي ظلّ يوصي أصحابه طوال ثلاثة عشر عاماً، في مكّة المعظّمة، بأن لا يُقابلوا الشر بالشر، وأن يظلّوا متمسكين بأهداب الصبر؟

نعم لمّا تجاوز عدوان الأعداء الحدود كلّها، وتألّبت جميع الشّعوب للقضاء على دين الإسلام، اقتضت غيرة الله أن يُقتل بالحسام من يرفع الحسام؛ وإلاّ فإنّ القرآن لم يُعلّم الإكراه مطلقاً. ولو كان الإكراه من تعاليم الإسلام لما استطاع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلّم

[1] - الإمام ميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية، في كتابه (المسيح الناصري في الهند) ص 6-7 –الناشر الشركة الإسلامية المحدودة.

أن يُقدّموا عند الاختبارات أسوة الصّدق والوفاء كالمؤمنين الصادقين. وإنّ وفاء أصحاب سيّدنا ومولانا ونبينا صلى الله عليه وسلّم لأمر غني عن البيان كلّه؛ إذ لا يخفى على أحد أنّ مواقف صدقهم ووفائهم قد بلغت من العظمة بحيث لا يوجد لها نظير في الأمم الأخرى. إنّ هذه الأمّة الوفية لم تتخلَّ عن صدقها ووفائها حتى تحت ظلال السيوف، بل أبدت في سبيل الوفاء لنبيها المقدّس العظيم من الصدق ما لا يمكن أن يتحلّى به أيّ إنسان إلاّ إذا كان قلبه وصدره منوَّرين بالإيمان."[1]

وهكذا نجد أنّ الجهاد في الإسلام لا يعدوا عن كونه الدفاع الإنساني المشروع عن جميع حقوق الإنسان وحُرُماته، ولذلك فهو لا ينطلق إلاّ بالحق والرحمة والرّأفة الإنسانية الشاملة، ولا يكون، بأيّ شكل كان، عدواناً أو ظلماً أو إرهاباً، لأنّ هذا يتنافى، وبشكل جذري، مع الغاية التي شُرِع من أجل الحفاظ عليها. فالجهاد هو في الأساس دفاع عن حق الإنسان في نشر الرحمة والرأفة والحق والعدل والسلام وصيانة الحُرمات، وهو لذلك لا يمكن أن يُخالف هذه الأسس التي ما شُرع إلاّ لترسيخها وصيانتها وتحقيقها والحفاظ عليها. ومن هذا تعلم أنّ العدوان على الناس وحقوقهم وحُرماتهم وأمنهم وسلامهم لا يُمكن أن يكون جهاداً تحت أيّة ذريعة كانت أو راية رُفِعَتْ. بل هو عدوان وظلم وإرهاب أكيد!

كما أنّ الجهاد الأساس، في الإسلام، هو مجاهدة الهوى والنفس والنوازع الأنانية التي تسعى إلى السيطرة على الإنسان وسلوكه وتصرّفاته فتمنعه عن ممارسة السلوك الخُلُقي الإنساني القويم، وتشدّه إلى الهمجية البدائية أو الحيوانية المحضة التي تُحيل

[1] - المرجع السابق 10-11

الناس إلى مجرّد أفواه تنهش، أو مخالب تُمزّق، أو مدافن جماعية للأموال والكنوز التي يُحرم منها أطفال العالم الجياع والمرضى من الشيوخ والنساء والعاجزين عن الكسب، في جميع بقاع وزوايا أرض الفقراء، والبؤساء والمحرومين في هذا العالم المتخم بأموال الحرب والسلب والنهب والإرهاب!

وكذلك فإنّ جهاد الإسلام الكبير هو في نشر رسالة القرآن المجيد التي كلّها أمن وسلم وسلام ورأفة وخير ورحمة تشمل الناس جميعاً بلا تمييز أو تفريق، وتنظر بعين الحب الإلهي الشامل لخلقه جميعاً، وتذكِّر دائماً بأنّ رسالة رحمة الإسلام ليست حكراً على من أسلم وكفى، بل هي كانت وما تزال رحمة للناس جميعاً كما أكّد ربنا عزّ وجلّ في خطابه لرسوله الكريم حيث قال:

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ الأنبياء 108

فكونوا رحمة للناس جميعاً تكونوا خير المجاهدين.

*** همسة حب**

بتواضعِ ولهفة الأخ المحبّ أقول:

قد جعل الإسلامُ كلّ خطوة في العمر جهاداً:

* برّوا والديكم ليبرّكم أولادكم.

* اصنعوا الحب لكم في قلوب أزواجكم، تعيشوا العمر كلّه حُبّاً.

* اجعلوا من أبنائكم وبناتكم أشجاراً باسقة بالخير والجمال فتصير بيوتكم

حدائق سرور وبهجة.

* احرصوا على أن تكونوا خير رأس لخير جسد تعيشوا عمراً طويلاً مثمراً.

* ربّوا مواطنيكم على الحريّة والعزّة والكبرياء الحقة، لتحصلوا على وطن عزيز مفعم بالكبرياء.

* اجتهدوا لتكونوا خيراً وعوناً مخلصاً لجيرانكم فيشتدّ بنيان الوطن ولا تُعدموا عوناً.

* كونوا أشرف العاملين في أعمالكم ينهال الخير فياضاً على الجميع، ويُفرد الخبثاء.

*كونوا أشجع رجال الحق في صولاتكم،

* وأفدى الجنود لأوطانكم،

* وأقوى الحرّاس لأمن أمتكم،

* وأصدق الناس في سعيكم.

* تَنوّروا ونوّروا العالم بإيمانكم،

* وأخلصوا في كلّ أمر لربكم ... ولائحة الجهاد الحقّ تطول وتطول، ولن تَغلبوها!

الفصل العاشر

البرهان على عدم جواز فرض الشريعة الإسلامية كقانون دولة!

ثمة سؤال هام يزداد إلحاحاً وأهمية مع تسارع الأحداث في دول منطقتنا وغيرها من دول العالم وهو:

*هل يمكن فرض الشريعة الإسلامية كقانون دولة؟[1]

وما رأي الإسلام في ذلك؟

إنّ الباحث عن إجابة لهذا السؤال من خلال الأسس والبيانات الإسلامية قد يتوصَّل إلى نتيجة مفاجئة إن لم يكن قد تفكَّر بهذا الموضوع من قبل.

الإسلام دين الفطرة، وهو لذلك ينسجم مع الإرادة الحرّة للإنسان الذي يدرك بعقله السليم أنه لا يمكن أن يؤمن إلاّ بما يؤمن به هو حرّاً مختاراً من نفسه، ويأبى أن يعتقد إلاّ بما يحب هو أن يعتقد به، أو أن يلتزم إلاّ بما يريد هو الالتزام به.

وبناء على هذه الحقيقة الإنسانية العلمية التي نؤمن أنّ الله يَعْلَمُها في خلقه، جاء أمره العظيم في القرآن الكريم أنه:

﴿**لا إِكْراهَ في الدِّين*** قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيّ﴾

---

[1] - هذا البيان مبنيّ -بتصرّف- على جواب ردّ فيه الإمام ميرزا طاهر أحمد الخليفة الرابع للإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية على سؤال أحد الحاضرين في جلسة أسئلة وأجوبة، ونشرته مجلّة التقوى الأحمدية بترجمة المؤلّف.

لماذا؟ لأنّ الإكراه في الدين لا يقدر أن ينتزع من قلب مؤمن عقيدةً أدركها وآمن بها، ولا أن يحشر فيه عقيدةً جديدة يفرضها عليه بديلاً عن إيمانه الذي اختاره هو بحرية و طواعية.

"إنّ بيت الدين هو أعماق القلب. إنه فوق حكم وسيطرة السيف. وكما أنّ السيوف لا تستطيع تحريك الجبال، فكذلك لا يمكن للقوة تغيير القلوب"[1].

إنّ طرح مثل هذا السؤال يجب ألاّ يهدف إلى تأييد فكرة ضدّ أخرى، أو مبدأ ضدّ آخر، بل يجب أن تكون الغاية من طرحه نبيلة وتهدف إلى مزيد من التقارب والتفاهم بين مختلف الطوائف والمذاهب الدينية في العالم، لأنّ العالم أحوج ما يكون، اليوم، إلى مثل هذا التقارب والتفاهم.

ومن هنا يفرض الواجب على المسلمين، أصحاب رسالة السلام للعالم، أن يتصدّوا بكلّ شجاعة وإيمان للردّ على مثل هذا السؤال الهام وأن يبيّنوا حقائقه الإسلامية.

نقول.. ما من شك في أنهّ ما من مؤمن بشريعة إلهية إلاّ ويعتقد أنّها الأصلح للحكم والتطبيق بين الناس.. وعلى هذا فإنّ المسلمين يعتقدون أيضاً أنّ تطبيق الشريعة الإسلامية الحقّة، في مجتمع ما، يكون من شأنه إقامة الحق والعدل في أهل هذا المجتمع ويحيله إلى جنّة أرضية يعمّها الخير والسلام، تماماً كما شهد التاريخ والزمان في العصر الذهبي للإسلام، حيث كان الحقّ والعدل هما الرائدين

---

[1] - الإمام طاهر أحمد في كتابه (القتل باسم الدين).

في المجتمع الإسلامي القائم على شريعة الله وأحكامه المنزلة في القرآن الكريم وبيان الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

ولكن السؤال هو: هل يجوز **فرض** الشريعة الإسلامية كقانون دولة يُطبَّق على جميع رعاياها بغضّ النظر عن أديانهم وطوائفهم ومعتقداتهم أو حتى إرادتهم؟

الشريعة هي قانون الإسلام والمسلمين، هذا لا شكّ فيه، ولكن إلى أيّ حدّ يمكن تحويل هذا القانون إلى تشريع يدير حكومة سياسية؟ هذه هي المسألة، وكثير من المسائل الجوهرية الأخرى تُبْنى عليها.

إنّ مسألة فرض الشريعة كقانون دولة تعني بالضرورة إعطاء الحق لأصحاب أي شريعة ما – أخرى – لأن يفرضوا شريعتهم كقانون. وإذا كان هذا الأمر (**حقّاً**) لفئة أو طائفة ما فلا بدّ أنه يجب أن يكون (**حقاً**")، أيضاً، لكلّ طائفة أخرى. وكي نستطيع تصوّر هذه المسألة بشكل أدقّ يفيدنا أن نضرب المثل التالي:

إذا كان ثمة –في دولة ما– مُسلمون من مذهب مُعيَّن يملكون الحق في فرض شريعتهم بحسب مذهبهم كقانون على جميع الناس في بلدهم، فإنه يحقّ بالمنطق نفسه والحقّ نفسه لكلّ بلد بأغلبية دينية أخرى أن تُطبِّق شرعها كقانون على جميع رعاياها.

تصوّروا ماذا سيحدث!

سيغدو العالم عند ذلك ميدان صراع عاتٍ، ليس من الناحية السياسية

فحسب، بل سيصير ميداناً للصراع الديني والسياسي معاً، حيث أنّ الشرائع والقوانين كلّها ستُعزى إلى الله، في حين أنها في واقعها ستكون جميعها مناقضاً بعها بعضاً بكلّ ما في الكلّمة من معنى. وذلك بناء على أنّ صاحب كلّ شرع سيعلن -بحسب فهمه- أنّ شيعته هي شرع الله ذاته وأنه لا يجوز مخالفتها أو تطبيق غيرها!

سيُعلن هذا، المسلم والمسيحي واليهودي والبوذي والهندوسي والزارادشتي والكونفشيوسي و... ولن يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنّ أصحاب الفرق ضمن الأديان ذاتها سيقومون بالإعلان نفسه والنداء ذاته على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم ضمن الدين الواحد.. سنّي أو شيعي أو غير ذلك في الإسلام..، أو كاثوليك أو أورثوذوكس أو بروتستانت أو غير ذلك في المسيحية.. وكذلك في بقية الطوائف من أية عقيدة أو مذهب.

تصوَّروا أنّ الكلّ يرفض والكلّ يأبى.. فمن هو صاحب الحقّ في فرض شريعته؟!

سيصل العالم حتماً إلى مثل هذه النتيجة العجيبة وهذا الدرب المسدود؛ وسيبدأ الناس بفقد إيمانهم بالله الذي هو شيء محدّد لفئة من الناس وشيء آخر لفئة أخرى، ويأمرهم أن ينفّذوا شرعه كقانون بالقوة على الناس، أو يعدّهم: غير مؤمنين به أو مخلصين له!

ولكن أيّ قانون، أو أيّ شرع يُريد تطبيقه، والكلّ يزعم أنّ قانونهم هو قانونه،

وشرعهم هو شرعه سبحانه وتعالى؟!

وعلى هذا يمكنكم أن تتخيّلوا بأنفسكم ماذا يمكن أن يحدث في بلد مثل الهند مثلاً إذا ما فُرِضت شريعة (منوسمرتي) الهندوسية كقانون للدولة، ثم فُرِضَ على المسلمين تطبيقه باعتبارهم أقلّية دينية هناك— بالرغم من كونهم يُعدّون بالملايين؟!

ولن تكون هذه مشكلة الهند وحدها، بل ستكون المشكلة الأشدّ خطراً في كلّ دولة أخرى في العالم. فمثلاً ماذا يحدث إذا قامت دولة إسرائيل الصهيونية في فلسطين المحتلّة بفرض الشريعة اليهودية شريعة (التلمود) هناك، ويعلم كلّ من قرأ هذه الشريعة أنه سيكون من المستحيل على أيّ مخلوق بشري العيش في ظلها بشكل طبيعي وأخلاقي. وهكذا فإن الحقّ نفسه سيكون للمسيحية وللبوذية ولأية ديانة أخرى!

ولكن ماذا عن المفهوم الأدقّ والأعمق لـ (الدولة)؟

هذا هو السؤال الأهمّ الذي يجب أن يبقى في أذهان المعنيين بالسياسة والقوانين الدولية.

والمسألة هنا هي أنه إذا ما وُلِدَ شخص ما في دولة ما فإنّ له الحقّ في أن يحمل جنسية مواطنيها، وبالتالي سيكون له حقّ المشاركة في تشريعها.. ونجد في المفهوم المدني لإدارة الحكومات والتشريع أنّ لأيّ مواطن وُلِدَ في أيّة دولة —مهما كان دينه أو لونه أو معتقده— حقوقه المدنية الأساسية، وأهم تلك الحقوق الحقّ

في المشاركة في التشريع. وهذا يعني من حيث المبدأ أنه يحقّ لكلّ شخص أن تكون له فرصة عادلة ومتساوية—على الأقلّ—لأن يجعل صوته مسموعاً من قِبَل الطرف المعارِض، وعلى أساس عام.

ولكن ماذا يحدث إذا فُرِضَت شريعة واحدة أو دين واحد كقانون للدولة؟ ماذا إذا فُرِضّت الشريعة الإسلامية كقانون في دولة ما؟

لابدّ عندئذٍ أن يُحسب باقي المواطنين، في تلك الدولة، كمواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة أو حتى الرابعة، **ولن يكون لهم حق في إبداء أيّ رأي في هذا التشريع**. ولن يكون هذا كلّ شيء، بل إنّ المشكلة سوف تزداد تعقيداً بين المسلمين أنفسهم، لأنّ المسلمين لهم كتاب موحى به من الله عزّ وجل، ويزعم كلّ من علماء الطوائف الإسلامية المختلفة بأن لهم **وحدهم** الحقّ في تفسير هذا الكتاب.. وأنّ التفسيرات الحقيقية لما جاء فيه هي ما يقولونه هم وحدهم، ولا يؤيّدون الكثير من تفاسير الآخرين بل يُخطّئونها ويعدّونها باطلة!

وهكذا فإنّ الهيئة التشريعية المختصّة بسَنّ القوانين المتعلّقة بالحقوق المدنية ستغدو ثانوية وتابعة للرأي المدرسي المذهبي لهؤلاء الذين احتكروا لأنفسهم فهم القرآن الكريم أو الذين يزعمون أنهم اختصّوا في فهمه، وأنّ لهم **وحدهم** الحقّ في بيان شرعه وتشريعه!

كيف يمكن عندئذٍ أن تكون العلاقة المشتركة بين الهيئة التشريعية وهؤلاء العلماء العاملين بفهمهم المذهبي الخاص والمتخصّص؟!

لا شكّ في أنّ هؤلاء العلماء سيعدّون بعض جوانب القانون التشريعي مخالفاً للفهم الإسلامي، وسيقولون بأنّه لا مجال في الإسلام لمثل هذا أو ذاك الهراء.. وعندئذٍ لا بدّ من السؤال:

أيّ الصوتين أولى بالاستماع إليه؟

وأيّ القرارين أولى بالتطبيق؟

وستُطرح الأمور على أنّ الله، سبحانه، **هو** الذي يتحدّث من خلال العلماء باعتبارهم يقولون بفهمهم المذهبي لشريعته؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى سيكون هناك صوت بقية الناس، عمومهم وأغلبيتهم في تلك الدولة..

وهكذا تصير المعضلة مستحيلة الحلّ!

ومع ذلك فهذا ليس كلّ شيء.

إنّ كلّ دين في أصله واحد، لكنه ومع مرور الزمن يبدأ بالانحراف والانقسام من داخله، ومن ثمّ يتعدّد وتزداد طوائفه أكثر فأكثر. وهكذا فإنّ الدين الذي كان مثلاً في زمن المسيح الناصري عليه السلام ديناً مسيحياً واحداً، نجده الآن نفسه قد تحوَّل إلى طوائف ومذاهب مسيحية كثيرة مختلفة! وإذا ما نظرتم من خلال وجهات نظر الطوائف المختلفة فإنكم تجدون حتى الأصل الواحد فيها يبدو مختلفاً في اللون، وكأن أتباع كلّ طائفة يرتدون نظارات عينية مختلفة الألوان، ويرون المفاهيم من خلالها بطرائق مختلفة أيضاً!

والأمر ليس مجرّد الاختلاف القائم بين المسلمين السنّيين أو المسلمين الشيعة،

أو كيف سيفسّر علماؤهم الشريعة لتطبيقها، إذ ثمة من المسلمين الشيعة حوالي أربعاً وثلاثين طائفة، وكذلك يوجد أربع وثلاثون طائفة من المسلمين السنّة، والجميع يختلف—بشكل أو بآخر—بعضهم عن بعض في تفسيراتهم للشريعة. وحقيقة الأمر انه لا يتّفق عالمان اثنان من مذهبين مختلفين على أمرّ واحد مهما كانت درجة أهميته!

ويفيد أن نضرب هنا مثلاً واقعياً حدث في دولة الباكستان المسلمة أثناء محاكمة المسلمين الأحمديين بتهمة أنهم غير مسلمين. حيث طلب القاضي من العلماء المسلمين أن يضعوا—بحسب علمهم—تعريفاً للمسلم.. وجاء، في المحصّلة، تقرير هذا القاضي يقول: إنه لم يتّفق –حتى– عالمان اثنان على تعريفٍ واحد للمسلم، ماعدا أحد العلماء الذي طلب إمهاله بعض الوقت ليعطي تعريفاً محدّداً! فما كان من ذاك القاضي، الذي كان يتميّز بروح النكتة والدعابة، إلاّ أن قال لذلك العالم: "ليس من الممكن إعطاؤك مزيداً من الوقت، إذ كان يكفيكم ما يزيد على ألف وثلاثمئة سنة لتتمكّنوا من تحديد أهم تعريف في الإسلام، فأيّة مهلة يمكن أن تفيدكم الآن"؟!

ولو تفكّرتم قليلاً لوجدتم أنه إذا ما فُرِضَت الشريعة كقانون دولة فإنه لن يُجرَّد الفردُ المسلم –فحسب– من الحق الأساسي له في المشاركة في تشريع بلده، **بل سيكون أيضاً، بين المسلمين أنفسهم، الكثيرُ من المذاهب والطوائف التي ستُحرم من هذا الحقّ الأساسي!**

وبالإضافة إلى هذه المشكلة الحسّاسة، فإن ثمة الكثير من المشاكلّ الأخرى في

هذا الصدد.. حيث نجد، مثلاً وبناءً على بعض مفاهيم الشريعة، أنّ العقوبة لجريمة ما في مذهب معيّن تكون مختلفة تماماً عنها في مذهب آخر، بحيث أنّ الإسلام سيمارَس من حيث تطبيقه في العالم بشكل مختلف كثيراً على الأساس نفسه.. وبذلك سيَخلُق هذا التطبيق العشوائي انطباعاً مريعاً عن الإسلام في العالم غير الإسلامي، وسيقول الناس في كلّ مكان: "**أي دين هذا الذي يُحدد عقوبةً لجريمة ما بشكل معين في بلد، وبشكل آخر في بلد آخر؟!**"؛ **بل وحتى في أماكن أخرى ولدى طوائف أخرى قد لا يكون ذلك العمل جريمة أصلاً!**

وهكذا تجدون، إذا تفكرتم مخلصين، أنّ دراسة جميع هذه المشاكلّ بعمق تؤدي بنا للوصول إلى القرار بأنّ تطبيق الشريعة كقانون في وقتنا الراهن يكاد يكون مستحيلاً.. **وعلاوة على ذلك فإنه سيؤدي إلى التعثّر بالحقوق الأساسية للطوائف الأخرى أو إهمالها في كثير من الحالات.**

إنك حالما تقبل أمراً لا يمكن تطبيقه أو فرضه على الناس، بشكل واقعي، فإنّ هذا سيؤدي إلى أنك عندئذٍ ستقود الناس إلى نزاعات مختلفة دائمة، وسيكون من المستحيل عليك أن تتابع دون المزيد والمزيد من التعقيدات.

ماذا تتوقعون من الشريعة أن تفعل؟

وكيف يمكن لقانون الشريعة أن يُفرض ويُطبق بشكل عادل سليم في المجتمع الذي تكون السرقة فيه **ممارسةً** يومية، والكذب **لغةً** دارجة، واغتصاب حقوق الآخرين **قانوناً** فوق القانون؟ إنك في المحاكم نادراً ما تجد اليوم شاهداً صادقاً أو

حتى قاضياً نزيهاً..!

فعلى أيّ محكوم أو مُدان يمكنكم تطبيق الشريعة بحق؟!

إنكم لو طبّقتم الشريعة في مثل هذا المجتمع الذي يتنفس الكذب مثل أكسجين الهواء، ويمارس الاحتيال والنفاق عملاً يومياً، ليلاً ونهاراً.. فهل يمكنكم عندئذٍ قطع يد السارق فعلاً؟!

أم أنّ السارقين أنفسهم هم الذين سينجون من العقاب أو حتى أية محاسبة، وسيقطعون أيدي وألسنة الشرفاء الذين يجرؤون على اتّهامهم؟!

وهكذا فقد يُرجم بعض الناس حتى الموت وهم لم يرتكبوا جرم الزنى، أو تُقطع أيدي الآخرين وهم لم يسرقوا شيئاً! يحدث هذا عندما تكون الأغلبية فاسدة وعندما يكون الكذب ممارسة عامة شائعة. عند ذلك تعاني الأقلية البريئة الصادقة بشكل دائم، بينما يبقى الظالمون في مأمن من العقاب أو حتى الحساب.

هل هذه الغاية من تطبيق الشريعة؟!

ما لكم لا تنطقون؟!

* ضرورة ملاءمة المناخ

إنّ الأمر ليس مجرد إحساس عاطفي تجاه الدين، **بل إنّ أمر الله تعالى يجب أن يقوم بالطريقة التي يريدنا هو عزّ وجلّ أن نقيمه بها**. إنّ لكلّ بلد مناخه الخاص، ولا يمكن لجميع أنواع الحياة النباتية أن تنمو وتثمر في مناخ واحد محدد..

فالتمور تنمو وتثمر في الصحاري، ولا يمكنها أن تحيا وتعطي ثماراً في الشمال ذي البرودة القاسية. وكذلك أشجار التفاح أو الكرز لا تستطيع أن تنمو وتثمر في الصحراء، لأنها تتطلب مناخاً خاصاً ملائماً بها، **فإذا لم نَخلق للشريعة المناخ الملائم لها، فإنها لا يمكن أن تُفرض ويُكرَه الناس عليها رغم أنوفهم.**

إنّ كلّ نبي من أنبياء الله عزّ وجلّ، وليس فقط سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، **قد أرسى أولاً المناخ الصحي الملائم حتى يمكن تطبيق شريعة الله تعالى بملء حرية الناس وعن طواعيتهم واختيارهم، وليس بالفرض عليهم والإكراه لهم رغماً عنهم.**

كان النبيون يعملون على تهيئة المجتمع أولاً، ثم يعرضون –بعد ذلك– الشرع ويطبقونه بفعالية متدرجة حتى يتم الكلّ. ولذلك فقد كانت مجتمعات النبيين أهلاً في ذلك الوقت لحمل عبء وأمانة تطبيق الشريعة والدين أو أي قانون آخر ينبثق من هديهما.

* معضلة موقف المتطرّفين

وثمة مشكلة أخرى لابد من طرحها هنا، وهي أنّ ثمة متطرفين في كلّ مكان.. وخاصة أولئك الذين يصرون على تطبيق وفرض الشريعة كقانون. وهم الذين، في العادة، لا يطيقون سماع أي رأي مخالف بأي شكل كان. وهم حتى في مواضع الشك من التطبيق، تجدهم لا يعدّونها مواضع شك مطلقاً، ويصرون على تطبيقها كما يفهمونها هم أنفسهم، ويقولون: نعم، نحن نعلم أنّ هذه وجهة نظرنا في

الفهم، وهي وجهة النظر التي يدعمها الملايين من العلماء.. وهذه هي الشريعة، ولابدّ من فرضها وتطبيقها.

وليس صحيحاً أنّ حُبَّ الإسلام هو الذي يحثّ هؤلاء المتطرّفين على المطالبة بفرض الشريعة الإسلامية كقانون دولة، **بل إنّ دعواهم مجرّد وسيلة للوصول إلى السّلطة والقبض على زمامها، ومن ثَمَّ التحكُّم بالمجتمع على قدر أفهامهم باسم الله.**

أنّ المجتمعات البشرية محكومة مسبقاً بالفاسدين.. ولكنّ حكمهم هذا هو باسم الإنسان البشر. وهذا **يمكن قبوله** إلى حدٍّ معيّن. **ولكن عندما يتمّ ارتكاب الفساد والظلم والقبح باسم الله سبحانه وتعالى، فإنّ علينا قبل كلّ شيء أن نفكِّر مرّتين، بل مرّات كثيرة، حتى قبل البدء بالتفكير فيما إذا كان يمكن تطبيق شريعة الدين كقانون في أيّ مكان من العالم.**

* فرض الشريعة أو الإكراه فيها يُناقض الشريعة والدين ذاته

وأما عن السؤال فيما إذا كان بالإمكان فرض الشريعة الإسلامية أو شريعة أي دين آخر بالقوة، **فما من شك في أنّ هذا لا يجوز.. لأنّ ذلك يناقض روح الدين ذاته،** ولأنّ القرآن الكريم يقول:

﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة 266

تلك هي مقولة القرآن الكريم، **وهي أيضاً قانونه وشرعه**.. ولكنها أيضاً مقولة

عالمية لا يمكن تغييرها مطلقاً. **فالفرض هو إكراه**، وتبيّن هذه الآية الكريمة بأنّ أمر الله عزَّ وجلّ يقضي ألاّ يكون ثمة إكراه للناس في الدين والمعتقد.

الإكراه في الإسلام لا يجوز، وهو غير مسموح به على الإطلاق. هذا هو الموضوع الأساس.

إذا فَرَضَ دينٌ ما شرعّه على الناس في مجتمع يعيش فيه أتباع ديانات أو معتقدات أخرى، فكيف يمكن إذن لهذه الآيات الكريمة أن تقوم مع الإكراه، ليس فقط في حق الناس من أتباع المعتقدات والديانات الأخرى، بل وأيضاً مع أتباع الدين الواحد، والذين هم لا يرغبون بفرض الشريعة قانوناً عليهم!

إنّ على المسلمين أن يسألوا أنفسهم: أنه إذا ما أُعطي للناس في دول العالم الحق بأن يفرضوا شريعتهم كقانون دولة، فهل سيكون من شأن ذلك نشر الإسلام وهديه بين الناس في العالم الواسع ودُوَلِه الكثيرة.. أم أنه سيؤدّي إلى كبت الإسلام وعزله بعيداً عن الإشراق بنوره في قلوب الذين لم يدركوه ولم يعرفوه حق المعرفة فظلّوا بذلك أتباعاً متحمّسين لما وجدوا أنفسهم وآباءهم عليه وأعداءً لما يجهلون—حتى ولو كان فيه خيرهم وخلاصهم الحق؟؟

لقد كان مؤسِّس الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو السّلطة الوحيدة المؤهّلة لفرض الدين لكونه نموذجاً حيّاً للإسلام، **وكان خُلُقه القرآن**، أي أنه كان قرآناً حيّاً أيضاً، كما وصَفَتْه زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين سُئِلت عن شخصه وخُلقه.

إذن فالإنسان الوحيد الذي نستطيع حقاً أن نأتمنه بالثقة فيما يخصّ دين ومعتقدات الناس، الوحيد الذي كان بإمكاننا أن نقبل منه فرضَ الشريعة—— حيث يريد إجراء الإصلاحات الضرورية للمجتمع——بالقوة كان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ومع **ذلك فهو لم يفعل ذلك قط—— محقِّقاً بذلك أمر ربه عزّ وجلّ** الذي خاطبه في القرآن الكريم قائلاً:

﴿فذكِّر **إنما** أنت مُذَكِّر* **لسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيطِر**﴾ الغاشية 22 - 23

أي إنَّ مهمتك يا رسول الله هي أن تذكِّر الناس، ليس أكثر. ولذلك فأنت لم تُعْطَ سلطة للإكراه.

إن هذا يؤكِّد أنه لا إمكانية لتطبيق شرع الله بالإكراه، ولا هو مسموح به أيضاً من قِبَلِ الله تعالى. بل هو حرام يخالف شرع الله ذاته.

والآن يمكننا أن نسأل:

ماذا يمنع المسلمين من أن يلتزموا بشرع الإسلام من أنفسهم! ولماذا ينتظر المسلم حتى يتغيّر التشريع بأكمله ليكون مسلماً حقّاً!

إنّ ممارسات المسلمين في معظم بلاد الأرض بعيدة جداً عن الصبغة الإسلامية الحقة. وهم في حياتهم العادية ليسوا مسلمين مثاليين ولا حتى معتدلين. بل هم بعيدون جداّ عن دينهم. وفي البلاد التي يستطيع أهلها تطبيق الشريعة الإسلامية بشكل صحيح وبكلّ حرية.. تجد أنّ الناس هناك غاية في التقصير في هذا الشأن، بل تجدهم غير مهتمين حقاً بالعمل عليه. **فإذا كان أولئك الذين هم**

أولى الناس بالتطبيق ليسوا راغبين، من ذاتهم، في تطبيق الإسلام، فكيف يمكننا إذن أن نتوقّع إمكانية فرض وتطبيق الإسلام بالإكراه وقوة القانون على من هم أقلّ اهتماماً والتزاماً؟

إنك لست في حاجة إلى فرض قانون الشريعة لتؤدّي صلواتك الخمس.

ولا تحتاج إلى فرض قانون الشريعة لتتعامل مع الناس بأمانة.

وكذلك لا تحتاج إلى أن يُفرض عليك قانون الشريعة لتقول الحق وتلتزم بالصدق.

بل إنك تستطيع أن تكون مسلماً صادق الإسلام والإيمان بحفظك للأمانة وبإلزام نفسك أنت، بحريتك واختيارك أنت، وصدق وجدانك والتزامك الصادق بشرع الله ودينه، دون حاجة إلى أن يخيفك أحد أو يُكرهك أحدِ،

فتُسلِم كذباً،

وتؤمن باطلاً،

وتلتزم نفاقاً!

لِنُلْزِمْ أنفسنا أولاً، وبالأمانة الكاملة، بِسنّة ومنهج وعمل النبيين بنشر الحق والصدق والخير والفضيلة والتوحيد في مجتمعاتنا—على أن يكون ذلك بالحكمة والسلام والموعظة الحسنة. ثم نعطي من أنفسنا مثالاً إسلامياً محبّباً جميلاً ومشرقاً، ولن نحتاج بعدها إلى فرض شريعتنا على أحد. بل إنّ القلوب والعقول ستهفو إلينا، من أنفسها، مقدِّرةً مختارة مُحِبة، وتأتي إلى الله ربّها مؤمنة مسلمة عن قناعة

وطواعية.

هذا ما يجب أن نعمل عليه، وندعو إليه لأنّه أمر الله القائل في كتابه المجيد:

﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 266

الفصل الحادي عشر

حقيقة فناء جهنم !

(جميع خلق الله يدخلون الجنّة)

الاعتقاد السائد لدى مُعظم -إن لم يكن جميع- أهل المذاهب والأديان بأنّ الله سبحانه وتعالى سيُعذِّب الكفّار المجرمين والآثمين في نار جهنّم إلى ما لا نهاية ودون انقطاع! ورغم أنّ هذا الاعتقاد خاطئ يتناقض مع صفات الله الحسنى، ولكن، وللأسف الشديد، فإنّ حتى المسلمين لم يسلموا من توريط أنفسهم بهذا الظّن الباطل بالله عزّ وجلّ الذي يأتي على رأس صفاته وأسمائه الحسنى أنه **الرحمن الرحيم** الغفور الودود الذي **وسعت رحمته ومغفرته كلّ شيء!**

ونسرد البيان من أوّله:

* عقيدة الهندوس في جهنّم

يعتقد الهندوس أنّ كلّتا الجنّة والجحيم محدودتان في الزمان؛ وأنّ الإنسان ينال جزاء أعماله ثواباً أو عقاباً في العالم الآخر، إلاّ أنه يعود إلى الدنيا مرّة أخرى (ستيارث بركاش ص 596). وتتفق جميع الفرق الهندوسية على هذه العقيدة رغم اختلافها في الأمور الأخرى.

* عقيدة اليهود

وبعد الشعب الآري، الذي جاء منه الهندوس، يُعدّ الشعب السامي من أكبر الشعوب القديمة. وإلى هذا الشعب ينتمي اليهود نسلاً والنصارى ديناً. ويعتقد اليهود بأنّه لن يدخل الجنّة إلاّ من كان يهودياً، ولا مكان فيها لغير اليهود؛ ولقد أشار القرآن الكريم إلى عقيدة اليهود المشتركة هذه مع النصارى في سورة البقرة، فقال:

﴿وَقَالُواْ **لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ** إِلاَّ مَن كَانَ **هُوداً** أَوْ **نَصَارَى**﴾ البقرة 112

وفي المقابل فإنّ اليهود يعتقدون بأنّ الجحيم شبه محرّمة عليهم؛ وإذا كان لا بدّ من دخول اليهودي إلى جهنّم فإنّه لن يبقى فيها إلاّ لمدّة أحد عشر شهراً على الأكثر (ترجمة سيل للقرآن ص 10). وأمّا عن عقيدتهم في غير اليهود كعامّة المسلمين والمسيحيين وأهل الأديان الأخرى، فيعتقدون أنّ هؤلاء جميعاً يظلّون في جهنّم إلى ما لا نهاية ودون ما انقطاع لبقائهم في عذابها!

"أخرج ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والواحدي عن ابن عباس أن يهود كانوا يقولون: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب لكلّ ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودات ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك ﴿**وقالوا لن تمسنا النار**﴾ إلى قوله ﴿**هم فيها خالدون**﴾" الدرّ المنثور بالتفسير بالماثور للإمام جلال الدين السيوطي المجلد الأول

* عقيدة النصارى

وأمّا النصارى فيعتقدون بأنّ كلا من الجنّة والنار باقيتان لا نهاية لهما ولا انقطاع فيهما. غير أنّ ثمة فِرَقاً منهم يعتقد أتباعها بأنّ الجنّة سوف تنتهي في آخر الأمر[1] (رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس).

* العقيدة الخاطئة لعامة المسلمين

وأما عامّة المسلمين اليوم، فإنهمّ، وللأسف الشديد،[2] يعتقدون أيضاً باستمرار عذاب الكافرين في جهنّم بلا انقطاع ولا نهاية، بالرغم من أنّ الإسلام لا يقول بذلك مُطلقاً، بل في حين أنّه يؤكّد على عدم انقطاع نعيم الجنّة، فهو يؤكّد أيضاً، وبشكل حاسم، على مجيء يوم ينقطع فيه عذاب جهنّم فتخلوا من المعذبين وتفنى نهائياً، بل ويؤكّد، كما سنرى، على أنّ جميع الخَلق، وليس مجرّد عُصاة المسلمين—كما يزعم أصحاب هذه العقيدة —سيدخلون الجنّةَ في نهاية المطاف، برحمة الله ومغفرته؛ وإليكم البيان حيث نبدأ بدراسة ما جاء في القرآن للتفكّر في معنى حقيقة أنّ الله لا يظلم أحداً:

* لا يظلم اللهُ أحداً

هذه بدهية في عقيدة المؤمن الحقّ. فالله خالق الكون وربّ العالمين لا يمكن أن يتّصف إلاّ بالكمال الذي ليس كمثله شيء فهو القوي القادر بشكل مطلق،

[1] - عن التفسير الكبير للحاج المرحوم بشير الدين محمود أحمد المجلّد الثالث ص 332

[2] - ما عدا المسلمين الأحمديين.

وهو مالك كلّ شيء ولن يضطره، سبحانه وتعالى، عَجْزٌ أو حاجة إلى أن يظلم أحداً من خلقه. ويزخر القرآن المجيد في التأكيد على أنّ الله عزّ وجلّ لا يمكن أن يتّصف بالظلم ولا بأقلّ القليل، حيث يُنزه ربُنا سبحانه وتعالى نفسَه في القرآن الكريم عن الظلم فيقول:

﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ النساء 41

ويؤكّد ربنا سبحانه وتعالى على إبطال شبهة تصوّر أن يَظلم ولو بأقلّ مقدار يمكن تصوره، فيقول مُطمئناً عباده:

﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ غافر 18

﴿**وَلاَ يُظْلَمُونَ** فَتِيلاً﴾ النساء 50

﴿**وَلاَ يُظْلَمُونَ** نَقِيرًا﴾ النساء 125

﴿**وَّلا يُظْلَمُونَ** شَيْئًا﴾ مريم 61

وهكذا فالله، في عقيدة، المسلمين لا يظلم الناس فتيلاً ولا نقيراً ولا ذرّة ولا شيئاً على الإطلاق. وتأكيداً على أنّ هذه الضمانات الإلهية لا تخصّ المؤمنين فقط، يقول عزّ وجلّ:

﴿**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ الكهف 50

ويزيدنا القرآن من فيوضَ تنزيه الله ربّ العالمين عن الظلم في آياته بتعابير وصور بليغةٍ مُبينة كما يلي:

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يونس 45

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ آل عمران 118

﴿فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ التوبة 71

* وفي يوم الحساب

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ غافر18

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كلّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ البقرة 282

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كلّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ آل عمران 26

﴿يَوْمَ تَأْتِي كلّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كلّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ النحل 112

﴿يَوْمَ نَدْعُو كلّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ الإسراء 72

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف 50

ولا يظلم الله أحداً لأنه عزّ وجلّ يقضي بينهم بالقسط، يقول تعالى:

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ يونس 55

كما أنّ الله عزّ وجلّ لا يظلم في التكلّيف، ويقول:

﴿**ولا نُكلّفُ نَفْسًا إلاّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ المؤمنون 63

* السيئة بمثلها فقط

ويُحصي ربّ العالمين **السيئات بالواحدة، ويُضاعف الحسنات** أضعافاً كثيرة:

﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ الأنعام 161

﴿**وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ الشورى 4

﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا**﴾ يونس 27

﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ القصص 49

﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا**﴾ غافر 41

﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ الزلزلة 7- 9

وهكذا فإنّ أعمال الإنسان توزن **بمثقال الذّرة** التي تأتي حتى بوزن **حبّة الخردل**، يقول تعالى:

﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ الأنبياء 48

فلا يُعاني الآثم إلاّ **بعدد سيئاته** التي يُحصيها الله في كتاب:

* الأعمال تُحصى في كتاب وهي محدودة

يصف ربنا تبارك وتعالى حساب الخلق فيقول:

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف 50

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ المجادلة 7

إنّ **إحصاء** أعمال وسيئات الإنسان في كتاب **يدلّ على كونها محدودة** مهما كثرت **وينفي** فكرة وجود عدد أو وزن لا نهائي للسيئات.

* يوفّي اللهُ الحسابَ جزاءً وفاقاً

نجد في بيان الله العظيم في القرآن الكريم بأنّ حساب الله عزّ وجلّ للآثمين يكون **جزاءً وِفاقاً يوفّي** لهم فيه أعمالهم **فقط** لا يزيد عليها، وهم لا يُظلمون. تعالوا نقرأ بيان الله العظيم:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلْطَّاغِينَ مَآبًا * لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا* إلاّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاء وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ النبأ 22-29

نلاحظ هنا أنّ هذا العذاب هو **للكفار الطاغين الذين كذبوا بآيات الله** كِذّابا

وأنّ **عذابهم** يكون **فقط جزاءً وفاقاً**، وأنّهم يلبثون في جهنّم فقط أحقاباً. ويقول تعالى:

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كلّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ البقرة 282

﴿يَوْمَ تَأْتِي كلّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كلّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ النحل 112

إذن عند حساب الله عزّ وجلّ للآثمين يوم القيامة **يوفّي** الله إليهم **أعمالهم ذاتها** ولا يزيد عليها فيكون حسابهم جزاءً وفاقاً.

* الجزاء هو عمل الإنسان ذاته

يتبيّن لنا من دراسة القرآن الكريم بأنّ **جزاء الإنسان** يوم القيامة **يكون هو عمله ذاته** الذي يذوقه عذاباً أو يهنأ به نعيماً، لنرى:

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْت أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت 56

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾ النحل 35

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون﴾ الجاثية 34

﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ القصص 49

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ

﴿... أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ النجم 32

﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النمل 90 - 91

﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يس 55

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الصافات 40

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ * اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاء عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الطور 15 - 17

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التحريم 8

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾ النساء 124

* جزاء الإنسان هو، فقط، ما كان قد كسب

يُبيّن ربنا تبارك وتعالى في كتابه المجيد بأنّ الإنسان يوم الحساب سيكون رهن ما كسب بيديه من عمل **ويكون جزاؤه هو كسبُه ذاته** الذي يوفّيه الله له، يقول تعالى:

﴿كلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثّر 39

﴿يَجْزِي اللّهُ كلّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ إبراهيم 52

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

غافر 18

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ الجاثية 2

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كلّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ البقرة 282

* الإشكال الكبير!

إنّ هذا البيان العظيم في آيات كتاب الله المجيد يُملي على المؤمنين أن يُصدّقوا ويؤمنوا ويتيقّنوا:

1) بأنّ الله سبحانه وتعالى لا يظلم الناس فتيلاً ولا نقيراً ولا ذرّة ولا شيء مُطلقاً.

2) وأنّه عزّ وجلّ يُجازي على السيئة بمثلها فقط ولا يزيد عليها أبداً.

3) وأنّ ميزان الحساب عند الله يزِنُ بمثقال الذّرة ويأتي بِوَزنِ حتى حبة الخردل.

4) وأنّ الجزاء هو العمل والكسب ذاته يُوفّيه الله للعبد فيكون جزاءً وِفاقاً.

5) وكما أنّه من يعمل مثقال ذرّة شراً يره، فكذلك لا بدّ لمن يعمل مثقال ذرّة خيراً أن يراه حتى ولو كان كافراً لأنّ ﴿مَن﴾، في الآية الكريمة، جاءت على إطلاقها، فلا بدّ بحسب قوانين اللغة العربية أن تُفهم على إطلاقها.

إنّ هذا البيان الإلهي العظيم يضعنا في مواجهة التساؤل التالي:

1) **هل يُمكن** لإنسان أن يقوم بعمل سيئات يكون عددها أو وزنها لا نهائياً وأثقل من أن تُوزن أو تُحصى؟! وبما أنّ الجواب المنطقي هو: حتماً لا!

2) وبما أنّ حساب الله **الحسيب** للعباد سيكون بتلك الدّقة الإلهية البالغة التي أكّدها لنا، عزّ وجلّ، في قرآنه الكريم؛ **فكيف، إذن، يصحّ الزّعم بأنّه سبحانه وتعالى سيعاقب أحداً من الخلق بعذاب لا نهائي وغير محدود على عمل محدود**، بحيث يُبقيه في جهنّم بعذاب دائم مستمرّ لا ينقطع ولا ينتهي مُطلقا؟! وكيف يُساوي -سبحانه- عدداً بلانهاية، مخالفاً بذلك قوانينَه وموازينه الأزلية؟!

ألا يتنافى هذا مع وعد الله بأنه لا يظلم أحداً ولا حتى بمقدار ذرّة واحدة، بل سيوفّي كلّ نفس **فقط** ما عملت أو كسبت **جزاءً وِفاقاً**؟!

جاء في (**الدرّ المنثور**) عن مُجاهد: "﴿ **جزاءً وفاقاً**﴾ أي وافق الجزاء العمل". وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿**جزاءً وِفاقاً**﴾ قال: "وافق أعمالهم". / الدرّ المنثور.

جاء في **فيض القدير**، شرح الجامع الصغير، للإمامِ المناوي الجزء الأوّل:

" وقد قال **الإمام الرازي:** قال قوم **إنّ عذاب الله منقطع وله نهاية** واستدلوا بآية: ﴿**لابثِيَن فيها أَحْقاباً**﴾ وبأنّ **معصية الظلم متناهية فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم**.." فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للإمامِ المناوي الجزء الأوّل.

نعم هذا، ببرهان القرآن والحساب والمنطق السليم، ظلم مُبين؛ وحاشى لله أن يظلم.

إذن كيف يعتقدّ عامّة المسلمين[1] ببقاء عذاب أهل النار إلى ما لا نهاية؟!

لا شكّ في أنّ هذا الخطأ البالغ، في عقيدة عامّة المسلمين، قد جاء نتيجة التأثّر بالعقائد المتوارثة عند اليهود والنصارى وغيرهم، بالإضافة إلى عدّم التدبّر في بيان القرآن الكريم والتحقق من معاني الفعل "**خَلَدَ**" في معاجم اللغة العربية، فظنّوا، خطأً، أنّ خلود الكافرين في عذاب جهنّم يعني الاستمرار والبقاء إلى ما لا نهاية بغير انقطاع!

ولا شكّ في أنّ لفظة **الخلود** لأهل النار قد وردت في القرآن مرّات كثيرة، مثل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة 40

ولكنّ السؤال هنا:

هل لفظة **خالدين** تعني الدوام بلا انقطاع حقّاً؟

لا، بالتأكيد! وسأشرح ذلك حالاً.

* إشكال آخر

إنّ فهم لفظة "**خالدين**" بمعنى دوام البقاء، لا يوقعنا في إشكالِ نَسْبِ الظلم إلى الله سبحانه وتعالى فحسب، بل سيؤدّي بنا إلى عكس ما يعتقد عامّة المسلمين من أنّ المسلمين **العُصاة** سيخرجون من جهنّم، في نهاية المطاف،

[1] - عدا المسلمين الأحمديين، فهم لا يعتقدون ببقاء العذاب في جهنم.

ويدخلون الجنة بعد أن يكونوا قد تَوفّوا كامل جزائهم. إذ نجد من القرآن الكريم أنّ عصاة المسلمين—رغم كونهم مؤمنين موحّدين—سيخلدون في نار جهنّم سواء بسواء مع المشركين والكافرين المكذّبين! وذلك من خلال البيان القرآني التالي:

يبيّن الله عزّ وجلّ، في القرآن المجيد، مصير الكافرين المُكذّبين الملحدين بالله وآياته، فيقول:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

البقرة 40

ويتوجّه إلى المسلمين المؤمنين الموحّدين مُحذّراً، فيقول:

﴿وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

النساء 15

ويُزيدنا القرآن بياناً بتحذير الله تعالى لعصاة المسلمين فيقول:

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ الجن 24

ويُحذّرهم من ارتكاب جريمة القتل بعذابٍ خالد، فيقول:

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء 94

وهكذا فإننا نجد من بيان الله عزّ وجلّ في كتابه الحكيم، بأنّ كلا الفريقين من المشركين والكافرين المكذبين بالله وآياته، وكذلك عُصاة المسلمين من

المؤمنين الموحّدين يخلدون في نار جهنّم سواء بسواء!

فإذا كان الخلود هنا يعني البقاء المستمر في عذاب جهنم إلى ما لا نهاية بلا توقّف ولا انقطاع، فهذا لا بدّ أن يؤدّي بالمسلمين إلى العقيدة التالية:

يخلد عُصاة المسلمين من المؤمنين الموحّدين في جهنّم في عذاب دائم مستمرّ لا انقطاع ولا نهاية له، تماماً كما يخلد الكافرون المُكذّبون بالله وآياته!

وهذا ما لا يعتقده المسلمون ولا يقولون به، وهو إشكال لا بدّ من مواجهته وحلّه بشكل صحيح وسليم لا يتناقض مع بيان الله تعالى في كتابه الكريم.

إنّ هذا الإشكال ينتج عن خطأ عامّة المسلمين في فهم معنى لفظة الخُلد في اللسان العربي الذي يقول بأن: "**لفظة الخلُد، في الأصل، تعني: الثبات المديد دام أم لم يدم، والمكث في المكان بثبات مع انتظار**[1]"، وإليكم البيان:

* "الخُلد" في اللسان العربي

جاء في معجم محيط المحيط:

"خَلَدَ يخلد خلوداً: دام وبقي. وخَلدَ الرجلُ خَلداً وخلوداً: أبطأ عنه الشيب، وقد أسنّ. وخَلَدَ بالمكان وإلى المكان: أقام به. وأَخلدَ إلى الأرض: لصق بها واطمأنَ إليها. وخلّد الرجل بالمكان وإليه بمعنى: خلّد. وأخلد الرجل بالمكان وإليه بمعنى: خلّد. وأخلد لصاحبه: لَزِمه ومال إليه، وأركن، ومنه في سورة الأعراف: ﴿**ولكنه أخلد إلى الأرض**﴾: أي ركن إليها ظانّاً أنّه يخلد فيها. والخوالد: الأثافي والحجارة.

[1] - معجم محيط المحيط للبستاني.

والخُلد: البقاء والدّوام. قال الجوهري: الخُلد دوام البقاء. وقال أبو البقاء: الخُلد البقاء والدّوام كالخلود. والخُلد في الأصل: الثبات المديد **دام أم لم يدم**. والمكث بثبات مع انتظار. واللّبث بالمكان والإقامة به ملازماً له... وفي الكلّيات كلّ ما يتباطأ عنه التّغيّر والفساد تصفه العرب بالخلود، كقولهم للأيام خوالد وذلك لطول مكثها لا للدوام، والمخلّد: الذي أبطأ عنه الشيب". معجم محيط المحيط للمعلّم بطرس البستاني وانظر لسان العرب لابن منظور.

نجد من هذا البيان في اللسان العربي للفظة "**الخُلد**" المعاني الهامّة التالية:

1) **أصل معنى الخُلد: الثّبات المديد دام أم لم يدُم.**

2) **المكثُ في المكان بثبات مع انتظار.**

3) **اللّبثُ بالمكان والإقامة به ملازماً له.**

4) **كلّ ما يتباطأ عنه التّغير.**

5) **تصف العرب الأيامَ بـ " الخوالد " لطول مكثها لا للدوام.**

ولا شكّ في أنّ جميع هذه المعاني تنطبق على الخلود في جهنّم:

- **فأهل جهنم** يمكثون فيها بثبات مديد مع انتظار.

- وهم يلبثون فيها أحقاباً مقيمين ملازمين.

- ويتباطأ عليهم الزمن فيها عن التّغير.

- وقد وصف الله عزّ وجلّ أيام عذابها بالخُلد لثباتها المديد، لا لدوامها.

- وبسبب الثبات المديد لبقاءٍ وملازمة أصحابها لها وُصفوا بأنّهم خالدون فيها.

وهذا هو معنى الخلود في جهنم. **وليس ثمة عذاب فيها إلاّ ويكون خالداً** سواء بالنسبة للكفرة أو العصاة، ولا يكون فيها معذبين إلاّ هم خالدون فيها، ولكن **بثبات ينقطع**، عندما يشاء الله، **ولا يدوم إلى ما لانهاية.**

إذن يمكننا، من خلال هذه المعاني الصحيحة، وبكلّ تأكيد أن نقول بأنّ أهل جهنّم يخلدون فيها دون أن يعني ذلك بقاءهم فيها في عذاب باق غير منقطع إلى ما لا نهاية، وبذلك نُنزه الله حقاً عن الظلم ونُثبت حقيقة أنّ رحمته تسع كلّ شيء، حتى أهل جهنّم.

* "الخلود" في القرآن الكريم

بكلّ قوّة ووضوح مُبين، نجد أنّ القرآن يؤكّد هذا المعنى اللغوي الذي نجده في اللسان العربي، وهو أنّ الخلود الذي ذكره القرآن في حقّ أصحاب النار لا يُقصد به الاستمرار بلا انقطاع، وإنما هو **المكث في العذاب بثبات مديد والانتظار بالملازمة مع التباطؤ في التّغير**. وهذا هو عذاب أصحاب جهنّم الذي **يظنون معه أنه لا خلاص لهم منه لشدّة تباطئه**. وأما إذا أردتم البرهان الحق فتابعوا ما يلي:

كي نفهم حقيقة معنى الخلود، يفيدنا أن نضرب المثل التالي:

نعرف أنّ الحُكم المؤبّد على المدانين من المجرمين يعني أن يظلّوا مُقيمين في السجن حتى الموت. ولكن ماذا تفهم لو سمعتَ قاضياً يُصدِر حُكمَه على مُجرم قائلاً:

"حَكَمت عليك المحكمة بالسجن بالمؤبّد **إلاّ** خمس سنوات"!

إذا سمعت هذا فلا بدّ أنّك ستصل إلى إحدى نتيجتين:

1) أن تعتبر القاضي قد أخطأ في استخدام أداة الاستثناء "**إلاّ**" لأنه ما من أحد يعلم متى يموت المحكوم.

2) أو أنّك ستفهم بأنّ كلّمة "مؤبّد" تعني سنين محدودة ومعدودة، ولا يُقصد بها حتى الموت!

ويصير الإشكال أكثر تعقيداً لو حدث الاستثناء بـ (**إلاّ**) **من الخلود ذاته!**

لنقرأ بيان الله عزّ وجل في القرآن الكريم في سورة هود عن مصير أهل النار، يقول تعالى:

﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ هود 107 - 108

يؤكِّد القرآنُ الكريم هنا بشكل قاطع تأييده للمعنى اللغوي للفظة "**الخُلد**" كما بيّنتُها آنفاً من معجم محيط المحيط والذي يقول بأنّ "**الخُلد**" في الأصل هو: " **الثبات المديد دامَ أم لم يدم** ". ومن الواضح تماماً أنّ ربنا عزّ وجلّ يُنبئنا في هذه الآية الكريمة عن **الخلود الذي لا يدوم** بدليل أنّه قد استثناه تبارك وتعالى بأداة الاستثناء "**إِلاَّ**" كما هو واضح في هذه الآية من القرآن الكريم.

فالإشكال اللغوي الكبير هنا هو أنه إذا أصرّ المُصرّون على أنّ الخلود يعني فقط الدوام في الزمن إلى **ما لا نهاية** لصار التعبير القرآني متناقضاً وكأنه يقول "بأنّ أهل جهنم الأشقياء سوف يمكثون في جهنّم إلى ما لا نهاية ولكن سينقص من **هذه اللانهاية** المدّة التي يشاؤها الله—سبحانه وتعالى**!**" وهذا في علم الرياضيات يعني اللانهاية أيضاً، لأنّ ناتج اللانهاية ناقص عدد يساوي اللانهاية أيضاً**!** وبهذا يصير الاستثناء بـ " **إِلاَّ** "، في الآية الكريمة، لغوا لا معنى له—حاشى لله ونعوذ به من ذلك.

* الفهم الأقرب للتقوى

بما أنّ المعنى الأصل للخلود في اللسان العربي هو: " **الثبات المديد دام أم لم يدم** "، فهذا يعني أننا يصحّ أن نفهم الخلود:

1) بمعنى الثبات المديد الدائم بشرط عدم استثنائه بأيّ أداة استثناء.

2) بمعنى الثبات المديد الذي لا يدوم وخاصة إذا كان **مستثنىً بأداة استثناء.**

ولننظر في الآية الكريمة على ضوء هذا البيان اللغوي الموثّق، فنجد الله عزّ وجلّ يقول:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾

فطالما أنّ الله عزّ وجل قد أورد في كتابه المجيد المعنى الثاني **فاستثنى بنفسه**

الخلود المذكور بأداة الاستثناء "**إِلاَّ**" فلماذا، وبأيةّ سلطة نرفض هذا الاستثناء أو نُنكره؟!

أهي التقوى؟!

أم التّقوّل على الله لصالح العادة والمأثور وأقوال القائلين وخوض الخائضين؟!

ولماذا نُصِرُّ على أن تَضيق رحمةُ الله عن المعذَّبين في جهنم وقد قال ربنا الرحمن الرحيم:

﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾؟!

لا شكّ في أنّ ربنا عزّ وجل—انسجاماً مع حقيقة أنّ رحمته تبارك وتعالى تسع كلّ شيء—قد أراد أن يُبيّن لنا أنّه لا يقصد بخلود الأشقياء في جهنم البقاء الدائم الذي لا تطالهم فيه رحمتُه الواسعة **فاستخدم الاستثناء الواضح المبين الذي ينقل معنى الخلود من دوام البقاء إلى الثبات المديد الذي لم يُرِدْ له ربنا الرحمن الرحيم أن يدوم**. فالحمد لله، ثم الحمد لله على ذلك.

ولقد لفت هذا الاستثناء المبين نظرَ السلف المؤمنين من الصحابة والعلماء الأكارم، فقالوا:

* وثائق مؤكَّدة تؤيّد عدم البقاء في جهنّم

في تفسيره المشهور: (الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور) وفي معرض تفسيره لسورة هود، يَنقل الإمام جلال الدين السيوطي بعضاً من تفسير عدد من

الصحابة والعلماء الأكارم فيقول:

عن ابن عباس رضي الله عنه:

*** ("أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قُولهَ ﴿إلّا ما شاء ربُك﴾ قال: استثنى الله أمرَ النار أن تأكلّهم".)**

عن عمر رضي الله عنه:

*** ("وأخرج ابن المنذر عن الحسن عن عمر رضي الله عنه قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه".)**

عن أبي هريرة رضي الله عنه:

* "وأخرج إسحق بن راهويه عن أبي هريرة قال: سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ: ﴿**فأما الذين شقوا...**﴾ الآية".

عن ابن مسعود رضي الله عنه:

*** ("وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما في القرآن آية أرجى[1] لأهل النار من هذه الآية: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلاّ ما شاء ربك﴾ قال: وقال ابن مسعود: (ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها). وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: "جهنم أسرع الدارين عمراناً، وأسرعهما خرابا".)**

[1] - أكثر رجاءً لمغفرة الله ورحمته.

عن جابر رضي الله عنه:

*** ("وأخرج ابن مردويه عن جابر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فأما الذين شقوا﴾ إلى قول الله تعالى ﴿إلا ما شاء ربك﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن شاء الله أن يُخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل)".**

عن أبي سعيد الخُدري:

* "وأخرج عبد الرزاق وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي نضرة **عن جابر بن عبد الله الأنصاري أو عن أبي سعيد الخدري أو رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿إلا ما شاءَ ربُّك إنّ ربَّك فَعّالٌ لِما يُريد﴾ قال: هذه الآية قاضية على القرآن كلّه، يقول: حيث كان في القرآن ﴿خالدين فيها﴾ تأتي عليه".)**

الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطي - تفسير سورة هود.

* وثائق في فناء جهنّم

وفي (فيض القدير، شرح الجامع الصغير) للإمام المناوي، الجزء الأوّل، وفي معرض شرح قوله تعالى ﴿**خالدين فيها إلاّ ما شاءَ ربُّك**﴾ نقرأ:

"ومنها قول جمع إنّ النار تفنى فإنّ الله تعالى جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم يزول عذابها، لقوله تعالى ﴿خالدين فيها إلاّ ما شاءَ ربُّك﴾ و ﴿خالدين فيها

مادامتِ السَّماواتِ والأرض﴾ و﴿لابثين فيها أحقاباً﴾، قال هؤلاء: وليس في القرآن دلالة على بقاء النار وعدم فنائها، إنما الذي فيه أنّ الكفار خالدون فيها".

"وقد نقل ابن تيمية القول بفنائها عن ابن عمر، وابن عمرو، وابن مسعود، وأبي سعيد، وابن عباس، وأنس، والحسن البصري، وحماد بن سلمة وغيرهم. وروى عبد بن حميد بإسناد رجاله ثقات عن عمر:

(لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه).

وروى أحمد عن ابن عمرو بن العاص:

(ليأتينّ على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد).

وحكاه البغوي وغيره عن أبي هريرة وغيره. وقد نصر هذا القول ابن القيم كشيخه ابن تيمية.."

" وقد قال الإمام الرازي: قال قوم إنّ عذاب الله منقطع وله نهاية واستدلوا بآية: ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ وبأنّ معصية الظلم متناهية فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم.."

فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار للإمامِ المناوي الجزء الأوّل.

وهكذا فإنّ جهنّم تفنى ويخرج الأشقياء منها، بمغفرة الله تعالى، إلى رحمته الواسعة.

* مسألة الوزن والميزان

مرّ معنا في شرح بيان الله تبارك وتعالى، في القرآن الكريم، أنّ الله عزّ وجلّ يحصي السيئات بالواحدة في كتاب مُبين ويُضاعِف الحسنات أضعافاً كثيرة. ولقد علمنا أيضاً من كتاب الله أنّ الأعمال توزن بميزان يزِنُ حتى بمثقال الذرّة ويأتي بأقلّ وزن حتى ولو كان مثقال حبة الخردل. ولذلك فإنّ ربنا الرحمن الرحيم لا يظلم أحداً فتيلاً، ولا نقيراً ولا شيئاً.

الحمد لله على ذلك.

ويزيدنا فائدة في هذا المقام أن نطّلع بالبحث والتفكّر والتحقيق على مسألة الحساب يوم القيامة من مُنطلق البيان القرآني العظيم المتعلّق بمفهوم **وزن أعمال الخلق الذي يحدّد مصائرهم** لنرى فيما إذا كان هذا الأساس القرآني يقبل الزعم ببقاء أحد من خلق الله تعالى في عذاب باقٍ لانهائي!

في سورة الإسراء نقرأ أنّ ربنا عزّ وجلّ يأمر خلقه بأن يوفوا الكيل ويقيموا الوزن بالقسط ولا يبخسوا الناس حقوقهم، لأنّ هذا هو الحق الذي يحبه، فيقول:

﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ الإسراء 36

﴿**أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ *وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ الشعراء 82 - 84

ويأمر الناس بأن لاّ يكونوا ظالمين فيطغوا في الميزان، فيقول:

﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَان* **أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ** * **وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ** وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الرحمن 8 - 10

ومن البديهي أن يوقن العباد **بأنّ الله عزّ وجلّ لا يمكن أن يأمر عباده بأن يقيموا الوزن بالقسط ثم يطغى هو سبحانه وتعالى فلا يقيم أوزان أعمال عباده بالقسط**. ولذلك فقد بيّن لنا بأنّه هو أيضاً يضع الموازين القسط ليوم القيامة، فقال:

﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ** لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ألأنبياء 48

* القول الفصل في مسألة الحساب يوم القيامة

ويفْصِل ربُّنا القولَ في مسألة الحساب فيقول

﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقّ**﴾ الرحمن 9

إذن القول الحق في مصير الخلق يوم الحساب **هو الوزن وهو الحق**، يقول ربنا الحق:

﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّ تُصْرَفُونَ**﴾ يونس 33

ويُري اللهُ عبادَه، يوم القيامة، أوزانَ أعمالهم بالموازين القسط ويقوم بحسابها بنفسه، يقول تعالى:

﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ الأنبياء 48

نجد هنا عناصر ثلاثة رئيسة تؤكّد عدم البقاء في جهنّم:

1) **الموازين** التي يضعها الله للحساب **موازين قسط** تَزِنُ من الأعمال حتى ما يكون بقدر مثقال حبّة الخردل.

2) هذه الموازين يضعها الله **لكلّ نفس** أي لكلّ فرد من خلقه جميعاً، **وليس للمؤمنين فقط**.

3) أنّ **الله تعالى ذاته** سيقوم بعملية الحساب، بدليل قوله ﴿**وكفى بنا حاسبين**﴾ أي لا تخافوا يا عباد الله، فإنّ وزن أعمالكم سيكون بِيَدِ ربكم أرحم الراحمين وهو خير الحاسبين الذي لا يظلم الناس مثقال ذرّة.

فهل في منطق الإنسان والكون وقوانين ربّ العالمين أن يكون وزنُ عملِ إنسانٍ ما لانهائياً فيستحقّ بذلك العذاب الدائم غير المنقطع**!**

هل في هذا بيان لقوم يعقلون ويؤمنون بأن رحمة الله تسع كلّ شيء ويُصدّقون بقوله عزّ وجلّ:

﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ يونس

* **مُعادلة مُلفتة**

نجد من بيان ربنا عزّ وجلّ في كتابه المجيد أنّ **جزاء السيئة بمثلها هو الخلود في النار** المقصود في كتابه عزّ وجلّ حيث يقول:

﴿**وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ**

كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
يونس 28

نلاحظ في هذا البيان الحكيم المعادلة التالية:

يتحدّث ربُنا العظيم عن جزاء الذين كسبوا السيئات فيُبيّن أنّه عزّ وجلّ سيوفّيهم **جزاء السيئة بمثلها** فقط...ثم يقول عنهم ذاتهم ﴿**أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ وهذا يعني -بكلّ تأكيد- أنّ خلود أصحاب النار يساوي **حصراً وعدّاً** السيئة الواحدة بمثلها فقط، وهو لذلك لا يمكن أن يكون مستمرّاً بلا انقطاع. أو—إذا تناولنا البيان من جانب آخر—فإننا نجد أنفسنا في مواجهة المعادلة التالية:

جزاء سيئة بمثلها - الخلود في نار جهنم / أو :

الخلود في نار جهنم - جزاء سيئة بمثلها

فالحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كلّ شيء حتى الكفار وأصحاب النار، والصلاة والسلام على رسول رحمته إلى العالمين، سيدنا خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم.

* بدليل قوله تعالى ﴿لابثين فيها أحقابا﴾

في تفسير ﴿**لابثين فيها أحقاباً**﴾ في (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي نقرأ:

" ويُمكن حمل الآية على العُصاة الذين **يخرجون من النار بعد أحقاب**. وقيل الأحقاب وقت لشرب الحميم والغساق، فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب".

نُلاحظ هنا اعتراف المفسّر بأن لفظة أحقاب لا بدّ أن **تعني فترة محدودة** ولذلك فقد أرجعها—برأيه—إلى عصاة المؤمنين فقط. وفي محاولة لتدارك الخطأ فيما لو كان هذا البيان يتعلّق بالكافرين أيضاً قال:

" وقيل الأحقاب وقت لشرب الحميم والغساق، **فإذا انقضت** فيكون لهم نوع آخر من العقاب".

والحقيقة هي أنّ الأحقاب **إذا انقضت** يخرج أهل النار منها، لأنّ الآية لا تقول إنهم ينتقلون إلى عذاب آخر، وإنما هي إضافة من عند المفسّرين الذين يُقال عنهم: "وقيل"! وسنتابع تفصيل البيان فيما يلي بعون الله تعالى.

ويورد صاحب هذا التفسير آراء الصحابة والعلماء في معنى قوله تعالى ﴿**لابثين فيها أحقاباً**﴾ فيقول:

" **والحقب ثمانون سنة**. وقيل أكثر من ذلك أو أقلّ على ما يأتي. **والجمع أحقاب**...وقوله تعالى ﴿**لابثين فيها أحقاباً**﴾ أي **ماكثين في النار ما دامت الأحقاب**...

وقال قطرب هو الدهر الطويل غير المحدود".

وفي تفسيره ﴿**لابثين فيها أحقاباً**﴾ يورد الإمام جلال الدين السيوطي ما يلي:

"**وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ قال: سنين**".

وفي مختصر ابن كثير نقرأ:

"وقوله تعالى ﴿**لابثين فيها أحقاباً**﴾ أي ماكثين فيها أحقاباً وهي **جمع حقب وهو المدّة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره**".

وأقول إذا كانت هي الدهر الطويل غير المحدود فينبغي أن يكون هذا الدهر إذن واحداً لا يُجمع، فما معنى أن يبقى الأشقياء في جهنّم **مُدداً لانهائية** إذا كانت المدة اللانهائية الواحدة تُساوي المُدد اللانهائية جميعاً، لأنّ جمع اللانهاية في علم الرياضيات هو، أيضاً، لا نهاية!

ويُتابع القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) فيقول:

"**وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم:**

(والله لا يخرج من النار مَن دخلها حتى يكون فيها أحقاباً، والحقب بضع وثمانون سنة، والسنة ثلاثمئة وستون يوماً، كلّ يوم ألف سنة مما تعدّون، فلا يتّكلّنّ أحدكم على أن يخرج من النار)". في كنز العمال أورده الديلمي وعن ابن عمر."

أقول: نلاحظ أنّ قول النبيّ الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلّم:(**فلا يتّكلّنّ أحدكم على أن يخرج من النار**) يُشير إلى أنهّ حتى وإن كان الأشقياء المعذبون سيلبثون، في جهنّم فقط فترة محدودة وهي أحقاب، فإنّ عليهم ألاّ يغشّوا أنفسهم بذلك فيغفلون عن هول مدّة الأحقاب هذه فبيّن لهم، عليه وعلى آله الصلاة والسلام، طولَها الهائل فقال:(الحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلاثمئة وستون يوماً، كلّ يوم ألف سنة مما تعدّون). ولكن هذا، أيضاً، في منطق الرياضيات والحساب يُشير إلى مدّةِ **لَبثٍ منقطع غير باق ولا دائم ولا مُستمرّ**.

* بدليل قوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعتْ كلَّ شيء﴾

في جامع الأحكام للإمام القرطبي نقرأ:

"قوله تعالى ﴿**ورحمتي وسعتْ كلَّ شيء**﴾ عموم، **أي لا نهاية لها**...قال بعض المفسرين: **طمع في هذه الآية كلّ شيء حتى إبليس فقال أنا شيء**..".

أليست النار أيضاً شيء؟

فهل ضاقت عنها رحمة ربّ العالمين التي تسع كلّ شيء ولا تضيق عن شيء؟

وهل إذا وسعتها –رحمة الله– يظلّ عذاب المعذبين فيها باقياً دائماً أزمنة ودهوراً وملايين وملايين ولا ينقطع؟

أم انهم يلبثون فيها فقط أحقاباً؟

وفي مختصر ابن كثير، قال:

"﴿**ورحمتي وسعتْ كلَّ شيء**﴾ آية عظيمة الشمول...أي أفعلُ ما أشاء وأحكم ما أريد، ولي الحكم والعدل".

وعن رحمة الله في (الدرّ المنثور) للإمام السيوطي:

" أخرج الطبراني عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(..والذي نفسي بيده ليدخلنّ الجنة الذي قد محشته –أي أحرقته–النار بذنبه؛ والذي نفسي بيده <u>ليغفرنّ اللهُ يوم القيامة مغفرة ما خطرتْ على قلب</u>

بشر؛ والذي نفسي بيده ليغفرنّ اللهُ يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تُصيبه) الطبراني والبيهقي في البعث عن حُذيفة."

تُرى ماذا يخطر في بال البشر عن سعة رحمةِ الله وعظيم مغفرته أكثر من أن يغفر لجميع البشر حتى يغفر لجميع الأشقياء من أهل النار فيُخرجهم من النار ويُنهي عذابهم ويُدخلهم الجنّة بعدما مَحشتهم النار؟!

وفي بيان ما عند الله من رحمة واسعة شاملة **نجد أنّ سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم يشجع حتى الكافر على عدم اليأس من الجنة فيقول:**

(إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلّهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكلّ الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) التخريج (مفصلا): متفق عليه [البخاري ومسلم] عن أبي هريرة /وقال عنه السيوطي: صحيح.

فياله من تشجيع للكافر **ليتوب ويؤمن** بالله الذي تسع رحمتُه كلّ شيء!

* بدليل قول الله تعالى: ﴿إلاّ من رحِم ربّك ولذلك خلقهم﴾

في معرض تفسير قول الله عزّ وجلّ عن عباده ﴿**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ جاء في تفسير ابن كثير: **(عن ابن عباس قال: "للرحمة خلقهم، ولم يخلقهم للعذاب"... وقال طاووس:" إنما خلقهم للرحمة والجماعة").**

وفي الجامع لأحكام القرآن للقُرطبي، نقرأ:

(**وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: "ولرحمته خلقهم"**).

ويُعلّق صاحب هذا التفسير على أقوال الصحابة والعلماء الأكارم فيقول: "..**وهذا أحسن الأقوال إن شاء الله تعالى لأنه يعمّ**..".

يعلم المطّلعون على أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قد بيّن أنه ما من أحد يدخل الجنة إلاّ برحمة الله الرحمن الرحيم، فقال:

(لن يُنجي أحداً منكم عملُه" قال رجل: ولا إيّاك؟ يا رسول الله! قال "ولا إيّاي. إلا أن يَتغمّدني الله منه برحمة. ولكن سدّدوا"). عن أبي هريرة في صحيح مسلم

وهذا يعني أنّ جميع الداخلين إلى الجنة إنما يدخلونها برحمة الله **ولذلك خلقهم**.

ولكن ماذا عن أهل النار لو كان عذابهم فيها مقيم دائم لانهائي ولا منقطع؟

فهل نستطيع القول عنهم أنّ الله قد خلقهم ليرحمهم؟

أم أنّه –سبحانه وتعالى– قد خلقهم ليُعذّبهم ولن يرحمهم أبداً ولن تسعهم رحمتُه وهو أرحم الرحمين؟!

حاشى لله وسبحانه وتعالى.

أما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه حتى إبليس يتطاول يوم القيامة رجاء أن تُصيبه رحمة الله.

* بدليل أنّ عذاب الخلود يكون ذوقاً فقط

من اللافت بشكل واضح أنّ القرآن في آياته الكريمة يُبيّن بأنّ معاناة عذاب النار **إنما تكون ذوقاً فقط**، وفي هذا **برهان عظيم على عدم البقاء في جهنّم**، وإليكم البيان:

نبدأ أوّلاً بتبيّن معنى **الذوق** في اللسان العربي فنقرأ ما يلي:

"ذاقه يذوقه ذوقاً وذواقاً ومذاقاً ومذاقة اختبر طعمه أو **بتناولٍ يسير منه**، وعليه قول أبي الطيب:

" إذا ما الناس جرّبهمْ لبيبٌ   فإنّي قد أَكلّتُهُمُ **وذاقا** "

أي إنني قد جرّبتهم كثيراً وهو جرّبهم **قليلاً** كذوق الطّعام". معجم محيط المحيط مادّة ذوقَ

وهذا يعني -وكما نعرف جميعاً- أنّ تذوّق الطعام هو مجرّد **تناول القليل منه لاختبار طعمه**، فنقول إنّه حلو، حامض أو مرّ إلخ.، وليس الأمر كأكلّه كاملاً.

وزيادة في الوضوح دعونا نضرب المثال التالي: لو قدّم لك صديقٌ طبقَ عسل صغير وقال لك: "**كُلْ** هذا العسل" فأكلّتَ كلَّ ما في الطبق، فهل يحقّ له أن يقول لك: "لِمَ أكلّتَ العسلَ كلّه"؟! طبعاً لا! ولكن ماذا لو أنّه عندما قدّم لك طبقَ العسل قال لك: "**ذُقْ** هذا العسل" أَفكنتَ تفهمُ منه أنه يريدك أن تأكل كلّ ما في الطبق من عسل؟! طبعاً لا، لأنّ " **ذُقْ**" في اللسان العربي إنما تعني:

اختبرْ الطّعم بتناول القليل منه. وبهذا نستطيع فهم البيان القرآني في عذاب أهل النار.

* أهل جهنّم يذوقون العذاب فقط

يصوّر لنا القرآن **عذاب الكفار** في نار جهنّم فيقول:

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت 55 – 56

نُلاحظ هنا أنّ الكفّار يذوقون **فقط** ما كانوا يعملون، وهو عذابهم.

ويُبيّن القرآن الكريم **عذاب اليهود** الذين حرّفوا الكتاب وقتلوا الأنبياء، بقوله:

﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ آل عمران 182 –183

وللكافرين المُكذبين بعذاب النار، يقول عزّ وجلّ:

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ سبأ 43

وللظالمين:

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ الزمر 25

وللذين يَفتنون أنفسهم:

﴿**ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ الذاريات 15

وعن عذاب سَقَر:

﴿**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ* عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ**﴾ القمر 48 - 49

نُلاحظ هنا أيضاً أنّ عذاب سقر لا يكون ذوقاً فقط وإنّما مسّاً أيضاً:

﴿**ذوقوا مَسّ سقَر**﴾!

* وحتى الخلود يكون ذوقاً فقط!

وهذا أمر عجيب؛ إذ **كيف يكون الخلود في النار مجرّد ذوق إذا كان دائماً، مستمرّاً وغير منقطع؟!**

يقول تعالى:

﴿**ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ يونس 53

نلاحظ هنا لفظة ﴿**ذوقوا**﴾ مقابل لفظة ﴿**الخُلد**﴾ وهو **تناقض هائل لو كان الخُلد المقصود هنا دوام بلا انقطاع!** ولكن طالما أننا قد علمنا من معاجم اللغة العربية بأنّ " الخُلد " هو الثبات المديد **دام أم لم يدم**، فَلَمْ يعد في إمكاننا هنا إلاّ أن نأخذ معنى الثبات المديد **الذي لا يدوم**، وهو المقصود.

ثم إننا نُلاحظ أنّ ﴿**عذاب الخُلد**﴾ المقصود في بيان الله هذا يساوي **فقط الجزاء بما كان مستحقّو الخلود في النار يكسبون**، وذلك بدليل التحديد المؤكّد بأداة الاستثناء "**إلاّ**": ﴿**هل تُجزون إلاّ بما كنتم تكسبون**﴾!

ونقرأ أيضاً قول ربنا عزّ وجل **للذين ينسون يوم الحساب:**

﴿**فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ السجدة 15

فكيف يكون عذاب الخُلد مجرّد ذوق لو كان بقاءً مستمرّاً دائماً بلا انقطاع؟!

لا يمكن ولا يصحّ أبداً؛ بل إنّ هذا الخلود يدوم **فقط ما دامت سماوات جهنم وأرضها** لقوله تعالى:

﴿**خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾ هود 108

وهو مستثنى بمشيئة الله الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كلّ شيء لقوله عزّ وجل:

﴿**إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾ هود 108

وهو مجرّد أحقاب، لقول الله عزّ وجلّ:

﴿**لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**﴾ النبأ 24

وإلاّ فإنّ قول ربّنا عزّ وجلّ: ﴿**وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ** بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يكون عبثاً والعياذ بالله!

*حقيقة جهنّم وكيف تكون من رحمة الله

جهنّم كلّمة عربية وهي مشتقة من جَهَنَ جهوناً أي قرُب ودنا، أو من جَهَمَ

والنون هنا زائدة، وأمثال زيادة النون في اللغة العربية كثيرة. وجَهَمَ معناه: استقبله بوجه مُكفهرّ. وتجهّمه استقبله بوجه كريه. (أقرب الموارد)

* النار مأوى

يصف الله عذاب الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وكانوا عن آيات الله غافلين، بأنّ النار ستكون **مأواهم**، فيقول:

﴿**أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾ يونس 9

ويصف جهنمّ أيضاً بأنها **مأوى** فيقول:

﴿**مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ آل عمران 198

﴿**فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا**﴾ النساء 98

يتعجب المتفكّر هنا كيف أنّ الله الحكيم العليم يصف النار وجهنّم بأنها مأوى، وذلك لأنّ **المأوى هو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ويلوذ به،** حتى أنّ الجنة وُصِفت بأنها **جنة المأوى** أيضاً**!** جاء في معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني مايلي:

" المأوى مصدر أوى يأوي أوياً ومأوى، تقول: أوى إلى كذا: انضم إليه يأوي أوياً ومأوى، وآواه غيره يؤويه إيواء. قال عز وجل: ﴿**إذ أوى الفتية إلى الكهف**﴾، وقال: ﴿**سآوي إلى جبل**﴾، وقال تعالى: ﴿**آوى إليه أخاه**﴾، وقال: ﴿**تؤوي إليك من تشاء**﴾، ﴿**وفصيلته**

التي تؤويه﴾ وقوله تعالى: ﴿**جنة المأوى**﴾" مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني

نجد من هذه المعاني أنّ **لفظة المأوى تُشير إلى المكان الذي يُلجأ إليه ليكون الملاذ**، فكيف تكون جهنّم مأوى للعصاة والأشقياء إذن؟!

يقودنا التفكّر المتدبّر إلى أنّ الله عزّ وجل يلفت النظر إلى **سرّ العقاب الإلهي**؛ فهو، في الحقيقة، **لا يهدف إلى إيذاء العُصاة وإنما إلى علاجهم وشفائهم**. وكما أنّ الإنسان يَكره في بداية الأمر الأذى الذي يُصيبه من العلاج، ولكنه يُرغم نفسه على تحمّله وقبوله حينما يُدرك أنّ هذا العلاج سيكون لخيره وصالحه في آخر الأمر. وكذلك تكون حقيقة العقاب الإلهي عندما تنكشف للعصاة في جهنّم، **فهم سيرون النار مأوى لهم: أي ملاذاً ومنجى من العذاب الحقيقي الذي هو سخط الله عزّ وجلّ والحرمان من قُربه سبحانه وتعالى.**

إنّ استخدام وصف المأوى للنار يبيّن حقيقة أنّ **العقاب الإلهي ليس للعذاب وإنما هو وسيلة للتطهير والنجاة للتمكّن من بلوغ الجنة في نهاية المطاف**[1].

وليست النار كالفرن الهائل الذي يُلقى به الكفرة والعصاة كما يتخيّل البعض! كما أنّها ليست مادّية كالعالم الذي نعيش فيه. ولكنّها تنشأ، في حقيقة الأمر، من **حالات الإنسان الروحانية** التي يعانيها ويُصاحبها بشكل مرئي ومُجسّد في الحياة الآخرة، حيث يكتشف أنها ليست بشيء جديد يتلقاه من خارج ذاته وإنما هي ظلّ ونتيجة أعماله التي ارتكبها في الحياة الدنيا. **وهي تنشأ من باطنه**

---

[1] - أنظر التفسير الكبير للإمام بشير الدين محمود أحمد المجلد الثالث.

هو نفسه وتكون جحيمه وسيئاته التي يشقى بها ويكتوي بنتائجها. هنالك تبدو له أعماله بأنها ﴿**نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ**﴾ /الهُمزة 7 - 8/ فيُدرك حينها أنّ جهنّم هي نارٌ منبعها غضب الله عزّ وجلّ وأنها تشتعل بالمعصية **فتتغلّب على القلب أوّلاً**. وهي إشارة أيضاً إلى أنّ **أصل النار إنّما هي تلك الهموم والحسرات والآلام التي تحرق القلوب، وهذا لأنّ جميع أنواع العذاب الروحاني إنما تبدأ من القلب أوّلاً ثم تستولي على الجسد كلّه.**

ونقرأ في بيان الله عزّ وجلّ عن النار حيث يقول:

﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ البقرة 25

أي أنّ الوقود الذي يُبقي نار الجحيم مضطرمة على الدوام عبارة عن شيئين:

أولهما: **الناس الذين نسوا الإله الحقيقي، وشرعوا يعبدون ما سواه** من خَلقه؛ أو أنهم الذين يدعون الآخرين إلى عبادتهم، يقول تعالى:

﴿**إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهنَّم**﴾ الأنبياء 99

أي أنّكم سوفَ تُلقون في جهنّم أنتم وآلهتكم الباطلة الذين زعموا أنفسهم آلهة رغم كونهم من البشر.

والنوع الثاني من الوقود: هم **الأصنام والأنصاب** التي لولاها ما وُجدت جهنّم[1].

إنّ منطق الحسنات والسيئات في الأعمال يجعلنا نفهم أنّ الإنسان إنما ينسج في حياته الدنيا **كيانين** يشكلان تجلّيات مصيره في الحياة الآخرة:

---

[1] - أنظر (فلسفة تعاليم الإسلام) ص 85 -89 للإمام ميرزا غُلام أحمد القادياني الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

الكيان الأوّل، هو **النوراني** الناتج عن فعل الحسنات.

والثاني، هو الكيان **الظلماتي أو الناري** الناتج عن فعل السيئات.

وسيواجه في الحياة الآخرة نتاج نَسْجه هو فيجد أنّه قد **صنع بيديه نارَه أو جنته** اللتين تتبدّيان له **ظُلمة أو نوراً** في وجود حقيقي ينعم به **جنةً أو يحترق به ناراً**، قال تعالى:

﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾ آل عمران 106

تخيّل أنك تُريد أن تنسج ثوباً من لُفافتي صوف إحداهما بيضاء والأخرى سوداء. فكلّما استخدمت اللفافة البيضاء تُزيد في المساحة البيضاء للباس الأخروي الذي سترتديه فيكون نورانياً أكثر، ولكن حينما تنسج من اللفافة السوداء فإنّ لباسك سيكون ظُلماتياً أو جهنمياً على قدر ما تنسج من السيئات، وهكذا **تجد أنّك قد صنعت بيديك أنت رداء جنّتك أو نارك التي ستملؤها بوجودك فيها وتكون على قدر سيئاتك وظُلماتك تماماً وهذا معنى أن جهنّم ستمتلئ يوم القيامة بأصحابها**، يقول تعالى:

﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ هود 120

وهذا لأنّ **كلّ عاصٍ أو كافر سيملأ جهنّمه التي صنعها هو، في الحياة الدنيا، بعمل يديه**، ولذلك فقد علّمنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أنّ نستعيذ بالله من شرّ ما صنعنا: **(أعوذ بك من شرّ ما صنعت)** / البخاري/ مثلما علّمنا أن نستعيذ به عزّ وجلّ من النار **(وأعوذ بك من عذاب النار)**

/البخاري ومسلم/، وهذا يعني أنّ **النار ما هي في حقيقتها إلاّ الشرّ الذي نصنعه لأنفسنا**.

عندما يغفل الغافلون في الحياة الدنيا عن حقيقة الخير والإيمان بالله تعالى بسبب تكبّرهم وجهالاتهم وعماياتهم واستسلامهم للأنانية والأهواء، فإنّهم يفقدون القدرة على التّمتع بالنعيم الناتج عن الحقائق الروحانية وأنوارها، كما أنّهم يفقدون القدرة على الإحساس بها أو رؤيتها، وهم لذلك يُبعثون في الحياة الآخرة عمياناً، يقول تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَة أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ طه 125 – 127

وهذا لأنّ الذي يغفل عن حقيقة الإيمان وما أَنزل الله عزّ وجلّ يكون في حقيقة الأمر أعمى، يقول تعالى:

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ الرعد 20

ولذلك فإنّ الذين لا يُحصِّلون القدرة على رؤية الحقيقة الإيمانية في هذه الحياة الدنيا لن يستطيعوا رؤيتها في الجنّة ولذلك يلزمهم أن يدخلوا جهنّم ليُعاينوا ويُعايشوا الحقائق التي خلّفوها وراءَهم، وعندما يكتمل تطوير رؤيتهم وعلاجهم من أمراضهم الروحانية جميعها يصيرون مؤهّلين لإدراك حقائق الجنّة والاستمتاع بنعيمها فيغفر الله لهم ويُدخلهم إيّاها.

وهكذا **فالإنسان** هو، في الحقيقة، **مُهندس مصيره**، يقول تعالى:

﴿فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ الأعراف 40

وهو أيضاً مؤلّف كتابه وحسيب نفسه، وسيقول له ربّه عزّ وجلّ يوم القيامة:

﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء 15

فهل سألتَ نفسَكَ يوماً ما هو الثوب الذي تصنعه، بيديكَ، في حياتك الدنيا؟

وما هو المصير الذي تُصمّمه بأدواتك للحياة الآخرة؟

وما هو الكتاب الذي تؤلّفه وستُحاسِب به نفسَك يوم القيامة؟

وإلى أين يقودك صنيعك؟

أ إلى الجنة الواسعة؟

أم إلى نار جهنّم؟

*عدم البقاء في جهنّم بدليل أنّ الله هو ربّ العالمين:

نقرأ في سورة الفاتحة:

﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾

* معنى كلّمة "الرّب" في اللسان العربي

" **ربَّ الشيءَ** يربّه ربّاً جمعه وملكه.. ربَّ القومَ ساسهم وكان فوقَهم..ربّ النِّعمة زادها.. ربَّ بالمكان لزم وأقام.. وربَّ الأمرَ أصلحه وأتمّه.. وربَّ الصبيَّ ربّاه حتى أدرك". معجم محيط المحيط

وفي معجم **أقرب الموارد** نقرأ:

" الرّب هو المُنشئ للشيء حالاً بعد حال حتى تمامه، وهو المربّي والمالك والسيد المُطاع، والمصلح".

يتبيّن لنا من هذا البيان اللغوي أنّ الرّب بالنسبة للعباد:

1) هو الذي يُنشئهم ويُطوّرهم حالاً بعد حال حتى تكتمل فيهم الغاية التي أنشأهم من أجلها.

2) وهو الذي يُربيهم حتى يُدركوا تمام النضوج الذي ربّاهم من أجله.

3) وهو الذي يُصلحهم ويُتمّ قدراتهم.

4) وهو الذي يجمعهم ويسوسهم ويكون فوقهم.

5) وأنّه يكون دائماً معهم ملازماً لهم في كلّ مكان.

وبناء على هذه الحقائق الإيمانية نُدرك ما يلي:

آ) إنّ معنى كون الله (ربّ العالمين) يقتضي منّا اليقين بأنّه عزّ وجلّ لابدّ أن يُصلح عباده كلّهم ويُتمّ قدراتهم حتى يُرقّيهم إلى المستويات التي خلقهم لبلوغها.

ب) ولأنّ الله هو الربّ القوي القادر البالغ أمره[1] فإنّ غاية ربوبيته المتعلّقة بإصلاح عباده لا بدّ أن تتحقق، وحاشى له أن تفشل، لأنها لو فشلت لا يكون الله ربّ العالمين بحقّ سبحانه وتعالى.

ج) ولذلك فإنّ من لم يتمكّن من العباد أن يكون عبداً خالصاً لله تعالى في الحياة الدنيا، فلا بدّ أن تتحقق فيه هذه الربوبية في العالم الآخر.

وعندما تتحقق الربوبية في العباد لا يبقى معنى لأن يظلّوا في عذاب دائم رغم تحقق العبودية فيهم، إذا لا بدّ لهم، عندئذ، من دخول الجنة لمتابعة ترقيات ربوبية الله التي لا حدّ لها ولا نهاية. ولذلك فقد أكّد الله عزّ وجلّ في كتابه المجيد بأنّ **جميع الخلق، لا محالة، داخلون في عبوديته** كما سنرى في البرهان التالي.

*بدليل قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾:

يُبيّن لنا ربُّنا في القرآن الكريم الغاية من خلق العباد فيقول:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات 57

وهذا يعني أنّه عزّ وجلّ لم يخلق الناس إلاّ لتتحقق فيهم عبوديته الحقّة. وبما أنّ الله هو القوي القادر الغالب على أمره والبالغ أمره، فإنّ هذه العبودية لا بدّ أن تتحقق في خلقه، سواء في هذا العالم أو العالم الآخر، ولا يمكن إلاّ أن تتحقق.

[1] - يقول تعالى: {ومن يتوكلّ على الله فهو حسبه، إنّ الله بالغ أمره}

ولكن ما المصير الذي يؤول إليه خلق الله تعالى عندما تتحقق فيهم عبوديته؟ يُبيّن الله لنا ذلك في كتابه المجيد فيقول:

﴿**فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ الفجر 30

ويكون قول الله تعالى هذا للنفس المطمئنة، التي تحققت فيها عبوديتها سواء في الدنيا أو الآخرة، حيث نقرأ في القرآن الكريم قول ربنا عزّ وجلّ:

﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ الفجر 28 -31

عندما يَنتهي الكافرون والعصاة من أهل النار من معاناة أخطائهم وجرائمهم وتضييعهم للحقائق والأنوار التي خلّفوها وراءهم في الحياة الدنيا، يكون قد تمّ علاجهم وأدركوا حقيقة أنّه قد كان عليهم أن يؤمنوا بالله ربّ العالمين الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد، وأن يكونوا عباده بحقّ، وعندئذ يصيرون قادرين بفضل الله ورحمته على إدراك حقائق الجنّة ورؤية أنوارها، والتّنعم بتجلّيات ربّهم فيها فيُدخلهم الله عند ذلك في عباده ويُدخلهم جنته.

* الفرق بين الخلود في الجنّة والخلود في النار؟

ويبقى السؤال إذا كان الخلود في نار جهنّم منقطع غير باقٍ، فهل أيضاً خلود أصحاب الجنّة في الجنة منقطع غير مستمرّ؟! والجواب الأكيد: بل هو **خلود دائم باق مستمرّ غير منقطع ولا مجذوذ**، وذلك بدليل بيان ربّنا الفاصل المبين:

﴿**عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ هود 109

أي عطاء غير منقطع وذلك في معرض بيان خلود أهل الجنة، كما يلي:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ هود 109

ولاشكّ في أنّه لا تناقض ولا تعارض في أن يَهَبَ اللهُ الغفورُ الودود ذو العرش المجيد الفعال لما يريد أهلَ الجنة خلوداً باقياً غير منقطع ولا مجذوذ، لأنّ هذا ينسجم مع فضله ورحمته وكرمه تبارك وتعالى؛ وليس ثمة تناقض أيضاً في أن يرحم حتى الكفار من أصحاب النار فيغفر لهم ويخرجهم من النار ويدخلهم في عباده ويُدخلهم جنته؛ فالحمد لله ربّ العالمين على ذلك، فهو حقّاً، حقّاً، حقّاً الغفور الودود ذو العرش المجيد الفعال لما يُريد.

* (عتقاء الرحمن) بدليل شفاعة الله ذاته للعباد

ثمة، في الحديث الصحيح، مِن أهل النار، مَن أطلق سيدُنا رسول، الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، عليهم وَصْفَ "**عُتقاء الرحمن**"، وذلك في حديث الشفاعة التالي من حديث أبي سعيد الخدري في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال:

(إنّ الله يقول للملائكة: من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: يا ربنا لمْ نَذَرْ فيها أحداً ممن أمرتنا به؛ ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: يا ربنا لمْ نَذَرْ فيها أحداً ممن

أمرتنا به؛ فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: يا ربنا لمْ نَذْر فيها أحداً ممن أمرتنا به...قال: فيقول الله تعالى: شفعتْ الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولمْ يَبقَ إلاّ أرحم الراحمين، فيقبض قبضةً فَيُخرِج منها قوماً لمْ يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً، فيُلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل أبيض، .. قال: "فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء "عتقاء الرحمن" الذين أدخلهم الله بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تُعط أحداً من العالمين، فيقول الله تعالى إنّ لكم عندي ما هو أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا أيّ شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا") في أحاديث الإحياء للحافظ العراقي وأخرجاه في الصحيحين كما ذكر المصنف من حديث أبي سعيد.

* دراسة الحديث

نجد في هذا الحديث الصحيح **عناصر الخلاص** التالية:

1) أن الله يُخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من خير.

2) وأنّه يُخرج من النار من كان في قلبه مثقال نصف دينار من خير.

3) وأنّه عزّ وجلّ يُخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرّة من خير.

ونلاحظ أنّ هؤلاء يخرجون بشفاعة الملائكة، والنبيين، والمؤمنين، وذلك بدليل ما جاء في ألفاظ الحديث بعد خروج هؤلاء مباشرة، حيث يقول:

(**فيقول الله تعالى: شفعتْ الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولمْ يَبقَ إلاّ أرحم الراحمين**). ثم نقرأ عن شفاعة أرحم الراحمين:

* شفاعة أرحم الراحمين

نجد في شفاعة أرحم الراحمين العناصر التالية:

1) أنّ الله وصف نفسه لشفاعته لخلقه بأنّه **أرحم الراحمين**، أي أنه أرحم من الملائكة ومن النبيين ومن المؤمنين الذين شفعوا حتى لمن كان في قلبه فقط مثقال ذرّة من خير.

2) أنّه عزّ وجلّ يمدّ قبضته إلى جهنّم **فيُخرج منها من لم يعمل خيراً قط**.

3) وأنّ هؤلاء الخارجين من النار **بقبضة الله** عزّ وجلّ يُدعون عُتقاء الرحمن.

والآن ماذا في هذه العناصر؟

*أولاً: شفاعة أرحم الراحمين

كي نفهم ما معنى أن يشفع الله أرحم الراحمين لخلقه، يفيدنا أن نضرب المثال التالي:

ماذا لو سَمح مَلِك، في مُلكه، لبعض رعاياه المكرمين أن يشفعوا لبعض المساجين فشفعوا؟ لا بدّ عندئذ أنّ يُخرج لهم من المساجين **على قدر كرامتهم عنده**. ثم ماذا لو سمح لبعض وزرائه أو أمرائه بالشفاعة لعدد آخر من المساجين؟ لا بدّ أنّه عند ذلك **سيخرج لهم عدداً أكبر** من المساجين على قدر مكانتهم عنده. ثم ماذا لو سمح لنائبه أو رئيس وزرائه أن يشفع؟ لا بدّ أنه عند ذلك **سيُعتق له عدداً أكبر** مما سمح به للرعايا أو الوزراء. ثم ماذا لو أعلن الملك **أنّه هو ذاته سيشفع** على قدر أهميته وعظمته وقُدرته في مملكته؟

أفلا كان يشفع لجميع المساجين بعفوٍ شامل يشملهم فيعتقهم جميعاً؟

وغالباً ما تفعل الملوك والرؤساء ذلك بدليل أنّهم يعفون حتى عن المحكوم عليهم بالإعدام، وقد أثبت القرآن ذلك عندما روى عن النمرود أنه قال لإبراهيم عليه السلام: ﴿**أنا أحيي وأميتْ**﴾ قاصداً أنه يستطيع بملء إرادته ومشيئته أن يعفو حتى عمّن حُكم عليهم بالموت فيُطلقهم للحياة.

فكيف نستطيع إذن أن نتصوّر مدى شمول وسعة شفاعة الله برحمته عندما يُعلن أنّه **هو** ذاته عزّ وجلّ **سيشفع**، وهو ملك الملوك—وخاصّة بصفته أنه **أرحم الراحمين؟**

هل نستطيع تصوّر أن يبقى أحد من خلقه **خارج رحمة أرحم الراحمين** التي وصفها هو عزّ وجلّ بأنها **وسعت كلّ شيء** فقال:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كلّ شَيْءٍ﴾ الأعراف 157

إذن لا يُمكن أن يبقى أحد في النار بعد شفاعة أرحم الراحمين لأصحابها. وإلاّ لكان ملوك الأرض أكثر قدرة على العفو منه لو شاؤوا والعياذ بالله**!**

*ثانياً: بدليل قبضة ربّ العالمين

نفهم من هذا الحديث أنّ شفاعة ربّ العالمين لأهل النار ستكون بأن يمدّ يده إليهم وهم في النار فيقبض **بقبضته العظيمة** قوماً لم يعملوا خيراً قط فيُخرجهم من النار ويُدخلهم الجنّة!

والآن ما هي قبضة ربّ العالمين؟

يتحدّث ربّ العالمين عن قَدْره وعظمة قبضته، بنفسه، في كتابه المجيد، فيقول:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر 68، إذن:

– **الأرض جميعاً** قبضة الله عزّ وجلّ يوم القيامة.

– والسماوات **مطويات بيمينه.**

فماذا يبقى خارج قبضته تبارك وتعالى إن قبض فيها البؤساء من أهل النار، خاصّة وأنه قد جاء في الحديث أنّه سيقبض ليرحم بأنه **أرحم الراحمين**، أي أنه

سيقبض بقبضة الرحمة التي تسع كلّ شيء ولا يبقى خارجها شيء.

فهل إذا قبض الله بقبضته أو طوى بيمينه يبقى شيء خارج قبضته أو فالتاً من يمينه؟!

معاذ الله**!**

وهكذا فإنّ الله **سيُخرِج بقبضته الرحيمة أهلَ النار جميعاً، وهو أرحم الراحمين**، والحمد لله ربّ العالمين.

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله الذي بشّر العالمين، بإذنك، ألاّ ييأسوا من روحك فبلّغَهم قولك:

﴿**إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ يوسف 88

وألاّ يقنطوا من رحمتك، بدليل هديك في كتابك:

﴿**وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ**﴾ الحجر 57

وطالما أنّ من إيمان المسلمين أنّ الله يرحم الناس جميعاً وحتى الكافرين—فكيف لا يكونون هم سلاماً ورحماء للخلق أجمعين؟

الفصل الثاني عشر

الخلاص ليس حكراً على المسلمين

(نجاة أهل الأديان والعقائد الأخرى في المنظور الإسلامي)[1]

ثمّة ظاهرة عالمية بارزة يعايشها المجتمع الدولي في كلّ مكان تتعلَّق بإحياء العقائد الدينية. ولكن العالم يشهد، مع هذه الظاهرة، بروزَ ظاهرة أخرى مؤسفة وهي تهديد السلام العالمي! إذ يلاحِظ المهتمون أنه مع محاولة بعث هذه العقائد وإحيائها يتولّد جوّ اجتماعي عالمي مسموم ومشحون بالكراهية، يُعمي الأبصار والبصائر؛ يفتك بروح التّفهم والتفاهم؛ يغتال الحوار السليم الصحيح، ويحول دون التقاء واتحاد الأفهام والأهداف لصالح الجنس البشري وسلامه الدولي!

ويبرز في هذا المضمار الخطير دور الساسة المجرَّدين من الضمير والمستعدّين دائماً لاستغلال المواقف المتفجرّة لمصالحهم السياسية الأنانية الخاصة ولو على حساب الجنس البشري وأمنه وأمانه! فهم يقومون في هذا الخضمّ بمحاولات دائبة لتلويث وتشويه صورة الدين نفسه، ويساعدهم في ذلك وجود خصومات وثارات تاريخية بين الديانات المحرّفة وأهلها. كما يدخل ما يسمى بالإعلام الحرّ—الذي

[1] - هذا البحث مبني بتصـرّف على ما ورد في كتاب "الإســلام والتحديات المعاصــرة" للإمام ميرزا طاهر أحمد إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.

غالباً ما تسيطر عليه أيدٍ خفية تمنعه من الانطلاق حراً محايداً، فتُسخّره لأهدافها المغرضة—فينضم بقواه الإعلامية العملاقة إلى معركة تشويه صورة الدين المنافس، وبذلك يصير المشهد معقداً للغاية.. ولا شك في أنّ الدين نفسه -أيّ دين- يكون في ذلك أول ضحايا هذه المعركة التي لا يستفيد منها إلاّ الشيطان وحده. إنّ هذه الحقيقة المؤسفة لحَرِيّة بأن تبعث في الضمير الإنساني الخوف والقلق تجاه ما يحدث اليوم في عالم الدين، فتشعره بضرورة السعي المخلص العاجل لأصحاب وأهل جميع الأديان والطوائف والمعتقدات للقيام بجهد حقيقي وصادق لإزالة ما بينهم من سوء فهم قد يكون من شأنه -لو بقي واستفحل- التسبّب بالدمار العالمي الشامل لجميع الأمم والمجتمعات البشرية في العالم كلّه.

من هنا ينطلق صوت الإسلام الحق مبيّناً موقفه ووجهة نظره ورأيه وعقيدته في مسألة المصير والخلاص المتعلقة بجميع أهل الأديان والمعتقدات والمذاهب الأخرى فيعلن بكلّ صدق ووضوح أنّ:

*الخلاص ليس حكراً لدين واحد

حتى لو كان هذا الدين هو الإسلام نفسه. أي أنّ الإسلام لا يقول بأنّ الخلاص المتعلق بالدين، إنما يكون فقط من خلال الدين الإسلامي وحده[1] وأنّ غير المسلمين إنما مصيرهم إلى غضب الله وجحيمه.

كلا إنّ هذه ليست مقولة الإسلام، ولا يؤيدها القرآن الكريم.

[1] - الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلّم. ومع ذلك فإن دين الله واحد كما بيّنا وهو الإسلام.

إنّ مسألة الخلاص هذه، مهما بدت بريئة في ظاهرها، إلاّ أنها في غاية الخطورة والفاعلية على سلام العالم!

ولا بدّ من ملاحظة أنّ ثمة فرقاً كبيراً بين إعلانِ دينٍ ما أنه سبيل التحرُّر من الشيطان، وأنه طريق النجاة والخلاص من موبقات الإثم والخطأ البشريين، وبين أن يعلن هذا الدين أنّ الذين لا يأتون إليه بحثاً عن الخلاص يكونون ملعونين جميعهم، وإلى الأبد، وأنهم مهما فعلوا لاكتساب مرضاة الله، ومهما أحبّوا خالقهم ومخلوقاته، ومهما عاشوا في طهر وورع فإنه لا مهرب لهم من حكم جهنّم الأبدي!

إنّ مثل هذا الإعلان الصارم المتعصّب المتشدّد الخاطئ وبمثل هذا الأسلوب الاستفزازي –على عادة المُستعْدِين بالدين– لابدّ أن تنجم عنه أحداث شغب وعنف، عدا أنه لا يُمثِّل حقيقة دين الله في شيء.

وليس صحيحاً الزعم أنه منذ أن جاء الإسلام فقد قُدَّر على جميع بني آدم الذين عاشوا وماتوا خارج نطاق الإسلام أن يُحرَموا من الخلاص.. وهي الصورة الخاطئة التي يعرضها علماء القرون الوسطى على أنها الباب الأوحد للخلاص. **ولا تقدِّم المسيحية وجهة نظر مختلفة عن هذه في مسألة الخلاص.. وكذلك جميع الديانات الأخرى على ألسنة رجالها المتعصّبين**.. ويمكننا—نحن المسلمين المتفهّمين[1] لكتاب الله عزّ وجل وحقيقة هدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه

[1] - المقصود جميع المتفهّمين حقاً لكتاب الله.

وآله وسلم—التأكيد **بأنّ نسبة هذا الرأي الخاطئ المتعصّب إلى الإسلام يناقضها القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه وفي بيان واضح ومباشر**.. حيث نجده يبيّن لنا حقيقةً إسلامية مختلفة تماماً:

إذْ—طبقاً للقرآن الكريم—لا يمكن لأيِّ دين في العالم أن يتفرّد بذاته في احتكار السبيل إلى (الخلاص)، حتى وإن نزل الوحي بحقائق جديدة وأشرقت عهود جديدة من النور.. **فالذين يعيشون بعيداً عن إمكانية إدراك حقائق هذا النور الجديد—وهم لذلك لم يقبلوه، جهلاً به وعجزاً عن فهمه وإدراكه للأسباب المحيطة بهم، والتي لا يد لهم فيها، وهم مع ذلك يحاولون، على وجه العموم، الحياة بصدق مع ربهم ومعتقدهم وأنفسهم—فإنّ الله تعالى لن يحرمهم من الخلاص، حتى ولو ورثوا تراثاً من الأفكار الباطلة**. ويمكن للآيات التالية من القرآن الكريم أن تزيدنا وضوحاً وتفصيلاً.

يقول تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا**﴾ الطلاق 7

أي أنّ الله تعالى لا يحاسب البشر إلاّ على ما أدركوه ووعتْهُ عقولهم وأفهامهم وصار في إمكانهم—عند ذلك فقط يصيرون مسؤولين أمام الله عن الموقف الإيماني والممارسة العملية تجاه هذا الفهم والإدراك.

وأمّا ما لم يصل إليهم، أو لم يصل إلى أفهامهم وإدراكهم وإمكانهم، فهم غير مسؤولين عنه إلاّ إذا تعمَّدوا الصدّ وعدم الفهم والاستماع والإدراك بما آتاهم الله من قدرات وأفهام، حيث ينطبق عليهم عند ذلك بيان الله عزّ وجل:

﴿كلّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدّثر 38

وأمّا فيما وراء ذلك من حيث الإيمان والمعتقد والشريعة، فيبيّن القرآن الكريم أنّ الله قد جعل لكلّ أمة منسكاً خاصّاً بهم في زمن من الأزمان، وأنّ المخلصين لمعتقدهم الذي آتاهم الله وهم لم يدركوا بعدُ ما أنزل الله من شرع ونور جديد، ولم يتبّنوا حقيقته، لا خوف عليهم عند ربهم ما داموا أتقياء مخلصين لربهم فيما يخصّ دينهم ومعتقدهم الذي نسكه الله لهم، يقول تعالى:

﴿لِكلّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمرِ وَادْعُ إِلَى رَبّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ الفتح 68

يخاطب ربُّنا سيدَنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، هنا، مبيّناً له أنه عزّ وجلّ قد جعل لكلّ أمة طريقاً للعبادة، ويقول له: لا تدعهم يجادلونك في موضوع عبادتك الإسلامية، وادْعُ الناس إلى طريق ربك، فإنك يقيناً على طريق الهدى الحقّ.

ويعلن القرآن الكريم في سورة أخرى المعنى نفسه فيقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْف عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ المائدة 70

هل خصَّتْ هذه الآيةُ الكريمةُ المؤمنين بالإسلام وحدهم فقالت: إنّ الذين آمنوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟. كلا بل نجد أنها قد أضافت إليهم ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ

صَالِحًا﴾ فمَن هم هؤلاء الذين أضافتهم الآيات الكريمة إلى المؤمنين المسلمين في مسألة الخلاص فجعلتهم من الذين **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟**

يفيدنا هنا أن ننتبه إلى حقيقة أنّ وصف (أهل الكتاب) الذي ورد في القرآن الكريم—وإن كان ينطبق على اليهود والنصارى—فهو يحتمل تطبيقاً أوسع، حيث نجد في سياق التأكيد القرآني بيان ربنا عزّ وجل:

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر 25

وقوله تعالى:

﴿لِكلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ الحج 68

وقوله تعالى: **﴿ولكلِّ قَومٍ هاد﴾**

وفي آيات غيرها، لا نجد أمامنا مجالاً للشكّ في أنّ أهل التوراة والإنجيل ليسوا وحدهم أهل الكتاب، بل هناك بلا ريب كتب أخرى نزل بها الوحي لخير بني البشر، وبذلك فإنّ جميع الديانات التي تدّعي بأنها مؤسّسة على الوحي الإلهي تدخل في اصطلاح 'أهل الكتاب'.

وإنّ استخدام القرآن لكلّمة **(صابئ)** يزيد الفكرة وضوحاً، حيث أنّ العرب قد استعملوا هذه الكلّمة للدلالة على أتباع جميع الديانات غير العربية وغير السامية، الذين لهم كتبهم السماوية الخاصّة بهم.

وهكذا نستطيع أن نفهم، من خلال هذه الآية الكريمة الآنفة الذكر، أنّ القرآن

الكريم يؤكّد على أنّ جميع أتباع الديانات الأخرى المؤسّسة على الوحي السماوي ينالون الخلاص، **بشرط أنهم لا يستطيعون التعرّف حقاً وصدقاً على نور الدين الجديد؛ ولكنهم يتمسكون بصدق وإخلاص بالقيم الدينية الموجودة في دينهم الموروث**.. وعندئذٍ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، إذ أنّ الله لن يحرمهم من النجاة والخلاص.

ويتحدث القرآن المجيد عن جميع فرق المؤمنين: يهوداً أو نصارى أو صابئين، ويَعِدُهم:

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة 63

وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة 63

ثم يقول عزّ وجلّ:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ﴾ المائدة 67

أي لو أنهم أطاعوا وتقيّدوا بتعاليم التوراة والإنجيل وما جاءهم من ربهم لنالوا الطيبات من كلّ اتجاه.. منهم قوم معتدلون، ولكنّ كثيراً منهم يفعلون السيئات.

ويقرأ المسلمون والعالم أجمع في القرآن الكريم إعلاناً مطلقاً صريحاً يبيّن نظرة الإسلام للأتقياء من أهل المعتقدات الأخرى فيقول:

﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران 114 - 116

وبالرغم مما يعرفه العالم من خلافات تتعلّق بالحقوق بين المسلمين واليهود، فإنه ليس صحيحاً الزعم بأنّ الإسلام يقول إنّ مصير اليهود جميعاً إلى النار حتماً. إنّ هذا القول باطل تماماً على ضوء الآية الكريمة التي ذكرناها وكذلك **على ضوء الآية التالية التي تخصّ اليهود قوم—موسى عليه السلام بالذكر**، فتقول:

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الأعراف 160

وهكذا نجد في هذه الآية الكريمة شهادةً قرآنيةً وإعلاناً إسلامياً عظيماً لمن أراد فهم الحق والقول به، فيوفّر على نفسه –وعلى غيره– الوقوع في حمأة الزيف والافتراء الباطل الذي يقود البشرية إلى جحيم الخلافات العقائدية المدمّرة.

ومن منطلق الحق وتعزيز الانسجام والاحترام المتبادل بين الديانات المختلفة يعلن القرآن الكريم، في كلّمات بَيِّنة لا غموض فيها، أنّ المسلمين ليسوا وحدهم—من بين أهل الديانات الأخرى—الواقفين في ثبات ورسوخ مع الحق، ويأمرون بالعدل ويقيمونه. بل إنّ هناك أمماً أخرى تفعل ذلك مثلهم.. وهذا موقف عظيم يجب أن يعمل عليه علماء الدين جميعاً بغية تحسين العلاقات الدينية وغيرها مع أهل سائر الأديان، لأنه لا يمكن تحقيق السلام الديني في العالم ما لم يعمل المتديّنون جميعاً على الالتزام بمثل هذا الموقف المتّسم بالسماحة والرحابة

الدينية والإنسانية نحو أهل الديانات الأخرى.

ويجد العالم في القرآن الكريم أنه يشير إلى جميع الديانات في الأرض إشارة عامة، مبيّناً حقيقة هامة تتعلّق بهم، فيقول:

﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ الأعراف182

وهكذا نعلمُ أنّ في خلق الله تعالى—عموما—أمة تهدي الناس إلى الحق، وبه يقيمون العدل.

بهذا الفهم الإيماني العظيم وروحه **ننزع فتيل الإرهاب (الديني) ونقيم سلام العالم وأمنه، وبه نحقن دماء أبناء البشر في كلّ بقاع الأرض.**

الفصل الثالث عشر

دولة الإسلام

(وطن الدِّين وهدفه قلب الإنسان وليس دولة في حدود جغرافية)

في كتابه (**القتل باسم الدين)** Murder in the Name of Allah يقول الإمام ميرزا طاهر أحمد[1]:

" **الدّين هو تحوّل في القلوب. وهو ليس سياسة، ولا يسعى أتباعه إلى تشكيل أحزاب سياسية. كما أنّ الدِّين ليس وطنية ذات ولاءات محدودة، ولا هو بلد ذو حدود جغرافية. بل هو التّحوّل الذي يكون لخير روحِ الإنسان وصالحها.**

إنّ بيت الدِّين هو في أعماق القلب. إنّه فوق حُكم وسيطرة السيف. وكما أنّ السيوف لا تستطيع تحريك الجبال، فكذلك القوة لا يمكنها تغيير القلوب. وفي الوقت الذي كان الاضطهاد باسم الدين هو الموضوع المتكرر في تاريخ العدوان الإنساني، فإنّ حريّة الاعتقاد والضمير هو الموضوع المتكرر في القرآن الكريم".

وأمّا عن الإسلام فنَعلم من القرآن الكريم أنّه رسالة ربّ العالمين ورحمته الشاملة إلى الناس جميعاً. فهو لكلّ قوم وقبيلة وجماعة وأمّة في بلاد الأرض ودُولها قاطبة، وفي أية أرض يسكنها الناس في العالمين. يأمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم في القرآن الكريم أن يُعلن:

---

[1] - إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية

﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ الأعراف 159

ويُعلن اللهُ ربُّ الناس عن حقيقة وغاية بَعثِ رسوله، فيقول:

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ الأنبياء 108

وهكذا فقد أراد اللهُ الإسلامَ أن يكون عالمياً يشمل برحمته وعدله الأرضَ كلّها بِقُراها ومدنها ودولها وغاباتها وصحاريها وبحارها، بل وكلّ بيت من بيوت الناس فيها، حيث نقرأ بشارةَ وتأكيدَ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم على حقيقة انتشار الإسلام في العالم كلّه، فيقول:

(**ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله عز وجل بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ..**) في مسند أحمد والطبراني الكبير والمستدرك عن تميم

وما ذلك إلاّ لأنّ الله يريدُ أن تشمل رحمتُه كلَّ شيء، حيث يقول:

﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كلّ شَيْءٍ**﴾ الأعراف 157

* دولة الإسلام

من هذا نعلم أنّ الله أراد أن تكون دولة الإسلام عالمية، وهي تعني شمول رحمته للناس جميعاً في جميع بلادهم ودولهم وكلّ أرض يقيمون عليها. فهل يدعو الإسلام، إذن، إلى إنشاء دولة معيّنة ذات حدود جغرافية محدّدة؟

مطلقاً!

لأنّ الإسلام هو رسالةٌ جُلّ هدفها أن تصل إلى الناس، بالسلام كلّ السلام،

ليؤمنوا من أنفسهم بأنه دين الله ورحمته وسلامه للعالمين جميعاً، دون ما استثناء أو تمييز. وهو فهمٌ ووعي تتلقّاه الروح، ويشغف به القلبُ، ويُقيمه العقلُ، ويلهج به اللسانُ حُبّاً وعشقاً وتمارسه الأعضاء عملاً والتزاماً. وهذا كلّه يمكن أن يحصّله الإنسان المطّلع على حقيقة الإسلام الحق في أيّ مكان، أو دولة، أو بقعة من الأرض، سواء أكان البلد الذي يُقيم فيه إسلامياً أو غير إسلامي. وثمة في التاريخ الكثير من الأمثلة على أمم من الناس دخلت في الإسلام عن طريق التجار المسلمين الذين أضافوا إلى سعيهم في تجارتهم التبشيرَ بِدينِ الله فآمن الكثيرُ من الناس على أيديهم ودخلوا الإسلام وصاروا من أهله من غير أن تصير دولهم إسلامية. وثمّة منهم من هاجر، بسبب الاضطهاد، مغادرين بلادهم إلى البقاع الإسلامية لينعموا فيها بحرية العقيدة وليأمنوا خطر الإبادة والاضطهاد الديني الظالم، ومن هؤلاء المؤمنين الشراكسة الذين يعيشون بيننا مواطنين كرماء في الوطن العربي، وغيرهم ممّن هجروا بلادهم وأراضيهم وممتلكاتهم وفرّوا بدينهم لأنهم آمنوا بأنّه أغلى من كلّ ما يملكون.

ولا يزال الناس، حتى اليوم، وفي بلاد كثيرة، يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، ويدخلون في دين الله الإسلام، موقنين مخلصين، يثقّفون أنفسهم ويُبشّرون أبناء دولهم وأوطانهم من غير أن يتعرّض لهم أحد أو يمنعهم من التحديث بإيمانهم ودينهم والتبشير به، وذلك لأنّ دساتير بلادنا، وكذلك دساتير جميع البلاد المتحضّرة تنصّ على أنّ حرية الدين والمعتقد والتبشير حرّية مقدّسة تصونها وتُدافع عنها قوانين البلاد ودساتيرها. وأمّا المُضطهِدون فمصيرهم أن يصيروا

منبوذين من المجتمع الإنساني المتحضّر بأكمله.

وهكذا، فكلّ ما يريده الإسلام هو المناخ الحرّ له ولجميع أهل العقائد والأديان. وإنّ كلّ ما يدعو إليه ويُجاهِد من أجله هو أن تُصان حرّية المعتقد للناس جميعاً، وأن ﴿**يَكُونَ الدِّينُ كلّهُ لِلّه**﴾ /الأنفال 40/ فلا يُضطهد أحد بسبب دينه وعقيدته؛ وهذا يعني أنّ الإسلام يسمح حتى في الدّولة الإسلامية أن يُبشِّر جميع الناس بأديانهم ومُعتقداتهم كما يشاؤون بشرط أن يكون ذلك بالسلام وعدم الاعتداء.

ولا يخشى الإسلام التبشير بالعقائد المختلفة، وذلك لأنّه يملك الثقة بأنّه في المناخ الحرّ سيكون له قصب السبق في الفوز بقلوب وعقول الناس، فينتشر فيها كالنور في الأبصار والبصائر، وكالروح والحياة في الجسد، وهذا ما يحدث، حتى الآن، في بلاد العالم إذ إنّ العارفين يُعلنون، بكلّ وضوح، أنّ انتشار الإسلام في الناس أسرع وأقوى من انتشار أية عقيدة أخرى، ولذلك فإنّ الجاهلين يخافون من هذا الانتشار الذي، لو أدركوا حقيقته، لوجدوا أنّ فيه خيرُ وأمن وسلام العالم كلّه، بإذن الله تعالى.

الإسلام يملك الثقة بقدرته على الفوز بقلوب الناس لأنّه دين الفطرة التي تتلقفها وتتقبّلها النفس الإنسانية بانسجام وتآلف وتَقْبَلها العقول بقناعة وترحيب؛ يقول تعالى:

﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ الروم 31

فالدِّين الذي يتطابق مع فطرة الإنسان لا بدّ أن يقبله الأسوياء الذين لا تأخذهم الأهواء بعيداً عما فيه خير نفوسهم في الحياة الدنيا والآخرة. وأمّا العقائد المزوّرة والمزيّفة، فإنها لا تستقرّ في الوجدان، ولا ترسخ في الأرواح، وسرعان ما تتمرّد العقولُ عليها وتنبذها مهاما طال بها الأمد وامتدّ الزمان؛ ويظهر ذلك في السلوك واضحاً جلياً. وأما الذين يُظنّ أنهم باقون عليها فهم الذين يتوارثونها بلا تفكّر ولا تدبّر ولا مناقشة؛ يحنون رؤوسهم للموروث والعادة والتقليد وتقديس البشر ويظلّون تابعين خاضعين لما يُقَرِّره لهم الآخرون من عقائد وأفهام، فيُقاتلون دونها جهلاً وعماية وتعصّباً لأفهام الرجال، وليس لدين الله الذي آمنوا به وقبلوه فاهمين مقتنعين!

ولأنّ الإسلام رسالة تدعو الإنسان لأن ينسجم مع فطرته ومع طبيعة الكون الذي يعيش فيه؛ فهذا يعني أنّه يدعو الإنسان لأن يُقيم دولة ربّ العالمين في يقينه وروحه ووجدانه، وينطلق منها أساساً في إقامة الحق العدل والسلام في الناس بسلوكه الإسلامي القويم، ودعوته المُستمرة لدين الله ربّ العالمين على بيان كتابه المجيد وهدي رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم. ولذلك فإنّ الإسلام لا يدعو إلى إنشاء دولة إسلامية ضمن حدود جغرافية محدّدة، أو إلى تأسيس أحزاب سياسية تدعو إلى ولاءات سياسية مرهونة لأفكار المفكرين وتوجّهات المنظّرين.

*الإسلام والأحزاب

ولكنّ هذا لا يعني أنه لا يمكن للمسلم أن يناضل في أحزاب سياسية أو اجتماعية، أو إنسانية عالمية لتقوية بلاده وقضايا أمته والدفاع عنها والانتصار لها. مطلقاً! بل إنّ النضال القومي والدفاع عن الوطن وجميع حُرماته ومقدّساته، سواء من داخل الأحزاب أو خارجها إنما هو **واجب مستمرّ يحفّزه حب الوطن** الذي أقرّ الدين أنه من الإيمان، حيث قال سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(**حب الوطن من الإيمان**) سبق تخريجه

فالإسلام لا يُقرّ السلبية في المواقف أو الاستسلام للظروف، بل يدعو إلى السعي لنشر الحق والعدل والسلام والانتصار لخير أبناء الوطن والإنسانية بقوّة إيجابية فاعلة في كلّ مكان من الأرض. ولكنه بطبيعة الحال لا يوافق الناس على التحزّب للشر أو العدوان أو المنفعة الشخصية بأي شكل من أشكالها، سواء أكانت سياسية أو قبلية أو طائفية أو غير ذلك، يقول تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ المجادلة 10

فالمسلمون لا يجتمعون ولا يتآلفون مع قوم يتآمرون للإثم والعدوان وما يكون فيه من معصية لله عزّ وجل ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم، بل يتعاونون مع الناس لنشر البرّ والأمن وكلّ ما فيه خير لأبناء وطنهم والناس أجمعين. ولذلك

فإنّ المسلم عندما يكون في حزب مناضل سياسي لا يعصي الله، بمعنى أنه لا يُخالف السلوك الإسلامي، فلا يغشّ، ولا يخون، ولا يظلم، ولا يرتشي، ولا يتجاوز مصالح الناس الحقّة، ولا يُعطّلها ولا يُعيقها، ولا يتحيّز في ترشيح أو انتخاب، ولا يُدلي بصوته لمن لا يستحقّه، لأنّه يؤمن أنّ الله قد جعله أمانة في عنقه للناس، ولا يحكم، إذا كان في موضع الحُكم، إلاّ بالعدل، يقول ربنا عزّ وجل:

﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾ النساء 59

والأمانة هي كلّ حقٍّ في عنقك لله والناس، سواء من أبناء وطنك أو غيرهم. وهكذا فبالرغم من أنّ الإسلام ليس حزباً سياسياً ولا يدعو إلى أحزاب سياسية، لأنّ الإسلام هو الإسلام ولا شيء غير الإسلام، ولكن المسلم حين يكون في حزب سياسيّ أو اجتماعي فإنّه يُطبّق على نفسه جميع أخلاقيات الحق والعدل والسلام التي يأمره الإسلام بها، وهو، بهذا السلوك، يكون إسلاماً ومُحبّباً بالإسلام أينما كان وحيثما حلّ.

* هل يدعو الإسلام إلى شكل معين للحكم؟

لا نجد في كتاب الله وبيان رسوله الكريم دعوة إلى اختيار شكل معيّن من الحكم يسوس الناس. فالإسلام، من منطلق مبادئه العامّة، **ليس ضدّ أيّ شكل يختاره الناس، بحرية، ليكون ممثلاً لهم يرعى شؤونهم ويقوم على مصالحهم.**

ولكن مما لا شكّ فيه هو أنّ الإسلام قد حدّد أساسين مؤكّدين لقيام أيّ حُكم بين الناس وهما أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل المطلق، يقول ربنا عزّ وجلّ:

﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ**﴾ النساء 59

تتحدث هذه الآية عن صفة الحُكم الأمثل بين الناس والذي يقوم على دعامتين:

1) ألا يَحسب الناس أنّ أصواتَهم، لترشيح أيّ حاكمٍ، مُلكَهم الشخصي، وإنما يجب أن يفهموا أنها **أمانة** في أعناقهم، عليهم أن يؤدّوها إلى أصحابها، فلا ينتخبوا إلاّ الأفضل والأحقّ فعلاً؛ ولا يجعلوا للقرابة والصداقات والتحزّبات والمصالح دوراً في منع أداء هذه الأمانة إلى أهلها.

2) عندما يُنتخب حاكم ما فإنّ عليه أن يحكم بالعدل المُطلق بين الناس، نابذاً ومستبعداً كلّ ما من شأنه أن يؤثِّر على عدله في الحُكم، وبأيّ شكل كان. ولا يهمّ بعد ذلك فيما إذا كان هذا الحاكم مَلِكاً أو رئيساً أو أميراً أو سلطاناً أو غير ذلك طالما أنّ حُكمه يتميز بالعدل المطلق في رعيته وشعبه.

ويؤكّد الإسلام على أنّه يجب ألاّ يحول، دون تطبيق العدل المطلق، أيّ حائل مهما كان، حيث نقرأ في القرآن الكريم تعليماً يتميّز به الإسلام بشكل فريد وذلك في أمر الله تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**﴾ النساء 136

ومما لا شكّ فيه هو أنّ الإسلام قد دعا أيضاً إلى مبدأ الشورى الذي جعل الله فيه خيراً كثيراً بين الناس يستفيدون فيه من حكمةِ ومعارف وخبرات بعضهم بعضاً، فقال:

﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَلّ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِلّينَ**﴾ آل عمران 160

وقال عزّ وجلّ:

﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ الشورى 39

إذن لا يتدخّل الإسلام في تحديد شكل للحكم بين الناس، وإنّما يُوَصِّف الحُكمَ الأمثل لهم بأنه يقوم على أساس:

* أداء الأمانات إلى أهلها

* الحُكم بين الناس بالعدل

*وممارسة الشورى التي تُفيد الحاكم من خبرات الخبراء، ومعارف العارفين، وحكمة الحكماء، وهم من يسمّونهم اليوم بالمستشارين، بالإضافة إلى أعضاء البرلمانات والمجالس الشعبية الذين يجب أن يكونوا خبيرين بأحوال الفئات التي يمثّلونها، ليكونوا قادرين على الإشارة والنصح والدفاع عن الحقوق.

بناءً على هذه الأسس يقوم العدل في الحُكم بين الناس بغضّ النظر عن يكون

الحاكم إسلامياً أو غير إسلامي.

ولا شكّ في أنّ الإسلام يحكم بالعدل، ولكنّ العدل ليس حُكراً على الحكّام المسلمين وحدهم أو على طائفة معيّنة من طوائفهم، بل إنّ دساتير معظم حُكومات العالم تسعى لأن تدعم القوانين التي تُحقق العدالة لرعاياها بأكبر قدر ممكن، وبالشكل المطلق إن أمكن. ولا شكّ أيضاً في أنّ الحُكم بالعدل في أيّ بلد في العالم، يخلق المناخ الحرّ، ويُعطي الفرصة لنشر الإسلام الحق الذي تهفو إليه قلوب الخلق جميعاً ما أن تَتَبيّن حقيقته وتُدركها بفطرتها الإنسانية السليمة. ومن هنا نفهم سرّ سلام الإسلام في أنّه لا يرى مبرراً لانتهاج العنف والإرهاب بغية وصوله إلى قلوب الناس وقناعاتهم، بل إنه، على العكس من ذلك تماماً، يُناهض العنف والإرهاب باعتبارهما أقبح أشكال الإكراه الذي نهى الله تعالى عنه بقوله: ﴿**لا إِكْراهَ في الدّين**﴾ ومن هنا أيضاً ندفع تهمة الإرهاب عن الإسلام البريء منها كلّ البراءة. **إذ لا حاجة بالإسلام إلى العنف والإرهاب مُطلقاً**، وإنما هي حاجة المافيات السياسية والعصابات الاستثمارية والإمبريالية وغيرها تحت أي شعار كان أو مسمّى. ولكن:

* هل يُعارض الإسلام رغبة المسلمين في تأسيس دول تقوم على الإسلام في بلادهم؟

طبعاً لا. لأنّ تأسيس وإنشاء الدول هو حقّ لجميع الأمم والشعوب، ومنهم المسلمون. ولكنّ هذا الحقّ **يظلّ مشروطاً بالحق والعدل**، بمعنى أن يكون باختيار

الناس الحرّ، وعدم الإكراه بأيّ شكل كان، وألاّ يكون مفروضاً، أو مُغرِضاً، أو منتقِصاً لحقوق أحد من الناس، أو مؤدّيا إلى الفرقة أو الضعف والاختلاف الذي ينشأ عنه الأذى لأيّ قوم أو أحد من الناس! يجب أن يكون الأمر كلّه بالسلام الشامل القائم على الاختيار والاتّفاق والحرية المُصانة للجميع.

في كتابه **(الإسلام والتحديات المعاصرة)** وتحت عنوان: **(أصول الحكم الإسلامي)** يقول ميرزا طاهر أحمد رحمه الله:

"لقد كشفتْ لي دراساتي، دون أيّ لبس أو غموض، أنّ القرآن الكريم يتناول موضوع الحكومة دون أن يُميّز بين دولة إسلامية أو غير إسلامية. فمع أنّ المؤمنين هم المخاطَبون في القرآن بالتعاليم الخاصّة بكيفية سَوْس الدولة، إلاّ أنّ هذه التعاليم الإلهية عامّة شاملة للإنسانية كلّها. يتحدّث القرآن الكريم عن سياسة الحُكم الصالح بما ينطبق على الهندوسية والسيخية والبوذية والكونفشيوسية والنصرانية واليهودية والإسلام وغيرها على حدّ سواء.

ونجد خُلاصة هذه التعاليم في الآية التي تلوتها من قبل وفي آيات مماثلة، منها:

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنونَ حتى يُحَكِّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيتَ ويُسلّموا تسليماً﴾ سورة النساء 16"

ومُتابعاً بيانه بأنّ تعليم الله للمؤمنين هو أن يكونوا قوامين بالحق شهداء به لله ولو على أنفسهم، لا يغمطون الحق لصالح أنفسهم أو لأحد من الناس سواء في مسائل الحكم أو غيرها، فيُذَكِّر بقول الله تعالى:

"**﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين* إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما* وإن تلووا أو تُعرِضوا فإنّ الله كان بما**

تعملون خبيراً﴾ سورة النساء 121

وأحاديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلّم ناصعة الوضوح في هذا الموضوع. فهو يُبيّن أنّ كلّ حاكم وكلّ صاحب سلطان يُعَدُّ مسؤولاً مسؤولية مباشرة أمام الله فيما يتعلّق بالكيفية التي يتعامل بها مع رعيته أو مَن تحت سلطانه ...

ويُقدّم الإسلام حكومة مركزية محايدة تماماً، تكون فيها مسائل أُصول الحكم عامّة ومُطبّقة على كافّة رعايا الدولة على السواء.. ولا يسمح للاختلافات الدينية أن تلعب أيّ دورٍ فيها. ومن المؤكّد أن الإسلام يوصي المسلمين باتّباع حكم القانون في كافّة المسائل الدنيوية، يقول تعالى:

﴿يا أَيّها الَّذينَ آمنوا أَطِيعوا اللهَ وأَطِيعوا الرَّسولَ وأُولي الأَمْرِ مِنْكُم* فَإِنْ تَنازَعْتُمْ في شَيءٍ فَردّوهُ إلى اللهِ وإلى الرَّسولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤمنونَ بالله واليومِ الآخر* ذلكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْويلاً﴾ سورة النساء 60

وأما فيما يتصل بالعلاقات بين الإنسان وربه، فهذه منطقة مقصورة على الدين وليس للدولة أيّ حق في التّدخّل فيها. هنا تكون الحرية المطلقة للعقل والقلب في أمور العقيدة والإيمان. إذ إنّ للإنسان حقّ أساس في أن يعتقد ما يشاء. وله أيضاً كامل الاختيار في أن يعبد الله تعالى أو أن يسجد للأصنام بحسب ما يقتضيه دينُه الذي يؤمن به.

وهكذا—وطبقاً لتعاليم الإسلام—فإنّه لا يحقّ للدين أن يتدخّل في مجالات خاصّة بالدولة، وكذلك فإنّه ليس للدولة أيّ حقّ في التّدخّل في مجالات تُعتبر مشتركة بينهما عادة. لقد تحدّدت وتعيّنت المسؤوليات في الإسلام بوضوح تام أزال أيّ سبب للتصادم...

ومن سوء الحظّ فإنّ ثمة مَيلاً لدى كثير من الدول العلمانية كي تبسط مجال العلمانية أحياناً إلى ما وراء حدودها. وهو الموقف ذاته بالنسبة إلى الدول الدينية التي يُسيطر عليها

كبار رجال الدين سيطرة مُفرِطة.

ومع أنّ المرء لا يستطيع التعاطف مع هذه الدول التي يحكمها المتعصّبون الدينيون، ولكنه، إلى حدّ ما، يستطيع فهم وجهات نظرهم المائلة إلى أحد الشّقين. ولكن عندما يلحظ المرء هذا الموقف الفجّ داخل ما يُسمى بالشعوب المتقدّمة ذات الأفق الواسع من البلاد العلمانية فإنّه يصعب عليه التصديق! وليس هذا هو الشيء الوحيد الذي يصعب تصديقه في السلوك السياسي للبشر.

ومادامت السياسات ملتحمة بشدّة مع المصالح القومية فقط وتُساهم في فلسفتها، فلن يكون هناك شيء يُسمّى مبادئ الأخلاق المطلقة، حيث يُنبَذُ الحقُّ، وتُعدمُ الأمانة، ويضيع العدل، وتنحرف الاستقامة كلّما تصادمت مع المصلحة القومية المرجوّة! وما دام تعريف الولاء للدولة باقياً هكذا، فإنّ سلوك الإنسان يبقى مُريباً، مثيراً للخلاف ودائم التناقض!"[1]

*السلام والعدالة الدولية

وبما أنّ الإسلام قد أعلن وبرهن على أنّه رسالة ربّ العالمين ودعوته ورحمته للناس جميعاً، فمما لا شكّ فيه هو أنّ جميع التعاليم السلوكية القويمة، فيه، التي نزلت موجّهة إلى الأفراد—كالصدق والعدل والرحمة والإحسان والتقوى إلخ— إنما هي في حقيقة الأمر موجّهةً أيضاً إلى المجتمعات البشرية جميعاً وهي مسؤولة أمام الله عنها تماماً كالأفراد. وبهذا تتشكل أخلاق المجتمعات والدول في البيان الإسلامي العظيم.

وهكذا فإنّ الإسلام حين يتحدّث عن العدل والعدالة فإنّه لا يقصد التوجّه

[1] - (الإسلام والتحديات المعاصرة) للإمام ميرزا طاهر أحمد إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية ص 206-208

فيها إلى الأفراد والرعايا فحسب، بل وإلى العلاقات الدولية بأسرها التي لا بدّ أن تقوم على العدالة المطلقة والحُكم بالعدل لصالح الإنسانية بأكملها. وهذا يعني أنّ الإسلام يحثّ دوَل العالم على اتخاذ الموقف الحقّ من القضايا الدولية العالمية؛ وهو الأمر الذي يكاد يكون مفقوداً الآن في موقف مُعظم دول العالم، وبخاصّة منها الخاضعة لسيطرة وهيمنة الولايات المتّحدة الأمريكية ودول العالم الغربي!

* عدالة الأمم المتحدة و "قدر الطرائد"

* نظرة في بيان شريف

في كتابه (**الإسلام والتحديات المعاصرة**) يتحدّث الإمام ميرزا طاهر أحمد عن الدور الهادم للسلام، الذي تلعبه هيئة الأمم المتحدة بخضوعها لحكم قوّة عظمى، الأمر الذي يجعل الدول الضعيفة مجرّد طرائد فيقول:

"..إنّه قدر الطرائد! لقد أثبتت الأمم المتحدة الحالية مرّة بعد مرّة أنها منظمة قوية لا تعمل للعدالة.. بل للأهداف السياسية للأمّة التي هي أقدر على الضغط عليها! ولم يلعب مفهوم الحقّ والباطل أيّ دور مطلقاً في عملية اتّخاذ القرار في الأمم المتّحدة.. لا في الماضي القريب، ولا هي قادرة، في الوضع الجديد، أن تقوم بأيّ دور مفيد في المستقبل"!

ويُتابع فيقول:

"إنّ السياسة والدبلوماسية تمدّ جذورها عميقة متمكّنة في تربة السياسة العصرية بما لا يدع أيّ مجال للعدالة المطلقة كي تمدّ جذورها وتأخذ فرصتها للحياة. إنها حقيقة صعبة مرّة، ولا يمكن لمن يحترم الحقّ إنكارها، فلقد انحطّت هذه المؤسسة العظيمة القوية، وتحوّلت إلى ساحة للنشاط الدبلوماسي، ولبذل الضغوط لرأي (لوبي) معيّن، وللعلاقات السرية، وصراع القوى.

وكلّ ذلك يجري فيها باسم السلام العالمي!" ص 214

وفي كتابه (**كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد**)، يُطلق الإمام ميرزا طاهر أحمد رحمه الله تساؤلاً غاية في الأهمية يتعلّق بالأمم المتحدة فيقول:

"هل تستحقّ الأمم المتّحدة حقاً هذا الاسم الذي تحمله، حيث يتمتّع فيها خَمس دول بحق تقرير مصير العالم.. أعني الدول التي تُسمّى الأعضاء الدائمة التي لها حق الاعتراضات على القرارات أو (حق الفيتو) بحيث لو اتّحدت كلّمة العالم كلّه على رأي واحد، يظلّ بوسع دولة واحدة منها أن تعترض، فيتمّ رفض هذا الرأي؟

إنّه الإجراء الذي—بسهولة بالغة—يجعل دولة واحدة هي العالم كلّه!" ص 125

ويقول: "إنّ هذه التي تُسمّى اليوم الأمم المتحدة لا يستحقّ أسلوبها البقاء" ص 131

ويكشف مؤلف هذا الكتاب عن جذر المؤامرة في سيطرة اليهود على هيئة الأمم فيتحدّث عن وثيقة بروتوكولات رؤساء صهيون التي نُشرت بالترجمة الروسية لأوّل مرة في عام 1905 فيقول بأنهم:

"ذكروا فيها شيئاً عن الأمم المتحدة حتى قبل أن تكون هناك فكرة لإنشاء أمم متحدة أو عصبة أمم! وخطّطوا أنّ اليهود (الصهاينة) بعد نجاحهم في إنشائها سوف يسيطرون عليها، ومن خلال هذه السيطرة، سوف يوطّدون سيطرتهم على العالم كلّه. وهكذا كانت خطّتهم: السيطرة على الأمم المتّحدة، ومن ثمّ السيطرة على العالم كلّه". ص143

كما يكشف الإمام طاهر أحمد في كتابه المذكور النّقاب عن مجموعة الحقوق والامتيازات الفريدة التي تمنحها دول الغرب من خلال الأمم المتحدة لإسرائيل، فيقول:

"* لإسرائيل الحق في رفض قرارات مجلس الأمن.

*ولها الحق في النظر إليها باحتقار ونبذها قصاصات في سلّة المهملات، وليس لأي بلد الحق في لومها على هذا الفعل مهما تكرر.

* ولإسرائيل، باسم حماية أمنها، الحق في تغيير الحدود الجغرافية المجاورة لها.

* ولإسرائيل الحق في صنع قنبلة نووية وتخزين كميات منها.

* ولها الحق في صنع أسلحة الدمار الشامل كيماوية أو بيولوجية، ولا يحق لأحد انتقادها، وليس لدولة مسلمة هذا الحق." ص 165

ويقول:

"إنّ الدّول الغربية قد أعطت إسرائيل الحق للقيام بأيّ عمل عدواني تشاء، وقتما تشاء، وضدّ من تشاء. كما أعطتها حقّ احتلال أيّ منطقة تضع يدها عليهما ثمرة لعدوانها! وإذا أصدرت الأمم المتّحدة أو مجلس الأمن قراراً ضدّ إسرائيل للانسحاب من المناطق التي احتلتها، فلإسرائيل الحق في عدم الانسحاب، وليس لأيّ بلد آخر هذا الحق حتى وإن كانت معتدى عليها فحاولت بنفسها تنفيذ قرار الأمم المتحدة لتحرير أرضها من إسرائيل!" ص 164

ويُتابع:

"ثمة أمر يقيني، وهو أنّ سياسة دول الغرب هذه لم تتغير حتى اليوم، ولن تتغير غداً. ستبقى هذه الحقوق المتميّزة لليهود (الصهاينة) دون مساس". ص 166

* قوّة الفيتو المهينة للأمم!

ويتحدّث حضرته عن الاستخدام الأمريكي المُهين لـ (حق) الفيتو دعماً لدولة

العدوان، إسرائيل، فيقول:

".. وعلى أثر العدوان الإسرائيلي، كلّما طُرح في مجلس الأمن قرار لوضع الحد للاعتداءات الإسرائيلية أو كبحها، استخدمت أمريكا حق الاعتراض (الفيتو). ولقد حدث هذا 27 مرّة، إذ كلّما أدان مجلس الأمن إسرائيل بالعدوان، وطلب منها الانسحاب من الأراضي العربية التي احتلّتها نتيجة عدوانها، اعترض ممثل أمريكا على القرار! .. ولقد درستُ عدد القرارات التي وُجّه فيها شيء من اللوم بكلّمات لينة إلى إسرائيل، وطُلب منها التّوقف عن عُدوانها، فوجدتها أيضاً 27 قراراً، وفي مُعظم هذه القرارات امتنعت أمريكا عن التصويت ولم تُصوِّت لصالحها. وأمّا القرارات التي أدانت إسرائيل بشدّة، فما كانت أمريكا لتسمح بمرورها في مجلس الأمن. والقرار رقم 242 الذي سمعتم عنه كثيراً، والذي طالبَ إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلّتها بعد عدوان 1967، إنّما مرّ من المجلس وأقرّه لأنّ صياغة القرار أعطت الدّول المساندة لإسرائيل سلاحاً كي تُفسره بالطريقة التي تروقها. إنّه القرار الوحيد الذي أيّدته أمريكا!" ص200-201

ويُبيّن حضرته الأسلوب المخزي الذي تلوم به هيئةُ الأمم إسرائيلَ المدللة فيقول:

"وعندما تمتنع إسرائيل عن التعاون معهم، تكون صيغة قرارهم هكذا: 'يا إسرائيل، لقد أخبرناك وقت كذا وكذا أن تُعيدي الأرض العربية، ولكنّك لا تزالين تحتلّينها. إننا نظر إلى هذا التصرّف نظرة استياء شديد، ولا نُحبّ ذلك منك'!

ثم يُصدرون بعده قراراً ثانياً، يقول: 'يا إسرائيل، ألم نُخبركِ بأننا سنستاء؟ ها نحن مستاؤون!

ثم يُصدرون قراراً ثالثاً، يقول: 'لقد أخبرناك من قبل مرّتين أننا غير راضين، ونقول الآن: إننا غاضبون جداً'!

ثم يصدرون قراراً آخر، فيقولون: 'إننا ساخطون للغاية، وسنضطرّ لاتّخاذ خطوات أخرى

تكشف عن سُخطنا'! وهلمَّ جرّا، ولم يفعلوا غير ذلك! ... إنّ إسرائيل تصفعهم مرّة بعد مرّة، وتتمرّد على قراراتهم علناً، وتقول: ما قيمة قراراتكم هذه! إنها ورق مهمَل نُمزّقها ونرميها في سلّة المهملات، وندوسها تحت أقدامنا. ويكون ردّ الأمم المتّحدة في كلّ مرّة: 'نتحدّاك يا إسرائيل أن تصفعينا مرّة أخرى! لو تكرّر هذا الفعل منكِ فإننا سنغضب كثيراً'!" ص 202-201

ويطرح الإمام ميرزا طاهر أحمد صاحب هذه البيانات العالمية السؤال الذي كان من الواجب أن يكون بديهياً بالنسبة إلى دول العالم أجمع، فيقول:

"لماذا يستمرّ هذا الجنون؟!

لابدّ وأن يكون ثمة حد لذلك! فهذه ممارسة غير مقبولة ولا يستطيع المرء تصديق أنها تحدث في العالم؛ ولكنها تحدث!

عجباً!

ما فائدة هيئة الأمم المتحدة هذه؟!

إنّ على الدّول العربية والإسلامية أن تستخدم ذكاءها للتفكّر في مدى نفعها. وكذلك ينبغي على سائر دول العالم—في هيئة الأمم—التي تُصدِر قراراتها لصالح الدول القوية المسيطرة عليها وعلى دستورها أن تفكّر (في مدى خطورة خضوعها واستسلامها)[1]. إنّ بوسع هذه الأمم القوية—من خلال (حق) الفيتو الاستبدادي—ظلم من يشاؤون من الدول والأمم، وليس لجميع الدول الأخرى أدنى حقّ في الرفض أو رفع الصوت ضدّهم! وإذا ما فعلوا ذلك فإنّ حق الاعتراض (الفيتو) يوقفهم. وهذا يعني أنّ بإمكانهم تسليط أيّ دولة من أتباعهم لارتكاب ما تشاء من المظالم، (وبكلّ حرية)، وهكذا يُمسكون بمصائر دول العالم في

[1] - الكلّمات بين قوسين بيان من مؤلف هذا الكتاب

قبضتهم.!

هذا هو حال هيئة الأمم المتّحدة!

إذا أُريد منهم اتّخاذ قرار ضدّ العرب والمسلمين، أسرعوا واتّخذوا أشدّ القرارات قسوة؛ ولكن إذا أُثيرت مسألة لحماية حقوقهم، فلا يفعلون شيئاً سوى إثارة بعض الضجيج الذي لا يُجدي أدنى نفع"! ص202

ويوجّه الإمام ميرزا طاهر أحمد تحذيراً مخلصاً، فيقول:

* تحذير مُخلص

"لقد بيّنتْ حرب الخليج وما جرى خلالها من أحداث وبلاء، درساً آخر لدول العالم الثالث، وهو أنّ منظمة الأمم المتحدة قد صارت عتيقة مهملة بالية فيما يتعلّق بمصالح العالم الثالث! ولذلك فهي تستحقّ النبذ.

وإذا استمرّ حال الأمم المتّحدة على هذا المنوال، فلسوف يقتصر عملها وعمل ما يلحق بها من منظّمات، كمجلس الأمن مثلاً، على قهر الدّول الضعيفة، ولن تكون وسيلة لتحقيق صالحها، ولسوف تُستخدم فقط لصالح أولئك الذين يقبلون بالعبودية للقوى العظمى ويلعقون أقدامها. ولهؤلاء سوف تكون هذه المنظّمة الدولية مصدر ثراء، وتُهيّئ لهم التسهيلات، وتُسبغ عليهم ألقاب الشرف والصداقة والمودّة. وستحصل بلاد العالم الثالث على مصالحها بالاستجداء فقط وبالخزي والمذلّة. وأما الأمّة التي تريد أن تعيش على صلة بالأمم المتحدة وهي مرفوعة الرأس موفورة الكرامة، فلن يُسمح لها بذلك، ولن يُتاح لها"[1].

ويُقدّم ألإمام طاهر أحمد اقتراحاً للتفكّر، فيقول:

---

[1] - (كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد.)

* اقتراح للتفكّر

"يمكن حلّ هذا الإشكال العالمي الهام بالتفكّر في أنه مثلما أُنشئتْ عُصبة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى عام 1919، وتأسست الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية عام 1945، فقد وجَب بعد هذه الحرب الخليجية المريعة ..أن يتم السعي لتأسيس أمم متحدة خاصّة بدول العالم الثالث، ولا تضم سوى الأمم الفقيرة الضعيفة .. ولكن ينبغي عليهم أولاً أن يزيلوا نهائياً التحيّزات الدينية. ولذلك فإنّ نُصحي للدول الإسلامية بأنّه، وإن كان من الواجب عليهم أن يكونوا على علاقات المحبة والود فيما بينهم، وأن يلتزموا بالوفاء الصادق بالأخوّة الإسلامية الخاصّة، **ولكن عليهم ألاّ يدعوا الهوية الإسلامية تتصارع مع الهوية غير الإسلامية،** لأنّه لو استمرّ استقطاب المسلمين في جانب وغير المسلمين في جانب آخر فاعلموا أنّ دول العالم الأخرى، مثل كوريا وفييتنام والهند وغيرها سوف توجس منكم خيفة .. ولذلك فإنكم **لو جعلتم الهوية الإسلامية في قتال مع غير الإسلامية لوقعتم في سياسة انتحارية غاية في الخطر، ولن تجنوا كسباً بل ستفقدون ما لديكم.**

إنّ على دول العالم الثالث إذا أرادت أن تتحد (لصد الهجمة الظالمة) فلا سبيل لهم إلاّ أن يعملوا بهدي القرآن الكريم الذي يهيب بالإنسانية قائلاً: ﴿**وتعاونوا على البرّ والتقوى**﴾ **وهو تعليم لا يُشير إلى الفوارق الدينية، بل طبقاً له يمكن التعاون مع جميع أهل الأديان والطوائف، بل وحتى الوثني أو الملحد، طالما أنّ هذا التعاون على البرّ والتقوى وعلى كلّ ما هو خير فقط.**

على هذا المبدأ من التعاون **ينبغي أن تبسطوا يد التحالف إلى هذه الأمم**. وعلى هذا الأساس فإنّ **من الضروري جداً أن تعملوا على إنشاء هيئة أمم متحدة للأمم الفقيرة.** وفي هيئة الأمم الفقيرة هذه:

~ يجب أن يكون لها دستور يتضمّن ما يلزمها لإصدار القرارات التي تستطيع تنفيذها حقاً.

~ كما يجب أن تتعهد كلّ دولة، عضو فيها، بالالتزام بقبول حكومة العدل في كلّ حال.

~ وينبغي أن يكون هناك نظام عادل وفعّال للتحاور والتشاور تحت إشراف هذه المنظّمة لحلّ القضايا والمشاكلّ المتعلّقة بدول العالم الثالث.

~ كما أنّه لابدّ أن يتقوّى في هذه الأمم الضعيفة الاتّجاه الذي ينأى بها عن اللجوء إلى الأمم القوية لحلّ قضاياها والتدخّل في شؤونها.

إنّ في هيئة الأمم المتحدة الحالية تناقضات راسخة ينبغي التعلّم منها حتى لا تنطوي هذه المؤسسة الجديدة على تناقضات متشابهة. وكما قلتُ فإنها قاعدة قهرية ظالمة، إذ إنّ أية دولة من الدول القوية دائمة العضوية، مثل أمريكا أو الاتحاد السوفييتي أو فرنسا أو بريطانيا أو الصين، لو أرادت أن تعتدي على دولة وتُهاجمها بنفسها أو عن طريق دولة عميلة تابعة لها، فلا يملك أحد حق الانتقام من المعتدي ما دامت واحدة من الدول الدائمة في مجلس الأمن مصرّة على حمايتها من العقاب[1]، اعتماداً على (حق) **الفيتو** الذي سمح لها بالاعتراض على قرارات مجلس الأمم!

..هذا بالضبط هو موقف هيئة الأمم المتحدة اليوم! إذ لو قررت، ولو دولة واحدة فقط من الدول الأعضاء الخمس الدائمة العضوية، عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة، فلا يُمكن تنفيذه مطلقاً! إنها **منظّمة (للعدل) غريبة حقاً! إنها أداة خديعة للشعوب الضعيفة تحتكرها الدول القوية لصالحها وحدها!** فحين تتحد الأمم القوية وتتفق على العدوان، فلسوف يتمّ تنفيذ كلّ شيء (كما يشاؤون). وأمّا إذا قرّروا أن يسدّوا الطريق أمام أيّ قرار، فلن تستطيع

[1] - كما هي الحال في العلاقة الوثيقة بين أمريكا وإسرائيل.

دُول العالم قاطبة تنفيذه، منفردة أو مجتمعة! وما هذا إلاّ لأنّ إحدى هذه الدول الدائمة العضوية تقف وحدها ضدّ القرار وضدّ العالم كلّه، وإن كانوا جميعاً يوافقون عليه! **كما هو الحال (دائماً) في قضية فلسطين!** فكم هو عجيب أمر هذه المنظمة المودَع سلام العالم بين يديها! إذ **أنها تُصدر قرارات لا تقدر على تنفيذها**، وإنما **القدرة على التنفيذ في يد القوى العُظمى التي تُجبر جميع دول العالم على الشعور بأنها مَدينة لها!**

إنّ مثل هذه المنظّمة لا تصلح للبقاء، لأنها منظّمة تعمل لاستمرار عبودية الأمم، وهي منظّمة لحماية الاستعباد، وليست لحماية السيادة الحقة والحرية؛ فإذا لم **تنهض** دول العالم الثالث في وجه هذه المنظّمة، أو نقول: **إذا لم تدفعوها إلى التعاون باسم العدل لتغيير قوانينها الجائرة، فلن تتحرّر أمم الأرض**، بل وستبقى هذه المنظّمة **لتخلق لهم مزيداً من الأخطار، ولسوف تُستخدم لأهداف رهيبة مريعة مرات ومرات!** ولم يعد ثمة داع لمزيد من التفصيل".[1]

ويُطلق الإمام ميرزا طاهر أحمد في خطابه صرخة أسف على الساسة الذين لا يفرّقون بين الهلاك والسلام فيقول:

" وآأسفاه..**ما أقلّ من يفهم**—من ساسة العالم الكبار—**الفرق بين الهلاك والسلام!"**

ويحذِّر دول الأقوياء من **الهلاك الذي لا بدّ أن يكون نتيجة حتمية لطغيانها واضطهادها** فيقول:

"يولد الهلاك من الجور والطغيان والاضطهاد على يد الأقوياء.. وأمّا السلام فهو طفل العدالة" ص 214

[1] - ميرزا طاهر أحمد في كتابه (كرثة الخليج والنظام العالمي الجديد) ص 250-155

كما يُحذِّر من أنّ **إرادة حشد القوى لتحطيم الأقران إنما تكرِّس بقاء سلام العالم محفوفاً بالمخاطر**، وهو المعلَّق بخيط ضعيف من الأمل في أن تسود العدالة و تأخذ مجراها.

وفي معرض بيان ضرورة أن تكون هناك التزامات عالمية صادقة تُنفَّذ بإخلاص لضمان السلام العالمي يُحذِّر الإمام ميرزا طاهر أحمد دول العالم الغنية من أسلوب تعاملها مع الدول الفقيرة التي تكون في حاجة ماسّة أوقات الشدّة والعَوَز، فيقول عن الدّول الغنية:

"**إنّهم يقدّمون العون ومعه الأغلال فيضيع الهدف!**.. إنّ الفقراء يتحرّرون في الظاهر من البؤس ليقعوا في شراك بؤس آخر. **إنّ لنظام المعونة العالمي المعاصر حبالاً وقيوداً**.. إنّ تيار الثروة يتّجه دائماً نحو البلدان الأكثر غنى والأعظم تقدّماً، في حين تغوص اقتصاديات البلاد الفقيرة في أعماق الديون... إنّ من المستحيل على بلاد العالم الثالث أن تحتفظ بعلاقات تجارية ثنائية مع الدول المتقدّمة، وأن تحول في الوقت ذاته دون تدفّق الثروة من عندها إلى تلك البلاد الغنية، أو تضمن ميزانها التجاري، بمعنى أنّ عائدات تصديرها تعادل قائمة حساب الاستيراد .. ولا يُتوقّع من أهل البلاد الغنية المتقدّمة أن يحتفظوا بالدماء في وجناتهم وبصحّتهم البدنية القوية، وهم حريصون، في الوقت نفسه، على أن يُشفوا الأمم الفقيرة من مرض الأنيميا الخبيثة الذي أصاب أطرافها الحركية، في حين أنّ تعطّشهم للدماء لا يعرف حدّاً، وهم يُصرّون على رفع مستوى حياتهم، وأن ينتقل دائماً كلّ المال القادر على الشراء إلى اقتصادهم هم!

هذا السباق المجنون لرفع مستويات المعيشة دون تمييز، لا يسلب الأمم الفقيرة فرصتها للحياة فحسب، **بل يسلب الأمم الغنية راحة البال وطمأنينة القلب أيضاً!** فهم يُطمِّعون المجتمع كلّه ويشوّقونه ليلهث وراء حاجات مصنوعة مفتعلة، كي يعيش كلّ فرد في حالة

سعي وراء شيء ما، بحيث يتبارى الناس في مظاهر الحياة الاجتماعية. إنّ هذه الحال يمكن أن تؤدّي إلى الحرب .. وبالنسبة إلى البلاد الفقيرة فإنّ هذه الحال تهددها بأخطار شديدة، لأنه عندما تُقاسي البلاد المتقدّمة من تحديات المنافسة الاقتصادية الصاعدة الجديدة، يأخذ اقتصادهم ذاته بالميل إلى الركود، فتزداد قلوبهم غلظة في علاقاتهم مع بلاد العالم الثالث والدول الفقيرة. وهذا لا مناص منه، لأنه بطريقة أو بأخرى، سوف تسعى حكومات الدول الغنية إلى أن تحافظ لشعوبها على مستوى الحياة المترفة الذي أدمنت عليه؛ ولسوف تتفاقم هذه المواقف في نهاية المطاف وتؤول إلى العوامل التي تخلق الحروب التي حذَّر الإسلام منها حين حضّ على العدل والعدالة على مستوى الأفراد والأمم[1]!"

هذا هو الظلم الواعي القائم في العالم على سواعد دول الأمم القوية لاستغلال واستعباد الأمم الضعيفة، في حين أنّ الإسلام يرفض دولَ الظلم والعدوان ويدعو إلى دولة العدل العالمية التي تُقيم الحق والعدل في وجدان البشر جميعاً وللناس جميعاً وبمحبة تنطلق من قلوبهم المؤمنة بالحق والعدل والسلام، وبهم تقوم هيئة الأمم العادلة التي لا تتآمر ولا تخون ولا تظلم ولا تبطش، بل تُقيم الحق والعدل وتنشر السلام وتحفظه وتصونه وتُدافع عنه ليبقى لجميع أبناء البشر في دول العالم كلّه.

[1] - أنظر كتاب (**الإسلام والتحديات المُعاصرة**) للإمام ميرزا طاهر أحمد، إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.

الفصل الرابع عشر

دم محمد صلى الله عليه وسلّم

(الإرهاب الموجّه ضدّ العرب والمسلمين من أتباع محمد)!

بكلّ الأسف الإنساني الشديد نقول، إنّه ما عاد بإمكان كتاب أو سجلّ، مهما كبر وعظُم، أن يروي وقائع الإرهاب البشري الوحشي الذي امتد وتمادى حتى طوى الأرض كلّها بعارٍ يندى له جبين الإنسانية خزياً وعاراً!

والحقيقة المُثبتة هي أنّ الإسلام ليس ضدّ الإرهاب الموقع على العرب والمسلين فقط، وإنّما هو، بكلّ تأكيد، ضدّ الإرهاب الموجّه إلى العالم جميعه والجنس البشري بأكمله، وذلك باعتبار إعلانه في القرآن المجيد بأنّ الله ربّ العالمين قد أرسل محمّداً رحمة للناس جميعاً لكلّ قوم وجنس ولون وعرق، يقول تعالى:

﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ الأنبياء 108

وإذا كان محمدّ صلى الله عليه وآله وسلّم هو رحمة الله إلى العالمين فهذا يعني أنّ دمه الشريف لا يُسفك فقط حين يُعتدى على المسلمين والعرب وحدهم، وإنما يُسفك—بعُرف الإسلام—دمُ محمّد حينَ يُسفك دم أيّ إنسان بريء في

الناس جميعاً؛ لأنّ هذا السفك ينتهك الرحمة التي بَعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلّم ليجسّدها حقيقة إسلامية ربّانية قائمة في الإنسانية قاطبة، والعالم كلّه.

ولكن بما أننا قد تعرّضنا في هذا الكتاب، من باب ضرب المثل، إلى الإرهاب الموقع ضدّ المسيحيين واليهود وغيرهم في بقاع مختلفة من الأرض[1]، كان لابدّ أيضاً من أن نُبيّن الإرهاب المعاصر الذي يستهدف العرب والمسلين بصورة خاصّة وبشكل ظاهر وباطن!

لا شكّ في أنّ اضطهاد المسلمين قد بدأ على أيدي كُفّار قُريش الذين لم يتورّعوا عن إيقاع ما أمكنهم من اضطهادٍ وقتل وأذى بحقّ المؤمنين الأوائل ومن تلاهم من المسلمين من أتباع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. ويذكر التاريخ كم أنّ المسلمين ظلّوا صابرين محتسبين لم يردّوا على الأذى والعدوان حتى بلغ الطغيان أوجه، فنزلَ إذْنُ الله عزّ وجلّ للمسلمين بالقتال دفاعاً عن النفس والمعتقد، بالبيان الربّاني العظيم:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج 40 – 141

وقد سجّل التاريخ سلسلة الاعتداءات ضدّ المسلمين من الكيانات الظالمة آنذاك مثل إمبراطوريتي فارس والروم وغيرهم من اليهود الماكرين والقبائل العربية

[1] - أنظر الفصل الأول (دم المسيح) والفصل الثاني (دم موسى).

المجاورة. الأمر الذي اضطر المسلمين إلى أن يخوضوا سلسلة من الحروب والغزوات التي كانت جميعها، ودون أيّ استثناء، دفاعيةً بحتة كما يؤكّد التاريخ الموثّق.

*الغزو الصليبي القديم

وتذكرون الكيد الذي جمعه الصليبيون في حملتهم ضدّ العرب والمسلمين حوالي عام 1095م. لم يكن المسلمون هم البادئون بهذه الحروب التي توجّهوا فيها إلى فلسطين لاحتلالها والسيطرة عليها مدى الدّهر، لولا أنّ صلاح الدين الأيوبي استردّها منهم عام 1190 أو 1191م.

ويروي وِل ديورانت صاحب موسوعة (قصة الحضارة) كيف أنّ الشرارة الأولى للغزو الصليبي بدأت عندما ألقى البابا (أوربانوس الثاني) الذي هو من أصل فرنسي، خطاباً في مدينة (كلّيرمونت) في جنوب فرنسا، قال فيه:

"يا شعب الفرنجة، شعب الله المحبوب المختار: لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية، أنباءٌ محزنة تُعلن أنّ **جنساً لعيناً أبعد ما يكون عن الله،** قد طغى وبغى في تلك البلاد، بلاد المسيحيين، وخربها بما نشر فيها من أعمال السلب وبالحرائق، وهم يهدمون المذابح في الكنائس، بعد أن يُدنّسوها بِرِجسهم..[1]".

وقدكشف **البابا أوربانوس الثاني** النقاب عن أطماع هذا الغزو الصليبي عندما شرع في خطابه يدغدغ مطامع الطامعين، فقال:

---

[1] - ول ديورانت (قصة الحضارة) 15/15-16 عن (العرب النصارى) لحسين العودات

".. إنّ هذه الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تُحيط بها البحار من جميع جوانبها، وقلل الجبال ضيّقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن توفّر ما يكفيهم من طعام؛ ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، وتتحاربون، ويهلك الكثير منكم في الحروب الداخلية. طهّروا، إذن، قلوبكم من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتّخذوا طريقكم إلى الضريح المقدّس، **وانتزعوا تلك الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتملّكوها أنتم**. إنّ أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها؛ إنها فردوس المباهج[1]".

وينقل ميخائيل زابوروف صاحب كتاب (**الصليبيون في الشرق**) كيف أنّ الصليبين قد انطلقوا تجاه بلاد العرب وهم يرفعون شعاراً رئيساً لحملتهم، وهو: "**هكذا يُريد الله**" أو "**تلك إرادة الله**"، وقد خاطوا الصلبان على ثيابهم، ومشوا (لإنقاذ) القبر المقدّس ومساعدة مسيحيي الشرق وحمايتهم من المسلمين. ص35

ويروي أمين معلوف في كتابه (**الحروب الصليبية كما رآها العرب**) أنباءً عن الزحف الصليبي، فيقول:

"تقدمت جيوش الصليبيين نحو الشرق، وكانت **هُتافاتهم التي تُنادي بإبادة المسلمين** تُسمع في كلّ مكان، مع أنّهم **شوهدوا ينهبون، في طريقهم، أكثر من كنيسة رومية!**" ص22

ويؤيّد ول ديورانت حقيقة السلب والنهب الصليبي في (**قصة الحضارة**) فيقول:

" ولمّا نفدت أموالهم، وعضّهم الجوع، **اضطرّوا إلى نهب ما في طريقهم** من الحقول والبيوت، وسرعان ما أضافوا الفسق إلى النهب والسّلب." 20/15

[1] - ول ديورانت (قصة الحضارة) 15/15-16 الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية.

وعن اضطهاد الصليبيين البشع للمسيحيين يروي صاحب كتاب (**الحروب الصليبية كما رآها العرب**) حقائق مروّعة، فيقول:

"ونسوا أنهم جاءوا لتحرير المسيحيين من (اضطهاد) المسلمين، وإذ لم يبق في الجوار ما يلتقطون، فقد اتّجهوا صوب نيقية واجتازوا بعض القرى **وكلّها مسيحية**، ووضعوا أيديهم على الغلال التي كانت قد خُزّنت في الأهراء بعد الحصاد، **ذابحين بلا شفقة كلّ من حاول مُقاومتهم من الفلاحين؛ ولعلّ أولاداً يافعين قد أحرقوهم أحياءً**". ص23

لقد تضافرت قوى البلاد الأوروبية آنذاك لشنّ غارات مدجّجة كثيفة على العرب المسلمين ثماني مرّات. واستمرّت هذه الحروب 200 سنة. كانوا ينجحون أحياناً وينهزمون أحياناً أُخرى. وفي النهاية استطاع المسلمون إنقاذ فلسطين من براثنهم كما هو معروف.

ويذكر التاريخ التناقض الكبير بين رحمة المسلمين من جهة، وقسوة وفظائع الصليبيين، عند الفتح أو الاحتلال، من جهة أخرى!

فتح المسلمون فلسطين مرتين، ويشهد التاريخ كيف أنهم **أعطوا الحماية الكاملة للأرواح والممتلكات، ولم يُصِب يهودياً أو نصرانياً أي ضرر أو أذى**[1]. كان الفتح الأوّل في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والثاني عندما فتح صلاح الدين الأيوبي فلسطين. **يؤكّد المؤرّخون على التزام المسلمين بأخلاقيات الرحمة الإسلامية في فتحهم،** في حين أنّهم يذكرون أنّه **عندما غزا**

[1] - وهذا أمر طبيعي في سلوكيات وأخلاق الفتوحات الإسلامية التي يلتزم فيها المسلمون بتعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم، كما بينّا في الفصول السابقة.

الملك ريتشارد قلب الأسد جزءاً من فلسطين، ذبح جميع اليهود والمسلين رجالاً ونساء وأطفالاً، ولم ينجُ منهم أحد[1]!

* احتلال الصليبيين لإنطاكية

ويصف ابن الأثير احتلال أنطاكية بعد حصار الصليبين لها ثمانية أشهر بأنهم دخلوها واستباحوها، ويقول:

"ثم إنّ الفرنج دخلوا البلد من الباب **ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين**"[2] . ولم تقتصر فظاعات الصليبيين على المسلمين وحدهم، إذ يقول المؤرّخون عنهم إنّهم: **"قتلوا المئات من سكان المدينة، وانتشوا بِسيول الدماء التي سفكوها ولم يفرّقوا بين مسلم ومسيحي"**[3].

واستباح الصليبيون القرى المحيطة بإنطاكية مسيحية كانت أم إسلامية واستطابوا الإقامة والعيش الحسن[4].

*احتلال القدس

ويعرض المؤرّخون الموثقون صوَر الإرهاب الصليبي الذي توجّه بجحافله الجرارة إلى القدس فيقولون:

"ثم وصلوا القدس عام 1099م وحاصروها باثني عشر ألف مقاتل لمدّة أربعين يوماً، وكانت حاميتها ألف مقاتل فقط، **فاحتلّوها ومارسوا مذبحة لا مثيل لها**، حيث يقول ابن الأثير:

---

[1] - أنظر كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد لميرزا طاهر أحمد ص 188

[2] - (الكامل في التاريخ) لابن الأثير 168/8

[3] - ميخائيل زابوروف (الصليبيون في الشرق) 93 دار التقدّم موسكو

[4] - (العرب النصارى) حسين العودات ص 127

'وركِبَ الناسَ السيفُ ولبثَ الفرنجة في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين.. **وقَتلَ الفرنجُ بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمّة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزُهّادهم**'[1].

وقدَّر مصدر أرمني عدد الضحايا بـ 65 ألفاً. ويذكر مصدر لاتيني أنّ النظر كان يقع على أكوام من الرؤوس والأيدي والأقدام في الطرق وفي الساحات العامّة[2] ويروي القس ريموند الإجيلي وهو شاهد عيان **أهوال الاحتلال الصليبي للقدس** فيقول:

".. وشاهدنا أشياءً عجيبة، إذ قُطِعت رؤوس عدد كبير من المسلمين، وقُتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أُرغموا على أن يُلقوا أنفسهم من فوق الأبراج، وظلّ بعضهم الآخر يُعذَّبون عدّة أيام، ثمّ أُحرقوا في النار. وكنت ترى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام. وكان الراكب أين ما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال.. كانت النساء تُقتلن طعناً بالسيوف والحراب، والأطفال الرضّع يُختطفون بأرجلهم من أثداء أمهاتهم ويُقذف بهم من فوق الأسوار، أو تُهشَّم رؤوسهم بالعَمَد.." [3]

"وخربوا مسجد عمر ونهبوا مسجد الصخرة، وأزالوا المحراب، وبقيت الجثث في الشوارع أياماً، والدماء تسيل فيها كالمياه. لم يوفّروا شيخاً ولا امرأةً ولا طفلاً، وحرموا المسلمين من سكنى المدينة.." [4]

"كان أوّل ما اتّخذه الصليبيون من تدابير أنّهم طَردوا من كنيسة القيامة جميع الكهنة من

[1] - إبن الثير "الكامل في التاريخ" 189/8 عن كتاب "العرب النصارى" / حسين العودات ص 128

[2] - فيليب حتي (تاريخ سورية ولبنان وفلسطين) مج2 ص229 عن المرجع السابق

[3] - ول ديورانت قصة الحضارة المجلد 15 ص 25

[4] - موسوعة الحضارة الإسلامية 132/3 المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1979

الطقس الشرقي: روماً وجرجيين وأرمن وأقباطاً وسيرياناً.. وإذ ذُهل وجهاء الطوائف المسيحية الشرقية أمام هذا القدر من التعصّب، فقد عزموا على المقاومة، ورفضوا أن يكشفوا للمحتلّ عن المكان الذي خبّأوا فيه الصليب الحقيقي الذي مات عليه المسيح؛ وإذ قبض الصليبيون على الكهنة المكلّفين بحراسة الصليب وأخضعوهم للتعذيب، فقد تمكّنوا من انتزاع سرّهم[1]". ثم عَيّن الإفرنج بطريركاً لاتينياً على أورشليم وأبعدوا الكهنة الأورثوذكسيين والأرمن والسيريان والأقباط عن كنيسة القبر المقدّس[2].

* إرهابهم الوحشي ورحمة المسلمين

وينقل الباحثون عن المؤرّخين صُوَر الفرق الهائل بين وحشية الإرهاب الصليبي في الاحتلال ومعاملة المسلمين الرحيمة في الفتح، حيث يروون عن مسيرة صلاح الدين الظافرة ما يلي:

"ثم أخذت المُدن التي يحتلّها الصليبيون تتساقط مدينة بعد أخرى بيد صلاح الدين بسهولة فائقة، إلى أن وصل إلى القدس فحاصرها، وخرج إليه أعيانها يعرضون الصلح، فقال لهم إنه يعتقد، كما يعتقدون هم، أنّ هذه المدينة بيت الله، وأنه لا يُرضيه أن يحاصرها أو يُهاجمها. **وعَرَض على أهلها الحرية الكاملة في تحصينها**. وأن يزرعوا ما حولها من الأرض إلى ما بعد أسوارها بخمسة وعشرين ميلاً دون أن يقف أحد في سبيلهم، ووعدهم بأن يسدّ كلّ ما ينقصهم من المال والطعام إلى يوم عيد العنصرة.. **وتعهّد في حال استسلامهم أن يُحافظ على أرواح السكان المسيحيين وأموالهم**..". ول ديورانت 37/15

---

[1] _ أمين معلوف، (الحروب الصليبية كما رآها العرب) مؤسسة الأبحاث العربية، ط2 بيروت 1986

[2] - المطران جورج خضر (المسيحيون العرب) مؤسسة الأبحاث والدراسات بيروت 1986

ولم يكن صلاح الدين فريد عصره في هذا التعامل الإسلامي الرحيم، وفي احترامه للعقائد والمقدّسات، بل يروي الباحثون أمثال هذه السيَر الكريمة الشريفة طوال مسيرة الفتوح الإسلامية الرحيمة الظافرة، حيث يروي الصَديق الأب جوزيف حجّار في كتابه (القدس ماضيها وحاضرها) الصورة الإسلامية المشرّفة لتعامل الخليفة عمر رضي الله عنه مع أهلنا المسيحيين في القدس فيقول:

" **وترك (الخليفة عمر) للمسيحيين كنائسهم ومعابدهم القائمة يوم فتح مدينة القدس**". ص 38

تلك هي رحمة الإسلام والمسلمين حتى بأشدّ أعدائهم فتكاً. لا يُقابلون الجريمة بالجريمة، بل يُدافعون عن أنفسهم بالرحمة التي تعلّموها من محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، ونذروا أنفسهم لنشرها، في الوقت الذي يحفظون فيه مُقدّسات الناس ويمنحونهم كامل حرياتهم في عباداتهم وممارسة مُعتقداتهم.

-- ملفات الإرهاب الغربي المعاصر --

-- ملفّ القتل الصليبي في سراييفو البوسنة والهرسك:

يا له من ملفّ تقشعرّ لذكره الأبدان، ويندى لوقائعه المشينة جبين الإنسانية المعاصرة خزياً!

"إنّ مأساة البوسنة طريق وحيد نحو اكتشاف إمكانية نقاء وعار العنصر البشري. لقد أعادوا جميعاً اكتشاف قيم مُتعفّنة وخافية في مجتمعاتنا، استطاعت أن تكتسب مصداقية في

غفلة من الزمن!".

بهذه الكلّمات الشريفة الواعية يُنهي الكاتب الصحفي الأوروبي الإسباني الشهير خوان غويتيسولو الفصل الأول من كتابه (**دفاتر العنف المقدّس!**) ص 74

لقد تأذّى وجدان هذا الكاتب الأوروبي من الحرب العرقية الطاحنة في قلب أوروبا والتي جُعِل ضحيتها شعبُ البوسنة المسلم فقام—كما يذكر الدكتور طلعت شاهين مترجم الكتاب:

"بجهود حقيقية للتعرّف على أسباب هذه اللعنات الطاحنة الموجّهة في اتّجاه واحد تُغذّيها، في رأي غويتيسولو، جهات معينة مشبوهة داخل أمريكا ودول المجموعة الأوروبية نفسها، وتتمثّل في إحياء النازية الجديدة والعداء لكلّ ما هو عربي ومسلم في القارّة الأوروبية؛ وحاول لفت الأنظار إلى خطورة (التطهير العرقي) الذي يتعرّض له المسلمون في البوسنة، وخاصّة سراييفو التي كانت لقرون طويلة مثالاً للتعايش بين المعتقدات والحضارات المختلفة، التي جعلت منها رمزاً للمحبة والسلام، فكتب هذا الكاتب والصحفي الشريف في العديد من الصحف الأوروبية يُحذّر من استمرار الاعتداء الصربي، وكان أوّل من لفت الأنظار إلى أنّ هذه الحرب لا تهدف إلاّ إلى التطهير العرقي ضدّ المسلمين في أوروبا، وأنّ الصّرب يُحاولون إحياء تراث الأورثوذوكسية المعادي لكلّ ما هو مخالف والقضاء عليه بأبشع الطرق". (دفاتر العنف المقدّس[1]) ص 7

" وكان خوان غويتيسولو أول كاتب أوروبي يتجرّأ على اتّهام فرنسا وبريطانيا بأنهما يتآمران، في هذه الحرب، ويُساعدان على إبادة شعب البوسنة المسلم؛ ودعا، في كتاباته، إلى كشف

[1] - (دفاتر العنف المقدّس) للكاتب والصحفي الإسباني خوان غويتيسولو ترجمة الدكتور طلعت شاهين الناشر مصر العربية للنشر والتوزيع.

القناع الذي يتقنّع به (اللورد أوين)، مبعوث الأمم المتّحدة والمجموعة الأوروبية إلى البوسنة، باحثاً عن حلّ يضمن القضاء على المسلمين، وتمكين الصّرب من تحقيق هدفهم قبل أنّ يتعرّض لهم أحد؛ واتّهمه بأنّه يُمثّل المصالح الصربية، وأنه في مسعاه يُحاول تهدئة الرأي العام الأوروبي، الذي بدأ يعي المؤامرة، ليُتيح الفرصة للصّرب لتنفيذ مؤامرتهم، تحت سمع وبصر جنود الأمم المتّحدة، بل وبمشاركة منهم في تشديد الحصار حول العاصمة سراييفو." ص 7

" وحاول هذا الكاتب الشريف أن يقود قافلة من المثقفين الأوروبيين المؤمنين بحق الشعوب في مواجهة الإبادة العرقية، لفضح ما يحدث في سراييفو مِن قَتلٍ وحشي وإبادة للآمنين العُزّل من الشيوخ والنساء والأطفال. فسافر إلى سراييفو في رحلة كان يعلم أنها قد تكون بلا عودة، وقد زاد من حماسه لهذه الرحلة الكاتبة المسرحية الأمريكية الشريفة سوزان سونتاج التي خاطرت، هي الأخرى بحياتها، لتُعلن عن إدانة مواقف بلادها المتخاذلة، وزيف إدّعاءات السياسة الأمريكية التي تلعب دورين متناقضين؛ فالولايات المتّحدة كانت تُعلن أنها تقف إلى جانب المسلمين في البوسنة، ولكنها كانت في الوقت نفسه تُعارض أن يُدافعوا عن أنفسهم، فمنعتْ عنهم السلاح التزاماً بمواقف أصدقائها الأوروبيين، وحِفاظاً على علاقاتها مع روسيا، وريثة الاتّحاد السوفييتي، التي أعلنت بوضوح لا لَبس فيه: أنها لن تسمح بإجبار الصّرب على إيقاف مذابحهم ضدّ المسلمين!" ص 7

"قرّر خوان غويتيسولو ألاّ تكون رحلته التحقيقية إلى سراييفو مجرّد بيان احتجاج، فقام بتسجيل هذه الرحلة الشجاعة في مجموعة من المقالات نشرها في أكثر من عشر صحف عالمية، وصف فيها الرعب القاتل الذي يعيشه سكان المدينة التي لا يمكن تقسيمها لأنّ سكانها المتعايشون هم خليط من المسلمين والمسيحيين واليهود؛ بل إنّ العائلات المقيمة فيها مختلطة من الصرب والبوسنيين، وأنّ بها صرباً من المسلمين، ومسيحيين من البوسنة، ويهوداً ما بين هذا العرق وذاك. وقد ألقت المقالات التحقيقة أضواءً كاشفة على أنّ ما يحدث في سراييفو يُمثّل مؤامرة غربية لتصفية آخر المسلمين في أوروبا!

ولأنّ الكشف عن هذه المؤامرة قد تمّ ليس بالكتابة وحدها، بل بالصوت والصورة التي سجّلتها، إلى جانب قلم خوان غويتيسولو، عدسات كاميرات التلفزيون في جميع أنحاء العالم؛ فإنّ هذه الكتابة لم تجد من يتجرّأ عليها باتّهام الكاتب بالتّهم القديمة التي كانت توجّه إليه باعتباره من المناصرين للثقافة الإسلامية، التي تُعَدّ في عُرف الأوروبيين ثقافة متخلّفة يسيطر عليها العنف والدم!" ص 8

وفي توصيفه لهذا الكاتب الأوروبي الشريف يقول الدكتور طلعت شاهين:

" الحديث مع هذا الكاتب له طعمه الخاص، فهو ينطلق في آرائه من معرفة حقيقية، وحساسية مميزة، تجاه القضايا الإنسانية بشكل عام، والعربية والإسلامية بشكل خاص". ص 14

ويعبّر غويتيسولو عن رأيه تجاه السياسة العربية فيقول:

" من الناحية السياسية، فإنّ **الوضع العربي يمثّل كارثة حقيقية!** فالحديث عن الوحدة العربية يُعتبر أقصر مزحة تُقال! وإنّ أحداث البوسنة تُعبّر عن واقع الحال في العالم الإسلامي؛ **فالعجز تامّ عن تقديم المعونة إلى إخوتهم الذين تتمّ إبادتهم في أوروبا!**" ص 17

وبعدما يُعلِن رفضَه لأوروبا التي تتحوّل إلى نادٍ للدول الغنية التي تحتفظ بحقها في رفض أو قبول أعضاء جُدد، يتحدّث هذا الكاتب عن فهمه لأثر الإسلام في أوروبا فيقول:

"..فعلى مدى ثلاثة قرون أثرى الإسلامُ الثقافةَ الأوروبية، ليس في إسبانيا فقط، بل في إيطاليا أيضاً، إلى أن ولّد (عصرَ النهضة)، الذي يُعتبر الابن الشرعي لتزاوج الثقافة العربية الإسلامية بالثقافة الأوروبية؛ وللأسف الشديد فإنّ هذه الثقافة الأوروبية الجديدة هي التي تُحاول القضاء على أيّ أثر للثقافة الإسلامية! ولكن تلك البصمات ما تزال توجد في

(الكوميديا الإلهية) وفي الآداب والفنون الإسبانية؛ وأيضاً في عدد من القضايا الإسلامية الخلافية والإسلامية التقليدية التي انتقلت إلى المسيحية بحذافيرها.." ص 18

ويعبّر هذا الكاتب عن رأيه في السياسيين الأوروبيين فيقول:

"إنّ السياسيين الأوروبيين لا يلتفتون إلى ما يقوله المثقفون .. وإنّ موقف الأمم المتحدة من البوسنة موقف **متخاذل** .. إنّ السياسة الغربية الحالية تُكافئ من يمتلك القوّة؛ وهو ما قد يدفع أيّ متطرّف عنصري بالتفكير في أنّه إذا احتَل البلد المجاور، فلن يجد الردعَ المناسب، لذلك قلتُ أيضاً: إنه **لا بدّ من دفن ميثاق الأمم المتّحدة ووثيقة حقوق الإنسان في مدافن سراييفو**، لأنّ هذا هو الواقع؛ **فالغرب يمارس سياسة الكلام الذي لا يُقابله فعلٌ واقعي**؛ بل **إنّ أوروبا تمارس النفاق بوضوح ودون خجل**. وأعتقد أنّ الجريمة الوحيدة التي ارتكبها مسلمو البوسنة، هي أنهم في بلد لا يملك آبار نفط؛ **فالمواطن البوسني المسلم لا يُساوي ثمن برميل من النفط الخام!** إنّ موقع البوسنة والهرسك لا يؤثّر في شيء على (المصالح الحيوية) للولايات المتّحدة الأمريكية ودول المجموعة الأوروبية! **إنّ هذا الموقف الأوروبي المتخاذل سوف يؤدّي إلى نشر هذه الحروب العرقية ولا شك**. ولقد تحدّثتُ أنا من قبل عن هذا الوضع أمام البرلمان الأوروبي في نوفمبر 1991م، عندما دعوني ضمن مجموعة من الكتّاب؛ وأعلنتُ بالتّحديد: أنّ **هناك مجموعتين مرشحتين بشكل مباشر في أوروبا للتعرّض للإبادة الجماعية، وهما: المسلمون والغجر**. لأنّ أيديولوجية (الشكناز)[1] اللذين يقتلون بتطبيقها أطفال المسلمين ويغتصبون نساءهم في البوسنة، هي الأيديولوجية نفسها لأولئك **الذين يُشعلون النار في مساكن الأتراك والمغاربة في ألمانيا وفرنسا**؛ وهي أيضاً التي تُثير وتُحرِّض الذين يتعرّضون بالإيذاء للمغاربة والأفارقة في إسبانيا"! ص 22

---

[1] - وهم المجرمون المرتزقة من متطرّفي الصرب يُنفّذون الأوامر كالآلات المبرمجة دون رحمة وأكثرهم من مرتزقة روسيا وأوكرانيا ومن الذين أطلقهم ميلوزوفيتش من السجون.

وفي حديثه عن استحالة تطبيق التطهير العرقي في سراييفو يقول:

"من المستحيل تطبيق التطهير العرقي في مكان مثل سراييفو؛ حيث تجد الأسرةَ الواحدة مكوّنة من زوجة مسلمة مثلاً وزوج مسيحي صربي أو كرواتي؛ ثم إذا قرّرتَ الفصل بين الزوجين، فلمن يكون الأولاد؟ وأعتقد أنه بحسب ما يرمي إليه المفاوضون الأوروبيون، فإنّ من المستحيل أن يَقبل المسلمون العودة إلى الإقامة في قرى ومدن معزولة محاطة بالعداء الصربي والكرواتي". ص 22

وفي معرض تشبيهه للحرب الصربية بالحرب الصليبية يقول:

"أعتقد أنّ اللغة التي يتحدّث بها الصرب واليونان هي لغة (صليبية) ولعلّ الذي يُزعجني شخصياً أنّ مثقفين، من المفترض أنّهم يساريون، يستخدمون الآن اللغة نفسها التي يستخدمها ميلوزوفيتش وكاراديتش؛ ويتحدّثون عن (الخطر الإسلامي) والحاجة إلى الاحتفاظ ببلادهم نظيفة من الإسلام والمسلمين! لقد سقطت الحواجز والأيديولوجيات، واستطاعت الأيديولوجية العرقية أن تقضي على اليسارية فتحوَّل المؤمنون بها إلى متطرّفين عنصريين. وهذا خطير جداً!" ص 23

-– ملفّ الإرهاب الأوروبي في سراييفو:

يتحدّث هذا الكاتب، في هذا الملف، عن سياحة أوروبية غريبة (دراكولية[1] المزاج)، فيقول:

"ثمة شركة سياحية إيطالية تُعلن عن رحلات خاصّة لنوع من السائحين الذين يتشوقون إلى الاستمتاع بمشاهد خارقة للعادة؛ وتتضمّن تلك الرحلات مسارات تجوب تلك المناطق التي دمّرتها الحرب حديثاً في مختلف أنحاء العالم؛ حيث يمكنهم استنشاق رائحة البارود الحريفة؛

[1] - نسبة إلى دراكولا مصاص الدماء في روايات الرعب السينمائية.

والتجوّل في قُرى مُدمَّرة وحجرات شبحية هجرها سكانها؛ ومشاهدة الأجساد المتحلّلة عن بُعد، والمقابر الجماعية التي لا يكاد يُغطّيها التراب؛ والجثث المصطفّة بأكوام هائلة"! ص 28-27

ويتساءل غويتيسولو عما عسى أن يُشاهد أمثال هؤلاء السياح، فيما لو كانت رحلتهم إلى البوسنة فيقول:

"ربما كان هؤلاء في طريقهم إلى البوسنة بحثاً عن مائدة لذيذة!

فأيّ مكان فسيح من مشاهد الرعب الحقيقي أكثر من تلك البلاد يمكن أن يُشبع الشهية المفرطة لأكثر الناس شراهة إلى تلك المشاهد؟!"

ويُتابع بحسب المُشاهدات التي جمعها من شهادة كاتب بوسني لجأ إلى فرنسا، فيقول:

"تُرى هل هذه المجموعة السياحية، التي صعدت معي إلى الطائرة، هي في طريقها لمشاهدة:

– جثّة آدم الأحدب الذي اعتدل عموده الفقري بما يشبه المعجزة، بعد أن حَشرَ الجنودُ خازوقاً في أحشائه أمام مدخل بيته؟!

– أم أنهم يريدون (التسرية عن نفوسهم) بمشاهدة رأس الغجري (إبرو) ورأسي زوجته وطفله المعلّقة على السياج المُحيط ببيته، عقاباً له على هروبه من القتل؟!

– أم بمشاهدة رماد قرية (جرابكا) المسلمة، التي أحرق الجنودُ جميع سكانها بعد حفل من الطقوس الوثنية الموروثة: من تمزيق الأوصال، والاغتصاب الجماعي، والنحر الذي أُقيم على شرف الإله المطهر المنتصر (سان سافا)؟!

– أم للبحث في قرية (بروكو)، أمام فندق (باسافينا)، عن الآثار المتخلّفة عن احتفال

الدم والنبيذ العظيم، الذي مارس فيه أبناء المملكة السماوية، طوال ثلاثة أيام وأربع ليال، طقوسَ إبادة القرية التركية (المسلمة)، ثم نقلوا جثث أهلها في برادات وألقوا بهم في (نهر سافا)؟!

– أم ليُشاهدوا بمناظيرهم المُكبّرة المشهدَ الغريب لإحدى نساء قرية (موديكا)، وهي تمتطي برج إحدى الدبابات، مشيرة بسبابتها، كساحرة، إلى بيوت جيرانها وأصدقائها لتُدمّرها، بعد ذلك بثوان قليلة، قذيفةٌ عادلة؟!

– أم أنهم ذاهبون لتقصّي آثار نهاية ست فتيات من مدرسة (فيشجارد) للفتيات المقعدات، اللاتي أُعدِمنَ وأُلقيتْ جثثهن من أعلى الجسر على (نهر الدرينا) بينما أَطلَقَ عددٌ من ميليشيات (النسور البيض) المدربين باقي الفتيات في حقل ألغام، ثم تسابقوا فيما بينهم بتجريب دقة إحكامهم في الإصابة بإطلاق الرصاص عليهن؟!

– أم أنّ هؤلاء ذاهبون لالتقاط صور فوتوغرافية للنساء والأطفال المكدّسين في قطارات النفي، بعد عملية تنظيف عرقي شامل؟!

– أم لتصوير الجثث المجفّفة في (بريجيدور)، كما حدث مع يهود تريبلانكا؟!

– أم لتصوير البيوت المحترقة والأجساد المتفحّمة والمساجد المدمَّرة في (فيتز) و (أهنيسي) و(دونيا فيسميزكا)، التي خلّفتها قوات مجلس الدفاع الكرواتي؛ الذين يُنافسون في بسالتهم قوات الشكناز على الطرف الآخر؟!

– أم أنهم يتأهّبون لالتقاط صورةٍ لتلك الفتاة المسكينة (ياسمين) التي التقتها زميلتي (مايتي ريكو)، وهي التي رسمَ أبطالُ الحكايات الشعبية الجديدة على ذراعها الصليب بسكين حادّة، وغيرها من مئات المساجين الذين يحملون على أجسادهم، وإلى الأبد، الأحرف الأربعة: (SSSS) التي تُمثّل طبقاً للأبجدية السيريلية شعار: (Samoa Slog Srbina Samoa)

(Spasava وترجمته: (الاتحاد هو الطريق الوحيد الذي يُمكن أن يُنقذ الصرب)، وهو الشعار المحبوب من الشاعر الحالم (كارا ديتش) ومحاربيه الأبطال؟!

– أم لتسجيل صورة تلك المرأة الباكية أمام كاميرات التلفزيون وهي تروي فظاعة الاغتصاب المتكرر الذي تعرّضت له من قِبل جيرانها في السكن بالحي (الوطني) لمدينة سراييفو، كما جعلوا صبيّاً يتبوّل على وجهها بينما كانوا هم يمسكونها بأيديهم؛ وكلّ هذا بسبب جريمة زوجها التي لا تُغتفر، بأنه هرب من المشاركة في الدفاع عن قضيتهم المباركة (التطهير العرقي)، ومضى ليتعاون مع (المتطرّفين) المسلمين؟!

– أم لإعادة تركيب المشهد الدرامي الذي أشارت إليه الكاتبة الأمريكية سوزان سونتاج، والذي كانت ضحيته الزوجة المسلمة لأحد أفراد قوّات الشكناز الذين قتلوا ابنها ببرود وحشي، أمام عينيها، لرفضها القوي تجنيده معهم، ولمقاومة الابن فكرة الذهاب إلى جبهة القتال؛ وذلك قبل ساعات قليلة من حضور الزوج الوطني المثالي الغاضب، الذي تتغنى به الأغاني الشعبية الصربية، ودخوله إلى البيت؛ ثم، دون أن ينظر بأدنى شفقة إلى جثّة ولده المقتول، يتوجّه، ببطولة بالغة، إلى زوجته التي ارتكبت جريمة منع ابنه من القيام بواجبه، فجعلته بذلك صربياً حقيراً، فيقتلها؟!" ص 28-29

* تقدّم بجثتك وقوات الحماية الدولية للأمم المتحدة تقوم بالباقي!

كان (حاكيجا توراجلكش) نائب رئيس البوسنة أمانة في أيدي قوات الحماية التابعة لهيئة الأمم المتحدة، فماذا حصل؟ يقول غويتيسولو:

"انتزعته ميليشيات (كاراديتش) بالقوّة من إحدى عربات الأمم المتّحدة المدرّعة، وقتلته بكلّ هدوء، أمام أعين حرسه الخاص، ثم تبع ذلك (الاحتجاجُ العنيف) من الحرس الخاص؛ لهذا أتفهّم موقف أفراد قوات الخوذات الزرقاء الذين تعلّموا من خلال التجربة أن يؤثروا

السلامة! ففي البوسنة يسيطر قانون الغاب، حيث يتحكّم الأقوى. فعجز قيادة قوات الحماية التابعة للأمم المتحدة وخضوعها أمام تعسف وابتزاز كاراديتش ورجاله يُذكّرني بشعار إعلاني مناسب لعملية السفر المحتملة: (**تقدّم بجثتك، وقوات الحماية الدولية التابعة للأمم المتحدة تتولى الباقي**!" ص 33

ويتحدّث هذا الشاهد الموثَّق عن متابعة الآمنين بالقتل أينما كانوا، فيتحدث عما يسميه (**الشراهة الدموية لصليبي صربيا الكبرى**) ص 36، ويقول:

"يتوقّف عادة سكان سراييفو في الشوارع الأكثر (أمناً) لشراء ما يستطيعون وأمام صنابير الماء محمّلين بأوعية الماء لعائلاتهم وأولادهم. ولكنّ الشكناز (متطرفوا الصرب) ينسفون هذا الأمن في كلّ مرّة يركن فيها السكان إلى شيء من الطمأنينة: إذ تستمرّ المذابح أمام مركز توزيع الخبز في (فاسي مسكينا)؛ ويُتابَع قصف القنابل على ملعب الأطفال، ويُفجَّر الناس في الطوابير المصطفّة أمام صنابير الماء، أو في المقابر أثناء تشييع أو دفن قتلاهم! **ولا أحد يشعر بالأمان في أيّ مكان**.

جميع الناس مستعدّون للقاء الملاك الأسود! المؤمنون منهم يهيئون أنفسهم للقاء عزرائيل مَلَك الموت. يجب أن توطِّن نفسك على الموت في سراييفو، المدينة التي لا توجد فيها أخشاب لصنع توابيت للقتلى. يجب أن تُوطِّن نفسك على السير بيقين واثق بأنّه لا حماية لك ولا طمأنينة؛ إذ لا أحد يمكنه أن يضمن لك ألاّ يركّز على وجودك، الذي لا قيمة له، قناصٌ ممتاز برصاصة تثقب جمجمتك، أو أن تنفجر فجأة قنبلة يدوية أو طلقة مدفع داخل بيتك!

إنّ سكان سراييفو يتحمّلون تلك الإبادة المشؤومة فيما بين نظام الاعتقال في سجن مفتوح حيث لا رحمة ولا كرامة. ولذلك فإنّ الأثر الناتج عن الجوع والإنهاك والإحساس العام بالخيانة والإهمال قد سيطر أخيراً عليهم، **منذ اتّفاق العار في واشنطن**، ومن ثمّ فقد

صارت مقاومتهم المعنوية في أقصى درجات التّحمّل؛ حيث **أدركوا فجأة بأنّ مصيرهم قد تقرّر**؛ وأنّ **عليهم ألاّ ينتظروا مساعدة من أحد: لا من مدرّعات قوات الحماية الدولية البيضاء العاجزة حتى عن حماية نفسها؛ ولا من الطائرات الأمريكية التي تقطع سماء المدينة في مهمّات عقيمة وعاجزة عن الحفاظ على سماء المدينة نظيفة، (ولا حتى من العرب أو المسلمين)!**[1]

إنّ جميع الجرائم التي تُرتَكَب في سراييفو والبوسنة كلّها من عمليات قتل وتدمير ومذابح— كلّ هذه الطقوس المسمّاة بالتطهير العرقي تجري على الأرض بلا داع أو مبرّر**!**" ص 36

*جانب من الإحصاءات

تكشف **النشرة الإعلامية** التي أصدرتها وزارة الصحة العامّة برئاسة البوسنة النقاب عن هول حجم عمليات القتل الجماعي[2] التي تُمارس ضد الشعب البوسني منذ إبريل نيسان 1992:

140 ألف قتيل

151 ألف جريح

مليون و835 ألف مُهجَّر

156 ألف معتقل في معتقلات قوات الصرب والجبل الأسود

12100 عاجزاً ومشلولاً منهم 1280 طفلاً

---

[1] - الإضافة بين قوسين من المؤلّف محمد منير إدلبي.

[2] - نشر خوان غويتيسولو هذه الإحصائية 1996

ورقم تقريبي يذكر حوالي 38 ألف امرأة تمّ اغتصابها[1].

* مشفى حكايا الرعب المهين

ويتحدّث غويتيسولو عن لقاء له مع مدير مشفى في (كوسوفو) وهو الدكتور(فيوك كولينوفيتش)، فيصوّر **الحالة البائسة للمشفى ومرضاها**، إذ:

"لا ماء ولا كهرباء منذ تسعة أيام؛ ولم يعد في خزّانات الوقود سوى عشرة ليترات من الكيروسين لتغذية مولّد غرفة العمليات، ولذلك يجدون أنفسهم مُجبرين على إجراء العمليات الجراحية نهاراً بالقرب من النوافذ للاستفادة من ضوء النهار، وحتى في الطرقات المكشوفة مما يجعلهم مُعرَّضين للإصابة بنيران قصف العدو. ويحتفظون بالمولِّد الكهربائي لاستغلاله في إجراء العمليات الجراحية العاجلة للجرحى الذين يُنقلون إلى المستشفى ليلاً.

'ماذا لو أطلقوا على المدينة صواريخ عنقودية الآن؟'

'سنجد أنفسنا مُجبرين على إجراء العمليات الجراحية، وعمليات البتر على ضوء الشموع'.

وفي القسم الداخلي للمرضى يروي غويتيسولو:

"كنّا نلتقي على الدَرَج بمصابين في طور إعادة التأهيل: مقطوعي الأيدي، مبتوري السيقان يتحاملون على عكّازات أو على أيديهم. رجل فقد ذراعيه في غرفة مع ثلاثة جرحى. أشار الدكتور كولينوفيتش بأصبعه إلى فتحة نتجت عن اختراق قذيفة للحائط ثم سقطت بين سريرين، ولكنها لحسن الحظ لم تنفجر. مشاهد بشعة لا تُحتمل لثلاث نساء أدخلن إلى المستشفى حديثاً، اثنتان منهنّ مصابتان بجراح قذيفة مورتر، وأمّا الثالثة فقد أصابها قنّاص بطلقة في الرقبة وهي تحمل بعض الزجاجات بحثاً عن ماء الشرب. كلّ حالة حكاية، وكلّ

[1] - لا بد من وجود إحصائيات أخرى إذ قد ذّكر بأن عدد النساء والفتيات المغتصبات قد تجاوز المئة ألف.

حكاية رعب لا يُطيقه الخيال!

جلس (ميروسلاف باجيك) الكرواتي الأصل، وعمره 46 سنة على حافة سريره ليحدّثنا، بعد أن كان يحاول الاتكاء على عكازه، فقد أصيب أثناء سيره في الشارع بقنبلة يدوية، وظلّ ينزف طويلاً، ولم يكن باستطاعة أحد مساعدته فيما كان هو يرقد جريحاً في وسط الطريق تحت وابل القصف ينتظر العون. قال: "الشكناز يريدون زرع الكراهية في قلوبنا حتى لا نستمرّ في الحياة معاً. ولكن انظر، يا حضرة، إلى تلك الصالة: هذه الغُرفة أُشغلها أنا وصربي ومسلم، نعيش فيها ثلاثتنا كأشقّاء". ص38

*أطفال البوسنة يلعبون بالموت ويُلاعبهم

ومن قسم جراحة الأطفال حيث أجريت عمليات من قلب الموت لـ 1200 طفلاً في ظروف الافتقار إلى أدنى المتطلّبات الطبية الإسعافية العاجلة، يروي الكاتب الإسباني مشاهداته فيقول:

"جناح حديثي الخروج من غرفة العمليات يُعدّ نموذجاً وعيّنة للمعاناة المفروضة على المدينة:

– تواجهني طفلة صغير بنظرات تائهة، وعضلة ساقها الممزّقة تتدلّى في دَلوِ ماء! نظرتُ إليها وشعرت باستحالة الوقوف إلى جانبها وتوجيه أيّ سؤال إليها! لقد بدت عُروض الجراح ترتيلات للألم قاسية!

– الطفلة (إزرا) مُصابة بجراح في الرقبة نتيجة رصاصة سدّدها قنّاص فأصابها قبل يومين.

– الطفلة (نظيرة) ضحية قنبلة حارقة أصابتها في السابع من يوليو الماضي.

– الطفل (أديس) أُصيب قبل أسبوعين عندما كان يُحاول هو وطفل آخر أن يقطفا بعض ثمار الكرز من إحدى الشجيرات.

– الطفل (ألمير) وقد كان لا يكفّ عن الضحك! أصابته طلقات مدفع رشاش منذ تسعة أيام بالقرب من المطار؛ وهو منذ ذلك الوقت لا يعرف شيئاً عن أمّه ولا أبيه، ولا أحد من أسرته!

– الطفل (الفيدين) الشاحب النحيل، الذي ترتسم في عينيه نظرة حيوان أليف مُصاب بالرعب!" ص39

ويتساءل هذا الكاتب الصحفي المحقق:

"كيف يُمكن تفسير وجود هذا العدد الضخم من الضحايا بين الأطفال؟!

هل ما أكّده لي ذلك الجريح الكرواتي من أنّ الميليشيات وأفراد الشكناز يتلقّون مكافأة مُضاعفة عن كلّ إصابة يُلحقونها بامرأة؛ وتتضاعف المكافأة خمس مرات إذا كانت الضحية طفلاً؟! ص 39

* نكتة المساعدات

يُتابع الشاهد الكاتب قائلاً:

" هُزال المرضى يدلّ على انعدام الغذاء الصحي! فمن أين يُمكن العثور على حليب، أو اللحوم والفيتامينات التي هي غذاء أساسي ضروري لشفاء المصابين، إذا كان جنود كارادينش يوقفون ناقلات المساعدات الإنسانية، ويُعاملونها بطريقة مُهينة رغم كلّ الوعود والاتفاقيات الموقّعة، ويمنعونها من الوصول إلى سراييفو طوال أيام وأيام؟!

"في ليالي البؤس الحارّة تضيق المساحات في المستشفيات؛ تضيق المساحات في مخازن الجثث. لا بدّ من صفّ جثث القتلى على الرصيف جثة إلى جانب الأخرى. تضيق المساحات في المقابر، حيث مشاهد الدفن هي من الأهداف المفضَلة للقنّاصة الصرب،

الأمر الذي جعل أهل القتلى يبحثون عن أماكن أخرى غير المدافن لمواراة جثث قتلاهم، واستغلال عتمات الغروب ليدفنوهم في الخفاء!

الناظر إلى شواهد المقابر يجد تواريخ الرحيل ثابتة: 1992 أو 1993. سبب الموت معروف للعالم كلّه. وقد سقط بعضهم في المقابر ذاتها. تحت أقدام تمثال السبع القديم تجد الشواهد التي تحمل رسم الهلال والنجمة الخُماسية تختلط بالصلبان الكاثوليكية والأرثوذوكسية، وتُحيط بالشواهد الرخامية للمقبرة اللادينية التي تضمّ رفات كبار رجال الدولة في عهد (تيتو)!

تتوجّه كلّ الشواهد الإسلامية والمسيحية بجميع طوائفها باتجاه القبلة. لقد وحّد الموت بين المؤمنين من ديانات أهل الكتاب؛ ضحايا الوحشية ذاتها!"

*قبر للإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقيات هيئة الأمم

يُتابع الشاهد الصحفي مشاهداته المُفجعة في المدافن، فيقول:

"ذلك الحصاد الكبير من الشواهد والصلبان الجنائزية، كان يجب أن يضمّ شاهداً ضخماً آخر: يحمل تواريخ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتّحدة عام 1948؛ والاتفاق الأوروبي لحقوق الإنسان لعام 1950؛ واتفاقية الحقوق المدنية والسياسية الصادر عن الأمم المتحدة عام 1966؛ وإعلان مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي المنعقد في باريس عام 1990؛ وكذلك تاريخ إعلان إنشاء الأمم المتحدة واتفاق جنيف الشهير، مع إضافة جملة على الشاهدة تقول: (**هنا ترقد كرامة المجموعة الأوروبية، ومصداقية منظمة الأمم المتّحدة المقتولتان في سراييفو بجبنِ واستهتار مفاوضيهم وزعمائهم الذين لا مثيل لهم**)، وذلك كتذكير لجميع شعوب العالم بقيمة الوعود الأخلاقية للدول الكبرى—**العشرات والعشرات من الاتفاقيات التي لم تُنفّذ**، بالإضافة إلى القرارات التي ترقد في الأدراج جثثا هامدة، لأنّ (**المصالح الحيوية**) لتلك القوى الكبرى لا تتعرّض للخطر"! ص40

* تقرير الرعب

"لو تصفحنا إحصائيات اللجنة الحكومية لسجلّ جرائم الحرب في جمهورية البوسنة والهرسك؛ فإنّ بلاغة الأرقام الجافّة تُغني عن أيّ تعليق:

650 شاهداً

21 ألفاً اغتيلوا

5039 من مجرمي الحرب

169 معسكراً للاعتقال

72 قرية أبيدت بالكامل

559 مسجداً تمّ تدميرها

وكما يقول الصحفي البريطاني المعروف روبرت **فيسك**: **'إنه تقرير الرعب'**" ص 43

ويعلق غويتيسولو على هذا التقرير فيقول:

"هذا التقرير وغيره من الشهادات الدامغة التي لا يمكن تكذيبها، تُبين بما لا يدع مجالاً للشك، الهدف الذي يرمي إليه المتطرّفون الصرب—الذين تربّوا على الميثولوجيا الدموية والشوق العلماني للانتقام لهزيمتهم أمام الأتراك في معركة (ميرلوس) بإقليم (كوزيفو) في القرن الرابع عشر—وهو **الإبادة الجماعية لمسلمي البوسنة بكلّ ما تعنيه هذه الكلّمة من معنى مادّي**. ودون أن نتوقّف طويلاً أمام تلك الشهادات المذهلة المخجلة، أذكر فقط تلك الشهادة التي قرأتها في التحقيق الصحافي الممتاز الذي نشره (ديفيد ريفي) في مجلة (نيويوركر) الأمريكية؛ الذي يتضمّن تصريحات (خوسية ماريا مينديلوثي) المسؤول السابق للّجنة العليا للمعونات الإنسانية للأمم المتحدة (أكنور).

فالحادثة التي أستحضرها هنا وقعت في مدينة (زفورنيتش) البوسنية الصغيرة، عندما احتلّتها قوات المتطوعين الصرب الشهيرة باسم (النسور البيض). يقول خوسية ماريا مينديلوثي:

(**شاهدتُ أطفالاً تحت جنازير الدبابات؛** أَجبرهم على ذلك رجال أقوياء يُنفّذون أوامر أولئك الذين يُحكمون سيطرتهم عليهم ويوجّهونهم كيفما شاءوا [1]، فهؤلاء يتبعون استراتيجية صارمة، هدفها زرع أقصى رعب ممكن بين السكان المدنيين، وتدمير أكبر قدر ممكن من الممتلكات، وممارسة أبشع أصناف العنف ضدّ النساء والأطفال. وبعد أن يكمل هؤلاء مهمتهم، تأتي السلطات الحاكمة في المنطقة—كميليشيات كاراديتش أو البوليس—لتُعيد إحكام السيطرة والنظام)"!

* المسلمون 'المجرمون' هم الذين يسعون للسيطرة على أوروبا!

في إجابات كارديتش (بطل) التطهير العرقي في البوسنة والهرسك على الصحفيين يتجاهل ببراءة جميع فظاعات ذئابه ويتّهم المسلمين بأنهم هم وراء هذه الافتراءات الباطلة ويتساءل باستغراب:

"مذابح، غرف غاز، ومعسكرات قتل؟!

إنها من صنع خيال المجاهدين والمتطرفين المسلمين الذين يُحاولون السيطرة على أوروبا.

إنّ أتراك علي عزّت بيغوفيتش هم الذين أحرقوا مكتبة سراييفو لجذب الانتباه إليهم واتهامنا بالوحشية!

ومساجد المسلمين تمّ تدميرها من قِبل المجاهدين المسلمين أنفسهم بهدف تحريض الرأي

---

[1] - ذكَرت الأنباء تقارير مثيلة عن ممارسات إسرائيلية في فلسطين أثناء الانتفاضة الفلسطينية الحالية. وهي دهس أطفال فلسطينيين بجنازير الدبابات واستخدام النساء والأطفال دروعاً بشرية على الدبابات أثناء اجتياح القوات الإسرائيلية لجنين.

العام العالمي ضدّ الصرب!

والهجوم الذي تعرّض له المعسكر المتحرك لقوات الخوذات الزرقاء التابعين لقوات الأمم المتحدة في (زيترا) سيناريو عبقري نفّذه المسلمون لتخريب محادثات السلام في جنيف وفتح الطريق أمام التدخّل العسكري!

والمذبحة التي جرت في مدافن سراييفو هي تآمر من جانب الرئاسة البوسنية للتمويه على الأهداف التوسعية الإسلامية!" ص 44

ويتحدث غويتيسولو عن أسلوب توزيع ما تبقى من أشلاء البوسنة والهرسك بين زعماء جمهورية الصرب الكبرى (النقية) وكرواتيا الكبرى (النقية):

"فعنف القتال والرعب من التطهير العرقي يدفع بجموع هائلة لا تُحصى من المروَّعين والجائعين إلى طرقات وممرات المناطق التي يسيطر عليها المسلمون: مشاهد رهيبة من البؤس والألم في قلب هذه القارة الأوروبية التي فقدت آدميتها وحجّرت الأنانية إحساسها حتى أصبح اختفاء دولة ذات سيادة، واحتضار شعب يتكوّن من أكثر من مليونين من البشر، مجرّد نبأ إلى جانب الأنباء الأخرى في عالم من الضجيج والغيظ، تُسيطر عليه النظرة الأحادية لنظام بوش العالمي الجديد وكلّينتون من بعده!

أين يذهب مئات الآلاف من المشرّدين العُزّل المحاصرين بالعنف والإرهاب والاضطهاد والقذائف من كلّ جانب؟!

إنّ خريطة البوسنة تتمزّق بلا رحمة وتتحوّل إلى مجموعة من مصائد الفئران البشرية؛ كائنات محشورة تعيش تحت ظروف قاسية وقلقة!" / ص45

*قتل التعايش مع سبق الإصرار

وفي معرض روايته عن زيارته هو ومترجمته (إلما) لزوجين من عائلة مسلمة: (ياسمينكا بوتميتش) وزوجها (إيزاك كرونوغورفيتش)، يقول:

"رحّبا بنا بحرارة وقدّما لنا أكواباً فخارية من ماء الورد. كانا يعيشان في ضواحي سراييفو حتى زحف مايو 1992. تقول الزوجة: '**الشكناز يُنفّذون الأوامر كالآلات المبرمجة تماماً؛ يقتلون ويسلبون ويحرقون دون أدنى شعور بالشفقة أو الرحمة**. أكثرهم من روسيا وأوكرانيا أو من المجرمين الذين أطلقهم ميلوزوفيتش من السجون. يريدون أن يزرعوا الكراهية بيننا؛ ولكنهم لن يتمكّنوا من ذلك؛ سنعود لنعيش معاً في يوم من الأيام'.

'حتى بعد هذه المذابح الوحشية؟' فيُجيب الزوج:

'لا ننسى ولكننا نعفو. هنا تعيش عائلات صربية في الجانب الآخر من الشارع، ويساعد كلّ منا الآخر؛ وننزلق إلى المخابئ معاً. لقد كانت سراييفو هكذا دائماً'.

إنّ الشعور العام بغدر قوات الأمم المتّحدة والمجموعة الأوروبية ينمو بمرارة.

'ماذا أفادتنا المناطق المحمية؟ وبماذا أفادتنا طلعات الطائرات الأمريكية ومدرعات الخوذات الزرقاء إذا كانوا لا يزالون يواصلون قتلنا؟! نحن لا نخشى غزو المدينة؛ فإذا حاولوا ذلك نعرف كيف ندافع عن أنفسنا، ولذلك فهم يسعون إلى إجبارنا على الاستسلام بالتجويع وذبح المدنيين والرصاصات الجبانة!'" ص 46

*شهادة الأرملة (إبزيا ميدوزرياك)

"عمرها 51 سنة. روت لنا ما حدث في (فيشغارد) في مايو أيار 1992 وهو جدير بلفت نظر الوجدان الإنساني الشريف، قالت:

– 'قام عدد من قوات (النسور البيض) **بغرز كَلاّب جزّار في فم جاري (أحمد كارازيك)**، وقيّدوا يديه **ثم ربطوه إلى مؤخّرة سيارة، وجرجروه** عبر طرق القرية كلّها ليراه الناس ويسمعوا صُراخ آلامه الشديدة؛ **ثم ذبحوه ولعبوا برأسه كرة القدم**. وأخيراً ألقوا بأشلائه إلى النهر**!**'/ وتتابع:

– 'وشخص آخر من معارفي، اسمه (حسن بركو) **بتروا ذراعيه وأجبروه على شُرب دمه، وذبحوه أيضاً ثم القوا به في النهر!**'/وتتابع:

– 'رجال (النسور البيض) ينتمون إلى منطقة (فوكوفار)؛ ولكنّهم جنّدوا الكثير من صرب القرية. جاءوا إلى بيتي يرافقهم أحد جيراني، سألوني عن ابني الأكبر المجند في الجيش البوسني، وقالوا إنهم سيعودون مرّة أخرى. وكنت قد أرسلت ابنتي إلى جانب آخر من القرية خوفاً عليها، وحيث يمكنها أن تختبئ وتُنقذ حياتها. جاءوا في العاشرة من مساء اليوم التالي، دون أن يرافقهم جاري، وضربوني وضربوا ابني الصغير، وأجبرونا على الاستلقاء على الأرض تحت تهديد المسدسات؛ **ثم أجبروني على وضع فوهة مسدس محشو بالرصاص في فم ابني وهم يضربونني بأيديهم وأقدامهم بهدف أن تنطلق رصاصة في فم ابني وتقتله**. وعندما أصابهم التعب من هذه اللعبة، ودون سبب واضح تركونا وذهبوا! فقدتُ النطق طوال ثمانية أيام. لم أكن أستطيع إطلاق أيّ صوت أو النطق بأيّ حرف**!**' / وتتابع:

– 'المسلمون الذين لجأوا إلى (قوارشده) تلقّوا وعوداً بعدم التعرّض لهم إذا رجعوا؛ ولكن **الذين صدّقوا الوعود وعادوا أُبيدوا جميعاً!** لقد **حشروا أكثر من 300 شخصاً داخل المسجد القديم القريب من محطة الأوتوبيس، ثم أشعلوا فيه النار. لن أنسى أبداً صرخاتهم**

المرعبة ورائحة اللحم البشري المحترق!'[1] / وتتابع:

– 'حاولتْ بعض الفتيات الانتحار بالقفز من الغرف التي سجنهم فيها رجال (النسور البيض) بهدف اغتصابهن. **وكانوا قد اغتصبوا جارة لي هي وابنتها البالغة من العمر سبعة عشر عاماً، ثم بعد ذلك ذبحوهما وألقوا بجثتيهما في النهر**. واستطاعت فتاة أن تهرب من بيت كانوا قد صبّوا فيه الوقود وأشعلوا فيه النار. احترق جلد الفتاة وفقدت شعرها **وصارت كجرح قبيح متقيّح، وتبدو كشبح مرعب أو هيكلّ عظمي مخيف**. ولكن تمّ إنقاذ حياتها، وهي تُعالج الآن في مستشفى (لوبليانا)، وتقول:

"سأعيش لأكون شهادة حية"!

* اغتيال الذاكرة الإسلامية

في الفصل الخامس من كتابه الموثّق (**دفاتر العنف المقدّس**)، والذي أطلق عليه عنوان (**اغتيال الذاكرة**)، يبيّن خوان غويتيسولو حقائق سعي ذئاب الهجمة الصربية على مسلمي البوسنة والهرسك إلى حرق ومحق الثقافة الإسلامية بكلّ معالمها، فيتحدّث عن:

"– إصابة مسجد (غازة خزنيف بيه) بـ 86 قذيفة مورتر، وهو المسجد التاريخي الذي تمّ إنشاؤه عام 1531 ويُعدّ من الأعمال المعمارية العثمانية البلقانية العظيمة. ويقول:

– "ومن أكثر المشاهد بشاعة ما فعلوه في معهد الدراسات الشرقية القديم الذي يضمّ

[1] - لقد وُثّق مثل هذه الحادثة فيلم حديث بعنوان (الوطني) The Patriot مثّل بطولته مِل غيبســون، حيث يعرض الفيلم مشــهداً يروي حشــدَ الإنكلّيز لأهالي قرية صــغيرة في كنيســة في إحدى الولايات الأمريكية حيث أحكموا إغلاق أبوابها وأحرقوا جميع من حبسوه فيها!

مكتبة سراييفو الشهيرة؛ حيث قام المتطرفون القوميون الصرب يوم 28 أغسطس آب 1992 بإطلاق وابل من الصواريخ الحارقة على مبنى المكتبة، فحوّلوا، في ساعات قليلة، جميع محتوياتها الثقافية الثمينة إلى رماد! وكما يصف مكتب إعلام حكومة البوسنة والهرسك هذا العمل، بأنه: "أكثر الأعمال الهمجية الوحشية التي ارتُكبت ضدّ الثقافة الأوروبية منذ الحرب العالمية الثانية"!

إنه اغتيال الذاكرة!

والمطلوب هو إزالة كلّ أثر إسلامي من أرض صربيا الكبرى[1]! وأوّل هذه الآثار كانت المكتبة التي تُمثل ذاكرة الشعب البوسني المسلم؛ لذلك فقد **كان محكوماً عليها أن تفنى حرقاً بنيران التطهير العرقي!**

بعد خمسة قرون تقريباً من حرق المخطوطات العربية الغرناطية في باب الرملة (غرناطة)، تنفيذاً لأمر الكاردينال (ثيستيروس)، تكرر المشهد بشكل أعنف.. لقد **حققوا أحلام أسلافهم بإحراق 5263 مخطوطاً عربياً وتركياً وفارسياً، تبخّرت جميعها إلى الأبد!**

هذا الكنز العظيم الذي تمّ تدميره بهذه الطريقة البشعة يضم أعمالاً في التاريخ والجغرافيا والرحلات؛ والفقه والفلسفة والتصوف والعلوم الطبيعية وعلوم التنجيم والرياضيات والقواميس اللغوية والصرف والنحو ودوواين الشعر، ومؤلفات في الشطرنج والموسيقى..

واليوم **لم يبق من المكتبة سوى هيكلها المفرّغ المحترق وزخارفها التي تساقطت روعتها بقصف الصواريخ** فأضحت بأعمدتها وأقواسها نصف الدائرية، وكوّاتها وشرفاتها كخيوط عنكبوت عملاقة!

---

[1] - إنّ هذا يذكّر بما أعلن عنه البروفيسور الإسرائيلي (آمون راز كراكوتزكين)، حيث قال: "إنّ ما تُطالب به إسرائيل ليس إلغاء النص بقدر ما تُطالب بإلغاء الذاكرة التاريخية.. إنّ المطلوب إلغاء الذاكرة الفلسطينية بشكل عام.." مجلة الدراسات الفلسطينية شتاء عام 1995

إنها الوحشية المبرمجة التي تهدف إلى محو تاريخ أرض لتقيم عليها بناءً من الأكاذيب والأساطير والنسيان! لقد أصابنا العمى والطرش والخرس لأننا سمحنا بتدميرها!" ص 52

*شهادة البوسني اليهودي دافيد كمحي

وهو نائب رئيس الجمعية الإنسانية للثقافة والتعليم اليهودي، وعازف كمان والمقيم مع بقية إخوانه اليهود في القسم البوسني. تحدّث إلى غويتيسولو الذي قال عنه:

" دافيد كمحي هو من أصل إسباني، وهو من أحفاد أولئك الذين طُردوا من شبه الجزيرة الليبيرية عام 1492 وانتشروا في الإمبراطورية العثمانية، ثم استقروا في سراييفو عام 1551، يقول دافيد:

– 'وصل عددنا إلى 14 ألفاً قبل وصول النازي؛ منهم 10 آلاف من السفارديم. البعض ظلّ مختفياً في المدينة، وآخرون عادوا إليها بعد انتهاء الحرب'. ويتابع:

'ولكن في إبريل 1992 كان عدد الطائفة اليهودية 1400 فرداً أكثرهم من السفارديم مثلي؛ وبعد انتهاء التضييق على الديانات بعد موت تيتو، اكتشف كثير أصولهم اليهودية واقتربوا منا. إلاّ أنه بعد أن بدأ الحصار في الخريف الماضي ذهب حوالي سبعمئة، وتبقى ما يقرب من هذا العدد. ونحن لا نرغب في ترك هذا المكان'. ويقول:

'أنا بوسني ويهودي وإسباني.. وإنه لمن المخجل أن تتجاهلنا إسبانيا وأن لا تُقيم علاقات مع البوسنة'! ويُتابع:

'العلاقة بين الطوائف الدينية في البوسنة كانت طيبة جداً. كانوا يُطلقون على سراييفو اسم (أورشليم الصغرى). كان الأطفال المسلمون يأتون للعمل في مشاغلنا الحرفية، ويتعلّمون

فيها الحِرَف. كانت سراييفو خليطاً من الثقافات والأديان والجنسيات المتعددة. في هذا الحي يوجد المعبد اليهودي على بعد خطوات من المسجد؛ والمسجد على بعد خطوات من الكنائس الكاثوليكية والأورثوذوكسية. ولكنهم قد حبسونا جميعاً الآن في (غيتو) معسكر اعتقال جماعي يضم 380 ألف إنسان. من غير المعقول أن تقبل أوروبا هذا بعد القتل الجماعي الذي مارسته النازية!' ويهزّ رأسه مستغرباً:

'المعونات الإنسانية؟! إنها مزحة!

نحن لا نحصل على خُمس ما نحتاج إليه؛ إنها صدقة مهينة. إنهم يُرسلون إلينا البواقي التي لا تصلح للبيع! أولئك المتوحشون الذين يُطلقون علينا قذائفهم بلا تمييز يقتلوننا لأننا نعيش معاً؛ ونُريد أن نواصل الحياة معاً. وأمّا الحديث عن التهديد الإسلامي فهو فِرية من أكاذيب ميلوزوفيتش. المتطرفون الحقيقون هو مليوزوفيتش وعصابته!'" ص 53

*تجّار ومهرّبوا قوات الحماية الدولية!

ويتحدث غويتيسولو عن أنه منذ أكثر من سنة كتب (زلاتكو ديزداريفيتش) أحد صحافيي أوسلو بودي في (يوميات الحرب) عن ممارسة غريبة لقوات الحماية الدولية، فقال:

"وصل اليوم الفرنسيون والكنديون من قوات الحماية الدولية التابعة للأمم المتحدة إلى مطار سراييفو لتأمين التموين اليومي لمهربي المعلبات المحفوظة. والباقي سوف يوزّعونه على الشرفاء من الناس!"

ويعلّق غويتيسولو:

"إنّ تلك الحقيقة قد صدمت الكثيرين في تلك الفترة التي تُعتبر اليوم شيئاً عادياً ومعروفاً

ومعروضاً أمام العامّة في وضح النهار! فبعض أفراد قوات الأمم المتحدة يَثرون من هذه التجارة المربحة، وإنّ جميع الاتهامات تُشير إليهم بوضوح! حيث تحدث الكاتب ديزداريفيتش عن فائدة قوات الحماية تلك بتهكّم فقال: "لماذا لا نُبدي لهم عرفاننا بالجميل؟! هل لأننا لا نملك إمكانية خروجنا من المدينة برفقة ذوي الخوذات الزرقاء مقابل حزمة مُعتبرة من المال؟ ألا يُمكننا—على الأقلّ—أن نشتري منهم بعض ليترات الكيروسين إذا كنّا نملك الثمن المطلوب؟!" ص 56

وبعد أن يذكر غويتيسولو المزيد من أهوال إرهاب جنود الشكناز المرتزقة من حرق الناس وبيوتهم وقتل عائلاتهم، يُحذِّر الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية قائلاً:

"إذا لم يكن هناك وسيلة للخروج من هذا الوضع فإنّ الناس يصيرون خطرين؛ إذ يضطر كلّ إنسان إلى أن يحافظ على حياته؛ ويفقد احترامه للآخرين وينقلب إلى وحش مستنفر! إنّ الإهمال والخيانة الصادرين عن الأمم المتحدة والمجموعة الأوروبية، تقضي على روح التسامح والتعددية التي هي طابع سراييفو الخاص. وإنّ الدفاع البطولي للرئاسة البوسنية والمسلمين والأوفياء الآخرين لفكر علي عزت بيغوفيتش، من أجل مواطنة واحدة في مواجهة السيطرة والعرقية الكرواتية والصربية، تفقد كلّ يوم أرضاً جديدة، كلّما أُحكم الحصار وتمكّن اليأس؛ لأنّ التوتّر النفسي لـ 380 ألف شخص محاصرين في مصيدة الفئران يزداد يوماً بعد يوم، ويتجسّد في شعور بالكراهية والإحباط تجاه قوات الأمم المتحدة!" ص 57

"إنّ الدور المحدود لقوات الأمم المتحدة الضعيفة التسليح والمعرّضة لإرهاب متطرّفي كاراديتش، قد حوّل هذه القوات، أولاً إلى متفرّج؛ ثم بعد ذلك إلى مشارك أخرس في صفّ المعتدي! وهي، بسبب مهمتها المحدودة جداً المنوطة بها، لم تستطع منع استشهاد سراييفو وغيرها من المناطق المحمية المرسومة على الورق بقرار هزلي صادر في واشنطن.

إلاّ أنّ الأسوأ هو استخدام وجود قوات الأمم المتحدة مبرراً للرافضين للتدخل العسكري،

وأعداء رفع حظر السلاح الذي يُعاقب الضحايا بقسوة شديدة! فهم يتعلّلون بأنّ أيّ عمل عنيف يُعرّض حياة العاملين وأفراد القوات الدولية للخطر! ويستخدمون الإعانات الدولية ستاراً كسلاح يحرم المُحاصَرين في سراييفو حقهم الشرعي في الدفاع عن النفس! في حين أنّ هناك من يخرق القوانين الدولية بوضوح: كلّينتون يلقي بصواريخه على العراق متعللاً بالمادة 51 من ميثاق الأمم المتحدة؛ وهو عمل يُقابَل بالتفهّم من جانب الوزارات الخارجية الغربية، وهي ذاتها الوزارات التي ترفض بإصرار أن يحتمي المسلمون البوسنيون بهذه المادّة (حق الدفاع عن النفس) التي قدّ تُوفِّر لهم، على الأقل، الموت بكرامة!

إنّ التعلّل بأنّ إرسال السلاح لإنقاذ بلد مُعتدى عليه يُطيل من أمد الحرب بلا مبرر، ويزيد من معاناة الشعوب يجب أن يسوِّد وجه مفاوض المجموعة الأوروبية (اللورد أوين) بالعار: إذ لولا تدفّق السلاح الضخم الذي أرسله روزفلت إلى بريطانيا، كان يمكن للحرب أن تنتهي عام 1941 بسلام هتلري مفروض كما أنها ستنتهي الآن بسلام مجرمي الحرب الصرب!

وهل أطال رفض تشرشل لقبول (الواقع الجديد) على الخريطة معاناة الشعوب الأوروبية؟ أم أنقذها من عبودية الوحشية التي لا تُطاق؟

إنّ السياسة الغربية تكيل بمعيارين وتقيس بمقياسين، كما تَبيّنَ واضحاً من قضيتي الكويت وفلسطين. ولقد انكشفت هذه السياسة من جديد بشكل بشع في المأسوف عليها يوغوسلافيا: فالقرارات الثلاث والإعلانات الثلاثون لمجلس الأمن في منظمة الأمم المتحدة التي تناولت الاعتداء الصربي أخذت طريقها إلى سلّة المهملات مباشرة!

(مناطق محمية) تُقصف يومياً دون ردّ يُذكر!

مساعدات إنسانية تتعرّض للنهب والمنع فيستولي عليها ويتحكّم فيها إرهابيو كارادیتش!

قناصة مختبئون في المباني والقمم المحيطة بسراييفو يُطلقون رصاصاتهم المحكمة على الأطفال والنساء بكلّ صلف!

هل رفع أحد إصبعه لوقف أعمالهم المتأنية في التطهير؟!

مطلقاً!

لماذا؟!

لأنّ المنطقة التي تجري فيها هذه الأحداث لا تدخل في مناطق (المصالح الحيوية) للولايات المتحدة الأمريكية، ولا المجموعة الأوروبية. ولذلك فإنّ قيمة الإنسان البوسني لا تساوي قيمة برميل النفط الخام في المناطق البترولية!

تلك هي جريمة المسلمين الأوفياء لحكومة سراييفو، وبهذه الطريقة يكفّرون عن جريمة أنهم لا ينتمون إلى دولة نفطية!"

*القوس الأرثوذكسي والحية الإسلامية

ويُتابع خوان غويتيسولو الكاتب الإسباني تحقيقاته فيذكر في (دفاتر العنف المقدّس) ما يلي:

"عقد رئيس أساقفة الكنيسة الأورثوذوكسية الهيلينية في أثينا (المونسينيور سيرافيم) قدّاساً كبيراً للمواعظ الدينية والسياسية في يونيو الماضي. وذلك لتعضيد المتطرّف الصربي رادوفان كاراديتش. وقد شاركت في هذا القداس جميع الأحزاب السياسية، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار! وتصدّرت المنظمات النقابية اليونانية بكاملها منصة الحفل." راجع صحيفة (ليبيراسيون) تاريخ 1993/7/27

ألقى المتحدثون كلّمات حماسية هاجموا فيها (التوسّع الإسلامي) في البلقان، وشرحوا

كيف يُمكن مواجهته! وطمأن أحد الخطباء الحضور بقوله: " يجب إقامة قوس فولاذي أورثوذوكسي لمواجهة الحية الإسلامية"! أي إنه يجب تشكيل قوات شكناز قوية لتكون طليعة للمسيحية في مواجهة الإسلام! .. وهكذا يُضفون على حربهم طابعاً دينياً هدفه تأييد مشروعاتهم الإبادية للسيطرة والهيمنة على لون الصراع الأوروبي القديم ضدّ المسلمين!" ص 60

* من حديث مع قائد الشكناز

" إنّ رسالة كاراديتش التي يكررها بسذاجة (فرانو توجمان) هي 'أنّ جنودهم يُقاتِلون للدفاع عن الأوروبيين ضدّ موجات الإسلام التي سوف تُغرقهم. 'وإنّ الميثولوجيا الصربية تَبعث من جديد زمن الحروب الصليبية الغابرة' كما ذكر لي قائد الشيكناز (رادوكو مالديتش) بمناسبة الحديث عن الهجوم الأخير الذي شنّته قواته على آخر دفاعات جيش الرئاسة البوسنية في جبال بيلاشنكا وايجمان، قال: **'منذ هذه اللحظة يسيطر جيشي على طريق الله'. فالنصر النهائي لمغاوير النقاء العرقي سوف يُكّرس تمزيق البوسنة والهرسك، ويقيم على أشلائها فيدرالية جمهوريات بوسنية صغيرة على أساس عرقي!"**

* من حديث مع رئيس أئمة البوسنة (مصطفى زيتش)

في لقاء له مع رئيس أئمة البوسنة يروي غويتيسولو عنه قوله:

"المسلمون الأكثر انفتاحاً على الآخرين، المتحررون، بل والعلمانيون منهم، يُعَدّون جميعهم (متطرفين) بالنسبة إلى الأوروبيين..

– أنا الوحيد من أعضاء هيئة علماء الدين المسلمين في البوسنة الذي درس في الشرق الأوسط والغرب معاً. وكنت حتى العام الماضي أعتقد بقوّة في القيم الإنسانية لأوروبا، وبأفكارها الديموقراطية. كنت أؤمن بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان؛ وحرية العقيدة في دولها

العلمانية. نعم! كنت أُصدّق المعاني النبيلة التي تتضمنها دساتيرها. وكان الشعب البوسني: (جميع المسلمين، وكثير من الكروات والصرب) يؤمنون بكلّ هذا أيضاً! صدّقت بأني أعيش في دولة متعددة الأجناس والأديان! ولكن منذ مايو 1992 ونحن نُضحّي بحياتنا من أجل مبادئ ميثاق الأمم المتحدة. وماذا حدث؟! بدلاً من أن يساعدونا، **وقفت الحكومات الأوروبية تتفرج علينا—كيف نُباد**، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا! إنهم يسمحون بإبادتنا، ويُنكرون حقنا في الدفاع عن أنفسنا! ولقد طبّقوا علينا حظراً مُحكماً بحيث لا نتمكّن من الدفاع عن أنفسنا في مواجهة الترسانات الضخمة للجيش اليوغوسلافي التي صادرها ميلوزوفيتش وسخّرها لاستخدامه الشخصي!" ويُتابع:

بعد هذه الجرعة المرّة لا أستطيع تصديق الإنسانية الأوروبية! فالأفكار النبيلة التي يحترمها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان قد نفقت في البوسنة! وعشرات الآلاف من الرجال والنساء الذين يدعمون هذه الأفكار يرقدون الآن في انتظار الدفن بعد أن ضاقت بهم مدافن سراييفو! أو تجمع الكثيرَ منهم المقابرُ الجماعية بطول البوسنة وعرضها! أقولها بصوت عالٍ: لقد ماتوا دفاعاً عن تلك المبادئ ولم يُبالِ بهم أحد! أو لعلّهم قد استمعوا فقط إلى كلّمات الإشفاق الزائف من بعض رجال الدولة والدبلوماسيين الأوروبيين!"

ويُتابع:

ما عاد بإمكان الغرب، في المستقبل، أن يُعلّمنا دروساً أخلاقية. لقد سمح لجلادي التطهير العرقي، الذين ركبوا خطّ النازي، بأن يغتصبوا ويقتلوا النساء والأطفال بانتظام، وأن يُقيموا معسكرات الاعتقال، وأن يحوّلوا بكلّ برود ماضينا إلى رماد تذروه رياحهم.

أنتم الذين تُفاخرون بالانتصار على الفاشية؛ ألم تنتبهوا بعد إلى أنها قد عادت من جديد وتُشعل الحرائق في داخل بيوتكم؟!

هل أصابكم الطّرش والعمى فلا تسمعون ولا ترون الوحشية التي تُدمّر سراييفو؟!

تتحدثون عن معاقبة المسؤولين عن الجرائم التي ارتُكبت ضدّ الإنسانية؛ وفي الوقت ذاته تتحاورون معهم بلطافة ولباقة، وتدعمون غزوهم؟!

ألا ترون أنا نحن المعاقبون بالإهمال والقصف والجوع ومنع المساعدات الطبية؟! نحن الضحايا.

لا شكّ في أنّ المسؤولية تقع أوّلاً على ميلوزوفيتش وكاراديتش ومتعصبي صربيا الكبرى، ولكن مسؤولية المجموعة الأوروبية ليست بأقلّ. إنّ حُكوماتها لم تُطبق المبادئ التي تُعلن أنها تؤمن بها، بل هي قد مارست دورها باحتقار الضعيف!

يتحدثون عن المساعدات الإنسانية! ولكن بماذا يُفيد تغذيتنا بالقطّارة إذا كانوا يطلقون أيديهم ليذبحوننا؟!

وفكرة (التهديد الإسلامي) لا يُشيعها الصرب فقط، بل هناك أكثر من سياسي غربي يُعدّ استراتيجيته الخاصّة لمواجهتها!

إنّ جوهر المشكلة يكمن في ذلك؛ لأنّ كثيرين من الأوروبيين ما زالوا يرفعون راية المواجهة التاريخية بين المسيحية والإسلام! إنّ أشباح كوابيس الماضي لا تزال تجثم على وعيهم، والشكناز ينتهزون الفرصة، فيوقظون الرعب الكامن، ويُحيون روح الصليبية، ويُعلنون أنفسهم أبطال أوروبا في مواجهة المسلمين!

كلّ هذا كان يُمكن أن يكون مضحكاً، لولا أنّ الأمر بالنسبة إلينا قد أصبح الآن مسألة حياة أو موت.

الغرب يعتقد أنه يملك زمام الحقيقة والأخلاق والاستقامة! ولكن سياسته تكشف كذب هذا الادعاء يومياً. **فالحقيقة هي أنّ الغرب يريد فرض سيطرته السياسية**

والاقتصادية على جميع الشعوب المسلمة، وعلى جميع دول ما يُسمى بالعالم الثالث بشكل عام! إنه يُحاول بكلّ ما يملك من وسائل أن يمنعنا من أن نتّحد. يريد أن يقنعنا بعدم قدرتنا على حل مشاكلّنا دون مساعدته والاستماع إلى نصائحه! إنه يعرف تفوقه التكنولوجي والاقتصادي والعسكري جيداً، **ولكنه يخشى قوتنا الروحية التي يفتقر إليها!** وهو يعرف جيداً **أنه يفتقر إلى هذه القوة الروحية**". ص 61-63

ويقول الكاتب خوان غويتيسولو أنه عندما سأل هذا المثقف البوسني عن خطّة التقسيم حسب الأصول العرقية، أجاب:

"اللورد (أوين) يفتقر إلى الشرف، ولا يشعر بالخجل! لقد كان تعامله معنا مشيناً؛ **وكانت جميع وعوده لنا أكاذيب تتبعها تهديدات وإرهاب** ليُجبرنا على الخضوع للقوّة وقبول ما يُسميه (الواقع الجديد)! لم يعترف أبداً بأنّ البوسنة دولة ذات سيادة. إنّه مثال للرجل الذي يفتقر إلى المبادئ، **والعاجز عن تبيّن المجرم من الضحية،** بل هو مشارك ومُحرِّض نَشِط للمجرم"! ص 63

" ويعترف (مصطفى زيتش) قائلاً: 'إنّ الموقف صعب للغاية؛ فالشكناز يُغذّون جحيم المواجهة الاجتماعية بشكل يومي. **يُريدون إزالة الرحمة من قلوبنا**؛ فشعورنا بها يثير أحقادهم لأننا لا نتّبع الوسائل التي يستخدمونها. لذلك **يجب أن نكون أقوياء دون أن نتخلّى عن شعورنا الإنساني؛ وأن نمنعهم من القضاء علينا أو تشريدنا كالفلسطينيين.** إنهم يريدون محو الإسلام من منطقة البلقان. أما بالنسبة إلينا فقد آن الأوان لأنْ نتخلّى عن مثاليات ميتة، **وأن نُحافظ على وجودنا وإيماننا.**" (دفاتر العنف المقدّس) للكاتب الإسباني خوان غويتيسولو ترجمة الدكتور طلعت شاهين، الناشر مصر العربية للنشر والتوزيع ط أولى 1996

وهكذا فإنّ دعوى حضارية السياسة الغربية الأوروبية أو الأمريكية سقطت

جثّة شلاء في البوسنة والهرسك: مضرّجة بدماء الأطفال، وملعونة بانتهاكات شرف النساء، ومُدانة بأرواح جميع الأبرياء من شبابِ وشيوخِ شعبٍ أراد العيش في وطنه حرّاً بدينه ومُعتقده، مسالماً وصائناً لحرية وعقائد الآخرين، فأبوا إلاّ أن يقتلوه خوفاً من شرف دعواه، وقوّة إيمانه، وطُهر مقاصده، فهبّوا بأنيابٍ زرقاء مسمومةٍ لتطهير الأرض من

أريج الشرف، وطهارة الإيمان، وقوّة العقيدة!

بدعوى التطهير العرقي **شربوا دم الأبرياء حتى ثملوا!** وبدعوى التطهير العرقي **انتهكوا أعراض المسلمات حتى أُتخموا!**

وبدعوى الإنسانية والحضارة الغربية **قطّعوا أوصال الأطفال وقتلوهم أمام أعين أمهاتهم!**

وأَفعموا جوّ أوروبا بتيه القتل الطاغي:

* همسات وجدانية *

استراحة!

"لِكلّ طفلٍ شاردٍ رصاصةٌ،
وكلّ بيتٍ قُنبلهْ؛
وكلّ منهوبٍ مُدافِعٍ
شظيّةٌ صِربيةٌ لِتَقتُلَهْ،
وفاجر مُنفَجِرٌ بالشَّبَقِ
لكلّ بنتٍ مُسلمهْ،
لِيَرتَوي منها فيأتي آخَرُ
وهكذا ..
تُباح مُسلماتُ البوسِنه
لِصَبوَةِ الجنودِ من بلادِ الصّرب
بين كلّ مجزرهْ
ومجزره!"

دمشق 1993

"(موستار) قرية بوسنية جميلة مَنع الصربُ عنها الماء!"

النهر المرصود

يُحاصِرُ المُقاتلونَ مِن بلادِ الصّربِ والكرواتْ
مدينةً بوسنيةً جميلةً ونهرْ؛
مدينةً مسلمةً مسالمهْ
اسمها (موستار)!
يُحاصرونها بالقتل تمزيقاً
والموتِ تجويعاً
لعلّها تنهارْ..
ويرصدونَ النّهرَ بالقنص المُسدَّد من بعيدْ
ويمنعونَ ماءَهُ بالنارْ:
ليَنفُقَ الصّغارْ
ويهلك النساء والكبارْ
في هجمةِ التطهيرِ والتقتيلِ والإفناءِ في (موستار)!

* * *

مَن يَبكيكِ يا موستارْ:
في جوعِكِ ..
ظمأِك..
ومَوتِكِ المُختارْ،

في السَّمعِ والأبصارْ
من هيئة الأمم
والدّوَلِ (الكبار)
والعالَم المنهار؟!
* * *
يُراقِبون مُخرَسين، هامسين، أو مُشجّعينَ
القَتلَ والتجويع والترويع للكبار والصغار
في وَضَحِ النهارْ
لِيَنفُقَ الأطفال في البوسنهْ
ويَهلكَ النساءُ والأولاد في الجرود والقفار
في هجمةِ المَغول والتجّارِ والتتارْ
ليسحقوا موستار
لأنها مدينةٌ مسلمةٌ مسالمهْ
وتأبى الانهيار!

دمشق 1993

قراصنة الإرهاب الدولي الشامل

(ملفّ الإرهاب الصهيوني المعاصر)

على مدى تاريخها المفضوح، كانت إسرائيل، وما تزال، أُسّ الإرهاب الدولي المُعاصر؛ وبسعيها الحثيث يمدّ أخطبوط الإرهاب الوحشي الهائل استطالاته المتكاثرة كالخلايا السرطانية إلى أيّ مدى مطلوب، فينفث سمومه القاتلة في كلّ ظاهرةِ سلامٍ تتبرعم بسعي البشرية إلى العيش في ظلّ إثمارها، فتُحيلها إسرائيلُ جثةً زرقاء تتعفّن، ثم في الزمن المحدّد لها تتلاشى مسحوقةً، وتصير هباءً!

ليس هذا افتراءً عدوانياً متحمساً، وإنما هو ذِكر لبيانات واقع يعرض وثائقه بجميع أشكالها وفي جميع مواقع الإرهاب وخلفياته، وأسبابه ودواعيه، حتى لو بدا، للوهلة الأولى، ألّا علاقة لذلك الأخطبوط بهذه الواقعة الإرهابية أو تلك!

*نبذة من وقائع الإرهاب الصهيوني الموثّق

ونبدأ بظاهرة تأصيل الإرهاب المعاصر التي أكّدها مناحيم بيغن، رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، حيث يتحدّث عنه (ل. أ. مودجوريان) صاحب كتاب (**الإرهاب أكاذيب وحقائق**)، فيقول:

"وأما الإرهابي الصهيوني (مناحيم بيغن) الذي يترأس الحكومة الإسرائيلية حالياً فقد أكّد في مذكّراته، وبدون خجل أنّ أساليب الإرهاب والاغتصاب التي لجأ إليها الصهاينة في مرحلة النضال لتأسيس الدولة الإسرائيلية قد اعتُبرت **الوسيلة الوحيدة** لتحقيق الأهداف القومية في فلسطين". ص 7

ويُتابع الباحث مودجوريان تقريره عن (مناحيم بيغن) في تأكيده على الأصالة الإرهابية في السياسة الصهيونية، فيقول:

"كما بدت عنجهية (بيغن) من خلال وصف عمليات الإبادة الجماعية ضد السكان العرب عند تدمير قرية دير ياسين عام 1948، وتدبير الانفجار الذي حصل في فندق الملك داوود في القدس (مركز الدوائر البريطانية) آنذاك، وذلك في عام 1946 مدّعياً أنّ هذه العمليات وغيرها من عمليات الإرهاب المدبّرة من قِبل منظمته الإرهابية (منظّمة جيش الأمة) أو ما يسمى بـ (الأرغون) قد **جاءت لرفع الروح المعنوية الحربية لليهود**". ص 7

Begin M. The Resalt. Tel-Asrise, 1977, P.60.

إذن قد كان الهدف من القتل الإسرائيلي وذبحهم العربَ الفلسطينيين هو رفع الروح المعنوية لليهود!

تعالوا نرى وقائع عمليات **رفع الروح المعنوية الحربية لليهود** التي تمّت على أيدي قراصنة الإرهاب الصهيوني؛ سواءً ما تمّ تنفيذه **بتفجيرٍ** قامت به المجموعات الإرهابية الصهيونية، أو بقصفٍ قام به ما يُسمّى بـ (جيش الدفاع الإسرائيلي)، أو قتلٍ عشوائي برصاص وسكاكين المستوطنين الإسرائيليين (المسالمين)!

لقد كلّف **رفع الروح المعنوية الحربية لليهود** إخوتنا العرب الفلسطينيين، فقط بدئاً من 1948 المذابح التالية:

* المذابح الإسرائيلية في فلسطين

- مذبحة دير ياسين وطبريا وناصر الدين عام 1948

- مذابح وادي عربة عام 1950

- مذبحة شرفات عام 1951

- مذابح عيد الميلاد في منطقة بيت لحم عام 1952

- مذبحة قبية عام 1953

- محاولة تدمير نحّالين عام 1954

- مذبحة الأطفال في وادي فوكين ودير أيوب عام 1954

- الهجوم البربري على غزّة عام 1954

- الهجوم المركّز على خان يونس عام 1955

- تكرر الهجوم على غزّة عام 1956

- المذبحة الرهيبة في كفر قاسم آخر عام 1956 ليلة الهجوم الثلاثي على سيناء

- عدوانهم على قرية التوافيق عام 1960

- ثم العدوان على قرية النقيب عام 1962 بالإضافة إلى سلسلة مستمرة من الهجمات العدوانية توجوها بعدوانهم الغاشم عام 1967.

إذن العدوان بالقتل والذبح والإرهاب هو غذاء الروح المعنوية الحربية لمؤسسة الإرهاب الصهيونية المسمّاة بـ (جيش الدفاع الإسرائيلي)، أو الموساد وما يتبعهما أو ينبثق عنهما من منظمات إرهابية على مستوى الدولة الصهيونية ومستوطنيها!

في كتابه (**تاريخ الصهيونية**) يؤكّد (و. لاكر)، رئيس المجلس الدولي لمركز الأبحاث الاستراتيجية الدولية في واشنطن، مصداقية البيان الإرهابي لـ (بيغن)، فيقول:

"إنّ الحكومات الوطنية لا يُمكنها أن تتطور عبر التاريخ عن طريق التطور السلمي والعقود القانونية، وإنما تتطور بعد الاعتداء والاستعمار والاغتصاب والصراع المسلح.. حيث يلزم لتكوين الحكومات القيام بعمليات الظلم، كما يلزم: إما ابتلاع السكان المحليين، أو تجنيسهم، أو إبادتهم أو تهجيرهم."

Laqueur W.A. History of Zionism. London, 1972, P. 596 - 597

ورغم أنّ الإرهاب الصهيوني المعاصر سابق على قضية فلسطين[1] حيث يعود تاريخه إلى تآمرهم على القيصر الروسي اسكندر الثاني وقتله عام 1881 على أيدي إرهابيين من منظمة "**عشاق صهيون**"، إلاّ أنّ إرهاب الصهاينة الشرس قد كشّر عن أنيابه الزرق منذ أن بدأ يسيل لعاب أطماع ساسته على فلسطين من خلال **وعد بلفور** الذي نشرته بريطانيا في تشرين الثاني من عام 1917. وكان الصهاينة آنذاك يركّزون على دعوة الصهيوني (تيودور هرتزل) إلى تأسيس دولة صهونية في فلسطين. وأمّا الصورة التي دعى إليها (هرتزل) من خلال مقولته الشهيرة: "**أرض بلا شعب لشعب بلا أرض**"، فهي تصريحه الشهير، بلا أدنى إنسانية أو حياء، إذ يقول:

" لنفترض على سبيل المثال أنه يتوجّب علينا تنظيف البلد من الوحوش الضارية. فنحن

---

[1] - يُثبت التاريخ بأنّ تاريخ المنظمات الإرهابية اليهودية يعود إلى أيام النبي سليمان عليه السلام، وهو ما ذُكر في قصّة هاروت وماروت. أنظر في ذلك كتابنا (أبناء آدم من الجن والشياطين).

لن نقوم آنذاك بأداء هذه المهمّة كما فعل الأوروبيون في القرن الخامس؛ إننا لن نكتفي بإطلاق السهام والرماح ومُطاردة الدببة؛ بل سوف نُنظّم طرداً واسعاً جبّاراً، فنطرد الوحوش ونُلقي عليها قنابل شديدة الانفجار". [133]

W. Laqueur, The Israel-Arab Reader, N. Y., 1971 P. 10

ولقد كانت (غولدا مائير)، رئيسة وزراء إسرائيل الشهيرة، أشدّ وحشية من (تيودور هيرتزل) حين رفضت أن تعتبر، أساساً، أنّ ثمة شعب يوجد في فلسطين، فقالت:

"لم يكن الأمر هكذا، كما لو أنّ شعباً فلسطينياً، ما، كان هناك في فلسطين.. ونحن جئنا فطردناه واستولينا على بلده؛ كلا. بل إنه لم يكن موجوداً أصلاً".

Moshe Menuhin Speaks on Eretz Israel, The Arab World. N. Y., August-September, 1971, P. 6.

إنها نظرة الصهاينة (**الجويش**) إلى غيرهم من البشر على أنهم مجرد (**غوييم**)، أي: بهائم في أشكال بشرية. ورغم أنه يصعب كثيراً على العقل المعاصر تصديق صدور مثل هذا التصوّر عن أية أمّة أو شعب، إلاّ أن تصاريح وممارسات الساسة الصهاينة، وحتى بعض البارزين من كتّابهم ومفكّريهم، تنمّ عن مثل هذا التصوّر، وهم، بلا شكّ، يشكّلون في هذا التصور شذوذاً بشرياً فريداً من نوعه! نقرأ في الصفحة 66 من محضر (الاجتماع الثامن) من (**بروتوكولات حكماء صهيون**) للناشر الإنكلّيزي (فيكتور مارسدن)، أنّ الصهاينة ينظرون إلى روح غيرهم من البشر على أنها روح بهائم لا تَعقل، حيث يقولون في مقرراتهم المذكورة آنفاً:

"روح الغوييم بهيمية محضة؛ فهي ترى ولكن لا تتوقّع أبداً، وإنّ اختراعاتها ذات طابع

مادي حصراً. وينجم عن هذا كلّه أنّ الطبيعة ذاتها قد اختارتنا منذ الأزل لقيادة الـ (غوييم) وحكم العالم". / ص 66 من (المحضر الثامن).

ويعبّر الطبيب وعالم اللاهوت والفيلسوف الصهيوني (موسى ميمونيد) في مؤلَّفه (دليل التائهين) عن النظرة الشّاذة نفسها، فيقول:

"بعض الأتراك والبدو الرحّل في الشمال، والزنوج، والبدو الرّحّل في الجنوب، ومن يشابهونهم في بلادنا؛ طبيعتهم كطبيعة الحيوانات الخرساء، وأنا أرى أنهم ليسوا في مستوى الكائنات البشرية؛ غير أنهم فوق مستوى الحمار، لأنّ لهم صوَراً وشَبَهاً بالإنسان أكثر من الحمار..". / (موسى ميمونيد) في مؤلّفه (دليل التائهين) الكتاب الثالث الفصل 51 ص 37 عن بروتوكولات حكماء صهيون لـ (عجاج نويهض) ص 41

وتُعلن بروتكولات شيوخ الصهاينة حقارة شأن غير اليهود من البشر الذين يسمونهم (الغوييم) فتنصّ في محضر الاجتماع الخامس عشر الصفحة 95 على المبدأ أو التشريع التالي:

"لقد أعدَّ حُكماؤنا خطط استعباد (الغوييم)، وأعطونا هذا المبدأ الأساس: وهو ألاّ نقف أمام الوسائل؛ ويأمروننا بأن لا نقيم وزناً لعدد الضحايا الذين نُضحّي بهم لتحقيق قضيتنا النافعة الجادة. ونحن لم نحسب عدد (الغوييم) الذين كانوا يسقطون على دربنا".

ولا تقف الوحشية الصهيونية عند حدّ قتل (الغوييم) بلا حساب، بل تتعداها إلى التضحية حتى بأهلهم من اليهود (الجويش) من خلال مبدأ الغاية تبرر الوسيلة الذي رفعوه منهاجاً لتطبيق إرهابهم، حيث نقرأ في الصفحة 69 من (محضر الاجتماع التاسع) لبروتوكولاتهم:

"الغاية تُبرر الوسيلة.**ولقد كلّفَنا هذا التَّضحية بالكثير من أهلنا**؛ وكلّ واحد من هذه الضحايا يُساوي، أمام الله، الآلاف من (الغوييم)".

إذن مِن تبيُّن هذه الروح الإرهابية التي أطلقها شيوخ صهيون سياسةً عقائديةً تدعمها المنظمات الإرهابية الصهيونية المختلفة، بالإضافة إلى إرهاب الدولة نستطيع أن نتفهّم حقائق وبواعث الإرهاب الذي مارسه الصهاينة قبيل احتلال فلسطيننا العربية وبعده على الشكل التالي:

* الإرهاب الصهيوني ضدّ الانتداب البريطاني وساسته

بالرغم من تعهد البريطانيين لليهود، من خلال (وعد بلفور) الشهير بإعطائهم موطناً في فلسطين، إلاّ أنّ العلاقات بين الحكومة البريطانية والقادة الصهاينة ساءت بشكل واضح منذ عام 1939، وذلك عقب صدور (الكتاب الأبيض) البريطاني الذي حدّ من هجرة اليهود إلى فلسطين. وفَور بدء الحرب العالمية الثانية سعى القادة الصهاينة إلى الحصول على موافقة بريطانيا لتأسيس جيش يهودي.

في 20 أيلول من عام 1949 وافقت الوزارة الحربية البريطانية على تأسيس لواء يعمل قرب فلسطين تحت الراية الصهيونية. وبعد شهر واحد فقط من تأسيس هذا الجيش الذي كان جميع عناصره من منظمة (الهاجانا)، أي في تشرين أول عام 1944 طالب فرع الوكالة اليهودية في لندن الحكومة البريطانية بالاعتراف بفلسطين كـ (كومونولث) يهودي والسماح بدخول مليون ونصف المليون من المهاجرين اليهود إلى فلسطين!

كانت جميع الدلائل أمام بريطانيا تُشير إلى أنها لو استجابت إلى طلب القيادة الصهيونية، لأضاعت سيطرتها على فلسطين كلّياً. وفَتَرت العلاقات بين الساسة الصهاينة وبريطانيا نهائياً عندما تأكد الإنكلّيز أنّ الصهاينة بدؤوا بالتمرّد عليهم سرّاً وعلناً، وكذلك عندما تأكد الصهاينة أنّ الإنكلّيز لن يتنازلوا عن فلسطين طوعاً. عند ذلك، قررت الإدارة الصهيونية والمنظمات الإرهابية القيام بارتكاب سلسلة من الأعمال الإرهابية ضدّ الإنكلّيز والعرب، وكذلك ضدّ مراقبي منظمة هيئة الأمم المتحدة الذين وقفوا في طريق تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين، فجاءت عملياتهم الإرهابية على النحو التالي:

- في شباط 1944 نفّذ الإرهابيون الصهاينة عدّة انفجارات في إدارات الهجرة في القدس وحيفا وتل أبيب. ثم نفّذوا بعد ذلك بشهر واحد انفجارات أخرى في مراكز التحقيق في يافا وحيفا التي كان عليها أن تحقق في جرائم منظمة (الأرغون) الإرهابية.

- في نيسان من العام 1944 أيضاً، احتل الإرهابيون الصهاينة إذاعة الانتداب البريطاني في (رام الله). وفي آب قاموا بالاعتداء على حياة المندوب العسكري البريطاني في فلسطين (هارولد ماك – مايكلّ).

- في 6 تشرين الثاني 1944 قام عنصران من عصابة (شتيرن) الإرهابية الصهيونية، وهما (إلياهو حكيم)، (وإلياهو بيت تسوري) بقتل الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط في القاهرة، (غينيس موين). بعد ذلك بعام، حَكَم القاضي البريطاني في مصر على القتلة بالإعدام، وتمّ تنفيذ الحكم هناك في 25

حزيران من عام 1945، وقد بادلت الحكومة الإسرائيلية جثث بعض الإرهابيين المقتولين بعشرين ضابط مصري، ثم قامت بترقية الإرهابيين إلى رتبة رائد في الجيش الإسرائيلي، ودفنت جثثهم في (رواق الأبطال) في مُتحف القدس حيث يُدفن قادة النضال من أجل استقلال إسرائيل!

- في 4 تشرين الأول من عام 1945 بدأت إذاعة (الهاجانا) (صوت إسرائيل) بحملة واسعة ضد السياسة البريطانية. واستمرّ مسلسل الإرهاب الصهيوني الموجّه ضدّ الإنكلّيز، حيث قُتل 127 جندياً بريطانياً من جرّاء قيام الإرهابيين الصهاينة بوضع القنابل والمتفجّرات في المقاهي والباصات والفنادق.

- في حزيران 1946 اختطف الإرهابيون اثنين من الجنود البريطانيين وشنقوهما في (ناتانيا) وألقوا بجثتيهما في الأقذار مشيرين بذلك إلى غضبهم بسبب إعدام القاتلين (إلياهو حكيم)، و(إلياهو تسوري).

- في 21 تموز من عام 1946 قام إرهابيون من منظّمة (الأرغون) بإشراف (ميناحيم بيغن)، بوضع قنبلة شديدة الانفجار في فندق الملك داوود الذي كان آنئذ مقر قيادة الانتداب البريطاني. قَتَل الصهاينة في هذا التفجير مائتي شخص معظمهم من الإنكلّيز وكان بينهم عدد من العرب واليهود العاملين في خدمة المقر، وجُرح الكثيرون.

- في آذار 1947 قامت منظمة (الإرغون) الصهيونية الإرهابية بمهاجمة وتفجير بناء (غولدشميث) حيث نادي الضباط الإنكلّيز؛ وقد قُتل وجُرح في هذا الهجوم

الإرهابي ما يزيد على ثمانين شخصاً من الإنكلّيز. وفي آذار أيضاً ومن العام ذاته قام الإرهابيون الصهيانة بنسف بناء القيادة العامة والحامية البريطانية.

- في نيسان من عام 1948 وقُبيل جلاء القوات الإنكلّيزية، قام الإرهابيون الصهاينة بتنفيذ عدّة تفجيرات في فندق سمير أميس في القدس وفي طبرياس أدّت إلى سقوط العديد من الضحايا[1].

* الاغتيال الإرهابي الصهيوني بأسلوب الرسائل المتفجّرة

أبدع الإرهابيون الصهاينة أسلوب اغتيال جديد، لم يعهده العالم من قبل، وهو استخدام البريد والرسائل المتفجّرة لقتل المقاومين الشرفاء من الناس، أو الرافضين للسير في ركاب إرهابهم وخدمة مقاصدهم الإرهابية الشنيعة. ولقد استخدموا هذا الأسلوب الغادر في أواخر الأربعينات.

انفجرت أولى هذه الرسائل، قبل موعدها، في البريد المركزي في لندن، مما أدّى إلى جرح شخصين وإلحاق الأذى في البناء. كانت هذه الرسالة موجّهة إلى ضابط ذي رتبة عالية في المخابرات الإنكلّيزية، ومُرسلة من منطقة (إِيري) لتكوين تصور أنها قد أُرسلت من (أيرلندة)؛ غير أنّ هيئة رقابة الرسائل قد أكّدت بأنّ الرسائل المتفجّرة، الموجهة إلى العديد من السياسيين والعسكريين الإنكلّيز الكبار، كانت قادمة من (تورين) في إيطاليا، وذلك في 5 أيلول سبتمبر 1947. ولقد كانت

[1] - (الإرهاب أكاذيب وحقائق) ل. ا. مودجوريان ترجمة المهندسان عبد الرحيم مقداد وماجد بطح. دار دمشق

هذه الرسائل موجّهة إلى الوزير بلا حقيبة (آرتور غرينغورد)، وإلى رئس الوزراء (كلّيمنت إتلي)، والوزراء (ستافورد كريبسو)، و (جون ستارتشي)، والجنرال (إدوارد سبيرس) المندوب البريطاني السابق في سورية ولبنان[1].

استمرّ الإرهابيون الصهاينة في إرسال رسائلهم المتفجّرة الحاملة للقتل والتمزيق حتى إلى ما بعد اتخاذ الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار القاضي بإنهاء الانتداب الإنكلّيزي على فلسطين وإقامة دولتين على أرضها—**لقد عبّروا بفعلهم هذا عن تعطّشهم إلى الانتقام!**

انفجرت إحدى الرسائل-القنابل التالية، في إنكلّترا أيضاً وقتلت (ريكس فيران) عام 1948، وكان ذلك بمثابة انتقام الصهاينة منه لنشاطه ضدّ أعمالهم الإرهابية في فلسطين. ولقد كانت عصابة (شتيرن) الإرهابية تُهدد بالقتل علنا وتُنفّذ ذلك بكلّ عزم وترصّد وإصرار. فبعد مقتل (ريكس فيران بأسبوعين) أرسل هؤلاء الإرهابيون رسالة متفجّرة إلى منزل الجنرال (إيفلين بركر) في إنكلّترا، وقد كان قائداً سابقاً للجيش في فلسطين. تسلّمت زوجته الرسالة بحذر واستدعت الشرطة فوراً. وتابع الصهاينة محاولات قتلٍ عديدة ضدّ عدد آخر من الزعماء البارزين، ولقد كان منهم، على سبيل المثال، (آرنست بيفن) وزير الخارجية البريطاني الذي وقف ضدّ تأسيس الدولة اليهودية؛ ولكنّ جميع تلك المحاولات باءت بالفشل.

وهكذا فقد نجح الإرهاب الصهيوني بجعل الأرض تميد تحت أقدام المستعمرين

---

[1] - المرجع السابق ص 148

الإنكلّيز الذين استطاع الصهاينة إزاحتهم، بعد أن كانوا قد عزّزوا قوّتهم تحت أجنحتهم وفي ظلّ حمايتهم، وبدعم متواصل من الولايات المتّحدة الأمريكية.

* اقتراح مخلص

وأسوة بما فعلت الولايات المتحدة، بمساعدة بريطانيا العظمى، في أفغانستان، وتنوى أن تفعل في كوريا وإيران والعراق وغيرها من الدول والكيانات[1] التي تنتقيها، فإنني أقترح على الحكومة البريطانية، انطلاقاً من عدالتها، وحبّاً بأبنائها وقتلاها، أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني العتيد، وتدرس من جديد ملفّات القتلى من أبنائها وضباطها وجنودها الذين اغتالهم الصهاينة في تلك العمليات الإرهابية الشهيرة؛ ثم تبدأ بمحاكمة الإرهابيين المسؤولين الذين قاموا بسفك دم أولئك المغدورين البريطانيين الذين مزّقتهم تفجيرات الإرهاب الصهيوني المعاصر. ولا شكّ في أنها إن فعَلَت ذلك فسيقوم المجتمع الدولي بأكمله بدعمها ومُساعدتها لتحقيق العدالة، وذلك انطلاقاً من الموقف الدولي الشامل ضدّ الإرهاب الذي تدعو إليه الولايات المتّحدة الأمريكية ودول منظومتها!

* الإرهاب الصهيوني السافر ضدّ العرب

ورغم أنّ جميع تلك العمليات الإرهابية الشهيرة قدّ نفّذها الصهاينة ضدّ المخالفين لهم من الساسة الإنكلّيز، إلاّ أنّ هدفهم الأوّل كان العرب من سكان

[1] - من منطلق دعوى أمريكا، وبحسب مزاجها السياسي المتقلّب بحسب المصلحة، أنّ هذه دولاً إرهابية.

فلسطين؛ حيث كان المستعمرون الصهاينة الجدد يطمحون، بإرهابهم المنظّم، إلى دفع العرب الفلسطينين إلى الهروب إلى الدول العربية المجاورة، أو إبادتهم بشكل جماعي لتخلية أراضيهم، أو إخضاعهم خضوعاً مطلقاً لهم!

مسلسل العمليات الإرهابية ضد العرب

- في بداية عام 1939 دَسَّ اثنان من الإرهابيين الصهاينة، وهما (إيري) و(يعقوب) قنبلة محشوّة بمسامير وشظايا فولاذية حادّة في سوق عربي. انفجرت القنبلة وأسقطت العديد من الضحايا.

وبعد اتّخاذ الجمعية العامّة للأمم القرار رقم 11/181 بتاريخ 29 تشرين الثاني نوفمبر من عام 1947 القاضي بتقسيم إسرائيل إلى دولتين: عربية ويهودية، اتّخذ الإرهاب الصهيوني الموجّه منحاه الصاعد ضدّ العرب أشكالاً جديدة، كانت على النحو التالي:

- في 31 كانون الثاني من عام 1947 فجّر الصهاينة قنبلة في حيّ يقطُنُه العمال العرب في يافا.

- وفي 4 كانون الثاني 1948 أدّى انفجار قنبلة صهيونية مدسوسة إلى تفجير مقرّ قيادة المنظمة الوطنية العربية.

- وفي صباح 8 نيسان 1948 حاصر إرهابيو (الإرغون) و (شتيرن) قرية دير ياسين وبدؤوا بتنفيذ مجزرتهم الإرهابية الدموية في دير ياسين.

* مجزرة دير ياسين الشهيرة

يصف عضو اللجنة الدولية للصليب الأحمر السويسري (جورج فوستي)[1] هذه المجزرة بقوله:

"حاصر رجال (الإرغون) المسلحون بالبنادق والسكاكين قرية (دير ياسين) الصغيرة قُرب القدس التي يعيش سكّانها الـ 400 شخصاً بسلام مع اليهود المجاورين. أَمَر المحاصِرون، بمكبرات الصوت، السكان العرب بالاستسلام الكامل خلال ربع ساعة. استجاب عدة أشخاص فأخرجوهم ليطردوهم إلى الدول العربية المجاورة، وأمّا من بقي من الرجال والنساء والأطفال فقد أبادوهم جميعاً". أنظر صحيفة لو مانيتيه عدد 29 حزيران 1967 / L'Humanit'e 1967, 29 Juin.

ويُلخّص صاحب كتاب (**إرهابيو الموساد**)[2] بيان مسلسل الإرهاب الصهيوني في فلسطين على يد المنظمات الإرهابية الصهيونية فيقول:

"لقد بات معروفاً اليوم جيداً ما آلت إليه سياسة إسرائيل بالنسبة إلى العرب الفلسطينيين. ولكن حتى في الوقت الذي كانت تُشيع فيه إسرائيل الوعود الطنانة يميناً ويساراً، كان إرهابيو (الهاغانا) والـ (إيرغون تسفاي ليومي) يمارسون، بمباركة قادة الصهاينة **حرق البيوت العربية، وتسميم آبار المياه وردمها، والاغتيال المفاجئ من وراء المنعطفات**، قاهرين بذلك الفلسطينيين على النزوح عن أرضهم الأم.

لقد كان طرد العرب الفلسطينيين واحدة من المهمات الأساسية للصهاينة الذين أتمّوا، من

---

[1] - (الإرهاب حقائق وأكاذيب) / مودجوريان ص 150

[2] - الكاتب والصحفي المحقق فلاديمير ميخائيلوف ص 23 دار التقدّم موسكو.

أجل ذلك، شراء دفعات من الأسلحة من الخارج ونَشَّطوا تشكيلاتهم العسكرية التي كانت مهمتها توسيع رقعة الأرض الخاضعة للصهاينة إلى الحد الأقصى، وذلك قبل الإعلان عن تكوين الدولة الصهيونية. فأعدّت هذه التشكيلات نفسها لاحتمال القيام بعمليات عسكرية إرهابية ضدّ الفلسطينيين.

في 29 تشرين الثاني من 1947 أيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين؛ وكان من المقرر انتهاء فترة إنهاء الانتداب الإنكلّيزي في 15 مايو أيار 1948 والاعتراف باستقلال الدولتين في فترة لا تزيد عن 1 أكتوبر 1948؛ ولكن التشكيلات الصهيونية المسلحة لم تنتظر الإعلان الرسمي وشرعت بطرد العرب عن أراضيهم وبيوتهم في الأراضي التي كان من المقرر أن تكون ضمن الدولة اليهودية! وهكذا بدأت، بعد المصادقة على قرار الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة رقم (181 ب) مباشرة، حربٌ سافرة ضدّ سكان فلسطين، أخذ الإرهابيون الصهاينة على عاتقهم أمْرَ تسعير جحيمها!

وبدءاً من كانون الأول ديسمبر عام 1947 قامت الفصائل الصهيونية الإرهابية مثل (الهاغانا) و (شتيرن) وغيرها بحملة إبادة "تطهيرية" في القرى الفلسطينية مثل (فازة) و(سلامة) و (بئر عباس) و(كاستيل) وغيرها من سكانها العرب العُزّل من السلاح؛ وكان، من ضمن هذا الاجتياح الإرهابي، المجزرة الصهيونية الفظيعة في (دير ياسين) التي نفّذها قَتَلَةُ مجموعتي (شتيرن) و (إيرغون تسفاي ليومي) فأزهقوا أرواح سكانها في واحدة من أبشع وأفظع مذابحهم ضد العرب، حيث يصفها صاحب كتاب (إرهابيو الموساد) كما يلي:

"في فجر 9 نيسان إبريل من عام 1948 تسلل حوالي 120 قاتلاً جزّاراً بصمت شديد إلى قرية (دير ياسين) الفلسطينية. وعندما لاحظ حارس القرية الغافية ذلك أطلق إنذاراً ليهرع الناس إلى الطريق. ولكن ماذا كان بوسع بضع عشرات من الرجال العزّل إلاّ من القليل من البنادق والطبنجات العتيقة، أن يفعلوا في مواجهة إرهابيي الصهاينة المسلحين بمدافع

رشاشة وهاونات وقنابل يديوية!

انهالت رشاشات الإرهابيين بوابل من الرصاص الصهيوني على القرية الوادعة! كانت عاصفة هوجاء حقيقية. وبعد عشر دقائق فقط، انتهى كلّ شيء!

اقتحم الصهاينة الوحوش القرية الغافية وراحوا ينسفون البيوت بالتتالي قاتلين الشيوخ والنساء والأطفال.

"أنجَزوا معظم العمل بالرشاشات والقنابل اليدوية، وأتمّوه بالسكاكين"!

ذلك ما شهد به ممثل الصليب الأحمر الدولي في القدس (رينيه)، وهو أحد أوائل الذين حضروا مكان المذبحة المريعة."

ونَقل ضابط بريطاني التقرير التالي إلى رؤسائه:

"اغتَصب المُهاجمون العديد من الطالبات، ثم قتلوهنّ طعنا بالسكاكين؛ كما ذبحوا الكثير من أطفال العرب الرّضع"!

ويتذكّر محمد عارف سمّور، فيما بعد؛ وكان قد أفلح في النجاة مصادفة، فيما قُتل والداه وأصدقاؤه، وجيرانه وهو مُتخشِّب من الرعب يُشاهد من ملجئه المذبحة الرهيبة بأيدي الصهاينة، قال:

"لم ينج من عائلة (زهران) المكونة من خمسة وعشرين شخصاً سوى نفر واحد. وفي بيت آخر أمسكوا بصبي في السادسة عشرة من عمره اسمه فؤاد. فضمّت الأم ولدها إلى صدرها مذعورة عليه فطعنوه في صدرها، ثم أمضت الأم ما بقي من عمرها في مستشفى المجانين.

وقَتلوا امرأة شابّة وطفلها في الشارع أمام العيون، والقوا جثتيهما على الطريق.

ثم تحوّل القتلة إلى مركز القرية وراحوا يُطلقون النار بسُعر وجنون على كلّ من يرونه أو

يسمعونه!

كانوا مسلحين بقنابل يدوية ورشاشات خفيفة ومدافع رشاشة.

قتلوا عمي (حسن زيدان) وعمتي (فاطمة) التي كانت قد سمعتْ صيحة زوجها فهرعت لنجدته، فقتلوها هي الأخرى.

وفيما كان جارنا (هادي) يجري من بيته نحو صيحات المستغيثين أطلقوا عليه وابلاً من رصاصهم الجبان فقتلوه أيضاً.

وخرج ابن جارنا (محمد)، الذي لم يبلغ من العمر سبعة عشر عاما، باحثاً عن أبيه، فقتلوه؛ وقتلوا أمّه التي ارتمت عليه باكية مرتاعة". عن مجلّة Jeune Afrique العدد 4 نيسان إبريل 1984.

ملأ القتَلةُ الصهاينة الآبار بجثث الضحايا الفلسطينيين الأبرياء حتى حافّاتها؛ وأما أولئك الذين لم تتسع لجثثهم تلك المقابر الفظيعة فقد أحرقوها عند مقالع الأحجار القريبة!

كانت غايتهم الترويع!

ولقد كتب رئيس وزراء إسرائيل الأسبق (ميناحيم بيغن)، حامل جائزة نوبل للسلام، مُشيداً بهذه المذبحة الفظيعة وقتها، قائلاً:

"تقبّلوا تهانيّ بمناسبة التنفيذ الرائع لهذه العملية. وانقلوا امتناني لكلّ الضباط والجنود الذين شاركوا في تنفيذها. إننا، نحن القيادة، نحييكم، ونفخر بالنتائج الباهرة التي حققتموها، وبروحكم القتالية في هذه المعركة غير السهلة؛ وننحني أمام ذكرى أرواح من سقطوا، ونشدّ على أيدي الجرحى. وليعلم الجنود أنّ المكاسب التي تحققت بفضل جهودهم لسوف تُصبح

صفحة جديدة في تاريخ إسرائيل.

قاتلوا حتى النصر الكامل. وليكن الأمر في كلّ مكان كما كان في دير ياسين: يجب الهجوم على العدو والقضاء عليه.

إلهي.. إلهي، لقد اخترتنا من أجل الفتوحات". انتهى تقريظ بيغن / عن مجلة Jeune Afrique العدد 4 نيسان إبريل 1984

ولقد درى العالَمُ بهذه الحفلة التهتّكيّة الدموية التي ما هي إلاّ واحدة من الأفعال الصهيونية الإرهابية الفظيعة! ولكنها ليست الوحيدة، إذ ثمة سلسلة من أعمال الإرهاب والترويع التي قُصد منها تخويف السكان لإكراههم على النزوح عن بيوتهم وأراضيهم ووطنهم فلسطين! وها بيانٌ موجزٌ بما فعل الصهاينة بالفلسطينيين في **الفترة الواقعة ما بين 27 نيسان إلى 15 أيار 1948**، أي عشية حرب فلسطين التي أطلق عليها الصهاينة للتضليل اسم (حرب الاستقلال)!

- في 27 نيسان **1948**، استولت الفصائل الصهيونية المسلّحة على قرية بالقرب من (يافا) طردت منها 5 آلاف فلسطيني. وفي اليوم ذاته، احتلوا مشارف وأحياء (القدس) وطردوا منه 30 ألفاً من الفلسطينيين العرب من بيوتهم.

- في 28 نيسان، احتلت التشكيلاتُ الصهيونية الغاصبة بضعَ قُرى في الجليل وطَردوا منها بالقوة والتهديد جميع سكانها.

- وفي 3، و5، و6 أيار، هاجمت العصابات مجدداً القرى العربية في الجليل بمنطقة بيسان.

- في 7 أيار، أَرغم الصهاينة 25 ألف عربي فلسطيني على النزوح عن بيوتهم وأراضيهم وديارهم في منطقة صفد وضواحيها، بالإكراه وقوّة السلاح.

- في 11 أيار احتلت عصابات (الهاغانا) و (شتيرن) و (إيرغون تسفاي ليومي) يافا وبيسان وضواحيهما وطردوا منها أكثر من 80 ألف فلسطيني.

-في 12 و 13 أيار، قامت التشكيلات الصهيونية المسلحة بـ (عمليات تطهير) في القسم الجنوبي من فلسطين وطردوا 25 ألف فلسطيني من أراضي الجنوب الخصبة.

- في 14 أيار، احتل الصهاينة نتيجة عملية (بن آمي) التي دبرتها المخابرات الصهيونية (اكرا) والقرى المجاورة لها وطَردوا منها بالقوة 30 ألف عربي؛ واستولوا، في الوقت ذاته، على بضعة أحياء في القدس وهجَّروا منها حوالي 15 ألف فلسطيني.

- ومن المعروف أنّ الصهاينة قد أزالوا من وجه الأرض المئات من القرى الفلسطينية لتحويلها إلى مستوطنات نذكر منها قرى وادي ديوز، وأبو باردس، اليافان وكفار بتياس.

- في 23 شباط، هاجم المسلحون الصهاينة ميناء يافا وشرعوا يطلقون النار على المناطق الآهلة بالعرب، ورافق ذلك إعلانهم بمكبرات الصوت للسكان بأن يتركوا منازلهم ويهربوا إلى الدول العربية المجاورة.

* اغتيال الإرهابيين الصهيونيين لممثل الأمم المتحدة 'الكونت

برنادوت،

يقول (مودجوريان) صاحب كتاب (الإرهاب حقائق وأكاذيب) إن الكونت السويدي (فولكة برنادوت) كان قائد بعثة منظمة الأمم المتحدة إلى فلسطين للتحقيق في أسباب الصدام العربي الإسرائيلي. وكان الإسرائيليون يعلمون أنّ الكونت (برنادوت) قد بيَّن في تقريره لمنظمة الأمم المتحدة قائلاً:

"لم تولد الدولة اليهودية في جوّ من السلام كما كان متوقّعاً عندما صدر قرار 29 تشرين الثاني، ولكنها نشأت في جوّ من الإرهاب والعنف"! ص 153

وبما أنّ من سياسة الإرهاب الصهيوني: **إرهابهم** للمخالفين لإسرائيل في الآراء **والانتقام** منهم، فقد كان لا بدّ من أن يدفع (الكونت برنادوت) الثمن الباهظ لتقريره الذي لم يرض عنه قادة الإرهاب الإسرائيليين، فقرروا اغتياله رغم أنف هيئة الأمم المتحدة والأمم التي تدعمها. وهذا ما كان:

في حي (بيبير مان هاوس) النائي في القدس، وفي 17 أيلول سبتمبر 1948 كان (برنادوت) مسافراً في المنطقة المجردة من السلاح باتجاه نقطة التفتيش، في المنطقة اليهودية من القدس، ومعه ممثل السّلطة الإسرائيلية النقيب (هيلمان)، بالإضافة إلى رجالات هيئة الأمم وهم: الرائد البلجيكي (ماسار) من قوات الأمم المتحدة، والعقيد السويدي (فلاك)، ورائد الصليب الأحمر السويدي (دي غيير)، والسيدة (باربرا فيسيل) السكرتيرة الشخصية لمبعوث هيئة الأمم المتحدة في فلسطين (الكونت فولكة برنادوت).

كان الكونت يجلس في السيارة التي كان فيها الضابطان الأمريكيان من قوات الأمم المتحدة، وهما: العقيد (بيغلي) والقائد (كوكس) والجنرال السويدي (آج لوند ستريم) والعقيد الفرنسي (سيور) رئيس مجموعة المراقبين الفرنسيين للأمم المتحدة في فلسطين.

أثناء دخول السيارة—التي لم ينفعها أنّ عليها علم هيئة الأمم المتحدة، وإشارة الصليب الأحمر، والهلال الأحمر—إلى الحي اليهودي في القدس وجد الكونت ومن معه الطريق مُغلقاً بسيارة جيب عسكرية إسرائيلية. قفز ثلاثة منها وتوجّهوا إلى السيارات التي أوقفوها بينما بقي الرابع في السيارة تاركاً محركها دائراً.

أخرج النقيب الإسرائيلي (هيلمان) المرافق لقافلة الكونت رأسه من نافذة السيارة، واثقاً من أنّ القادمين بأسلحتهم هم دورية للشرطة العسكرية الإسرائيلية، وصاح بالعبرية: 'كلّ شيء على ما يُرام أيها الشباب! أزيحوا حاجزكم ودعونا نمرّ؛ نحن نُرافق (الكونت برنادوت) ممثل الأمم المتحدة'!

ولكن واحداً من المسلحين اقترب من السيارة التي فيها الكونت وأطلق ستة عيارات نارية على الكونت (برنادوت) ممثل هيئة الأمم، وعشرين طلقة على العقيد الفرنسي (سيرو) رئيس مجموعة المراقبين الفرنسيين في القدس، الذي فجّرت الرصاصات رأسه ومزّقت ملامح وجهه، المضرّج بدمه الذي سال غزيراً على أرض السيارة وضرّج الذاهلين ممن بقوا فيها!

وهكذا قتل الصهاينة ممثل الأمم المتحدة الذي عندما التقى به الوفد العربي في

16 حزيران 1948عبَّر عن موافقته على مقترحاتهم التالية:

1) أيّ حلّ يُتَّخذ، يجب أن يتوافق وبشكل ديموقراطي مع مطالب شعوب المنطقة.

2) جميع الحجج التي يُثيرها الصهاينة لتبرير استيلائهم على فلسطين لا أساس لها من الواقعية، لأنه إذا انطلقنا من الماضي البعيد، فقد كان لدى العرب حجج أكثر وأبلغ لاستعادة اسبانيا التي حكموها سابقاً، ولمدّة تزيد عن مدّة حكم اليهود.

3) إنّ مردّ الوضع المتأزّم في فلسطين هو سياسة الإرهاب والعدوان التي تلجأ إليها أقلية سكانها الذين ليس لهم أيّ حقٍّ شرعي فيها خاصّة وأنّ القسم اليهودي في فلسطين يتكوّن بشكل رئيس من المهاجرين الذين لا يمتّون إلى فلسطين ولا إلى منطقة الشرق الأوسط بصلة.

فقال (برنادوت) في تقريره لمنظمة الأمم المتحدة:

"لم تولد الدولة اليهودية في جوّ من السلام كما كان متوقّعاً عندما صدر قرار 29 تشرين الثاني، ولكنها نشأت في جوّ من الإرهاب والعنف"!

قال هذا فقتلوه!

ولذلك فإنّ على (عدالة) هيئة الأمم المتّحدة أن تفتح ملفّ ممثلها الذي اغتاله الإرهاب الصهيوني، وتطلب معاقبة إسرائيل بشدة وحزم، أسوةً بالعقاب الذي أنزلوه على أفغانستان، والعقاب الذي يدبّرونه لغيرها من الدول.

*الإرهاب الصهيوني خارج فلسطين

قد تبدّى للعالم بشكل واضح من خلال بطشة الإرهاب الصهيوني بـ(لبنان البطل)، كيف أنّ إسرائيل لا تحتمل أن يُدين أحدٌ جرائمَها؛ وأنها تُعِدّ ويلَ الإرهاب لكلّ من تُسوّل له نفسه بإدانتها في أية جريمة ترتكبها!

* ذَبْحَ الصهاينةُ لعدد من الطّلابَ في أفريقيا

- ذَبَحَتْ (**طلائع الاقتحام**) الصهيونية—التي شكلتها منظمة الدفاع عن اليهود، في جامعة (فيتفاترسراند) في جوهانسبورغ في جنوب أفريقيا—مجموعةً من الطلاب الذين أدانوا جرائم إسرائيل في لبنان، حيث قامت هذه الطلائع الإرهابية باصطياد المشاركين في مؤتمر التضامن مع منظمة التحرير الفلسطينية الذي عُقد في 5 آب 1982. ولقد كتبت صحيفة (ديلي نيوز) الصادرة في جوهانسبورغ: أنّ مجموعات صهيونية كانت تُهاجم الأفارقة والملونين من الطّلبة في ممرات حدائق الجامعة، وكانت تُهدّدهم بالعقوبة الجسدية.

ولذلك فإنّه يحق ويجب على حكومة جنوب أفريقيا أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني في أراضيها، وأن تطالب بمحاكمة إسرائيل لمعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية ومنظومتها بأفغانستان، وتنوى أن تفعل بدول أخرى في مناطق أخرى من العالم.

– الإرهاب الصهيوني في نيويورك، والموجّه ضدّ فرنسا:

وفي الوقت الذي كان يُلقي فيه الإسرائيليون قنابلهم الغادرة على السكان

الآمنين في لبنان وينشرون القتل في الشيوخ والنساء والأطفال العُزّل، يجتاحون المدن ويُدمّرون القرى؛ كانت مجموعة من الشبان الصهاينة تقوم بأعمالها الإرهابية الاستفزازية في الولايات المتحدة الأمريكية. ففي مساء 5 تموز 1982 قاموا، **في ولاية نيويورك الأمريكية**، بإلقاء القنابل الثقيلة، وفي سرعة خاطفة، على مبنى القنصلية الفرنسية واللبنانية هناك. وقد صرّحت وكالة (الأسوشييتد برِس) أنّ عناصر مسلّحة من منظمة الدفاع عن اليهود قد قاموا بإلقاء القنابل المذكورة، حيث أعلن شخص كان قد اتّصل بالوكالة المذكورة وبلّغها باسم منظمة الدفاع عن اليهود بأنّ: "**عمليات الإرهاب تلك يجب أن تكون بمثابة تحذير للحكومة الفرنسية**"! وتربط وكالة الأنباء (U.B.E.) بشكل مباشر بين تلك الاستفزازات وبين مشروع القرار الذي تقدّمت فيه فرنسا قبل ذلك بأسبوع إلى مجلس الأمن الدّولي حول وجوب إخراج القوات الإسرائيلية من بيروت[1]. وكان الرئيس الفرنسي (فرانسوا ميتيران) قد صرّح، بوضوح، في المؤتمر الصحفي، الذي عقده أثناء زيارته الرسمية لهنغاريا عام 1982، بأنّ فرنسا تعترف: "بحق الشعب الفلسطيني في أرضه"، فقررت إسرائيل مُعاقبة فرنسا على أرض أمريكا[2]!

ولذلك فإنه يحق للشعب الأمريكي، ويجب على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني في أراضيها وأن تعمل على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي في أراضيها، أسوة بما فعلت

[1] - البرافدا 7 تموز 1982

[2] - يجب الانتباه إلى أنّ هذه قد كانت وما تزال سياسة إسرائيل الإرهابية ضدّ كلّ من يقف في وجه مخططاتها الإرهابية التوسّعية، ولذلك فإنّ على دول العالم الحرّ مثل فرنسا، ألمانيا وغيرها أن تحذر جيداً!

(عدالتها) في أفغانستان وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

- الإرهاب الصهيوني في فرنسا:

ونشأت، في فرنسا، في تلك الأثناء، مجموعات احتجاج واسعة ضدّ العدواني الإسرائيلي الهمجي؛ وشارك في هذه المجموعات حتى اليهود الفرنسيون مطالِبين بالنضال من أجل إنهاء السياسة العدوانية الإسرائيلية. ويعلم العالم وقائع سلسلة الأعمال الإرهابية التي نفّذها الصهاينة في ذلك الوقت في فرنسا، وقد جاءت لتؤكّد مقولة (كاري) عن النشاط الإرهابي للمنظمات الإرهابية في فرنسا، التي نذكر منها على سبيل المثال:

- في 9 آب 1982، وفي تمام الساعة الواحدة والربع ظهراً، قام أربعة من نزلاء مطعم (غولد برغ) في شارع (روزيه) **في باريس،** وهو المطعم اليهودي الأكثر شعبية، قاموا بفتح النار من رشاشاتهم، وكانت النتيجة مقتل ستة أشخاص وجرح اثنين وعشرين آخرين.

في اليوم التالي مباشرة، في 10 آب، توجّه رئيس وزراء إسرائيل (مناحيم بيغن) بدعوة إلى الشباب الفرنسي الذين هم من أصل يهودي لتنظيم (**طلائع الدفاع الذاتي)** متذرّعاً بأنّ الحادث الإرهابي في شارع (روزيه) قد جاء نتيجة لانطلاق الخط المعادي للصهيونية.[1]

L'Humanite, 1982. 12 ao'ut.

---

[1] - الإرهاب في خدمة السياسة الخارجية الإسرائيلية / من كتاب الإرهاب أكاذيب وحقائق لمودجوريان ص 138

- وفي سلسة من الأحداث الإرهابية المتلاحقة **في فرنسا** انفجرت قنبلة في 10 آب 1982 في شارع (دولابوم) حيث أُصيبت سيدة بريئة.

- وفي 11 آب من العام ذاته انفجرت قنبلة مدسوسة في إحدى السيارات أمام السفارة العراقية **في باريس** حيث نشب حريق فيها، وأُصيب أربعة من المارّة.

ولذلك فإنه يحق للشعب الفرنسي، ويجب على فرنسا أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني على أراضيها، وملفّ الهجوم بالقنابل على سفارتها في نيويورك، والعمل على محاكمة الحكومة الإسرائيلية ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها بأفغانستان، وتنوي أن تفعل بدول أخرى في مناطق أخرى من العالم.

*الإرهاب الصهيوني المسند لمنظّمة 'الغضب الإلهي' (ميفتساخ إيلوخيم)

في منتصف عام 1982 وفي مواجهة النضال الفلسطيني المتنامي، كونت إسرائيل مجموعة إرهابية جديدة اسمها (ميفتساخ إيلوخيم) أي (الغضب الإلهي) **وأَسندت إليها مهمة الإبادة التامّة لقادة منظمة التحرير الفلسطينية في كافّة الدول في العالم**. وهذا ما كان. وباختصار شديد فقد نفّذ الصهاينة الاغتيالات المطلوبة في الدول العربية والأجنبية، كما يلي:

- في تشرين الأول 1972، أُصيب سكرتير منظمة التحرير الفلسطينية (**مصطفى أبو زيد**) بجراح بالغة على أثر انفجار رسالة ملغومة **في طرابلس**. وقد أصيب أيضاً في ذلك الوقت، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في الجزائر (**أبو خليل**) إذ انفجرت بين يديه رسالة موجّهة إلى مكتب تمثيل المنظمة.

ولذلك فإنه يحق للشعب الليبي، ويجب على ليبيا أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني في أراضيها وأن تعمل على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها في أفغانستان، وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

- وفي 29 تشرين الثاني تلقّى الطالب الفلسطيني (**عدنان حماد**) — الذي كان يدرس الطب في **ألمانيا الغربية** آنذاك—رسالة متفجّرة حَرَمَتْه من يديه كلّياً.

ولذلك فإنه يحق للشعب الألماني، ويجب على ألمانيا أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني على أراضيها وأن تعمل على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها في أفغانستان، وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

- وفي 30 تشرين الثاني من العام ذاته جُرح **في** (**كوبنهاغن**) الشاب الفلسطيني (**أحمد عوض**) نتيجة لتلقيه رسالة متفجّرة.

وبما أن الإرهابيين الصهاينة قد نفّذوا هذه العملية على أرض (الدانيمارك) فإنّ على حكومة (الدانيمارك)، ويحق لشعبها أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني في

أراضيها وأن تعمل على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها في أفغانستان، وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

- وأمّا **في فرنسا**، فقد كان الإرهاب الصهيوني واسع المدى؛ ففي 8 أيلول 1972 استُشهد العربي الفلسطيني (**محمود الهمشري**) ممثّل منظمة التحرير الفلسطينية في باريس نتيجة لانفجار قنبلة ذات تحكم عن بعد تمّ دَسّها تحت جهاز الهاتف في مكتبه.

وفي 6 نيسان 1973 قَتل الإرهابيون المُكلَّفون الدكتور (**باسل القوباصي**) أحد قادة منظمة التحرير الفلسطينية أثناء خروجه من الفندق **وسط باريس**

- وفي 28 حزيران 1973 قتلوا (**محمد بودية**) وهو جزائري الأصل وعضو فعّال في منظّمة التحرير الفلسطينية، وذلك نتيجة لانفجار قنبلة ذات تحكّم عن بُعد دسّها الإرهابيون الصهاينة في سيارته.

- في خريف 1972 نجا من الموت بفضل من الله تعالى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في **باريس** (**عز الدين قلق**) الذي كان قد تلقّى رسالة ملغومة.

- في ليلة 13 من كانون الثاني عام 1976، قامت مجموعة أطلقت على نفسها اسم (**الجبهة اليهودية للدفاع الذاتي**) بإلقاء زجاجات حارقة مُتفجّرة على مخزن الكتاب العربي الذي كان يُديره ممثل منظمة التحرير الفلسطينية آنئذ **في باريس** (**محمود صالح**). وبإصرار إرهابي عريق تابع الصهاينة عزمهم على قتل (محمود

صالح) فاغتالوه في كانون الثاني 1977 بطلقات مسدس إرهابي غادر.

- في 23 تموز 1982 قتل الصهاينة **في باريس** نائب مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية (**فاضل داني**) نتيجة انفجار قنبلة دسّوها في سيارته. ولقد أشارت صحيفة (لومانيتيه) التي أفردت عدّة مقالات عن هذه العملية أنه: خلال السنوات العشر الماضية، من بين ممثلي منظمة التحرير الثمانية الذين قُتلوا ضحية الإرهاب، سبعة منهم قُتلوا في باريس.[1]

* عمليات الإرهاب الصهيوني في إيطاليا

وبما أنّ الإرهاب الصهيوني راسخ في تخطيطه ومُتابعاته المنظّمة، فهو لا يقف عند حدّ ولا يستثني دولة من عملياته الإرهابية المستمرّة حسب اللزوم. ولهذا فقد ضربت الدوائر السرية الإسرائيلية جذوراً عميقة في إيطاليا:

- نشرت صحيفة (بايزيسيرا) الإيطالية في 11 كانون الثاني 1974 أنّ الدوائر السرية الإسرائيلية نظّمت 18 **عملية اعتداء** على قادة النضال الوطني الفلسطيني. **وأشارت الصحيفة إلى أنّ العملاء الإسرائيليين قد أجرموا، وبكلّ وقاحة، في أوروبا الغربية** مستفيدين من مساندة قيادة المخابرات المركزية.

- ومن بين الذين راحوا ضحية الإرهاب الصهيوني **في إيطاليا** (**عادل زعيتر**) ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في روما الذي قُتل بوحشية فظيعة في 16 تشرين الثاني 1972، و(**يوسف كام**) من مصر الذي وُجدت جثته في شباط 1973 عند

[1] - الإرهاب أكاذيب وحقائق ص 170

عتبة الكوليزيه.

في 7 نيسان 1975 أصدر قاضي روما (فرانتشيسكو أماتو) حُكما باعتقال 12 إسرائيلياً بتهمة انتمائهم إلى الدوائر السرية الإسرائيلية، وقد علّل حُكمه هذا بأنّ هؤلاء **قد شاركوا في جرائم القتل التي نُفِّذت في إيطاليا ودول أوروبا الغربية الأخرى منذ مطلع السبعينات**.

ولكن لم تُتخذ إجراءات رادعة فعلية في حق الإرهابيين الصهاينة، فتابعوا قتلهم في روما حيث: اغتالوا (**أبو شرار**) عضو اللجنة المركزية لمنظمة فتح.

ومن المعلوم أيضاً أنّ المحتلون الصهاينة **قد دمّروا**، أثناء احتلالهم بيروت الغربية، **مبنى السفارة الإيطالية** في العاصمة اللبنانية، ولقد فسّر الإيطاليون تلك العملية الإرهابية بأنها انتقام من قِبل إسرائيل للاستقبال الذي جرى في روما لياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية آنئذٍ./ L'umanite, 1981, 5 Sept.

ولذلك فإنه يحق للشعب الإيطالي، ويجب على إيطاليا أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني في أراضيها وأن تعمل على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها في أفغانستان، وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

***استمرار مسلسل القتل الإرهابي الصهيوني في دول العالم:**

- واغتال الإرهابيون الصهاينة **(سعيد حمامي) في لندن** عام 1978.

- واغتالوا (**علي حسن سلامة) في بيروت** عام 1979.

- واغتالوا أيضاً (**أبو صفات**) و (**سمير طوقة**) في **قبرص** عام 1979.

- واغتالوا (**نعيم خاطر) في بروكسل في بلجيكا** عام 1981.

ولذلك فإنه **يحق للشعبين البلجيكي** والقبرصي، ويجب على حكومتيهما أن تفتحا ملفّ الإرهاب الصهيوني في أراضيهما وأن تعملا على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها في أفغانستان، وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

- واغتال الصهاينة في 23 تموز 1973 في (ليليهامير) في (النرويج) المواطن المغربي (**أحمد بوحقة**) ظنّاً منهم أنه (علي حسن سلامة) عضو منظمة التحرير الفلسطينية؛ وقد أُلقي القبض على اثنين من الستة الذين نفّذوا العملية، وذلك في شقة رئيس مفرزة الأمن في السفارة الإسرائيلية في أوسلو والذي طُرد بعدها من (النرويج).

ولذلك فإنه **يحق للشعب النرويجي**، ويجب على (النرويج) أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني في أراضيها وأن تعمل على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها في أفغانستان، وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

- ويروي صاحب كتاب (إرهابيو الموساد)، الصفحة 158، كيف تسلل الإرهابيون الصهاينة إلى بيروت في ليلة 9 نيسان من عام 1973 لتنفيذ مجموعة

عمليات من الاغتيالات لصالح إسرائيل. داهموا شقّة (**محمود يوسف النجار**) أحد أعضاء قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وعالجوه برصاصات رشاشات أردته قتيلاً على الفور؛ ولم يكتفوا بذلك بل قتلوا أيضاً زوجته أمام أعين أطفالها؛ ثم قتلوا الجارة التي أطلّت من الشقة المجاورة.

واقتحمت مجموعة أخرى من هؤلاء المتسللين إلى حيث كان يقيم الشاعر الفلسطيني والشخصية البارزة في منظمة التحرير (**كمال ناصر**)، فقتلوه عن قرب بينما كان جالساً إلى مكتبه، فانبلج دمه يروي وقائع الإرهاب الإسرائيلي الغادر.

* تهديد الخبراء الأجانب:

نحا الإرهاب الصهيوني في مطلع الستينات منحى جديداً في الإرهاب الدولي، إذ ركّزت أجهزته على تهديد الأجانب الذين تُسوّل لهم أنفسهم المساعدة في تطوير قوّة أي بلد عربي. ويعرف العالم قضية العميل والجاسوس الإسرائيلي في مصر (وولف هانس لوتس) الذي زعم أنه رجل أعمال كبير، فأقام في مصر وعرف أسماء العلماء الألمان الغربيين فيها وعناوينهم لتزويد الصهاينة الإرهابيين بها؛ وهو الذي زوّد أيضاً منفّذي عمليات التفجير بالمواد المتفجّرة:

- دسّوا طرداً بريدياً ملغوماً قَتل **العالم الألماني الغربي (ميخائيل كهاوري)** وخمسة رجال ممن كانوا معه.

- وأرسل الإرهابيون، من عملاء الصهاينة، طرداً ملغوماً إلى الدكتور (**باول غيرك**) وفتحته ابنته التي أمضت بقية عمرها مشوّهة بعد ذلك.

- وأرسلوا طرداً بريدياً متفجّراً آخر إلى **البروفيسور الألماني (وولف هانغ بيلتس)** الذي كان يعمل في مصر وأُصيب سكرتيره بجروح بليغة.

ولقد وجّه الإرهابيون، من الصهاينة وعملائهم، إنذارات إلى الخبراء الألمان الغربيين على عناوينهم التي زوّدهم بها الجاسوس (وولف هانس لوتس)؛ وقد جاء في إحدى هذه الرسائل التي وُجِّهت إلى الخبير **(هنري براون) التهديد الإرهابي** المدروس التالي:

"نكتب إليك لنُخبرك أننا قد أدرجنا اسمك في قائمتنا السوداء [1] للعلماء الألمان الذين يعملون في مصر. إننا نعتقد أنّ حياتك غالية عليك، وكذلك حياة زوجتك (إليزابيتا) وولديكما (نيلس) و (ترود)؛ إنّ من مصلحتك ترك العمل لصالح الإنتاج الحربي المصري"[2].

ولم يكن هذا التهديد فارغاً، إذ في أيلول 1962 وفي (ميونيخ) تمّ اعتقال الدكتور (عينتس كروغ) الضابط العامل في (الفيرماخ) والذي كان المصريون قد أَسندوا إليه مهمة شراء معدّات ومواد من أوروبا لصالح إنتاجهم الدفاعي. ومنذ ذلك الوقت لم يُعرف عنه شيء! واختفى على إثر ذلك مباشرة اثنان من العلماء الألمان الغربيين الذين وافقوا على العمل في المصانع المصرية! / الإرهاب حقائق وأكاذيب . مودجوريان ص 173-174

---

[1] - أي قائمة الاغتيالات الإرهابية للخبراء أو عائلاتهم.

[2] - Eisenburg D. Dan U., Landau E. op.cit p. 143

القرصنات الإسرائيلة العالمية

- سرقة السفينة (شيير سبيرغ) وحمولتها من اليورانيوم:

في عام 1958 ظهر في صحراء النقب، بالقرب من بلدة (ديمون) بناء غريب يشبه نصف كرة قدم عملاقة! كان ذلك هو المفاعل النووي الإسرائيلي الذي حاولت حكومة إسرائيل جهدها لإظهار أنه معمل نسيج. ولكنّ حراسة هذا المعمل كانت أكثر مئة مرّة من حراسة أيّ موقع عسكري هامّ آخر؛ فقد سوَّرت الأرض حوله في دائرة نصف قطرها عشرات الكيلومترات مجهزّة بمعدات مراقبة إلكترونية ومدافعات مضادة للطيران، وتمّ إعلان المجال الجوي لها منطقة محرّمة على الطيران.

وكان هذا المفاعل النووي الإسرائيلي بحاجة مستمرّة لليورانيوم.

وشرع الصهاينة بدسّ عملائهم وجواسيسهم لجمع المعلومات في دولٍ مُعيّنة اهتبالاً لفرصة سانحة. فوجدوا أنّ شركة (أسمارا) الألمانية الغربية كانت قد تعاقدت مع الشركة البلجيكية (سوسيتيه جنرال) لشراء 200 طن من اليورانيوم. وفي الساعة الخامسة والدقيقة 45 من صباح 17 تشرين الثاني نوفمبر 1968 كانت السفينة (شيير سبيرغ) راسية وعلى ظهرها 200 طن من اليورانيوم، الذي اشترته شركة (أسمارا)، وهي بانتظار الإذن بالإقلاع على خط سير (آنتفوربن ــ جنوى) في طريقها، وترتفع مرساها في تمام الساعة السادسة تماماً لتُغادر الميناء ولكنّها بعد عدّة أيام، بدلاً من أن تصل إلى الشركة الألمانية، تصل إلى ميناء حيفا في

فلسطين (إسرائيل) وهي تحمل اسم (كركيرا) يرفرف على صاريها علم ليبيريا، وقد ضلّ عنها الباحثون!

إنها قصة التجسس والقرصنة المشهورة التي استطاعت إسرائيل من خلالها سرقة هذه الشحنة الهائلة من اليورانيوم، كما هو معلوم في سجّلات الإرهاب الدولي العالمية.[1]

ولم تكن سرقة اليورانيوم هذه الوحيدة من نوعها؛ فلقد تمّ فقد كميات من اليورانيوم من مصنع في الولايات المتحدة الأمريكية في مدينة أبولو في ولاية بنسلفانيا، حيث حصل هذا المصنع في كانون الأوّل ديسمبر 1957 على امتياز حكومي لمعالجة المواد النووية وراح يُنتج الوقود الذري للغواصات الذرية التابعة للقوات البحرية الأمريكية. وكان المُبادر إلى إنشاء هذا المشروع هو الصهيوني (زالمان شابيرو) رئيس شركة (نيوميك). وهو الذي استطاع تهريب وتمرير كميات من اليورانيوم من هذا المصنع لإسرائيل، ولم تنفع حملات التفتيش والتحقيق إلاّ في تغريم (زالمان شابيرو) غرامة ضَياع مقدارها 1,1 مليون دولار لم يدفعها هو من جيبه الخاصّ![2]

- سرقة زوارق حربية من فرنسا:

في عام 1967 وبسبب العدوان الإسرائيلي على الدول العربية امتنع الجنرال ديغول ومن بعده بومبيدو عن انتاج الزوارق الصاروخية في أحواض شيربورغ التي

[1] - عن (إرهابيو الموساد) لـ فلاديمير ميخائيلوف

[2] - أنظر إرهابيو الموساد لـ فلاديمير ميخئيلوف

كانت قد طلبتها إسرائيل، ومنعوا تصدير أيّ نوع من الأسلحة والذخيرة إلى إسرائيل العدوانية.

ولكن إسرائيل خطّطت لسرقة الزوارق من خلال شركة مزوّرة، وشارك الدوبلوماسيون الإسرائيليون في فرنسا في هذه العملية، فقرروا الحصول على الموافقة بإطلاق ثلاثة زوارق في المحيط على أن تُزوَّد بالوقود في إسرائيل. وكان قد بقي في ذلك الوقت في شيربورغ خمسة زوارق لشركة الزوارق النرويجية (ستيربوت آند أويل). لم تُعارض الحكومة الفرنسية هذه الصفقة، ولكن عند تجريب هذه الزوارق المشتراة من الشركة المزيّفة انطلق عملاء إسرائيل بها إلى الشرق الأوسط لإضافتها إلى زوارق الحرب الإسرائيلية. استاءت فرنسا كثيراً من هذه العملية التي تمت في 4 كانون الثاني من عام 1969 بقيادة الملحق العسكري الإسرائيلي في باريس (ليمون) الذي اعتبرته الحكومة الفرنسية جاسوساً صهيونياً وطلبت منه مغادرة البلاد. Eiisenberg D., Dan U., Landau E. op.cit., p. 196-208

- سرقة مخططات طائرات الميراج الفرنسية المقاتلة:

بعد أن حُرِمت إسرائيل من شراء المقاتلات الفرنسية (الميراج) الحديثة، بدأت حكومتها بالتخطيط للخروج من هذا المأزق بأيّ ثمن. قادهم البحث إلى زيوريخ حيث تمكّنت الدوائر الرسمية الإسرائيلية هناك من تجنيد (فروainكينخيت) كبير مهندسي شركة (الإخوة سولتسر) المنتجة للطائرات المقاتلة. تم هذا التجنيد في 6 كانون الأول 1967 في مؤتمر باريس الذي حضره ممثلو مختلف الدول التي تستورد الميراج. اجتمعوا ليتدارسوا أهمّ التعديلات التي يجب إدخالها على تصميم

الطائرة على ضوء الحرب الإسرائيلية ضدّ العرب عام 1967. وكان (فرواينكينخيت) مشتركاً كممثل لشركته.

وفي مطلع عام 1968 قام الملحق العسكري الإسرائيلي في باريس العقيد (تسفي آلون) ومبعوث الموساد (ونيخيميا كاين) بزيارة لـ (فروانيكينخيت) في زيوريخ واتّفقوا على أن يشتري لوكلاء إسرائيل مخططات الميراج. كان عليه الاتصال بالإسرائيليين عن طريق شخص يعمل بإمرته اسمه (هانز شتريكر).

وتمّت سرقة مخططات طائرات الميراج الحديثة وتم تهريبها إلى إسرائيل!

وفُضح العميل (فروانيكينخيت) وتمّ الحكم عليه بأربع سنوات ونصف من الأعمال الشاقّة؛ ولكنه، بحسب شهادة المخابرات الإسرائيلية نفسها، عومل في السجن معاملة حسنة![1]

العدوان الصهيوني على الدول العربية

- قصف المفاعل النووي العراقي

عندما أراد العراق أن يُنشئ محطّة كهربائية ذرّية بغية تطوير اقتصاده، أقلق هذا السعي إسرائيل، فبدأ إرهابيو الموساد وبإيعاز من الحكومة الإسرائيلية بالتخطيط لضرب المفاعل الذّري العراقي.

بدأ العمل بإرسال المهندسين (يوسف كيفيتي) و (يسوف سالتوفيتش) من

[1] - المرجع السابق

الجامعة التكنيكية بحيفا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليستعلما بشكل سريّ عن الأثر الناتج عن قصف مفاعل نووي بحجّة أنّ إسرائيل تُريد أن تطمئن على عدم حدوث أضرار بالغة فيما لو تعرّض مُفاعلها للقصف؛ في حين أنّ القصد كان هو التأكّد من إمكانية تدمير المفاعل النووي العراقي بقصف من الجو. ولقد تبيّن اهتمام هذين المهندسين بمعرفة حقيقة الدمار الذي يلحق بمفاعل ذرّي فيما لو قُصف بقنبلة من ذوات الطّن، وهي القنابل التي استخدمتها إسرائيل لقصف مركز البحوث النووية العراقي فيما بعد. ولكن التحضير للقصف لم يقف عند هذا الحد؛ إذا أنّ إسرائيل دسّت مجموعة من المخربين داخل العراق استطاع عدد منهم التسرّب إلى داخل المُفاعل والعمل فيه؛ ثم تمكّنوا فيما بعد وفي التوقيت المطلوب أن يزرعوا ألغاماً خاصّة يمكن تفجيرها لاسلكياً بتوقيت متوافق مع لحظة القصف الجوي الإسرائيلي.

وفي 27 أيلول سبتمبر عام 1980 ظهرت الطائرات الصهيونية، فوق الأراضي العراقية مرتين، ولكنها لم تستطع الاقتراب من بغداد ولم تُلقِ قنابلها. ومنذ آذار 1981 بدأت المجموعة الخاصّة للقوات الجوية الإسرائيلية بتكثيف تدريباتها التجريبية التي درست خلالها خطّ سيرها للقصف المطلوب، وأنظمة الدفاع العراقية، واحتمالات الاشتباك في معركة جوّية، في حين بنى المهندسون الحربيون في ميدان اختباري سرّي، نموذجاً مصغّراً هو نسخة طبق الأصل عن المفاعل العراقي وبيئته، وتمّ قصفه بقاذفات للقنابل بتدريبات مكثفة استمرّت شهوراً عديدة. وهكذا فقد تمّت تهيئة الطيارين الإسرائيليين على أكمل وجه.

وفي يوم الصفر، في 27 حزيران من عام 1981، وفي الساعة السادسة والدقيقة 14 مساءً، أقلع من القاعدة الجوية الإسرائيلية سربان من الطائرات المقاتلة (ف 15) و (ف 16) أحدهما مُهاجم، والآخر للحماية. وصعدت الطائرات في جو السماء، واتّخذت خطّ سيرها المطلوب، في حين كان المخربون على أرض المفاعل، قد أتمّوا زرع ألغامهم وغادروا المفاعل إلى سياراتهم لينطلقوا باتجاه بغداد.

كان المفاعل النووي أو مركز البحوث النووي العراقي يقع في منطقة تموز على بعد 15 ميلاً إلى الشرق من بغداد، وكان يعمل في هذا المركز، حتى حزيران 1981 حوالي 150 اختصاصياً فنّياً أجنبياً، مُعظمهم من الفرنسيين والإيطاليين، وكان هؤلاء يقومون بتركيب ما يُسمّى بـ (الحجرة الحارّة) داخل المُفاعل الذرّي. وفي الساعة **6** والدقيقة 37 التقى القصف الجوي من الطائرات الإسرائيلية بالتفجير اللاسلكي للألغام المزروعة في مركز البحوث النووي العراقي، فاهتزّ العراق، ودُمِّر المُفاعل، واهتزّ العالم غضباً لهذا الاعتداء السافر الوقح، وتتالت الإدانات العالمية الشديدة والمتحفِّظة ضدّ هذه القرصنة الصهيونية الإرهابية.

وعدوان آخر على العراق قام به عملاء الموساد الإسرائيلي في لبنان وذلك عندما قاموا في 15 كانون الأول عام 1981 بتفجير في السفارة العراقية في بيروت راح ضحيته 20 قتيلاً وأكثر من 60 جريحاً.

* العدوان الإسرائيلي على سورية ومصر والأردن عام 1967

يعلم العالم كلّه هجمة العدوان الإرهابي الصهيوني على الدول العربية في حزيران

1967 حيث قام الطيران الإسرائيلي بانتهاك حرمة سماء بعض الدول العربية وتجاوز حدودها والقيام بقصف وحشي هادف في سورية ومصر والأردن، وتابع ذلك بعدوان بريّ آثم أضاف من خلاله المزيد من الأراضي المغتصبة إلى خارطة احتلاله القائم. كما يعلم العالم أنّه بالرغم من إدانة الأمم المتحدة لهذا العدوان الغاشم، وأمر إسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلّة وذلك في القرار الشهير رقم 242 الذي لم تأبه له إسرائيل حتى اليوم.

ولقد ذَكَرت تقارير منظمة الأمم المتحدة الأساليب التي تتبعها إسرائيل لطرد العرب، بعد عدوان 1967، حيث قامت بتهديد الفلسطينيين لمغادرة بيوتهم وأراضيهم، كما نفّذت التفجير الجماعي للبيوت العربية والأحياء السكنية. فلقد أزال الإسرائيليون، في ذلك الوقت حيين من الأحياء الرئيسية في القدس إزالة تامّة وحوّلوا السكان الفلسطينيين إلى لاجئين بلا مأوى، وأمروهم باللجوء إلى الأردن غصباً وبالتهديدات الإرهابية المستمرّة.

وفي قلقيلية، نفّذ الصهاينة 850 انفجاراً. وأمروا في اللطرون 12000 من سكان ثلاث قرى فلسطينية مغادرة منازلهم لأنها "قيد الهدم".

وفي كانون الأول من عام 1967 أزالت الجرافات الإسرائيلية 800 منزلاً وكوخاً في السهل الأردني قرب دامشة، وحوّلوا 6000 من السكان العرب إلى متشردين بلا مأوى.

- تدمير مدينة القنيطرة السورية:

وكذلك يعلم العالم جريمة إسرائيل الهمجية النكراء الخاصّة بتدمير مدينة القنيطرة السورية التي كان عليها إعادتها لسورية بحسب اتّفاقية فصل القوّات عام 1947. ولقد وصف (ستيفارد ويست) عضو البعثة النمساوية التي توجّهت إلى القنيطرة بناءً على طلب الحكومة السورية التدمير الهمجي للقنيطرة بقوله:

"لقد تمّ تدمير المدينة كلّياً قبل يومين من جلاء القوات الإسرائيلية منها في 24 حزيران 1974. ولقد تم تدمير الكثير من المنازل بالمواد المتفجّرة أو بالهدم بالبلدوزرات"!

وتابع عضو البعثة النمساوية تقريره قائلاً:

"إنّ تدمير القنيطرة يجب أن يكون مساوياً لتدمير (كارفاغن) السابقة، ولتدمير المُدن الأوروبية من قِبل المغوليين، ولتدمير هيروشيما، وكذلك التدمير الذي حدث أثناء الحرب العالمية الثانية".[1]

* العدوان على لبنان

في 11 آذار من عام 1978 قام **جيش العدوان** الإسرائيلي بغزو جنوب لبنان. وفي 17 تموز من عام 1981 قامت القوات الإسرائيلية بقصف المدن اللبنانية بالمدفعية والهاونات قتَلت بنتيجتها 32 مواطناً وجرحت 97. وفي 17 أيلول من عام 1981 قام الإرهابيون الإسرائيليون بتنفيذ تفجير كبير في سوق الخضار في صيداً فقتلوا 52 مواطناً وجَرحوا 108. كما نفّذوا في 2 تشرين الأول من عام 1981 تفجيراً مروّعاً في شارع عفيف الطيب في بيروت الغربية راح ضحيته 250

[1] - الإرهاب أكاذيب وحقائق/ فصل الإرهاب في خدمة السياسة الخارجية الإسرائيلية ص 160

مواطناً مُعظمهم من الأطفال والنساء.

في 10 أيار من 1981 قصفت الطائرات الحربية الإسرائيلية بعض المناطق الساحلية اللبنانية فأردت 16 شهيداً وجرحت 56 مواطناً.

ويصف الكاتب (مودجوريان) صاحب كتاب (الإرهاب أكاذيب وحقائق) الاعتداءات الإسرائيلية الشهيرة على العرب بقوله:

"لقد ارتُكبت بحق الشعب الفلسطيني واللبناني أبشع الجرائم. كانت إسرائيل غالباً ما تلجأ إلى أساليب غير مشروعة وممنوعة دولياً: حيث القوا على المناطق المكتظّة بالسكان في المدن اللبنانية، القنابل الفراغية والانشطارية والعنقودية؛ وأزالوا عن وجه الأرض الكثير من التماثيل ومظاهر الحضارة. لقد حوّلوا مُدناً قديمة، مثل صور وصيدا والنبطية إلى ركام؛ وأعدموا أسرى الحرب؛ وأجبروا الفلسطينيين على حمل الصليب الأبيض على ظهورهم مثلما أرغم النازيون اليهود على حمل نجمة سداسية خاطوها على ثيابهم!" ص 163

- صبرا وشاتيلا وعملية (الدّماغ الحديدي) الإسرائيلية:

وحفاظاً من المقاومة الفلسطينية على بيروت ومنعاً لإعطاء إسرائيل العذر لإبادة سكانها الآمنين، فقد وافقوا على مُغادرة الأراضي اللبنانية. ولكن فور خروج الفلسطينيين نفّذ الإسرائيليون المحتلون فيهم مجزرة دموية مروّعة استمرّت 36 ساعة في صبرا وشاتيلا حيث قتلوا من اللاجئين الفلسطينيين واللبنانيين ما يزيد على 3000. ولقد أطلق الإسرائيليون على هذه العملية الإبادية اسم (الدّماغ الحديدي). وكانت هذه العملية قد أُعدّت مسبقاً وقُدّمت للحكومة الإسرائيلية للمصادقة عليها في 17 تموز من عام 1982 ولكنّ الحكومة أرجأتها لأنها سابقة

لأوانها[1]. وفي أيلول صادق الإرهابي (بيغن) على تنفيذها، فتفجّر الدم العربي في لبنان حيث تناثرت الجثث، وتبعثرت الأدمغة، وتمزّقت الأوصال!

لقد كانت الساعة الثانية من ليل 15 أيلول حيث وصلت إلى مطار خلدة في بيروت والواقع قرب مخيمي صبرا وشاتيلا مجموعة منن الجنود الإسرائيليين. وتحرّكت في الوقت نفسه في بيروت الغربية الدبابات وقوات المشاة الإسرائيلية فحاصروا مخيمي صبرا وشاتيلا والفاكهاني وبرج البراجنة لتنفيذ عملية الإبادة التي تمّ التخطيط لها، بعد أن قامت القوات الإسرائيلية بقطع الطريق على كلّ من حاول الدخول إلى هذين المخيمين لإتمام تنفيذ المجزرة المروّعة.

وقائع الإرهاب الإسرائيلي في البيان العالمي الشريف

في مجموعة من الخطب التي تُبثُّ في المحطة الفضائية العالمية MTA وفي معرض الحديث عن حرب الخليج وممارسات الإرهاب الغربي، تحدث الإمام ميرزا طاهر أحمد[2] عن دجل الإعلام الغربي الفاجر الذي يُقيم الدنيا ويُقعدها فيما لو أُصيب غربي واحد في هجمة ما، وذَكَر في مقابل ذلك وقائع الإرهاب الصهيوني في لبنان، وقال:

"عندما يُقتَلُ رجل واحد منهم تُزمجر وسائل الإعلام في جميع أنحاء العالم؛ ولكن ثمّة آلاف من الناس العُزّل المضطهدين عجائز وأطفالاً يرقدون عاجزين في المخيمات، تُقطع منهم الرقاب، وتُحطّم رؤوس أطفالهم بالحجارة؛ ويُذبحون أمام عيون أمهاتهم الناحبات، ثم لا تنجو

[1] - المرجع السابق ص 163

[2] - إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.

الأمهات من القتل بعد ذلك. لقد وقعت هذه الأحداث الرهيبة في لبنان، ولكن لم يرفع أحد منهم الصّوت ضدّها!" ص 12من كتاب (كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد) لـ (ميرزا طاهر أحمد) /مطبعة الرقيم في تيلفورد سَري بريطانيا.

وفي الصفحة 195 يُتابع الإمام ميرزا طاهر أحمد بيانه العالمي عن الإرهاب الإسرائيلي فيصفه للعالم، قائلاً:

"ولقد أعدّوا خطة للهجوم على لبنان سمّوها (عملية سلام الجليل)! ويرسم دافيد جيلمور David Gilmour في كتابه (محنة الفلسطينيين)[1] حقيقة الخطة بأنها كانت حُجّة من إسرائيل لحماية نفسها ضدّ هجمات الفلسطينيين.. ولكن في عام 1981 تمّ اتّفاق سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين. ومن يوليو تموز 1981 وحتى مايو أيار 1982 عندما شنّت إسرائيل هجومها على لبنان.. لم يحدث أن خَرَق الفلسطينيون هذا الاتفاق ولا مرّة واحدة؛ ولم يقع هجوم فلسطيني واحد خلال هذه الفترة. ويقول هذا الكاتب بأنّ الجليل لم يتعرّض لأي خطر من جانب لبنان، ويُضيف بأنّ هذه الخطّة كانت مُعدّة مسبقاً قبل عام 1982، وبرهن على ذلك من مراجعهم.. ويقول جيلمور في كتابه إن الإسرائيليين عندما شرعوا في قصف بيروت عام 1982 كان القصف غاية في الشدّة، وقد كانوا يُطلقون مدافعهم من ناحية، وكانت سفنهم المجهّزة بمدفعية رهيبة تُمطر قذائفها على البيوت ليل نهار لتنسفها واحداً بعد الآخر وتُبيد الناس.. ولكن لم نسمع صوتاً واحدا في هذا العالم يرتفع لنجدة الفلسطينيين المُعتدى عليهم. كان الغرب صامتاً. والأتعس من ذلك أنّ العرب أنفسهم كانوا صامتين! لقد كانت مخافة الإرهاب الإسرائيلي عندئذ قد استقرّت فيهم بحيث لم يرفع أحد من بلاد العرب صوتاً ضدّهم! ولقد قُتِل نتيجة لهذا القصف 14 ألف عربي وأُصيب أكثر

[1] - Dispossesed, The Ordeal of The Palestinians, By D. Gilmour,P 224

من 20 ألفاً، وصار عدد المشرّدين بلا مأوى أكبر من أن يُحصى."[1]

ويُتابع الإمام ميرزا طاهر أحمد ذِكر مُقتبساته الهامّة في معرض بيانه العالمي عن الإرهاب الإسرائيلي في لبنان فيقول:

"أضعُ أمامكم اقتباساً آخر نقلاً عن مُراقب غربي حول الفظائع التي انهالوا بها على لبنان، حيث كَتَب السفير الكندي في لبنان المستر تيودور أركاند Theodor Arcand تعليقاً على القصف الإسرائيلي على لُبنان بعد أن شَهِده بنفسه، فقال: 'يبدو أنّ قصف برلين عام 1944 مُقارناً بقصف لبنان، لا يزيد عن حفلة شاي/المرجع السابق ص 224/. ولقد حلل بعض المراقبين هذه الهجمة الإسرائيلية جيداً، حيث قال أحدهم: إنّ القصف لم يكن مجرّد مذبحة عامّة لمنظمة التحرير الفلسطينية فحسب.. بل قد كان خطّة لتحطيم احترام النفس لديهم أيضاً.. ولقد صرّح الدكتور ناحوم جولدمان Dr. Nahum Goldamn مؤسس الصهيونية، ورئيس المؤتمر الصهيوني العالمي لسنوات، قائلاً: إنّ هدفهم الواضح هو تصفية الشعب الفلسطيني/ المرجع السابق ص 226 /".[2]

- المجزرة الإسرائيلية في قانا:

في عام 1996 أقلقتْ أهالي قانا، القرية التي باركها المسيح بوجوده فيها ذات يوم، هجماتُ الطيران الإسرائيلي المتعطّشة للدم العربي، بغضّ النظر عما إذا كان الدم المسفوك دم الشباب، الشيوخ، النساء، أو الأطفال!

فلجأ الأطفال وأهاليهم إلى مركز قوات هيئة الأمم المتحدة لعلّهم يأمنون القصف المسعور للطيران الحربي الإسرائيلي. وهناك بالذات كان الفخّ القاتل، إذ

[1] - (كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد) لـ ميرزا طاهر أحمد ص 197

[2] - المرجع السابق ص 198

ما كان لمركز جنود هيئة الأمم أن يمنع الطيران الإسرائيلي من الفرصة المتلهفة لها دوماً لقتل أطفال العرب، لإبادة نسلهم!

وبتصويب مُحكم قصفوا مركز قوات هيئة الأمم، وقتلوا فيه ما يُقارب مائتين من الأطفال والنساء الذين اندمجت مزقهم المذوّبة بنار القصف في عجينة لحمٍ ودم واحدة، اضطر الأهل الدافنون بعد ذلك إلى فصلها وتوزيعها على المقبرة الجماعية الاختيارية في قانا!

كما أصاب الإسرائيليون وقتلوا في هذه الهجمة الحيوانية الشرسة عدداً من جنود هيئة الأمم.

لم تُحاسِب هيئة الأمم إسرائيل على جريمتها الإرهابية هذه، ولم تُدِنها على قتل جنودها. وكالعادة لم يُدِن أو يُحاسب المجتمع الدولي إسرائيل على قتل أطفال قانا، عدا أن يفكّر بعقابها!

أقترحُ على هيئة الأمم المتّحدة أن تنتبه إلى ضرورة صيانة ماء وجهها، وأن تفتح ملفّ الإرهاب الإسرائيلي السميك، فتحاكمها وتُحاسبها على جرائمها الإرهابية الدولية، وكرامة لجنودها القتلى بنار القصف الصهيوني الغادر الجبان.

ولذلك فإنه **يحق للشعب اللبناني**، ويجب على حكومة (لبنان) أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني في أراضيها وأن تعمل على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها في أفغانستان، وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

- القصف الإسرائيلي لمدرسة بحر البقر الابتدائية ....

في 9 شباط فبراير من عام 1970 كان الأطفال العرب الصغار يدرسون مُطمئنّين في مدرسة بحر البقر في مصر. كانوا أطفالاً، وكانوا يتعلّمون. انطلقت مقاتلاتٌ إسرائيلية من قواعدها، تحمل قواصف القتل والدمار. اقتحمت سماء مصر، وحلّقت في أجوائها، واختارت هدفها لأسبابٍ في نفسها؛ ثم أطلقت صواريخها على مدرسة الأطفال في بحر البقر. مزّقت أجساد 64 طفلاً وطفلة. نثرت لحومهم على دفاترهم وألواح الدراسة؛ وهشّمت عظامهم، وفجّرت دماء شرايينهم، وعادت إلى قواعدها سالمة!

ولذلك فإنه **يحق للشعب المصري**، ويجب على حكومة (مصر) أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني في أراضيها وأن تعمل على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها في أفغانستان، وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

- القصف الإسرائيلي لمكاتب منظمة التحرير في تونس:

وفي عام 1988 وضمن سلسلة اغتيالات الإرهاب الصهيوني لرجالات منظمة التحرير في دول العالم، خطط رجال الإرهاب الصهيوني لقتل (**خليل الوزير**) **أبو جهاد** فأتمّوا خطتهم. ولم يُعِقْهُم وجود هذا المسؤول في تونس العربية، كما لم يمنعهم وجود رجالات منظمة التحرير في أية دولة أوربية من اغتيالهم كما لو كانوا في إسرائيل ذاتها وفي أسرهم أو قبضتهم!

أرسلوا طائراتهم، وأنزلوا جنود الكوماندوز المدرّبين وقتلوا المناضل الفلسطيني في بيته، كما قتلوا الكثير وخرّبوا ودمّروا كيفما شاؤوا!

ولذلك فإنه **يحق للشعب التونسي**، ويجب على حكومة (تونس) أن تفتح ملفّ الإرهاب الصهيوني في أراضيها وأن تعمل على محاكمة إسرائيل ومعاقبتها على جرائمها وإرهابها الدولي، أسوة بما فعلت الولايات المتحدة ومنظومتها في أفغانستان، وتنوي أن تفعل في مناطق أخرى من العالم.

وهكذا فقد فُرِض الإرهاب الصهيوني على العالم كلّه، كما فُرِض على أبنائنا وأهلنا في فلسطين المحتلّة وخارجها منذ أن وضع الصهاينة في أذهانهم اغتصاب إسرائيل وابتلاعها. ولمّا يزل هذا الإرهاب قائماً وحشاً يفترس! كلّما مات أو انتهى وحش قام وحش آخر يرأس كيان الإرهاب وينشر الذئاب، يكشّر عن أنيابه، ويُري قومه خطته العبقرية القادمة لسفك دم ضحاياه العرب الفلسطينيين وإبادتهم المدروسة بكلّ إتقان، فلعلّه يحظى برضى المؤيّدين ليبقى على رأس قائمة الباطشين بأبناء أهل البلاد وأصحابها!

* الأعمال الإرهابية الإسرائيلية اليومية في فلسطين

ما عاد في إمكانِ سجلٍّ موثّق القدرة على احتواء بطشات الإرهاب الصهيوني المستمر بالشعب العربي الفلسطيني الأعزل!

لقد سمع العالمُ وشاهد،

وسجّلت التقارير ووثّقت،

أنهم، بكلّ قوّة الدولة العسكرية الغاشمة وآلاتها،

يقتلون السكان العرب في فلسطين،

يُذبّحون أبناءهم،

وينتهكون حُرمة نسائهم ومقدساتهم.

يُفجّرون بيوتهم،

ويَقصفون مُدنهم،

ويُزيلون من على وجه الأرض قُراهم

ليُقيموا على أنقاضها مستوطنات حديثة مريحة أنيقة وجميلة لأجنادهم.

يجتثون أشجار الزيتون ليُمركزوا مرابضَ دبّاباتهم.

يقتلعون أشجار البرتقال ليزرعوا أرضها بأشواك أسلاكهم.

يُدرّبون سواعد مستوطنيهم على حمل المدافع الرشاشة لقتل الفلسطينيين،

ويُكَسِّرون سواعد الشباب الفلسطينيين بصخور تلال مدينتهم المقدّسة[1].

يحاصرون الصّناع والعمال والتجار العرب في فلسطين، يمنعون عنهم حتى الماء،

ويقيمون بالأموال المنهالة عليهم، من أمريكا والغرب، صرح آلة الحرب

والدمار النووي والمُبيد الشامل.

---

[1] - عملاً بفهمهم المحرّف لتوراتهم حيث تقول: {**وسواعد الأشرار تنكسر** { مزامير 37، كما سنبيّن لاحقاً.

يُقارعون حجر الطفل الفلسطيني الفقير، الغائب عن مدرسته،

بالدبابة الحديثة الباهظة الثمن،

والمجنزرة الثقيلة الساحقة،

وقنابل الدخان،

التي تُخفي بكاء الطفل الفلسطيني،

وهو يهجم مقهوراً،

غاصّاً بالصرخة المستغيثة بالسراب،

على دبابات أجناد إسرائيل،

لعلّه يُستشهد، مُقاوماً، جنازيرها الهادرة التي تغتال

كلّ يوم،

طفولةَ الفلسطيني الصغير،

الذي عاش الإرهاب القاهر،

وأدمن الموت البريء،

وهو يمسك بقبضة كفه الصغيرة،

ببشرتها الناعمة—سلاحه الوحيد:

حجراً من أرض فلسطين:

قدس المسيح والأقصى!

وحديثاً، رَوت التقارير الإخبارية في 2002/1/22 حدثاً يُشكل صورةً عن الممارسة الإرهابية الصهيونية المعهودة:

اقتحموا بيتاً فلسطينياً؛

اغتالوا فيه أربعة؛

فجّروا أحدهم في مغطس الماء في الحمام؛

نثروا لحمه على الجدران،

ومثّلوا بالآخرين بعد قتلهم أبشع تمثيل؛

وجاء في تقرير المستشفى:

أنّ أدمغة هؤلاء العرب الفلسطينيين، قد أُخرجت من رؤوسهم،

وأنّ عينوهم قد اقتُلعت من مآقيها!

* * *

بالبلدوزرات يُدمرون بيوت أصحاب فلسطين وأهلها،

وبالدبابات يُلاحقون حجارة أطفالهم

وبالقاصفات المروحية والآباتشي الأمريكية الحديثة وبالمتفجّرات الشديدة ينسفون أبناءهم.

يغتالون الأب الفلسطيني ويعلنون دفاع ولده عنه إرهاباً!

يفجّرون الأخ الفلسطيني ويعدّون استشهاد أخيه ثأراً لقتله إرهاباً!

يغتصبون البنات الفلسطينيات—كما فعلوا في دير ياسين—ويَرَوْن دفاع المسلم العربي الفلسطيني عن شرفه إرهاباً!

وتوافقهم على ذلك الإدرات الغربية والأمريكية بكلّ الدعم والمال والسلاح الثقيل، خوفاً من هجمة الطفل الفلسطيني المشرّد، بحجره الصغير، على دبابات إسرائيل وأجنادها الغاصبين المدججين بكلّ سلاح!

إنّهم ينفِّذون في القتل والقهر أسفار حُكمائهم وتعاليم (تيودور هرتزل) مؤسِّس دولة بطشهم، حين قال:

" لنفترض على سبيل المثال أنه يتوجّب علينا تنظيف البلد من الوحوش الضارية. فنحن لن نقوم آنذاك بأداء هذه المهمّة كما فعل الأوروبيون في القرن الخامس؛ إننا لن نكتفي بإطلاق السهام والرماح ومُطاردة الدببة؛ بل سوف نُنظّم طرداً واسعاً جبّاراً، فنطرد الوحوش[1] ونُلقي عليها قنابل شديدة الانفجار".

W. Laqueur, The Israel-Arab Reader, N. Y., 1971 P. 10

وهاهم في كلّ يوم يطردون "الوحوش" من فلسطين ويُلقون عليها قنابل شديدة الانفجار!

وهذا يُذكّرنا بقول هرتزل لـ كرومر:

[1] - طبعاً المقصود بالوحوش سكان البلاد الأصليين .يعني في قضيتنا العرب الفلسطينيين!

"يمكنك التأكد أن بوسعي اغتنام فلسطين بالفتح وإراقة الدماء، ولو أني أخذت بما تميل إليه نفسي، لآثرت هذه الطريقة على أية طريقة غيرها"! [1]

[1] - بروتوكولات حكماء صهيون .عجاج نويهض، المجلد الأول ص 57

الفصل الخامس عشر

من وقائع الإرهاب الإسرائيلي في وعي الوجدان العالمي

يقودنا سياق الحديث عن الإرهاب الماحق للجنس البشري في مُقابل سلام الإسلام وأمان العالم أن نورد وَعْيَ الوجدان العالمي خارج إطار العالم العربي لنتبيّن صورة الإرهاب الدولي والإرهاب الإسرائيلي في هذا الوجدان الشريف الذي يُقيم في دول الغرب ويطّلع على إعلامها المحابي المتفاوت المواقف والوجهات، وإن كان أغلبه ينزع إلى طمس الحقائق وتزوير البيانات. من هنا تبرز أهمية الاطلاع على أصوات الحق في دول العالم غير العربي لنتبيّن حقيقة أنّ الإعلام الغربي والإسرائيلي مهما طغى وعتا، فإنه لا يستطيع أن يطمس على أبصار وبصائر الشرفاء الذين يرون بنور الحق وبه يرفعون أصواتهم ويدافعون عنه.

ولقد اخترت لهذا البيان، مقتطفات من كتاب (**كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد**) لحضرة ميرزا طاهر أحمد إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية، التي تنتشر مراكزها التبشيرية في ما يزيد على مئة وثمانين دولة تنشر سلام الإسلام وأمانه وبيانه الحق بجميع الوسائل واللغات، ومن خلال المحطة الفضائية التلفزيونية MTA (Muslim Telivision Ahmadiyah) التي تبثّ وتنشر سلام الإسلام

وسلامه وصوته الحق لأهل الأرض جميعاً وبلغاتهم، وعلى مدار الساعة.

في الصفحة 26 من كتابه المذكور وتحت عنوان جزئي:(**شخّصوا المرض أولاً**) يتحدث الإمام ميرزا طاهر أحمد عن مرض منطقة الشرق الأوسط المزمن، ويقول:

"ما هو هذا المرض؟ إنه إنشاء دولة إسرائيل في هذه المنطقة، ثم استمرار التمييز في تعامل الغرب مع إسرائيل. إذا ما كان ثمة موقف يُثير مسألة رعاية مصلحة إسرائيل في مقابل مصلحة العرب المسلمين، إلاّ وكان الغرب دائماً وأبداً، ودون ما حالة استثنائية واحدة، يُهرع إلى تفضيل مصلحة إسرائيل، والتضحية بمصالح العالم العربي المسلم".

وتحت عنوان (**الغرب في قبضة إسرائيل**)، وفي معرض ما بيّنتْه أحداث حرب الخليج، يقول:

"..الموقف الجديد الذي برز أمامنا يكشف كيف أنّ عالم الغرب قد وقع برمّته في قبضة إسرائيل، وبات فريسة لها". ص 46

وتحت عنوان (**العدوان من حقّ إسرائيل**) يقول حضرته:

"فإسرائيل[1] لها الحق أن تُرسل طائراتها عبر البلاد العربية وتُهاجم المُفاعل النووي العراقي وتُدمّره!

مَن ذا الذي أصدر هذا القرار، وأكّد أن المفاعل النووي مؤسس لصنع القنابل، وأنه لم يكن للاستخدام السلمي؟!

وأيّ منظّمة أمم متّحدة تلك التي فوّضت إسرائيل وأعطتها سلطة اتّخاذ القرار والقيام بتدمير المفاعل؟!

[1] - أي بالنسبة إلى دول الغرب

عندما حدث هذا، لم يُعلِن أحد عن حقّ العراق في القيام بما يشاء من أعمال انتقامية ضدّ إسرائيل!". ص 125

ومبيّنا الموقف الأمريكي الداعم لانتقام إسرائيل إبّان حرب الخليج، يقول:

"لقد منحوا إسرائيل أكثر من ستة مليارات من الدولارات كي لا تقوم بعمل انتقامي ضدّ العراق/مباشرة/ مع الاحتفاظ لها بحقّها في أن تفعل ذلك فيما بعد! قالت أمريكا للإسرائيليين: بعد أن نُعاقِب لكم العراق بأيدينا، يُمكن لكم الانتقام من القليل الذي يتبقى لكم.. دعونا أولاً نَقُم لكم بهذه الخدمة: نقتل لكم العراق، ثم نُعطيكم الجثّة لتمثّلوا بها أو تفعلوا بها ما تشاءون ". ص 126

وتحت عنوان (**أين مبادئكم**) يقول:

"والسؤال الآن هل كلّ هذه الأفعال من العدالة؟! هل هي من الإنسانية؟! ثم هناك شيء آخر لا تراه الدنيا: إنهم يُمطِرون العراق بأشد القنابل فتكاً لتنزل على السكان المدنيين، ومُعظم من تأثّر بالقصف هم سكان غرب العراق. ولقد أمطروا العراق بتلك القنابل بعد حادثة إرسال الصاروخ العراقي على إسرائيل. وإذا كانت واقعة إرسال الصاروخ العراقي ظلماً من جانب العراق.. فلقد ارتكبوا هم ضدّ العراق مظالم أفدح وأشدّ ألف مرّة: ففي مقابل كلّ بيت انهدم في إسرائيل سَوّوا، هم، بالأرض ألف بيت عراقي! وفي مُقابل كلّ جريح إسرائيلي، جرحوا وقتلوا ألوف العراقيين! ولقد روى القادمون من العراق: أنّ روائح الجثث المتعفّنة المحترقة في بعض المناطق تمنع الناس من المرور فيها، وقد خلا كثير من المناطق من الناس تماماً.

هذا هو انتقام أمريكا تقوم به نيابة عن إسرائيل". ص 126-127

ويُتابع حضرته:

"إنني لا أقول بأنّ ما فعله صدّام صواب..ولكن المسلمون الذين يعيشون في إسرائيل يُضربون كلّ يوم، ويُقتل العُزّل منهم ويُقذفون بالنار. وإذا اتّخذ العراق إجراءً انتقامياً نيابة عنهم، فإنكم لا تقولون إنّه ردّ ثأري وشرعي، بل تقولون إنه ظلم وعدوان وحشي، وإنه استفزاز يُعطي لإسرائيل الحق في الانتقام". ص 127

"إنّ أفعالهم الشنيعة هذه شديدة التناقض مع القيم الأخلاقية التي يدّعونها ويُعلنوها على دقات الطبول. إنّ أعمالهم هذه تُبطل جميع الدعايات التي ينشرونها في كافة أرجاء العالم. يقولون بأنّ الرئيس صدّام دكتاتور خطر، ويقولون: 'إننا نُعاقب صدّام لأنه يُكرِه رعاياه على العبودية. نُعاقبه لأنّه يضطهد أهل بلده ويُطلق عنان الطّغيان عليهم. نحن ضدّ الرئيس صدّام من أجل حرية شعبه ولسنا ضدّهم'. ولكنّهم، مع قولهم هذا، يصبّون جام نقمتهم على الشعب العراقي البريء الذي تقول تصريحاتهم عنه بأنّ صدّام يرتكب ضدّهم الفظائع!

فما هي جريمة النساء والأطفال الأبرياء الذين تقولون أنتم عنهم إنهم مُضطَهَدون من قِبل صدّام، ثم تشنّون عليهم، باسم تحريرهم، حربكم الضروس؟!

أَتُعاقبونهم، على 'جريمة' ارتكبها صدّام ضدّ إسرائيل، عقاباً هو أنكى من عقاب اليهود؟!

أيّ حقّ لكم في تلويث التعاليم المسيحية الطاهرة، وتلطيخ تاريخ النصرانية بالدماء فتكونون في ذلك سواء مع تاريخ اليهود الدموي؟!" ص 128

وتحت عنوان: **(لا حقّ للفلسطينيين في الحياة)**، يكشف الإمام ميرزا طاهر أحمد صاحب كتاب **(كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد)** النقابَ عن همجية إسرائيل في إنكارها للوجود الفلسطيني، وذلك من خلال بيان المتحدّث بلسان وزارة الخارجية الإسرائيلية الذي يقول فيه:

"الشيء الوحيد المفيد الذي تستطيع منظمة التحرير الفلسطينية فعله هو أن تختفي، لأنّ فلسطين لم يعد لها وجود، ومن ثمّ فلا معنى لوجود حركة تحرير لها. / المرجع السابق ص 227/".

ثمّ يعلّق حضرته قائلاً:

" أي لا حقّ لهم في الحياة! هذه هي الأمّة التي يُغمض الغرب عينه عن طغيانها وعدوانها؛ ويتّخذون الفلسطينيين الضعفاء المُضطَهدين هدفاً لدعاية ظالمة قاسية. لقد جرّدوهم من أرضهم كلّها؛ وطردوهم من ديارهم ووطنهم. في كلّ يومٍ جديد يُعرِّضهم الإسرائيليون لمعاملة قاسية، يُعملون فيهم القتل، ويمحون مدناً وقرى بأكملها، ويشرّدون أهلها.

أربعة ملايين فلسطيني يتيهون في العالم من بلد إلى بلد، في حين يزرع الغربُ اليهودَ في أراضي الفلسطينيين ويثبتونهم بقوّة.. إنهم يُزيدون عدد اليهود من يوم لآخر، ويخطّطون أنهم بعد أن يملؤوا الضفة الغربية باليهود سيُطالبون بمزيد من الأرض..ثم يُكثرون عدد السكان، وهكذا يمضون في عملية متكررة مستمرة.

هذه هي طريقتهم. وأما الفلسطينيون الذين وُلِدوا ونشأوا وتربّوا على تراب فلسطين، وعاشوا فيها قروناً طويلة، فلا حق لهم في الحياة فيها، فالإسرائيليون يقولون لهم: ليس لكم وطن في فلسطين، ولستم موجودين، ولا نعترف بكم!" ص 199

ومُعلّقاً على حقيقة أنّ إسرائيل قد نشأت لتكون دولةَ كراهيةٍ وحروب وإرهاب. وتحت عنوان: (**حكمة إسرائيل شنّ الحروب**) يقول الإمام ميرزا طاهر أحمد:

"وبقدر ما بَحَثتُ؛ والوقائع تؤيّدني.. فقد توصّلتُ إلى أنّ **إنشاء دولة إسرائيل هو الجذر الأساس لكلّ كراهية**، وأنّ مفهوم خلق إسرائيل نفسه يتضمّن الحروب. وليس هذا قولي أنا وحدي، بل إنّ (بن غوريون) مخطّط إسرائيل ومؤسسها يُنادي بذلك. وسأتلو عليكم مُقتطفاً من كتاب (صُنع إسرائيل) (The Making of Israel) حيث يقول كاتبه (جيمس

كاميرون) في الصفحة 55:

'بالنسبة إلى (بن غوريون): ليس لكلّمة دولة من معنى سوى أنها أداة للحرب؛ حيثُ يُعلن قائلاً: ﴿لا أستطيع التفكير الآن في معنى آخر سواه / أي الحرب/. وأشعر الآن أنّ **حكمة إسرائيل هي شنّ الحروب ولا شيء غير هذا**. هذا وحسب﴾'." ص 193

وتحت عنوان: (**قوّة الفيتو الأمريكي**) يقول حضرته:

".. على أثر العدوان الإسرائيلي، كلّما طُرح في مجلس الأمن قرار لوضع الحدّ للاعتداءات الإسرائيلية أو لتغيير مسارها، استخدمت أمريكا حق الاعتراض (الفيتو)!

لقد حدث هذا 27 مرّة!

فكلّما أدان مجلس الأمن إسرائيل بالعدوان، وطُلب منها الانسحاب من الأراضي العربية التي احتلّتها نتيجة لعدوانها، اعترض ممثّل أمريكا على القرار! وفي مُعظم الحالات كان الفيتو صادراً من أمريكا وحدها، في حين أنه في الحالات الأخرى التي درستُها كان مع أمريكا هناك معارض آخر أو اثنان. ولكنّ أمريكا غالباً ما تقف في وجه الجميع لتُساند – وحدها – إسرائيل، وتستخدم (الفيتو) ضدّ كلّ مشروع. ولقد بحثتُ في عدد القرارات التي وُجِّه فيها شيء من اللوم بكلّمات لينة لإسرائيل، وطُلب منها التوقّف عن عدوانها، فوجدتُها أيضاً 27 قراراً، وفي مُعظمها امتنعتْ أمريكا عن التصويت ولم تُصوِّت لصالحها". ص 200

وتحت عنوان: (**نكتة مؤلمة**) يقول:

"ومن دراسة تلك القرارات التي وافق عليها مجلس الأمن ضدّ إسرائيل، ظهر لي شيء مثير للاهتمام! فلقد تبيّن لي بون شاسع بين مسلكهم إزاء تلك القرارات، ومسلكهم إزاء القرارات التي اتخذوها ضدّ العراق! فهم لم يتركوا للعراق فرصة التقاط أنفاسه! وهم قد وافقوا، من ناحية، على قرار المقاطعة الذي يمنع حتى الطعام والدواء، بحيث لا يدخل شيء إلى العراق،

ولا حتى قصاصة ورق! ثم، ومن ناحية أخرى، ما كادت المقاطعة تبدأ حتى قرروا بدء الهجوم على العراق! والحقيقة هي أنهم كانوا قد أتمّوا خطة الهجوم قبل المقاطعة بوقت طويل. ولقد كان الهدف من المقاطعة تجويع العراق وتعذيب شعبه بإفقاره إلى المواد الأساسية؛ حتى أنهم قصفوا مصنع ألبان الأطفال أيضاً"!

"ولقد لخّص مستر (توم كينج) وزير الدفاع البريطاني أمام البرلمان ما أحدثوه من دمار في العراق، فقال: 'في هذا الوقت القصير.. حوّلنا (3000) ثلاثة آلاف قرية عراقية إلى تُراب'! .. هذا ما فعلوا، وهم الذين يدّعون بأنّهم يقصفون العراق لتحرير العراقيين المقهورين من براثن الطاغية القاسي!.. إنّ تحويل ثلاثة آلاف قرية عراقية إلى تُراب في مثل هذا الوقت القصير، حدثٌ لم يقع في التاريخ مثله قط! ولم يُمطر مثل هذا القدر من الفظائع على أمّة في مثل هذا الزمن القصير.. ومع ذلك فهم يبتهجون بنصرهم!

..تتحد ثلاثون دولة، وتتكاتف كلّ قوى العالم ضدّ العراق، ومعهم تفوّق ساحق بكلّ أنواع السلاح، ولهم اليد العليا في كلّ مجال، ثم يبترون أيدي العراق وأقدامه، ويخلعون أسنانه؛ وكما يُفعل بالذبيحة قطعوا أوصال العراق وشعبه، ثم يتباهون بما حققوا من تنكيل!

إنّه لأمر مُذهل!

وإنّه بالغُ الخزي والعار!" / ص 236-237

ويُتابع الإمام ميرزا طاهر أحمد فيقول:

"ثمة فرق هائل بين مسلكهم مع العراق، ومسلكهم مع دولة إسرائيل!

إذ، عندما تمتنع إسرائيل عن الاستجابة إلى قراراتهم، تكون صيغة قرارهم هكذا:

'يا إسرائيل.. لقد أخبرناك وقت كذا وكذا أن تُعيدي الأراضي العربية؛ ولكنّك لا تزالين تحتلّينها! إننا ننظر إلى هذا التصرّف نظرة استياء شديد، ولا نُحبّ ذلك منك'!

ثم يُصدِرون بعده قراراً ثانياً، يقول:

'يا إسرائيل.. أَلَمَ نُخبِركِ بأننا سنستاء؟ ها نحن مستاؤون'!

ثم يُصدِرون بعده قراراً ثالثاً، يقولون:

'لقد أخبرناك من قبل مرّتين أننا غير راضين، ونقول الآن: إننا غاضبون جداً'!

ثم في قرار آخر بعده يقولون:

'إننا ساخطون للغاية، وسنضطر لاتّخاذ خطوات أخرى تكشف عن سخطنا'.. وهكذا!

ولم يفعلوا شيئاً أكثر من هذا!

إنّ هذه النكتة تنطبق بالفعل على الأمم المتحدة. تصفعهم إسرائيل مرّة بعد مرّة، وتتمرّد على قراراتهم علناً، وتقول: 'ما قيمة قراراتكم هذه! إنها ورق مهمل نمزّقه ثم نرميه في سلّة المهملات، وندوسه بأقدامنا. وفي كلّ مرّة تردّ الأمم المتّحدة على هذا التمرّد الإسرائيلي بقولها: 'نتحدّاك أن تفعلي هذا مرّة أخرى! لو تكرر هذا الفعل منك مرّة أخرى فإننا سنغضب كثيراً'!

لماذا يستمرّ هذا الجنون!

لا بدّ أن يكون ثمة حدّ حاسم لذلك"!

/ميرزا طاهر أحمد في كتابه (كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد) ص 201-202/

ومسهباً في الحديث عن مأساة فلسطين، وتحت عنوان (**عصبة الأمم والوعد الظالم**)، يقول حضرته:

"ذكّرتُ لكم من قبل وعد بلفور الذي منَحه لليهود عام 1917م. بعد هذا الوعد وقعت حادثة مُدهشة عام 1920م، إذ وضَعت عصبة الأمم فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

واشتمل قرار الانتداب على مسؤولية الحكومة البريطانية المشرفة على فلسطين في تحقيق وعد بلفور وتنفيذه ... ويندر في تاريخ العالم أن تقع حادثة ظالمة كهذا التآمر المشترك من قِبل هذه الأمم؛ حيث أنّ من المفروض أنّ عصبة الأمم تُمثّل العالم كلّه، ولم يكن من مسؤولياتها بحال من الأحوال أن تضمن ما جاء في رسالة الوزير البريطاني إلى اللورد روتشيلد اليهودي رجل البنوك الفرنسي... والتي يقول فيها: 'إنّ وزارتنا تبحث مسألة منحكم وعداً بوطن يهودي.'"

ويطرح حضرته السؤال الذي ينبغي على جميع شرفاء دول العالم طرحه:

"من أعطى عصبة الأمم هذه السّلطة لتوزّع الحظوظ بين أمم العالم، فتُعطي حقّ الإشراف لدولة أصدرتْ هذا الوعد من عندها .. وتُمكّنها من تنفيذ وعدها بالطريقة التي تشاء .. وتُقرّر مصير شعب آخر ضدّ رغبته؟!

ومع قرار الانتداب وافقت عصبة الأمم على تهجير ألف يهودي وتوطينهم في فلسطين!

.. إنّ اللورد بلفور هو صاحب أشقى الأدوار في هذه القضية ... لقد قال في خطابه السرّي إلى الوزارة البريطانية عام 1919م: '**لسنا في حاجة لنسأل سكان هذه البلاد العتيقة عن رأيهم**. إنّ الصهيونية——حسنة كانت أم سيئة، وسواء أكان أصحابها على حقّ أو على باطل——فلا بدّ أن نُعطي الأولوية القصوى لها على آراء ورغبات السكان العرب البالغ عددهم سبعة ملايين.'

ويؤكّد الكاتب بول هاربر في كتابه Arab Israeli Issue على فحوى هذا البيان الغاشم، فيقول:

'ولكن وجهات نظر اللورد بلفور بصدد فلسطين كانت ضمن مذكّرة سرّية إلى الوزارة البريطانية عام 1919م جاء فيها: 'إننا لا نقترح بصدد فلسطين حتى مجرّد الدخول في شكلية

استطلاع رغبات السكان الحاليين في البلد... فالصهيونية—حقاً كانت أو باطلاً، صالحة أو طالحة—لها شأن أعمق بكثير من رغبات وأهواء سبعة ملايين عربي يقطنون الآن هذه الأرض العتيقة' / المرجع المذكور.

كان هدف الانتداب -في زعمهم- أن تحصل البلاد المتخلّفة بمساعدة البلاد المتقدّمة على الاستقلال والحرية[1]، ولكنهم استخدموه لهدف مخالف تماماً. فبدلاً من أن يساعدوا أهل هذا البلد 'المتخلّف' على نيل الحرية والاستقلال، جلبوا إليه الناس من بلاد متقدّمة لتوطينهم فيه!" ص 155-156

وفي بيان تنامي أعداد المهجّرين من اليهود إلى فلسطين يقول حضرته:

"وفيما يتعلّق بجلبهم اليهود وتوطينهم في فلسطين فقد تضاربت الآراء واختلفت المصادر في تعدادهم، ولكن بول هاربر يقول:

'في نهاية الحرب العالمية الأولى، وبعد جهد مركّز لمدّة 32 عاماً، وطبقاً للتعداد البريطاني، توطّنَ 56 ألفاً من اليهود في فلسطين على مساحة 2 بالمئة تقريباً من مساحة الأرض. وكان الحُكم البريطاني فرصة للحركة الصهيونية كي تُحوِّل الذي كان لا يزال حلما وقتئذ إلى حقيقة واقعة' ص 31

ويضيف قائلاً: 'وبقدوم عام 1929م كان هناك 156 ألف مهاجر يهودي يملكون 4 بالمئة من المساحة الكلّية لفلسطين، ولكنها 14 بالمئة من المساحة المزروعة' ص 35"

وفي معرض بيان دجل السياسة البريطانية وهم على أعتاب الحرب العالمية الثانية، وكي لا يخسروا تأييد العرب، يُتابع حضرته فيقول بأنهم أصدروا الكتاب

---

[1] -الكذبة الغبية الشهيرة لتبرير الغزو الاستعماري المفضوح على مدى التاريخ!

الأبيض وأعلنوا فيه قائلين:

"إنّ الحكومة البريطانية لا تؤيّد إقامة حكومة يهودية في فلسطين، ولا تقبل بزعم حق اليهود في إقامة حكومة لهم فيها، ولكنهم في الوقت نفسه سمحوا لـ 75 ألفاً من اليهود بالهجرة والاستقرار في فلسطين!" ص 156/ ويُتابع: "لو كان البريطانيون أمناء[1] في قرارهم لردّوا الانتداب إلى عصبة الأمم وقالوا: 'إنّ حكومتنا لم تعد توافق على القرار الذي كلّفتموها به .. ولذلك فإنّ على الانتداب أن يُلغى تلقائياً. ولكنهم لم يفعلوا ذلك، بل سمحوا بدفعة إضافية من المهاجرين اليهود، ثم دفعة ثالثة تعدادها 100 ألف عام 1946م!"

"كانت النسبة العددية بين اليهود والمسلمين 7 : 20 عندما اجتمعت هيئة الأمم المتحدة لتتخذ قرار التقسيم، ولتحدّد أيّ المناطق لليهود وأيها للمسلمين. وصدر القرار ليُعطي 56 بالمئة من مساحة فلسطين لليهود، والباقي 44 بالمئة يُخصم منه مدينة القدس لتكون تحت الإشراف الدولي .. لأنها أرض مقدسة عند اليهود والنصارى والمسلمين أيضاً ... وما حدث عملياً هو أنّ الحكومة البريطانية رفضت التعاون، ونتيجة لذلك كان حال المسلمين في قلق وعدم استقرار وفوضى .. إذ لم يكن لديهم تنظيم قادر على تشكيل حكومة مناسبة ... أما اليهود فكان لهم تنظيمان: أحدهما يقوده مناحم بيغن الذي أنشأ منظمة إرهابية قوية قبل عام 1948، وكانت تُنفِّذ الإرهاب ضد البريطانيين والعرب؛ والمنظمة الثانية بقيادة دافيد بن غوريون. وكانوا يتلقّون كميات ضخمة من العتاد والسلاح من أمريكا ... وأخيراً عندما تقرر وقف إطلاق النار في عام 1949 كان اليهود يحتلّون من الأرض 75 % بدلاً من الـ 56 % المقرّرة لهم (من قِبل هيئة الأمم)!" ص 158

" هكذا كان مسلك الأمم المتحدة، والحكومة البريطانية، والحكومة الأمريكية. هناك

---

[1] - من الجدير بالملاحظة أنّ هذه الخطب قد ألقيت في بريطانيا، ونُشــرت في كتاب باللغة الإنكلّيزية والعربية وغيرها هناك بعنوان (**كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد**).

تفاصيل مستفيضة وعندي مراجعها، ولكنني لا أريد أن أُشغل خطبي كلّها بها ..

والخلاصة: أنّ عصبة الأمم والأمم المتحدة قد شاركتا في مؤامرة دولية مشاركة كاملة؛ ولعبت كلّ من بريطانيا وأمريكا دوراً بارزاً لإقامة حكومة يهودية في فلسطين ما كان لها أن تقوم أبداً بناءً على أيّ نوع من العدل بالنظر إلى القوانين الدولية وميثاق الأمم المتحدة .. ما كان من الممكن حتى اتخاذ الخطوة الأولى من هذه المؤامرة، ولكنهم قاموا بها، وبعدها بدأت الأعمال العسكرية." ص 158

*حروب التوسّع الصهيوني المستمرّ بعد كلّ إعلان بعدم التوسّع!

وتحت عنوان: (**حروب التوسع الصهيوني**)، يقول حضرته:

"أما الحروب الأخرى التي وقعت في منطقة الشرق الأوسط فيمكن تسميتها بـ 'رغبة إسرائيل التوسعية'. في هذه الحروب ألقوا باللوم على الفلسطينيين والبلاد الإسلامية المجاورة بزعم أنهم هم الذين بدؤوا الهجوم مما اضطر إسرائيل إلى اتخاذ إجراءات انتقامية واللجوء إلى توسيع رقعة الأرض التي تحتلها! ولكن في جميع الحروب العدوانية التي تلت ذلك لم يكن لإسرائيل أيّ عذر من أيّ نوع للقيام بها!

كانت حرب 1967 حرباً توسعية صرفة. وكانت حرباً فظيعة ... قضوا في أيام قلائل على القوّة المصرية والسورية والأردنية؛ ووسعوا رُقعة أرضهم المحتلة حتى ضاعفوا المساحة التي منحتهم إياها الأمم المتحدة أضعافاً كثيرة." ص 163

ويُتابع حضرته في جمهور من غير العرب، فيقول:

"سأعرض أمامكم بإيجاز موضوع التّوسع اليهودي في الأرض، لتُدركوا منه كم توسّعوا، ولا يزالون يتوسّعون، ولن يتوقّفوا غداً عن توسّعهم في الأرض:

ربما كان ذلك حوالي عام 1937م عندما بدأ البريطانيون، وعيونهم على وعد بلفور، يضعون الأرقام عن المساحة التي سيمنحونها لليهود، ولقد قرّروا أن يُعطوهم خمسة آلاف كيلو متراً مربعاً. وفي نهاية عام 1948م أعطوهم 20 ألف كيلو متراً بدلاً من خمسة آلاف. وزادت هذه المساحة خلال السنتين التاليتين كما أشرتُ من قبل. ومع نهاية عام 1967م كانت إسرائيل تُسيطر على 88 ألف كيلو متراً مربعاً من الأرض!

من ذلك ترون كيف ابتدأ الاحتلال بـ خمسة آلاف وأين انتهى!" ص 163

"..فاليهود يتوسعون في الأرض دائماً، وسياسة التوسّع هذه ليست في زيادة عددهم فقط، بل وفي زيادة مساحة الأرض أيضاً. وإنّ حلم إسرائيل الذي ارتآه اليهود منذ البدء هو أن يجمعوا اليهود من كلّ المناطق التي يُضطهدون فيها ويوطّنوهم في دولة حرّة لهم، —ودون الدخول في التفاصيل، أقدّم لكم عدد السكان اليهود في بعض البلاد:

في إسرائيل مليونان ونصف، وفي أمريكا خمسة ملايين، وفي روسيا مليونان ونصف. وهناك برنامج حالي لتوطين هؤلاء في إسرائيل؛ والبرنامج مستمرّ، وعند اكتماله سينتقل مليونان ونصف يهودي إلى إسرائيل، وهذا يعني مضاعفة عدد سكان إسرائيل[1]، وهذا يحتاج إلى مزيد من الأرض. وهذا شيء بيّن واضح. وكلّ أرض يحتلونها هم بحاجة إلى أكثر منها لتَفي حلمهم. وفي الوقت نفسه نجد الهجرة من أوروبا وأمريكا مستمرّة." ص 169-170

وتحت عنوان: **(حقيقة الوعود الإسرائيلية)**، يُتابع الإمام ميرزا طاهر أحمد فيُبيّن كذب إسرائيل في دعوى السلام وأنها لا تريد الاحتلال أو التوسع فيقول:

"وأما فيما يتعلق بوعود إسرائيل، فيقال: لو تعاهدتم على السلام مع إسرائيل فلا خوف عليكم من خطرها. ولكن هذا كذب محض. كذب كبير لا تجدون له مثيلاً في الدّنيا، ولسوف أُثبتُ لكم بالحقائق والأرقام أنّ **وعود إسرائيل لا ثقة فيها إلاّ بقدر الثقة في كذّابي**

[1] - وهذا ما حدث اليوم!

الدنيا مجتمعين!

في حرب 1967 التي فُرِضت على العرب بسبب عدوان إسرائيل؛ احتلّت إسرائيل على إثرها مساحة كبيرة من أراضي العرب، في حين أنها كانت قد أعلنت قبل ذلك أنها لا تُريد احتلال قدم واحدة من أرض العرب، وأكّدَت لبلاد الغرب ذلك قائلة: إننا نفعل ذلك لتلقين الفلسطينيين درساً قائلين لهم: إذا لم تتوقّفوا عن مهاجمتنا، ودأب مناضلوكم على إبداء البطولة فلسوف ننزل بكم جميعاً هذا العقاب. وهذا هو كلّ غرضنا. فمثلاً أعلن ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل وقتئذ باسم إسرائيل قبل الحرب قائلاً: 'ليس لدى إسرائيل نية الاحتفاظ ولا بقدم واحدة من المناطق العربية—التي احتلتها'

Dispossessed, The Ordeal of The Palestinians, By D. Gilmour, p225

ولكن في تلك الحرب، احتلّ الإسرائيليون، ولا يزالون يحتلون كلّ أرض (عربية) وضعوا أيديهم عليها. وبدلاً من احتفاظهم بمساحة قدم واحدة من الأرض العربية التي احتلّوها، فإنهم لا يزالون يحتلّون 73 ترليون قدم من أراضي العرب!

وأذكر في هذا الموضع تعليق أحد الكتاب الغربيين على الممارسة الإسرائيلية، قال فيه: 'إنّ بوسعي فهم ما جاء في التعاليم الدينية لدى اليهود من أنّ عيناً بعينٍ وسنّاً بسنّ، ولكنني لا أستطيع أن أفهم كيف تكون عشرين عيناً أو أكثر مقابل عين واحدة!'

والواقع أنّ الكاتب لم يجمع أرقام الممارسات الإسرائيلية بعضها إلى بعض. إذ إنّ إسرائيل في الوقت الحاضر لا تعتقد فقط في عشرين عيناً مقابل عين واحدة، ولكنّهم يعتقدون في عشرين ألف أو مليوني عيناً بعين واحدة منهم! فهم يحققون وعودهم بمفهوم سلبي مضاعف ملايين المرات. يعني أنهم ينقضون عهودهم مرات كثيرة، وهذا ليس من قبيل المصادفات. اسمعوا هذا:

قبل هجومهم على لبنان عام 1982، وقد أشرت إلى ذلك من قبل، أعلن الإسرائيليون

أنهم لا يريدون احتلال بوصة واحدة منها / المرجع السابق ص 225/ وفي عدوانهم هذا فعلوا الكثير من الفظائع لم أذكرها لكم. وبعدها انسحبوا من لبنان فيما عدا منطقة جنوب نهر الليطاني/ وهي منطقة كانت في خطّة إسرائيل من البداية، ومساحتها ليست بوصة واحدة فقط، بل هي 8 ترليون و830 بليون بوصة. فهم عندما يقولون: 'لا نُريد بوصة واحدة'، فمعنى هذا أنهم يريدون أن يستولوا على 8 ترليون و830 بليون بوصة من الأرض العربية!"
من كتاب (**كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد**) للإمام ميرزا طاهر أحمد / ص 197- 198

وتحت عنوان: (**بريطانيا مسؤولة**) يُخاطب حضرته جمهور مستمعيه في لندن، فيقول:

"وإلى جانب ذلك هنالك خلفية تاريخية يجب أن تضعوها في نظركم؛ ولا داعي هنا للدخول مرة ثانية في البحث في مسلك حكومة بريطانيا ومؤامرة اليهود التي طُبخت لإنشاء إسرائيل. ولقد صاغ الدكتور تيودور هرتزل هذه الخطة عام 1897، وعَيّن تحت مظلتها الكثير من علماء اليهود ومفكّريهم للتغلغل داخل القوى الغربية. ومن بين هؤلاء الكيميائي وايزمان الذي كان خبيراً في الكيمياء ومن مواطني بولندا، وكان قد تعلّم في ألمانيا ثم جاء إلى بريطانيا وأنشأ علاقات مع ذوي النفوذ. وكان أشدّ تأثيراً في اللورد بلفور الذي كان وزير الخارجية البريطانية في وزارة لويد جورج من عام 1915 وحتى 1918. وإنّ أكبر جهد لإنشاء إسرائيل قام به بلفور. ولذلك فإنّ **بريطانيا تتحمّل رسمياً مسؤولية النزاع الحالي**[1]، لأنّ الموضوع برمّته غير شرعي، ولا حقّ له في الوجود. **إنّ توجّههم إلى بلد، ثم فرضهم عليهم قوماً ضدّ رغبتهم، وضدّ شرط الانتداب، وضدّ اتفاقياتهم أنفسهم، لهو استمرار في الظلم ما بعده ظلم، ولا مبرر له على الإطلاق!**

لقد لعبت بريطانيا أكبر الأدوار في هذه (المؤامرة)، ومن ثم فهي شريكة دائمة في

[1] - من الجدير بالملاحظة أن هذه الخطبة أُلقيت في بريطانيا!

المسؤولية عن هذه (المأساة)." ص 178

وتحت عنوان: **(أصوات أيّدت الحق)**، يقول حضرته:

"ولكن دعوني أخبركم بأنّ الأمة البريطانية لم تكن في مجموعها متورّطة... ونضرب مثالاً على ذلك اللورد كيرزن في وزارة الخارجية البريطانية، فقد ناصر المسلمين كثيراً .. وقام بكشف أشد الأمور غرابة بحيث يتعذّر فهمه إذ يقول: 'كان اليهود مشتغلين بنشر مؤامرتهم، باذلين أقصى جهودهم، وكان العرب يَبدون كالمتفرّج الذي يختلس النظر من فرجة ضيقة وليس مسموحاً له بالدخول؛ أو لعلّهم لم يكونوا يدرون بما يدور حولهم'....ولقد خالف اللورد كيرزون مشروع وطن لليهود بشدّة، وفهم الهدف والغرض من إنشاء دولة إسرائيل، وكتب يقول: 'إنّهم يضغطون عليّ مراراً كي أقبل بالزعم بالصلة التاريخية بين إسرائيل وأرض فلسطين، ولكنني أعرف أنها مؤامرة عميقة، شديدة الخطورة وذات آثار بعيدة المدى. وإذا ما قبلنا بها، **فلن يكون لدينا العذر لكبح جماح اليهود والسيطرة عليهم**. فلسوف يكررون كلّ تاريخهم القديم، ويقولون لقد فعلنا كذا وكذا في موقع كذا وكذا.. فاليوم لنا الحق في كذا وكذا'/

The Origins & Evolution of The Palestine 1917 – 1989, p21-28, published p.178 " by U.N.O. 1990

إنّ بروز مثل هذه الأصوات التي تبين الحق وتُدافع عنه في العالم يُملي علينا التفكّر بضرورة الاستفادة الإعلامية من هذه الأصوات الحرة الشريفة؛ كما يُملي علينا التفكّر بضرورة خلق جسد إعلامي عربي موحّد يتعاون مع جسد إعلامي إسلامي موحد، وبالتعاون مع دول العالم المضطَهد من قبل القوة التي تُغدق بغِناها أنهاراً من المال لتُبقي خداعَها ودجلَها هو قانون الحق السائد وشرعه المقدس.

لابدّ من الانتباه إلى خطورة الحرب الإعلامية وأهمية التصدّي لها بخطة ذكيةٍ، عالِمة، خبيرة، حكيمة ومتماسكة. وكذلك لا بدّ من التسلّح بجميع إمكانياتها العصرية المتفوّقة. ويجب أن نُدرك أنّ قوّة السلاح الإعلامي الذي يُحمّلونه لكلّ ذرة هواء لتقصف به أسماعنا وأبصارنا وعقولنا داخل بيوتنا ومكاتبنا وجميع محلاتنا، لا تقل عن قوّة أيّ سلاح تدميري شامل يُخطّط لاستخدامه ضدّ وجودنا وكياننا، أو وجود وكيان أيّ مجتمع إنساني شريف **لصالح الشركات والمؤسسات الغربية والصهيونية المسيطرة والحاكمة** التي لن ترضى إلاّ بالرضوخ الكامل من قِبل الشعوب والأمم المضطَهدة، وبالهيمنة الكاملة على جميع ثرواتها ومقدّراتها، بل وشخصيتها وعقيدتها.

وقد تُصيب القذيفة النارية العشرات أو المئات، وربما الالوف—هذا صحيح؛ ولكن **قذيفة القلم والإعلام تُصيب الملايين وتؤثّر فيهم**. وهي قادرة أيضاً على أن تجرح وتعطب أو حتى تقتل ...كما أنها قادرة على أن تُصلح وتُشفي وتُردي الباطل وتُدافع عن الحقّ بقوّة هائلة يرهبها الباطل وينكمش دونها. قال ربّ العالمين: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾.

ألا هبّوا بالحق لتدمغوا به الباطل فيَزهقُه اللهُ بكم.

الفصل السادس عشر

بشارة التوراة— فلسطين للعرب

(خطأ إسرائيل العقائديّ القاتل)!

ليس أمراً خفياً أنّ إسرائيل قد أسست كيانها العدواني الإرهابي الغاصب المحتل على أساس عقائدي خَطّه لها شيوخها، بما استطاعوا من تأويلٍ للبشارات التوراتية، بناءً على أنّ الله سيورث الأرض للمؤمنين المثابرين على عهدهم معه عزّ وجلّ. وبما أنهم يعتقدون أنّهم وحدهم شعب الله المختار (الجوييم)،[1] فكان لا بدّ أن يظنّوا أنّ وعد الله بنصر عباده المؤمنين سيكون من نصيبهم وحدهم، وأنهم سيرثون أرض العرب والمسلمين **من الفرات إلى النيل**، وهذا هو اعتقادهم الشهير الذي يعرفه الناس عنهم، وهم لا يخفونه!

ولكن الحقيقة التوراتية الصاعقة هي على عكس ما يعتقدون تماماً. وهي الحقيقة التي يجب أن يتبيّنها ويفهمها جيداً كلّ سياسي ومواطن عربي مناضل يسعى بإخلاص إلى تحرير الوطن المحتل من رجس الإرهاب الصهيوني القائم.

---

[1] - راجع التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون

*البداية نشأت مع تزوير النص التوراتي

يتبيّن، بكلّ وضوح، من سفر التكوين في التوراة، بأنّ مشايخ اليهود قد تعمّدوا تزوير وقائع البشارات والنبوءات التوراتية، وصياغةَ فهمٍ مقصود لها، حتى يظلّوا مُحكِمين قبضَتهم على عقيدة أتباعهم بحيث يتمكنوا دائماً من السيطرة عليهم وتسييرهم وسَوسهم بحسب أهوائهم هم وضمن مخططات أطماعهم ومؤامراتهم!

* سعي شيوخ اليهود إلى تجريد النبيَّ إسماعيل من حقّه الذي منحه الله إياه

سعياً من أشياخ اليهود لتجريد العرب من إرث إبراهيم العظيم ومن تكريم الله لهم بالنبوّة، وزعماً منهم بأنّ النبوّة لم تكن إلاّ لهم وفيهم باعتبارهم شعب الله المختار، فقد عمدوا إلى طمس قيمة النبوّة والفداء في سيدنا إسماعيل عليه السلام، وزيفوها ليجعلوها لإسحق عليه السلام لاحتكار النبوّة والكرامة في بني إسرائيل وتجريد العرب—— من بني إسماعيل، وبقية العالم من أية قيمة أو كرامة في نظر الله.

يزعم اليهود بأنّ الولد البكر للنبي إبراهيم هو إسحق وليس إسماعيل، ولذلك فهو الذي تلقّى جميع بركات الله وبشاراته بالذرية المباركة والأرض الطيبة!

ورغم أننا كمسلمين نحترم النبي إسحق عليه السلام، ولا نفرّق بين أحد من رسل الله وأنبيائه، ولكننا نعتقد، كما بيّن القرآن الكريم، وتُبيّن النصوص التوراتية الصحيحة بأنّ الولد البكر لإبراهيم عليه السلام كان إسماعيل، وهو الذي أراد

إبراهيمُ عليه السلام التضحية به، ففداه الله بِذِبح عظيم، وإليكم البيان والبرهان:

* ابن إبراهيم البكر

تبدأ الوثيقة التوراتية ببيان أنّ النبي إبراهيم، عليه السلام، قد طلب من الله أن يكون له ذرية وعَقِبْ، وأن يرزقه وارثاً من نسله المبارك. نقرأ في سفر التكوين:

﴿**وبعد هذه الأمور قال الربّ لأبرام في الرؤيا: 'لا تَخف يا أبرام. أنا تُرس لك، وأجرك عظيم جدّاً'. فقال أبرام: 'أيها السيد الرب أيّ خير في ما تُعطيني، وأنا من غير عقب.. وقال أبرام أيضاً: 'إنّك لمْ تعطني نسلاً، وها هو عبد مولود في بيتي يكون وارثي' فأجابه الربّ: ' لن يكون هذا لك وريثاً، بل الذي يَخرج من صلبك يكون وريثك'.**

وأخرجه الرب إلى الخارج، وقال: 'انظر إلى السماء وعدّ النجوم إن استطعت ذلك'. ثم قال له: 'هكذا يكون نسلك'﴾. سفر التكوين 15/ 1-6

نرى من هذه البشارة الإلهية العظيمة لإبراهيم عليه السلام أنّه قد طلب **وريثاً**، **وبما أنّ إبراهيم هو نبيّ الله وخليله العظيم، فهذا يعني أنّ إرثه إرث روحاني عظيم يتعلّق بالنبوة والرسالة والتوحيد، وليس إرثاً دنيوياً يتعلّق بالأموال والثروات. ونرى من وعد الله له بأنّه سيعطيه إرثاً ينشره نسله الذين سيغطّون الأرض ويكونون مثل عدد النجوم في السماء.**

ونقرأ في سفر التكوين أيضاً أنّ الله قد عقد ميثاقاً مع إبراهيم، ووعده بأرض يسكنها نسله، تقول التوراة:

﴿**في ذلك اليوم، عقد الله ميثاقاً مع أبرام قائلاً: ' لنسلك أعطي هذه الأرض: من**

نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات'﴾. سفر التكوين 18/15

سنرى من تحديد هذه البقعة الجغرافية حقائق تتعلّق بواقع تحقيق هذه النبوءة التوراتية العظيمة التي على المسلمين والعرب واليهود وجميع سياسيي العالم أن يتبيّنوا حقيقة مفهومها ومغزاها.

ونعلم من التوراة بأنّ ساراي زوجة إبراهيم كانت عاقراً لا تُنجب:

﴿**وأما ساراي زوجة أبرام فقد كانت عاقراً، وكانت لها جارية مصرية تُدعى هاجر**[1]. **فقالت ساراي لأبرام: 'هو ذا الربّ قد حرمني من الولادة، فادخل عليها لعلّني أُرزق منها بنين'. فسمع أبرام لكلام زوجته. وهكذا بعد إقامة عشر سنوات في أرض كنعان، أخذت ساراي جاريتها المصرية هاجر وأعطتها لرجلها أبرام لتكون زوجة له. فعاشر هاجر فحبلت له**﴾. سفر التكوين 1/16-3

نلاحظ هنا أنّ هذا الولد الذي حملت به هاجر من إبراهيم عليه السلام هو الذي يشكل تحقيق بشارة الله لإبراهيم بأنّه سيكون الوريث الذي سيأتي منه نسل ينتشر في الأرض ويكون بمثل عدد النجوم.

إنّه **ولد إبراهيم البكر**، وريثه وبشارة الله له.

* بشارة ملاك الرب

ووقع خلاف بين هاجر وساراي، تقول التوراة:

﴿**ولمّا أدركت . هاجر . أنها حامل هانت مولاتها في عينيها، فقالت ساراي لأبرام: 'ليقع ظلمي عليك فأنا قد زوّجتك من جاريتي، وحينَ أدركتْ أنها حامل هنتُ في**

[1] - لقد كانت هاجر في الواقع من عائلة مصرية نبيلة.

عينيها. ليقضِ الرّبُ بيني وبينك' فأجابها أبرام: 'ها هي جاريتك تحت تصرّفك، فافعلي لها ما يحلو لك' فأذلّتها ساراي حتى هربت منها.

فوجدها ملاك الربّ بالقرب من عين الماء في الطريق المؤدّية إلى شور. فقال: 'يا هاجر جارية ساراي، من أين جئتِ؟ وإلى أين تذهبين؟'. فأجابت 'إني هاربة من وجه سيدتي ساراي' فقال لها ملاك الرب: 'عودي إلى مولاتك واخضعي لها' وقال لها ملاك الرّب: 'لأكثّرنّ نسلك فلا يعود يُحصى' وأضاف ملاك الرّب: 'هوَذا أنت حامل، وستلدين ابناً تدعينه (إسماعيل) ومعناه (الله يسمع)، لأنّ الرب قد سمع صوت شقائك'﴾. سفر التكوين 5/16-12

نلاحظ هنا تأكيد بشارة الله بأنّها تختص بـ **(إسماعيل)** باعتباره ولد هاجر الذي هو أيضاً ولد إبراهيم البكر إذ هو الذي تتحقق به بشارة **تكثير نسل إبراهيم حتى لا يعود يُحصى**. ولا بد من ملاحظة أنّ تسميته من الله بـ **(إسماعيل)** التي تعني **(الله يسمع)** أيّ أنّه **هو استجابة الله لإبراهيم** بأن يرزقه وريثاً.

أي أنّ **إسماعيل**—ببشارة الله—**هو** ولد إبراهيم البكر **وهو** وريثه.

*مولد إسماعيل

﴿ثم وّلدت هاجر لأبرام إبناً، فدعا أبرامُ ابنَه الذي أنجبته له هاجر (إسماعيل). وكان أبرام في السادسة والثمانين من عمره عندما ولدت له هاجر إسماعيل﴾[1]. سفر التكوين 15/16-16

[1] - نلاحظ هنا بتوثيق سفر التكوين في التوراة أنّ إسماعيل كان أوّل ولد لإبراهيم، ولذلك فقد كان هو وحيده، وكان عمر إبراهيم آنئذ 86 سنة.

من المهمّ جداً، للتحقيق، هنا ملاحظة عمر إبراهيم عندما وُلد له **ابنه البكر ووحيده**، حتى ذلك الحين، **(إسماعيل)**. لقد كان إبراهيم **في السادسة والثمانين** عندئذ.

* العهد والختان

﴿**وعندما كان إبرام في التاسعة والتسعين من عمره، ظهر له الرّب قائلاً: 'أنا هو الله القدير. سِر أمامي وكن كاملاً، فأجعلُ عهدي بيني وبينك، وأكثّر نسلك جدّاً'. فسقط أبرام على وجهه، فخاطبه الله قائلاً: 'هاأنا أقطع لك عهدي، فتكون أباً لأمم كثيرة. ولن يُدعى اسمك بعد الآن أبرام (ومعناه الأب الرفيع)، بل يكون اسمك إبراهيم (ومعناه أب لجمهور)، لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم؛ وأصيّرك مثمراً جدّاً؛ وأجعل أمماً تتفرّع منك، ويخرج من نسلك ملوك. وأقيم عهدي الأبدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلاً بعد جيل، فأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. وأهبك أنتَ وذرّيتك من بعدك جميع أرض كنعان، التي نزلتَ فيها غريباً مُلكاً أبدياً؛ وأكون لهم إلهاً'.**

وقال الربّ لإبراهيم: 'أمّا أنت فاحفظ عهدي،أنت وذرّيتُك من بعدك مدى أجيالهم. هذا هو عهدي الذي بيني وبينك وبين ذرّيتك من بعدك الذي عليكم أن تحفظوه: أن يُختتن كلّ ذكر منكم، تختتنون رأس قُلفة غُرلتكم، فتكون علامة العهد الذي بيني وبينكم؛ تختتنون على مدى أجيالكم كلّ ذكر فيكم ابن ثمانية.. فيكون عهدي في لحمكم عهداً أبدياً[1]. أمّا الذّكر الأغلف الذي لم يُختتن، يُستأصل من بين قومه لأنّه نكث عهدي'﴾.
سفر التكوين 17/1-14

[1] - من المعلوم أن جميع المسلمين بلا استثناء يختتنون جميع أولادهم الذكور.

نلاحظ هنا تجديد وعد الله لإبراهيم بأن يُكثّر نسله كثيراً جدّاً، وأنّه سيكون أباً لجمهور من الأمم، وليس أمّة واحدة. كما نلاحظ بأنّه سيُصيّره مثمراً جدّاً ويجعل أمما تتفرّع منه، ويكون هو (الله) الإله الواحد لجميع هذه الأمم، وأنّه سيهبه جميع أرض كنعان ويجعلها له مُلكاً أبدياً. وأما العهد الذي على نسله أن يحفظه إلى الأبد فهو الختان.

* وعد الله لسارة

وقال الربّ لإبراهيم: ﴿**'أما ساراي زوجتك فلا تدعوها ساراي بعد الآن، بل يكون اسمها سارة. وأباركها وأعطيك ابناً منها. سأباركها وأجعلها أمّاً لشعوب، ومنها يتحدّر ملوك أمم'. فانطرح إبراهيم على وجهه وضحك قائلاً في نفسه: 'أيولد ابن لمن بلغ المئة من عمره! وهل تُنجب سارة وهي في التسعين من عمرها!**﴾. التكوين 17/15-17

نُلاحظ هنا أنّ إبراهيم حينما تلقّى البشارة بإسحق كان قد بلغ المئة، في حين أنّه عندما وُلِد له إسماعيل، بِكره ووحيده، كان هو في السادسة والثمانين.

* دعاء إبراهيم لله من أجل ولده إسماعيل

﴿**وقال إبراهيم لله: 'ليتَ إسماعيل يحيا في رعايتك'.فأجاب الرب: 'إنّ سارة زوجتك هي التي تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق (ومعناه يضحك) وأقيم عهدي معه ومع ذرّيته من بعده عهداً أبدياً. أمّا إسماعيل فقد استجبتُ لِطِلبتك من أجله. سأباركه حقّاً، وأجعله مُثمراً، وأُكثّر ذريته جدّاً، فيكون أباً لاثني عشر رئيساً، ويُصبح أمّة كبيرة. غير أنّ عهدي أُبرمه مع إسحق الذي تُنجبه لك سارة في مِثل هذا الوقت من السنة القادمة'**﴾. التكوين 17/15-21

نلاحظ هنا دعاءً خاصّاً يرفعه إبراهيم لله عزّ وجلّ ليحيا ولده إسماعيل في رعايته. ونلاحظ أنّ الله قد بشّره بأنّه استجاب لدعائه من أجله. وأيضاً يؤكّد له بأنّه سيباركه ويجعله مثمراً ويُكثّر ذريّته جداً ويجعله أمّة كبيرة.

* مولد إسحق

﴿**وافتقد الرب سارة كما قال، وأنجز لها ما وعد به، فحبلت سارة وولدت لإبراهيم في شيخوخته ابناً، في الوقت الذي عيّنه الله له. فدعا إبراهيمُ ابنه الذي أنجبته له سارة (إسحق)، وختنه في اليوم الثامن بموجب أمر الله. وكان إبراهيم قد بلغ المئة من عمره عندما وُلد له إسحق**﴾. سفر التكوين 21/1-5

نلاحظ هنا أن إبراهيم عليه السلام كان قد بلغ المئة من عمره عندما وُلد له إسحق.

* تعالوا نصدّق الكتاب المقدّس

إذا قارنّا بيان سفر التكوين في الكتاب المقدّس، فيما يتعلّق بولادة إسماعيل وإسحق نجد التالي:

﴿**وكان أبرام في السادس والثمانين من عمره عندما ولدت له هاجر إسماعيل**﴾. سفر التكوين 16/16

﴿**وكان إبراهيم قد بلغ المئة من عمره عندما وُلد له إسحق**﴾. سفر التكوين 5/21

من مقارنة هذين النصّين المقدّسين في الكتاب المقدّس تتبيّن لنا الحقائق التالية:

عندما ولد سيدنا **إسماعيل** كان عمر سيدنا إبراهيم عليه السلام **86** سنة.

عندما وُلد سيدنا **إسحق** كان عمر سيدنا إبراهيم **100** سنة.

يقودنا هذا البيان من الكتاب المقدّس إلى الحقائق التالية:

أولاً: إن إسماعيل **هو الابن البكر** لإبراهيم عليهما السلام.

ثانياً: كان عمر إسماعيل **14** عاماً عندما وُلد أخوه إسحق.

ثالثاً: وهذا يعني أن إسماعيل كان **الابن الوحيد** لإبراهيم طوال مدّة **14** عاماً.

إنّ هذا البيان يُفيدنا كثيراً في تبيّن الحقائق التوراتية التالية المتعلّقة بالنبيين إسماعيل وإسحق عليهما السلام.

* الذبيح الذي فداه الله

يختلف القرآن الكريم مع ما هو وارد في سفر التكوين من أنّ الولد الذي قدّمه إبراهيم للذبح كان إسحق وليس إسماعيل. إذ في حين يقول الكتاب المقدّس بأنّ الذبيح كان إسحق عليه السلام، يقول القرآن الكريم، بكلّ وضوح، أنه كان **إسماعيل** عليه السلام.

نجد أولاً أنّ القرآن يتّفق مع بيان التوراة في أنّ سيدنا إبراهيم قدّ دعا ربّه ليرزقه ولداً، ونقرأ شكرَ إبراهيم لربّه على استجابة الله له ذلكَ الدعاء، نقرأ حمد إبراهيم عليه السلام:

﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء﴾ سورة إبراهيم 40

كما نقرأ في القرآن الكريم ما يرويه ربنا عزّ وجلّ عن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، حيث يقول:

﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ * يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصالحين**﴾ الصافات 98 -111

تُبيِّن هذه الآيات الكريمة أنّ سيدنا إبراهيم صدّق الرؤيا من الله عزّ وجلّ وقصد الاستجابة لأمر الله تعالى فأخذ بِكره **ووحيده** إسماعيل لتقديمه أضحية لربّ العالمين. كما تُبيِّن بأنّ إسماعيل عليه السلام قد استجاب لأمر الله وسلّم نفسه طوعاً لأبيه قائلاً: ﴿**افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ وبهذا فإنّ الأب وابنه قد استجابا بشكل كامل لأمر الله تعالى في بلاء مُبين أثبتا فيه طاعتهما وصدق إيمانهما.

وأمّا في سفر التكوين من التوراة فنقرأ:

﴿**وبعد هذا امتحن الله إبراهيم، فناداه: "يا إبراهيم" فأجابه: لبّيك. فقال له:"خُذ ابنك وحيدك إسحق..**﴾. سفر التكوين 22/1-2

* التحريف المفضوح

وجدنا من البيان التوراتي السابق في سفر التكوين أنّ ابن إبراهيم الذي ظلّ **وحيداً** له مدّة **14** عاماً قبل أن يرزقه الله بإسحق ولداً ثانياً **هو إسماعيل** بكلّ تأكيد، ولكنّ المفاجأة هنا أننا نجد هذا النص من سفر التكوين يذكر إسحاق على أنه كان وحيد إبراهيم وليس إسماعيل؛ وهذا يؤكّد تحريف علماء اليهود في هذا الموضع وتزييفهم للوحي الإلهي! نقرأ النص ثانية:

﴿**وبعد هذا امتحن الله إبراهيم، فناداه: 'يا إبراهيم' فأجابه: 'لبّيك'. فقال له:'خُذ ابنك وحيدك، إسحق الذي تُحبّه، وانطلق إلى أرض المُريّا وقدِّمه مُحرَقة على أحد الجبال الذي أهديك إليه**﴾. سفر التكوين 22/1-2

﴿**ولمّا بلغا الموضِع الذي أشار إليه الله، شيّد إبراهيم مذبحاً هناك، ونضَّد الحطب، ثم أوثق إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. ومدّ إبراهيم يده وتناول السكّين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً: 'إبراهيم، إبراهيم' فأجاب: 'نعم'. فقال: 'لا تمدّ يدك إلى الصبي، ولا توقع به ضرّاً، لأنّي علمتُ أنّك تخاف الله، ولم تمنع ابنك وحيدك عنّي'. وإذ تطلّع إبراهيم حوله، رأى خلفه كبشاً قد علق بفروع أشجار الغابة، فذهب وأحضره وأصعده مُحرقة عِوضاً عن ابنه**﴾. سفر التكوين 22/9-13

﴿**ونادى ملاكُ الرب إبراهيم من السماء مرّة ثانية، وقال: 'هاأنا أُقسم بذاتي' يقول الرب: 'لأنّك صنعتَ هذا الأمر، ولم تمنع ابنك وحيدك عنّي، لأباركنّك وأكثّرنَّ ذريتك فتكون كنجوم السماء وكرمل شاطئ البحر، وتَرِثُ ذُرّيّتُك مُدُنَ أعدائها. وبِذُرّيتك تتبارك جميع أمم الأرض، لأنّك أطعتني'. ثمّ رجع إبراهيم إلى غُلاميه، وعادوا جميعاً إلى بئر سبع حيث أقام إبراهيم**﴾. سفر التكوين 22/15-19

نجد أنّ النصّ التوراتي هنا يذكر لفظتي (**ابنك وحيدك**) ثلاث مرات؛ وبما أنّه

لم يكن من ولد وحيد لإبراهيم إلاّ إسماعيل، **فإسماعيل** إذن **هو** الذي قدّمه إبراهيمُ للذبح استجابة لأمر الله الذي فداه بذِبح عظيم. وأمّا إضافة اسم إسحق إلى لفظة (**وحيدك**) أو البكر فهي تحريف واضح مُبين لا يمكن تبريره بأيّ شكل كان. **إلاّ إذا كان الله (سبحانه) قد نسي أنهّ قد كان لإبراهيم ولد آخر بالإضافة إلى إسحق،** أو أنهّ عزّ وجلّ كان يعتبر إسحق فقط ابن إبراهيم، كما يحلو للبعض أن يزعموا وبذلك تكون جميع بشارات الله بإسماعيل كذباً والعياذ بالله، وحاشى لله وسبحانه وتعالى عمّا يصفون!

لقد أراد علماء اليهود بهذا التحريف أن يُثبتوا بأنّ إسحق، الذي هو والد النبي يعقوب (إسرائيل) عليه السلام، كان هو الأضحية المباركة التي فداها الله ذاته، لكي يجعلوا نعمة الله وبركاته وسلسلة النبوّة محصورة ببني إسرائيل وحدهم، ولا حصّة لبني إسماعيل في ذلك مُطلقاً.

وإذا ما لاحظنا وعد الله لإبراهيم، بسبب تضحيته بابنه وحيده، قائلاً: ﴿لأباركنّك وأُكثّرنّ ذرّيتك **فتكون كنجوم السماء**﴾ 5/15 مع وعد الله لإبراهيم، عند دعائه بأن يرزقه من زوجته هاجر ولداً يكون وارثاً، فقال له: ﴿'انظر إلى **السماء وعدّ النجوم** إن استطعت ذلك'. ثم قال له: '**هكذا يكون نسلك**'﴾. سفر التكوين 15/ 1-6، **نجد مقارنة عدد نسل إبراهيم بعدد نجوم السماء في كلّتي البشارتين،** وفي هذا مؤشّر واضح إلى إسماعيل الوارث الذي منه يكون النسل الذي يتبارك به إبراهيم عليه السلام في الأمم كلّها، وتتبارك الأمم كلّها به. ولكنّ هذا لا يعني مطلقاً بأنّ بركات الله لم تنل الذريّة المؤمنة من نسل إسحق

عليه السلام، بل قد كانت مباركة على قدر ما بيّنت التوراة، وكما سنبيّن في ما يلي.

* لماذا التحريف ونقل التضحية من إسماعيل إلى إسحق

نلاحظ من النبوءات التوراتية العظيمة أنّ إبراهيم عليه السلام قد طلب من الله عزّ وجلّ أن يهبه وارثاً، وأنّ الله قد استجاب له. وهذا يعني أنّ الإرث الروحاني العظيم الذي ينبثق عنه إيمان أمم وشعوب كثيرة عظيمة سيأتي عن طريق هذا الوارث المبشَّر به وتكون من نسله. ولكنّ الذي يجب فهمه أنّ النسل المقصود هنا ليس مجرّد النسل المادّي المتعلّق بالجنس والقبيلة، **وإنما هو النسل الروحاني الذي يتّصل به المؤمنون بعضهم مع بعض، في العالم كلّه، من غير أن ينتموا إلى جنس بعينه أو قبيلة مُعينة.** وهذا ينفي ويُنكر مفهوم العنصرية المتعلّقة بالانتماء إلى شعب أو أمّة أو قبيلة معينة؛ كما هي الحال بالنسبة إلى إسرائيل والإسرائيليين.

ولما كان فهْم علماء اليهود حرفياً ومادّياً، فقد فهموا من بشارة الله بتكثير نسل وارث إبراهيم، بأنّ أبناء هذا الوارث سيسيطرون على الممالك والأمم فتكون جميعاً ملكاً لهم يخضع أهلها لاستغلالهم وسيطرتهم ولو حتى بالقتل والإبادة[1]!

ولمّا كان من الواضح في البشارة التوراتية أنها تتعلّق **بالوارث** الذي طلبه إبراهيم من الله ونسله، فهذا يعني أنها تتعلّق **بإسماعيل** الذي جاء استجابة لدعوة أبيه

[1]- راجع مفاهيمهم التوراتية والتلمودية وبياناة شيوخهم في بروتوكولاتهم المشهورة.

إبراهيم ليهبه الله وارثاً فبشّره بإسماعيل، ولذلك فقد عمد أشياخ وعلماء اليهود إلى تحريف وتزوير البشارة بحيث يجعلوها خاصّة بإسحق والد النبي يعقوب (إسرائيل) حتى تكون البشارة محصورة بنسله (أي ببني إسرائيل وحدهم)، ففشلوا وانكشف تزويرهم وتحريفهم كما بيّنا من سفر التكوين في التوراة ذاتها (الكتاب المقدّس).

أراد اليهود أن يكون الإرث الإبراهيمي خاصاً ببني إسرائيل، ليقنعوا الناس أنّ كثرة نسل (إسرائيل) وانتشارهم في الممالك والبلاد والعباد ستكون فقط من نصيب اليهود من (بني إسرائيل)، وليس للعرب أو غيرهم من البشر حقّ في هذه البشارة؛ وعلى هذا الأساس قامت الصهيونية العالمية! وإذا ما تذكّرنا من جديد أنّ فهم اليهود يركّز على الجانب المادّي من التملّك والانتشار فهذا سيجعلنا أقدر على فهم خطّة استيلائهم على العالم كلّه ليكون ملكاً لهم ولنسلهم من بني إسرائيل، أي لدولة (إسرائيل) الصهيونية! ولهذا فقد زيّفوا وحرّفوا حقيقة تقديم إبراهيم **وحيده إسماعيل** ذبيحة لله، ونقلوها بمكر خبيث لتخصّ النبي إسحق عليه السلام.

* بين عنصرية إسرائيل الصهيونية وإنسانية الإسلام الشاملة

الإسلام يُناقض العنصرية، يستنكرها، بل ويحضّ على نبذها ومحاربتها. فالدين لدى المسلمين عند الله واحد. وهو لخلق الله جميعاً. والرسل، جميعهم، يأتون من عنده برسالة التوحيد وعبادة الله وحده. ويحقّ لعباد الله جميعاً أن يؤمنوا بما أنزل

الله لهم من شريعة وهُدى من غير ما قهر ولا اعتداء، أو إكراه. ولقد أمر الله المسلمين في كتابه المجيد بأنّ يؤمنوا بما أنزل إليهم على محمد صلى الله عليه وآله وسلّم وكذلك بما أنزل من قبله، يقول تعالى:

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمـَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزل إِلَيْكَ **وَمَا أُنزلَ مِن قَبْلِكَ** وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة 1-6

*__يؤمن المسلمون برسالات الله لجميع الأمم__:

فالمسلمون لا يؤمنون فقط بما أُنزل على محمّد، بل وبما أُنزل على موسى وعيسى والنبيين ولا يفرّقون بين أحد منهم، نقرأ في القرآن الكريم:

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران 85

هذا التعليم القرآني العظيم يؤكّد بأنّ المسلمين **يتميّزون** بأنهم يؤمنون بجميع الرسل، ويقدّسون جميع الرسالات السماوية باعتبارها جميعاً من الله تعالى. وهذا ينفي، بكلّ قوّة وجلاء، أية تهمة بالعنصرية التي تدفع إلى الظلم والغصب والإبادة والعدوان؛ في حين أنّنا لا نجد في أيّ دين آخر سواء لدى اليهود أو غيرهم من البوذيين أو الهندوس إلخ أدنى اعتراف بعقائد غيرهم فضلاً عن اعترافهم بالإسلام.

هذا وإنّ فكرة شعب الله المختار الشهيرة لدى اليهود، تُعلن بكلّ صراحة ووضوح تميّز اليهود (الجويش) عن بقية البشر (الجوييم) الذين ما هم في نظرهم إلاّ مجرّد بهائم مادّية على صورة بشرية ليستمتع اليهود باستخدامهم لطاقاتهم، وامتلاك واغتصاب ما في أيديهم!

* دعوى الصهيونية العالمية في سيطرتها وتملّكها

ولكي يفهم السياسيون حقيقة الأطماع الإسرائيلية الصهيونية العالمية، سواء في فلسطين وبقية العالم العربي، أو في العالم كلّه، لا بدّ لهم أن يتدبّروا عقيدة اليهود التوراتية التي نسجوا منها شبكة سيطرة عنكبوتية مركزها إسرائيل، وهدفها العالم كلّه، وإليكم البيان:

يحرص الإسرائيليون على جعل جميع يهود العالم يعتقدون بأنّ التوراة تعدهم بأن تكون لهم أرض العرب من الفرات إلى النيل مركزاً لمملكتهم، ويعتمدون في ذلك على تأويل الإصحاح 15 العدد 18 من سفر التكوين:

﴿**في ذلك اليوم قطع الربّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً: 'لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفُرات**﴾ التكوين 18/15

كما أنهم يعتمدون على ما جاء في سفر التكوين من أنّ الله قد وعد إبراهيم بأن يهبه جميع أرض كنعان العربية:

﴿**وأقيم عهدي الأبدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك جيلاً بعد جيل، فأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. وأهبك جميع أرض كنعان التي نزلتَ فيها غريباً، ملكاً أبدياً**

وأكون لهم إلهاً﴾. التكوين 17/7-8

﴿**في ذلك اليوم قطع الربّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً: 'لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفُرات**﴾ التكوين 15/18

بناءً على تأويل الصهاينة لهذه النبوءات التوراتية يَعملون على إقناع يهود العالم بالهجرة إلى فلسطين للتمركز فيها ومن ثم الانطلاق منها لاحتلال بلاد العرب من الفرات إلى النيل لتكون ملكاً أبدياً لهم! وأمّا الذين لا يقتنعون بدعواهم، ولا يوافقون على الهجرة إلى فلسطين، فيسعون، بالإرهاب المنظّم وكافّة الوسائل، إلى جعل حياة أولئك اليهود جحيماً لا يُطاق إلى أن يرتدّوا عن رفضهم ويوافقوا على الهجرة[1].

إنهم يسعون لجمع يهود العالم كلّه في فلسطين!

هذا هو حلمهم، الذي لو فهموه حقّ الفهم لرأوا أنه كابوسهم القاتل بدءاً من اغتصابهم فلسطين واحتلالهم لها. وسنبرهن على ذلك بعون الله تعالى من توراتهم ذاتها، الفصل التالي.

قد برهنّاً أولاً بأنّ الوارث الذي طلبه إبراهيم بدعاء مُلحّ من الله تعالى هو إسماعيل عليه السلام. وذكرنا أيضاً أنّ إرث إبراهيم الحقيقي، باعتباره نبي الله وخليله، هو إرث روحاني وليس إمبراطورية مادّية تمتد في بلاد وممالك. ولذلك فإنّ نسل إبراهيم الحقيقي هو نسله الروحاني، يعني أولئك المؤمنين الذين يؤمنون

[1] - ثمة الكثير من الوثائق المسجلة تُبيّن بأن الصهاينة كانوا يهاجمون بيوت اليهود الرافضين للهجرة ومصالحهم ويضربوها ويقتلون ويُفسدون إرهاباً لهم ليوافقوا على الهجرة إلى فلسطين.

بهديه التوحيدي في سلالة النبوة المستمرّ في ذرّيته. **وهي الكلّمة الباقية في عقبه** التي يتحدّث عنها القرآن الكريم، فيقول:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ **إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ** * إِلاّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين*وَ**جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ الزخرف 26-29

وعلى ضوء هذا البيان الإلهي فإنّ من المهمّ جداً أن نفهم ويفهم العالم ما يلي:

* نسل إبراهيم الحقيقي

إنّ نسل إبراهيم الحقيقي هم المؤمنون المستمرّون على الإيمان بسلسلة الهدايات السماوية التي أنزلها الله من بعد إبراهيم عليه السلام، سواءٌ أكانوا من بني إسرائيل أو بني إسماعيل، أو حتى غيرهم طالما كانوا مؤمنين برسالات الله وهداياته من بعد إبراهيم عليه السلام. ولذلك فإنّ جميع أتباع أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا من بعد إبراهيم هم من نسل إبراهيم عليه السلام، وبذلك يكون المسيحيون الذين صدّقوا بالمسيح عيسى بن مريم هم من نسل إبراهيم عليه السلام، في حين أنّ اليهود الذين كفروا بالمسيح عيسى عليه السلام لا يمكن أن يكونوا من نسل إبراهيم ولو كانوا من ذرّيته وأبنائه، وذلك لأنّه لا يمكن للكافرين برسل الله وآياته وأنبيائه أن يكونوا من نسل المؤمنين وأنبيائهم. وهذا ما يُبيّنه القرآن في نهي الله لنوح عليه السلام أن يقول عن ابنه إنّه من أهله، فقال له إنّه ليس من أهله، يعني لا يستحق الانتساب إلى النبي المؤمن نوح حتى لو كان ابنه، لأنه عمل غير

صالح، يقول تعالى:

﴿ونادى نوحٌ ربهُ فقال ربّ إنّ ابني مِنْ أَهلي وإنَّ وَعْدَكَ الحقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحاكمين* قالَ يا نوحُ **إنّه ليسَ مِن أَهْلِكَ** إنّه عملٌ غيرُ صالحٍ فلا تَسألنِ ما لَيس لك به عِلم إنّي أَعظك أن تكونَ من الجاهلين﴾ هود 46-47

إنّ أهلية الانتساب إلى نَسْلٍ وذرية نبيّ تقتضي الإيمان بالله تعالى ورسالة الأنبياء ودينه الحنيف، وبذلك يصير جميع المؤمنين من نَسلٍ شريف واحد جدير بالانتماء إلى أنبياء الله ورسله يقول تعالى:

﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ أي أنهم من نسلٍ روحي واحد، وهذا هو المعنى الذي قصدَتْه التوراة عندما بشّر الله إبراهيم بأنّ نسله سينتشر في الأرض كلّها وسيكون مباركاً وسيكون بعدد نجوم السماء، ولـِمَ لا وهو أبو الأنبياء الذي سيكون جميع النسل الإيماني منه عليه السلام.

* أتباع المسيح هم من نسل إبراهيم

وكما بيّنا فإنّ الذين آمنوا بسلسلة الأنبياء من بعد إبراهيم عليه السلام كانوا من نسل إبراهيم حقاً، وأما الكافرون فلا. ونعلم أنّ الله قد بعث لبني إسرائيل عيسى بن مريم عليه السلام ليردّهم إلى تعاليم موسى والأنبياء عليهم السلام. فآمنت طائفة من بني إسرائيل واستمرّوا في اعتبارهم من نسل إبراهيم الروحي، وكفرت طائفة فأخرجت نفسها من ذلك النسل الشريف أو أنها كانت قد خرجت مسبقاً واستمرّت على ذلك، وهم اليهود الذين كفروا بعيسى ومحمّد وما

زالوا حتى اليوم على كُفرهم الذي خالفوا فيه كلّمة إبراهيم التوحيدية التي جعلها الله باقية في عقبه إلى يوم القيامة. فكيف يكون اليهود الكافرين بكلّمة إبراهيم وسلسلته الإيمانية هم من نسله؟!

* النسل اليهودي بين بشارة الانتشار الكبير وضآلة الواقع

وكما رأينا من التوراة، فإنّ بشارة الله لإبراهيم أنّه سيكثّر نسله كثيراً جدّاً حتى يصير أمما وشعوباً وأناساً بعدد نجوم السماء وحتى لا يعود يُحصى، نقرأ ونتذكّر وعد الله لإبراهيم عليه السلام:

﴿**لأباركنّك وأُكثّرنّ ذرّيتك فتكون كنجوم السماء**﴾ تكوين 5/15

وفي موضعٍ آخر:

﴿'**انظر إلى السماء وعدّ النجوم إن استطعت ذلك**'. **ثم قال له**: '**هكذا يكون نسلك**'﴾. سفر التكوين 15/ 1-6

﴿**لأكثّرنّ نسلك فلا يعود يُحصى**﴾ تكوين 11/16

أين اليهود من وعد الله هذا وعهده؟!

لقد مضى على تشتت اليهود وتيههم وضياعهم في الأرض أكثر من ألفي سنة حتى الآن، وما يزالون تلك القلّة الصهيونية المكروهة المنبوذة التي يحذرها العالم والأمم وينسبون إليها جميع رذائل البشرية المنكرة. فأين النسل الإسرائيلي الذي يضاهي عدد النجوم ويُبارك الأمم وتتبارك به؟!

إنّ سعيهم للتجمّع في فلسطين بعد اغتصابها لن يُجديهم نفعاً، ولن يوصلهم إلى أن يكاثروا الشعوب فيصيروا بأعداد لا تُحصى تبتلع البلاد وتُبيد الأمم، **بل إنّ التوراة تتوعّدهم بأنّ فلسطين ستكون مقبرتهم التي يذبحهم الله ذاته فيها،** كما سنبرهن، بعون الله تعالى، في الفصل التالي.

* المسلمون هم نسل إبراهيم الكثير في أمم وشعوب الأرض

بعد أنّ استمرّت سلسلة إبراهيم الإيمانية في الأنبياء، بعثَ الله المسيحَ عيسى بن مريم بالتوحيد الذي جعله الله رسالة إبراهيم وموسى والنبيين من بعدهم، فآمن المؤمنون من بني إسرائيل واستمرّ بهم نسل إبراهيم الروحاني، وكفر من كفر منهم فانقطعوا عن إبراهيم ونسله.

وحين بعث الله رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلّم آمن به من آمن من بني إسرائيل الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ورسالته وكفر من كفر. وبذلك استمرّ المؤمنون بكونهم من نسل إبراهيم المبارك وصاروا مسلمين بالإضافة إلى كلّ من أسلم من الناس سواء من العرب أو غيرهم وفي هذا يلتقى، في الإسلام، نسلُ إبراهيم المبارك بعضهم مع بعض من الناس والأمم جميعاً. وأمّا بني إسرائيل الذي خرجوا من الإيمان، فقد خرجوا من العهد. وهذا ما يجب أن يفهمه الصهاينة وساسة العالم كلّه.

نستطيع أن نفهم وعد الله في التوراة لإبراهيم بأنّه سيجعله أباً لجمهورٍ من الأمم والشعوب، حيث أنّ هذا الأمر متحقق في حوالي ألفي مليون مسلم ويزيدون

ينتشرون في أممٍ وشعوب كثيرة في العالم بالإضافة إلى العرب المسلمين الذين يسكنون الأرض التي وعدها الله لنسل إبراهيم.

* المسلمون العرب هم الذين يسكنون فلسطين والأرض ما بين الفرات والنيل

ينشر الصهاينة بين يهود العالم دعوى أنّ الله سيهبهم فلسطين وأرض العرب ما بين الفرات إلى النيل، بناءً على ميثاقه الذي قطعه مع إبراهيم عليه السلام:

﴿**في ذلك اليوم قطع الربّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً: 'لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير الفُرات**﴾ التكوين 18/15

وكما بيّنا فإنّ نسل إبراهيم عليه السلام هم المؤمنون بدعوته ورسالات النبيين الذين بعثهم الله بالتوحيد الذي بعث به إبراهيم، وبالإضافة إلى حقيقة أنّ العرب هم من نسل إبراهيم من إسماعيل من الناحية الجسدية، فإنّهم أيضاً نسله من الناحية الروحانية باعتبار أنّهم يؤمنون بجميع أنبياء الله تعالى، وبعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلّم؛ وهم في أرضهم فلسطين وفي ما بين الفرات النيل آمنين في عطاءٍ جعله الله لهم ملكاً أبدياً ولو كرهت إسرائيل والصهاينة أجمعون. وهكذا فإنّ وجود العرب في فلسطين وبلاد ما بين الفرات والنيل بالإضافة إلى بقية أرضهم، إنما هو تحقق لبشارة الله في التوراة.

وبذلك فإنّ بشارة الله لإبراهيم تعني أنّ فلسطين **ستكون مُلكاً أبدياً للعرب** وليس للإسرائيليين كما يحلمون، وإنّ اغتصابهم هذا منقطع ومبتور لا محالة مها

كادوا ومكروا وطغوا وبغوا.

* اليهود يُهينون إبراهيم ولا يُكرمونه

نقرأ في التوراة أنّ نسل إبراهيم المبارك سينشرون ذكر إبراهيم المبارك فيكرمونه ويُعظّمون اسمه بناءً على توفيق الله لهم في فعل ذلك، حيث وعد الله إبراهيم قائلاً:

﴿**وقال الرّب لأبرام: 'اترك أرضكَ وعشيرتك وبيتَ أبيك واذهب إلى الأرض التي أريك، فأجعل منك أمّة كبيرة وأباركك وأُعظِّم اسمك، وتكون بركةً لكثيرين. وأبارك مُباركيك وألعنُ لاعنيك، وتتبارك فيك جميع أمم الأرض...**﴾ تكوين 12/1- 3

نُلاحظ من هذا النصّ التوراتي في الكتاب المقدّس أنّ الله سيجعل المؤمنين من نسل إبراهيم أمّة كبيرة تُبارك إبراهيمَ وتنشر ذِكرَه المبارك إلى حدّ أنّ جميع أمم الأرض تتبارك به. ولكنّ الذي يقرأ تزييف أشياخ اليهود وتحريفاتهم في التوراة يجد أنّهم يهينون إبراهيم إهاناتٍ كثيرة لا تليق حتى بالفاسقين، وإليكم البيان:

نقرأ التعليم العجيب عن التصرّف المهين الذي تنشره توراة اليهود عن إبراهيم عليه السلام حيث تقول:

﴿**وعمّت تلك البلاد مجاعة، فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرّب فيها لأنّ المجاعة كانت شديدة في الأرض. وما إن اقترب من تُخوم مصر حتى قال لزوجته ساراي: 'أنا أعرف أنك امرأةً جميلة، فما إن يراك المصريون حتى يقولوا: هذه هي زوجته فيقتلونني ويستحيونك. لذلك قولي إنك أختي، فيُحسنوا معاملتي من أجلك وتنجو حياتي بفضلك'**﴾ تكوين 12/10- 14

يدفعنا المنطق في مواجهة هذا النصّ إلى التساؤلات التالية:

*إذا كان ثمة خوف على زوجة إبراهيم من أن يتعرّض شرفها للأذى في مصر بسبب جمالها، فلماذا يأخذها إلى ذلك المكان؛ أمِن أجل الخبز فقط؟! ألم يكن إبراهيم يؤمن بأنّ الله هو الرزّاق الكريم، وأنّه لا يجدر بالمؤمن التضحية بعِرضه وشرفه من أجل الرّزق؟! نعلم من القرآن أنّ إيمان إبراهيم بأنّ الرزق إنما هو من عند الله وحده قد جعله يترك زوجته هاجر وابنه إسماعيل في واد غير ذي زرع لا ماء فيه ولا طعام، ودعا ربه قائلاً:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ (إبراهيم 38)

*نلاحظ من النص التوراتي – المحرّف – أنّ خوف إبراهيم كان على نفسه من أن يقتلوه أكثر من خوفه على زوجته وذلك بدليل قوله:

﴿**'فيُحسنوا معاملتي من أجلك، وتنجو حياتي بفضلك'**﴾!

*نلاحظ أنّ هذه الخطّة المفتراة على إبراهيم سخيفة وفاشلة ولا تليق بذكاء الفرد العادي عدا أن تليق بنبيّ أو بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام. ولنتابع فنرى ماذا تفتري توراة اليهود على إبراهيم عليه السلام:

﴿**ولمّا اقترب أبرام من مصر استرعى جمال ساراي أنظار المصريين، وشاهدها أيضاً رؤساء فرعون فأشادوا بها أمامه. فأُخِذت المرأة إلى بيتِ فرعون. فأُحسِن إلى أبرام بسببها وأُجزِل له العطاء من الغنم والبقر والحمير والعبيد والإماء والأُتُن والجِمال**﴾. تكوين 15/12 – 17

نُلاحظ هنا أنّ حيلة إبراهيم المزعومة لم تُجدِ نفعاً إذ وقع المحذور وتمّ أَخذُ ساراي زوجة إبراهيم بسبب جمالها إلى بيت فرعون كما نقرأ: ﴿**فأُخذت المرأة إلى بيتِ فرعون**﴾، وأماّ الجانب الذي نجح من خطّة إبراهيم المزعومة فهو أنّه: ﴿**أُحسن إلى أبرام بسببها وأُجزِلَ له العطاء من الغنم والبقر والحمير والعبيد والإماء والأُتُن والجمال**﴾!

وأمّا البرهان على سخافة هذه الخطّة المزعومة عن إبراهيم عليه السلام وخطورتها على عِرض إبراهيم وشرف زوجته فهو ما تذكره توراة اليهود من تأنيب فرعون لإبراهيم على فعلته التي كادت تجعله يخطئ خطأ فاحشاً في حقّ ساراي بسبب خطّة إبراهيم المزعومة، تقول توراة اليهود:

﴿**ولكنّ الربّ ابتلى فرعون وأهله ببلايا عظيمة بسبب ساراي زوجة أبرام. فاستدعى فرعونُ أبرامَ وسأله: 'ماذا فعلتَ بي؟ لماذا لم تُخبرني أنها زوجتك؟ ولماذا ادّعيتَ أنها أختك حتى أخذتُها لتكونَ زوجةً لي؟ والآن هاهي زوجتك خذها وامض في طريقك'**﴾. تكوين 12/ 18 – 20

نجد في هذا النصّ أنّ خطّة إبراهيم **المزعومة** كانت غبية إلى حدّ أنها أدّت إلى عكس ما كان يرمي إليه إبراهيم تماماً إذ جعلتْ فرعون يأخذ ساراي لتكون زوجة له، ولكنه عندما علم أنها زوجة إبراهيم أحجم عن ذلك وردّها إلى زوجها إبراهيم! وهذا يصوّر إبراهيم في أبشع صورة وهو يتلقّى التأنيب من فرعون بسبب كذبه وخطّته الجبانة الفاشلة.

ثم إننا نجد توراة اليهود هنا تُصوِّر أنّ إبراهيم عليه السلام لا يُسوِّغ الكذب لنفسه فحسب، وإنما يأمر زوجته أن تكذب، في حين أنّ القرآن المجيد يؤكّد أنّ

إبراهيم لم يكن صادقاً فحسب، وإنّما كان **صدّيقاً نبياً**، يقول تعالى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم 42

كما وأنّ توراة اليهود تصوّر إبراهيم أنه كان ذا حجّة ضعيفة، في حين أنّ القرآن المجيد، كتاب المسلمين، يقول عن إبراهيم بأنه قد أوتي الحجة العظيمة من الله وقارع النمرود وقومه بالحجة الإيمانية فبهتهم، يقول تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة 259

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الأنعام 84

والآن فإذا كان اليهود ينشرون في توراتهم أنّ إبراهيم كان في شخصه وشخصيته بهذه الصورة المهينة البشعة التي لا تليق حتى بالرجل العادي، فكيف يكونون هم الموعودون ببشارة الله في التوراة أنهم يُباركونه في الأمم، في حين أنّهم بحكايا توراتهم هذه يُحقِّرونه ويُهينون ذِكره في الأمم كلّها؟!

*المسلمون هم الذين يُكرمون إبراهيم عليه السلام ويُعظّمون اسمه في الأمم كلّها

نقرأ في القرآن الكريم، كتاب المسلمين، آيات كثيرة يذكر الله فيها اسم إبراهيم بالتكريم والرفعة، كما يلي:

* يُعلن اللهُ أنه قد اتّخذ إبراهيم خليلاً

﴿**واتّخذَ اللهُ إبراهيمَ خليلاً**﴾ النساء 126

* ملّة إبراهيم هي ملّة النجاة التي يدعوا القرآن إليها

﴿**ومَنْ يَرْغَبُ عن مِلّةِ إبراهيمَ إلاّ مَن سَفِهَ نَفْسَه**﴾ البقرة 131

﴿**قل صَدَق اللهُ فاتّبعوا ملّة إبراهيمَ حنيفاً**﴾ آل عمران 96

﴿**ثمّ أوحينا إليكَ أن اتّبع ملّةَ إبراهيمَ حَنيفاً**﴾ النحل 124

* قد جعل الله في إبراهيم أسوة حسنة

﴿**قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيمَ والّذينَ مَعَه**﴾ الممتحنة 5

* مقام إبراهيم أسوة وصلة بالله تعالى

﴿**واتّخذوا من مقام إبراهيم مُصلّى**﴾ البقرة 126

* عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيته

﴿**وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهّرا بيتي**﴾ البقرة 126

* محمّد صلى الله عليه وسلم أولى الناس بإبراهيم

﴿**إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتّبعوه وهذا النبيّ**﴾ آل عمران 69

* قد وفّى إبراهيم كلّ عمل وسلوك أراده الله منه

﴿**وإبراهيم الذي وفّى**﴾ النجم 38

وهكذا فإنّ المسلمين هم الذين ينشرون في قرآنهم المجيد في الأمم والشعوب تكريم الله لإبراهيم وتعظيم اسمه ودعوة الناس لأن يتّبعوا ملّته ويتّخذوا من مقامه مُصلّى وهذا برهان على أنهم هم نسل إبراهيم الذين بشّره الله بهم وبأنهم سينتشرون في فلسطين وبلاد كنعان بلاد العرب وما بين الفرات والنيل بالإضافة إلى انتشارهم في جميع الأمم والشعوب يوحّدون الله ويباركون على إبراهيم.

* المسلمون يذكرون بركات الله على إبراهيم عشرات المرات في صلواتهم اليومية

يقولون: (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على **إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ وبارك** على محمّد وعلى آل محمد، كما **باركتَ** على إبراهيم وعلى آل إبراهيم **في العالمين** إنك حميد مجيد).

إنّ تعبير (**في العالمين**) هذا يشير إلى ﴿**جميع قبائل الأرض**﴾ الذي ورد في التوراة.

ونقرأ بشارة التوراة من جديد، حيث قال الله لإبراهيم:

﴿**اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيتِ أبيكَ إلى الأرض التي أُريك**:

فأجعلك أمّة عظيمة /وهل اليهود في العالم أمّة عظيمة، أم المسلمون/

وأباركك وأعظّم اسمك / فهل اليهود يُباركون إبراهيم ويُعظّمون اسمه أم أنهم يُهينونه ويُحقِّرونه!/

وتكون بركة وأباركُ مباركيك / أليس العرب المسلمون هم مبارِكي إبراهيم كما برهنّا؟/

ولا عنك ألعنه / أليس اتّهام اليهود لإبراهيم عليه السلام بالكذب والجبن والطمع والسخف كَلَعْنِه؟!/

وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض / أليس المسلمون بصلواتهم وتبريكاتهم هم الذين ينشرون البركات على إبراهيم في الأرض كلّها وفي جميع أمم وشعوب وقبائل الأرض/؟

وهكذا فإنّ الأمّة العظيمة الموعودة في بشارة التوراة التي تبارك إبراهيم ويُباركها الله هم المسلمون وهم أصحاب فلسطين وبلاد العرب جميعاً ومنها ما بين الفرات والنيل، ولا شك في أنّ أرض العرب جميعاً ستكون ملكاً أبدياً لهم بناءً على بشارة التوراة التي أوردناها[1].

إنّ على الصهاينة وجميع ساسة العالم أن يُدركوا حقيقة أنّ فلسطين ببشارة التوراة هي ملك أبديّ للعرب.

وإنّ دعوى اليهود بأنّ فلسطين هي أرضهم الموعودة يتناقض تماماً مع حقائق التوراة، بل الحقيقة هي أنّ فلسطين هي المقبرة الموعودة للصهاينة الذين سيكونون —بحسب التوراة— ذبيحة الله التي سيذبحها بيديه ويجعل منها وليمة لجوارح السماء وسباع البرّ، كما سنبرهن بالوثائق التوراتية في الفصل التالي بعون الله تعالى.

[1] - العرب المسيحيون ما كانوا يوماً إلاّ جسداً واحداً مع العرب المسلمين في الوطن العربي الواحد لجميع أبنائه بكافة طوائفهم ومعتقداتهم.

الفصل السابع عشر

إسرائيل ذبيحة الله في فلسطين——هكذا وعدُ التوراة!

* في توراة اليهود، يُدين اللهُ شعبَ إسرائيل بأنهم قد نَجّسوا اسمه ودنّسوه بين الأمم

تتحدّث توراة اليهود مراراً وتكراراً عن غضب الله على بني إسرائيل بسبب كفرهم وفسقهم وسفكهم الدمّ حتى صاروا في عين الله رجساً يدنّس اسم الله القدّوس، نقرأ في سفر حزقيال الإصحاح 36 ما يلي:

﴿**وأوحى إليّ الربّ بكلّمته قائلاً: 'يا ابن آدم، عندما أقام شعبُ إسرائيل في أرضهم نجّسوها بطُرقهم الشريرة وتصرّفاتهم. كانت طريقهم أمامي نجسة كنجاسة الطّامث* فسكبتُ غضبي عليهم من جرّاء ما سفكوه من دم على الأرض التي نجّسوها بأصنامهم* ففرّقتهم بين الأمم التي تفرّقوا بينها وشتّتُهم في البلدان، ودنتهم بمقتضى طريقهم وتصرّفاتهم* وحين استقرّوا بين الأمم التي تفرّقوا بينها، دنّسوا اسمي القدّوس، إذ قيل لهم: هؤلاء شعبُ الرّب وقد طُرِدوا من أرضه* فَغِرتُ على اسمي الذي نجّسه شعب إسرائيل بين الأمم التي تفرّقوا فيها**﴾. حزقيال 36/ 16 - 21

نلاحظ من هذا النصّ التوراتي أنّ الله ذاته يُبيّن بأنّه قد غضب على شعب إسرائيل بسبب ما سفكوه في الأرض من دم الناس وبسبب ما أفسدوا بعقائدهم

وطُرقهم وتصرّفاتهم، فغضب عليهم وشتّتهم هو، عزّ وجلّ، بيديه بين الأمم![1]

ويُتابع سفر حزقيال وَصْف غيرة الله على اسمه الذي دنسه شعب إسرائيل فيقول:

﴿**لذلك قل لشعب إسرائيل: ليس لأجلكم أنا موشك أن أعمل عظائم يا شعب إسرائيل، بل غيرة على اسمي الذي دنّستموه بين الأمم التي تفرّقتم بينها* فأقدّس اسمي العظيم الذي صار بسببكم منجّساً بين الأمم التي تفرّقتم بينها**﴾. حزقيال 36 22 – 23

ولِعلم الله عزّ وجلّ بأن اليهود سيعدّون كلَّ فعلٍ لله في الأرض والأمم هو من أجلهم وفي صالحهم، باعتبار أنّهم يظنّون أنفسهم شعب الله المختار، نجد أنّ الله تعالى يؤكّد لهم في توراتهم أنّ عليهم أن يعلموا أنّ عظائم الأحداث التي يُحدثها في العالم لن تكون من أجلهم وإنما تكون دائماً من أجل تقديس اسم الله ذاته في الأمم. ويُذكّر الله اليهود بآثامهم وبأنّ عليهم أن يخجلوا ويخزوا من طرقهم وتصرفاتهم، فيقول:

﴿.. **فتذكرون طُرُقكم الأثيمة وتصرّفاتكم الطالحة، وتمقتون أنفسكم في أعينكم لما ارتكبتم من آثام ورجاسات. لهذا اعلموا أنّه ليس من أجلكم أفعل هذا، يقول السيد الربّ، فاخجلوا واخزوا من طُرقكم يا شعب إسرائيل**﴾. حزقيال 36/ 31 – 32

ومن خلال إدانة توراة اليهود لشعب إسرائيل بسبب رجاساتهم وسفكهم للدماء وتدنيسهم اسم الله، نجد أنّ الله عزّ وجلّ يهدّد اليهود بأنّه سُيعاقبهم بشكل مشهود فيجعلهم ذبيحة الله بين الأمم. ويبدأ هذا العقاب منذ أن يلمّ الله

[1] - ربما عقاباً لهم وحماية للبشرية من شرّ اجتماعهم في مكان واحد!

شتاتهم من الأمم ويجمعهم في فلسطين، حيث سيُمعنون في إفسادهم في الأرض وسفكهم الدماء وتدنيس اسم الله. عندئذٍ سيجلب الله عليهم قوى الأمم ويجعلهم ذبيحته التي يدعو إليها جوارحَ الجو ووحوش البرّ لتأكلّ من لحم صهيون وتشرب من دمائهم فتشبع وتسمن وتشكر، وإليكم البيان:

*إسرائيل ذبيحة الله في فلسطين ووليمته العظيمة لأصناف الطيور ووحوش البريّة

تصف التوراة هذه الوليمة المريعة، فتقول:

﴿أمّا أنتَ يا ابن آدم، فهذا ما يُعلنه السيّد الرّب:

'قل لكلّ أصناف الطيور ولجميع وحوش البريّة اجتمعي وتعالي، احتشدي من كلّ جهة حول ذبيحتي التي أُعدّها لكِ ذبيحة عظيمة أُقيمها على جبال إسرائيل، فتأكلّين لحماً وتشربين دَماً* تأكلّين لحم الجبابرة، وترتوين من دماء رؤساء الأرض وكأنها كباش وحملان وتيوس وعجول .. فتأكلّين شحماً حتى الشِّبع، وتشربين دماً حتى السُّكر من ذبيحتي التي أعددتُها لكِ* فتشبعين على مائدتي من الخيل وفرسانها، من الجبابرة وكلّ المحاربين، يقول السيد الرب. وأجعل مجدي يتجلّى بين الأمم فتشهد دينونتي التي أنزلتها بهم، وقدرة يدي التي مددتها عليهم* فيُدركُ شعبُ إسرائيل أنّي أنا الربّ إلهم من ذلك اليوم فصاعداً* وتعلم الأمم أيضاً أنّ سبيَ إسرائيل كان عقاباً لهم على إثمهم، لأنهم خانوني، فحجبتُ وجهي عنهم وأسلمتهم لِيَدِ أعدائهم، فسقطوا كلّهم بحدّ السيف، فعاملتهم بمقتضى نجاستهم ومعاصيهم، وحجبتُ وجهي عنهم﴾. حزقيال 39/ 17 - 24

تتحدّث التوراة هنا عن عقاب شديد يُنزله الله بإسرائيل على مقتضى (نجاستهم

ومعاصيهم) التي وصفتها التوراة في مكان آخر بأنها سفكهم للدماء وتدنيسهم اسم الله. وتصف التوراة هنا بأنّ الله سيجعل جنود إسرائيل يتبعثرون أشلاء ومزقاً تهبط عليها جوارح الطير وتنهشها وحوش البريّة وتشرب من دمها ودم أعوانها من رؤساء الأرض وترتوي. وهذا كناية عن هول التمزيق الذي سيمزّق الله به إسرائيل على يد الأمم. ونلاحظ أنّ ذبيحة الله هذه سيجعلها الله على جبال إسرائيل، وأنها ستكون أيضاً من لحم رؤساء وجبابرة الأرض الذين سيكونون حتماً من أعوانها، كما أنّ هذه الوليمة المرعبة ستكون من الجنود والفرسان المحاربين الذين سيقذف بهم جبابرة الأرض ورؤساؤها إلى هذا المصير المروّع ليتبعثروا مزقاً وأشلاءً على جبال فلسطين (إسرائيل)! ويُبيّن هذا النص التوراتي، أنّ ذلك سيجعل اليهود يُدركون عظمة الله التي لم يكنوا يدركونها من قبل، وكذلك ستؤمن أمم الأرض كلّها بعظمة الله وقُدرته، لأنّ ما سيُحدثه الله سيكون هائلاً عظيماً وربانياً بحيث لا يُمكن لأحد مقاومته أو إنكاره أو التغافل عنه!

وبرهاناً على أنّ هذا الدمار الهائل سيحلّ بيهود (صهاينة) إسرائيل—بالإضافة إلى أعوانها وأنصارها—نجد التوراة تورد وعيد الله لإسرائيل، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿**وتعلمُ الأمم أنّ سبي إسرائيل كان عقاباً لهم على إثمهم لأنهم خانوني، فحجبتُ وجهي عنهم، وأسلمتهم ليد أعدائهم**﴾ ويُتابع: ﴿**فعاقبتهم بمقتضى نجاستهم ومعاصيهم**﴾

***وصف ملحمة دمار إسرائيل في الكتاب المقدّس:**

وتصف التوراة بدقّة مذهلة كيف أنّ الله عزّ وجلّ سيسوق قوّات يأجوج

ومأجوج[1] وهي القوى العسكرية لدول الشمال ويأتي بها إلى جبال فلسطين ليُدمّرها ويُدمِّر بها ويُعاقب إسرائيل على بغيها وإفسادها في الأرض وسفكها للدماء وتدنيسها لاسم الله، حيث نقرأ عن الملحمة في سفر حزقيال كما يلي:

﴿وأوحى إلي الربّ بكلّمته قائلاً: يا ابن آدم، التفت بوجهك نحو جوج أرض ماجوج رئيس روش وماشِك وتوبال[2]، وتنبّأ عليه، وقل، هذا ما يُعلنه السيد الرب:

'ها أنا أنقلبُ عليكَ يا جوج رئيس روش وماشك وتوبال، وأقهرك وأضع شكائم في فكّيك، وأطردك أنت وكلّ جيشك خيلاً وفرساناً وجميعهم مرتدون أفخر ثيابٍ، جمهوراً غفيراً كلّهم حملة أتراس ومجانّ من كلّ قابض سيف ومن جملتهم رجال فارس وإثيوبيا وفوط يحمل كلّ واحد مجناً وخوذة، وأيضاً جومر وكلّ جيوشه، وبيت توجرمة من أقاصي الشمال مع كلّ جيشه. جميعهم جيوش غفيرة اجتمعت إليك. تأهّب واستعد أنتَ وجميع الجيوش المنضمّة إليك، لأنّك أصبحت لهم قائداً، إذ بعد أيام كثيرة تُستدعى للقتال، فتُقبل في السنين الأخيرة إلى الأرض الناجية من السيف التي جَمْعُ أهلها من بين شعوبٍ كثيرة، فأقاموا مطمئنّين على جبال إسرائيل التي كانت دائماً مقفرة في نظر الذين لَمَّ شتاتهم من بين الأمم [3]، فتأتي مُندفعاً كزوبعة، وتكون كسحابة تُغطّي الأرض أنت وجيوشك وكلّ من معك من شعوب كثيرة. ويحدث في ذلك اليوم أنّ أفكار سوء تُراودك فتقول: أزحف على أرض عراء مكشوفة وأهاجم المطمئنين الساكنين في أمن، المُقيمين كلّهم من غير سور يقيهم، وليس لديهم مزاليج ولا مصاريع، للاستيلاء على الأسلاب

---

[1] - لتبيّن حقيقة من هم يأجوج ومأجوج والمسيح الدجال، راجع كتاب (انهوا.. الدجال يجتاح العالم!) للمؤلّف وهو رقم 3 من هذه السلسلة.

[2] - روسيا وموسكو وتوبولسك

[3] - قارن مع نظرية مؤسسي إسرائيل التي تقول عن فلسطين: "شعب بلا أرض لأرض بلا شعب"

ونهب الغنائم ومهاجمة الخرائب التي أصبحت آهلة، ولمحاربة الشعب المجتمع من بين الأمم، المقتني ماشية وأملاكاً، المستوطن في مركز الأرض﴾. حزقيال 38/ 1 – 12

وتتابع التوراة وصف الملحمة الكبرى المتعلّقة بدمار إسرائيل وقوى جبابرة الحروب، فتقول:

﴿لذلك تنبّا يا ابن آدم، وقل لجوج هذا ما يُعلنه السيد الرب:

'في ذلك اليوم، عندما يسكن شعبي إسرائيل آمنا، ألا تعلمُ ذلك؟ وتُقبل أنتَ من مقرّك في أقاصي الشمال مع جيوش غفيرة تُغشّي الأرض؛ كلّهم راكبو خيل وجمع عظيم وجيش كثير. وتزحف على شعبي إسرائيل كسحابة تُغطّي الأرض، أنّي في الأيام الأخيرة آتي بك إلى أرضي لكي تعرفني الشعوب عندما تتجلّى قداستي حين أُدمّرك يا جوج أمام عيونهم. هذا ما يقوله السيد الرب. ألستَ أنتَ الذي تَحدَّثتُ في الأيام الغابرة على ألسنة عبيدي أنبياء بني إسرائيل الذين تنبّأوا في تلك الأيام لسنين كثيرة بأنّي سآتي بك عليهم؟'

ويقول السيد الربّ: 'في ذلك اليوم عندما يزحف جوج على أرض إسرائيل يحتدم غضبي في وجهي. وفي خضمّ غيرتي واتّقاد سخطي أقول إنّه في ذلك اليوم تحدث هزّة عظيمة في أرض إسرائيل، فيرتعش من حضرتي سمك البحر وطيور السماء ووحوش البرية وجميع الحيوانات الدّابة على الأرض، وكلّ الناس الذين على وجه المسكونة، وتندكّ الجبال وتسقط المعاقل وتنهار كلّ الأسوار إلى الأرض. وأسلّط عليه السيف في كلّ جبالي يقول السيد الرب، فيكون سيف كلّ رجل ضدّ أخيه. وأدينه بالوباء وبالدّم، وأمطر عليه وعلى جيوشه وعلى جموع حلفائه الغفيرة مطراً جارفاً وبَرَداً عظيماً وناراً وكبريتاً. فأُعظِّمُ نفسي وأُقدِّسها، وأُعلنُ ذاتي على مرأى من كلّ الأمم، فيُدركون أنّي أنا

الرب﴾. حزقيال 39/ 14 - 23

انظروا...!

* زحف على إسرائيل يُغشّي وجه الأرض!

* يحتدم غضب الله في وجهه فتحدثُ هزّة عظيمة في إسرائيل!

* يرتعش في فلسطين من غضب الله سمك البحر ووحوش البرّ وجوارح السماء!

* وترتعش المسكونة كلّها!

* تندكّ الجبال!

* وتسقط المعاقل![1]

* وتنهار كلّ الأسوار في إسرائيل![2]

* ويجعل الله سيف كلّ قاتل على أخيه!

* ويُنزل اللهُ في إسرائيل الوباء والدّم!

* ويُمطر على الجيوش الغفيرة والحلفاء مطراً جارفاً وبَرَداً عظيماً وناراً وكبريتاً!

هذا ما تُهدّد به التوراة إسرائيل!

ويطول بيان التوراة في الكتاب المقدس حول وصف كيف أنّ الله عزّ وجلّ

---

[1] - وهل ثمة للفلسطينيين الفقراء المكشوفين في المخيمات والعراء معاقل!

[2] - إنها أسوار إسرائيل التي لن تنفعها...إذ لم تُبقِ إسرائيل للفلسطينيين المساكين أسوار، فهي قد هدمت حتى بيوت المخيمات والأكواخ التي فيها، وعلى رؤوس اللاجئين المُستضعفين!

سيسوق قوى الحرب الجبارة إلى جبال فلسطين (إسرائيل) ويُحطّمها بعضها ببعض ويُنهي دولة الصهاينة ويجعل جندها وجنود حلفائها ذبيحة الله الكبيرة ووليمته العظيمة لجميع جوارح السماء، ووحوش البرّ لتأكلّ اللحم والشحم وتشبع وتشكر.. وتشرب دمَ الجنود والجبابرة ورؤساء الأرض وتسكر!

والذي يتأمّل في هذه النصوص ملياً يجد أنّ لها **أهمية سياسية وعسكرية كبيرة** إذ تحتوي على أنباء قد تحققت طلائعُها وبداياتُ نُذرها مسبقاً. فها قد جاء الله بشعب إسرائيل لفيفاً من بين الأمم، وها هو يجمّعهم في فلسطين كما تذكر التوراة، ويؤكّد القرآن[1]، وهاهم يطغون ويبغون ويعيثون في الأرض مفسدين وينجسوها من جديد وهم يدنسون[2] اسم الله بزعمهم أنّهم، رغم أفعالهم القبيحة الكريهة هذه، هم شعب الله المختار الذي سينصره الله على الجنس البشري بأكمله يسخّره لهم؛ كما أنّهم يدنسون التوراة بتزييفهم وتحريفهم وزعمهم أنّ الله قد وعدهم فيها بأن يهبهم فلسطين وبلاد العرب وأنّه سيجعلها ملكاً أبدياً لهم، الأمر الذي دعاهم إلى التخطيط والمكر لاحتلال فلسطين واغتصابها والسعي لاستيطانها بشكل دائم بعد ترويع أهلها العرب الفلسطينيين وقتلهم وذبح أبنائهم والاعتداء على أعراضهم وحُرماتهم لتهجيرهم خارج فلسطين وتفريغها لمهجّريهم من كافة دول العالم.

---

[1] - يُخاطب الله تعالى بني إسـرائيل في القرآن منذراً فيقول:﴿**حتى إذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ليسوؤوا وجوهكم**﴾

[2] - تعبير تنجيس الأرض وتدنيس اسم الله قد ورد في الكتاب المقدّس سفر حزقيال كما بيّنا.

إنّ تحريف نصوص التوراة لجعلها بشارة الله لهم، تجعل من اغتصابهم لفلسطين وحربهم ضدّ العرب وقتل وترويع السكان الآمنين بجميع الوسائل، مسألة جهاد ديني صهيوني مُقدّس[1] يظنون أنهم يعملون من خلاله على تحقيق بشائر الله لهم، وهم لذلك يَعدّون كلّ قتلٍ ونهب واغتصاب جهاداً دينياً مقدساً يتقربون به إلى الله ويحققون فيه بشائر التوراة. ولكن الحقيقة التي يخفونها عن الناس هي أنهم بفعلهم هذا إنما يزدادون إجراماً ورجساً وفسقاً وفساداً وتدنيساً لشريعة موسى الحقيقية ودين إبراهيم الحنيف ووجه الله الأعظم. وبذلك يُقرِّبون أنفسهم من اليوم الموعود الذي سيُمزقهم ويُبعثر أشلاءهم الله فيه بنفسه ويجعلهم ذبيحته ووليمته العظيمة على أعين جميع الأمم—فليحذروا مكر الله العظيم الجبار القاهر فوق عباده.

إنّ هذه النبوءات تُبيّن بكلّ وضوح أنّ الله سيجلب على إسرائيل الجنودَ المدججين بالسلاح من كلّ جهة، وسيضربهم من السماء والأرض ومن كلّ ناحية، وسيُمطر عليهم النار والكبريت، وسيُحيلهم بالحرب والقتل والوباء إلى مزقٍ تأكلّ منها الوحوش والطيور فتشبع، وتشرب من دماء طغاتها وأعوانهم فترتوي!

* فلسطين لعباد الله الصالحين الأتقياء الودعاء وليست للصهاينة

---

[1] - يخطط الصهاينة لمحو جميع الأديان البشرية غير اليهودية، حيث جاء في البروتوكول 14 من بروتوكولات حكماء صهيون: -"لسوف يكون من غير المرغوب لنا أن يوجد أيّ دين آخر غير ديننا...ولذلك فإنّ علينا أن نمحو جميع أشكال العقائد الأخرى." وطبعا لا يمكن أن يكون هذا إلاّ بالقدرة والقهر والسيطرة على جميع أصحاب الأديان الأخرى—كما يخططون ويحلمون!

المجرمين

ونختم بالبيان التوراتي في أنّ الأشرار والملعونين يقطعهم الله في حين أنّه يورث الأرض (فلسطين) للأتقياء الودعاء. جاء في سفر المزامير الإصحاح 37:

﴿كفّ عن الغضب واترك السُّخط ولا تَغَر لفعل الشرّ* لأنّ عاملي الشرّ يُقطعون، والذين ينتظرون الرّب هم يرثون الأرض* بعد قليل لا يكون الشرّير. تطّلع في مكانه فلا يكون* أمّا الودعاء فيرثون الأرض ويتلذّذون في كثرة السلامة ... لأنّ سواعد الأشرار تنكسر[1]..* الرّب عارف أيامَ الكَمَلة، وميراثهم إلى الأبد يكون* لا يُخزون في زمن السّوء، وفي أيام الجوع يشبعون* لأنّ الأشرار يهلكون وأعداء الرّب كبهاء المراعي: فَنوا كالدخان فَنَوا* ..لأنّ المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يُقطعون﴾ مزامير 37/ 9- 22

ياله من وعد توراتي ملفت:

﴿عاملو الشرّ يُقطعون..

بعد قليل لا يكون الشرّير..

تطّلع في مكانه فلا يكون[2]..

وسواعد الأشرار تنكسر..

---

[1] _ ولقد شاهد العالم كلّه على شاشة التلفاز كيف أنّ جنود الصهاينة .ومن خلال الفهم المحرّف لهذا البيان التوراتي ـــ يقومون بتكسير سواعد أسير فلسطيني بالصخور بشكل واعٍ وهادف يقصدون منه طاعة تعاليم توراتهم. وبهذا الشكل فإنّ جنود الصهاينة يُنفّذون تعاليم توراتهم بكسر عظام وسواعد الفلسطينيين قبل قتلهم!

[2] - كما زالت هيروشيما بضربة واحدة: كانت مدينة مأهولة، وبلحظة واحدة، لم تكن!

الأشرار يهلكون..

وأعداء الرب كبهاء المراعي:

فَنوا كالدّخان فنوا..

والملعونون منه يُقطعون..»

نجد في هذا البيان التوراتي أنّ عامِليْ الشرّ هم الذين يقطعهم الله، وتؤكّد التوراة في مواضع كثيرة أنّ الله قد سخط على اليهود مراراً وأنّ غضبه قد تلبّسهم وأنّه قد أنزل عليهم لعنته على لسان أنبيائه بسبب فعلهم للشر، وبهذا فإن تهديد التوراة بأنّ "**الأشرار يهلكون**" و " **سواعد الأشرار تنكسر**[1]"، إنما يعنيهم ويطالهم هم أساساً، في حين أنّ **الودعاء هم الذين يرثون الأرض إلى الأبد. إذ أنّى لصهاينة دولة إسرائيل أن يوصفوا بالودعاء وهم جبابرة الأرض المتباهين بقوّة القتل والتدمير والإبادة العسكرية الإرهابية لديهم ولدى حلفائهم! هذا بالإضافة إلى أنّ إجماع الأمم في هيئة الأمم، مراراً كثيرة، على إدانة إسرائيل على أعمالها الشريرة المنافية للإنسانية بشكل لم يسبق أن أدينت به أمّة من الأمم بهذا الإجماع من قبل، ليؤكّد إجماع الوجدان العالمي على أنّ دولة إسرائيل هي دولة شريرة إرهابية معتدية غاشمة**. وبهذا فإنّ اليهود الصهاينة هم وأعوانهم أساساً الأشرار الذين تؤكّد التوراة على أنّ الله سيهلكهم. وأما الودعاء دعاة السلام الحق فهم الذين يُباركهم الربّ ويجعل الأرض ميراثاً لهم، كما تقول

[1] - في هذا نبوءة إلى أنّ سواعد إسرائيل الذين هم مساعدوها في الشرّ سوف ينكسرون وينهزمون ويفنون كالدخان كما في النبوءة التالية.

التوراة:

﴿..**لأنّ المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يُقطعون**﴾ أمثال/ 22

***في توراة اليهود الملعونون هم اليهود أنفسهم:**

ونقرأ في التوراة أنّ اللعنة قدّ حلّت بعصاة شعب إسرائيل مراراً:

﴿**انظروا ها أنا أخبركم اليوم بين البركة واللعنة: البركة لكم إن أطعتم وصايا الرّب إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم* واللعنة إن عصيتم وصايا الرّب إلهكم وضللتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم، وغويتم وراء آلهة أخرى**﴾ التثنية 11/ 26

ولقد برهنّا في هذا الفصل على أنّ غضب الله قد نزل مراراً على بني إسرائيل بسبب معصيتهم لوصايا الله واتّخاذهم آلهة أخرى وتدنيسهم لاسم الربّ، وبهذا يكونون هم الملعونين في التوراة الذين يتوعّدهم تهديد الله ووعيده بإفنائهم كالدخان[1].

* تأكيد القرآن الكريم على بيان التوراة في لَعْنِ اليهود وعقابهم

يؤكّد القرآن الكريم حقيقة غضب الله وسخطه على عُصاة بني إسرائيل وأنّه قد لعنهم، كما لعنهم أنبياؤهم، حيث نقرأ بيان الله عزّ وجلّ:

﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ المائدة 79

وقال تعالى:

[1] - لا شكّ في أنّ كلّ عاص للربّ يكون ملعوناً يُهلكه الله سواءً أكان يهودياً أو غير ذلك.

﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**﴾ المائدة 65

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ المائدة 14

وهذا يقابل نقضهم الوصايا كما هو معلوم.

وقال عزّ وجل:

﴿**أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ**﴾ النساء 48

وهكذا فعُصاة بني إسرائيل وكفّارهم ومجرموهم هم الأمة الملعونة في بيان الكتاب المقدّس والقرآن المجيد، وهم الموعودون بالهلاك الحتمي وليس بوراثة أرض فلسطين والعرب كما يزعمون. ونُتابع شرح البيان القرآني فنجد ما يلي، حيث يقول تعالى:

* تأكيد القرآن الكريم على بيان التوراة في لَعْنِ اليهود وعقابهم

يؤكّد القرآن الكريم حقيقة غضب الله وسخطه على عُصاة بني إسرائيل وأنّه قد لعنهم، كما لعنهم أنبياؤهم، حيث نقرأ بيان الله عزّ وجلّ:

﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ المائدة 79

وقال تعالى:

﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**﴾ المائدة 65

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ المائدة 14

وهذا يقابل نقضهم الوصايا كما هو معلوم.

وقال عزّ وجل:

﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ النساء 48

وهكذا فعُصاة بني إسرائيل وكفّارهم ومجرموهم هم الأمة الملعونة في بيان الكتاب المقدّس والقرآن المجيد، وهم الموعودون بالهلاك الحتمي وليس بوراثة أرض فلسطين والعرب كما يزعمون. ونُتابع شرح البيان القرآني فنجد ما يلي، حيث يقول تعالى:

إلى حقيقة أنّ المسلمين هم وارثوها الحقيقيون، وهم سيستمرّون في كونهم وارثيها الحقيقيين. **وحتى فيما لو استلبَ آخرون هذه الأرض لفترة ما**[1]، فلن يكون ذلك إلاّ مثلما يُعطي المالكُ أرضه إلى المستأجِر. وفي هذا تكمن عظمة النبوءة السماوية. وبما أنّ أرض الشرق الأوسط هي أرض الأنبياء، فإنّ الله لا يُريدها أن تُدنَّس بالسماح لغير المسلمين أن يرثوها". ملفوظات مج4ص 125

في تفسيره الصغير يُعلّق الإمام ميرزا بشير الدين محمود أحمد على هذه الآية الكريمة وتوابعها فيقول:

"إنّ على المسلمين أن يتعلّموا درساً من هذه الآية.

إذا أرادوا استرجاع فلسطين فيجب عليهم أن يكونوا من الصالحين في نظر الله تعالى، وذلك لأنّ الأرض (فلسطين) قد وعدها الله لعباده الصالحين، كما في الآية...**ولن تستطيع**

[1] - إذا أخذنا هذه الجملة، التي تفترض فكرة اســتلاب فلســطين، بعين الاعتبار، وتذكّرنا أنّ قائلها الإمام ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد توفاه الله عام 1908 وقبل استلاب فلسطين بوقت طويل نجد أنها ملاحظة ملفتة بالإضافة إلى البشارة بتفسير القرآن فيما يخص هذه البشارة عن فلسطين ومنطقة الشرق الأوسط.

روسيا ولا أمريكا أن تنفع إسرائيل في شيء" [1].

وفي كتابه (**الشيوعية والديموقراطية**) يقول ميرزا بشير الدين محمود أحمد:

"وفي المعركة الأخيرة سوف يفقد اليهود أيضاً القوة التي يكونون قد حصلوا عليها مؤخّراً، ولسوف ينحطّون أيضاً إلى الحال المحزن الذي كانوا قد نهضوا منه". ص 30 – 31

ويقول حضرته:

"إنّ فلسطين قريبة جداً من المثوى الأخير لسيدنا المحسن إلينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي رغم أنّه، أثناء حياته، قد أحسن إلى اليهود بكلّ نوع من المعاملة الرحيمة الحسنة، فإنّهم لم يتركوا سبيلاً لمعارضته بكلّ وقاحة ورذالة. معظم الحروب ضدّ المسلمين أوقد نارها اليهود. **وهكذا فإنّ المسألة ليست مسألة فلسطين وحدها. بل هي مسألة الإسلام ككلّ؛ وهي ليست مسألة القدس وحدها، بل هي مسألة مكّة والمدينة المنوّرة. إنها مسألة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم نفسه.** ولذلك فإنّ علينا أن نسعى، ومن خلال أعمالنا الصالحة، وتضحياتنا، ووحدتنا وابتهالاتنا المتواضعة أن نقصّر من أمد هذه النبوءة الأولى إلى الحدّ الأدنى". مجلة الفضل 1948/5/31

وفي تفسيره الكبير، يقول الإمام المرحوم الحاج ميرزا بشير الدين محمود أحمد، أيضاً، بيقين كبير:

"إنّ أرض فلسطين سوف تبقى دائما في أيدي عباد الله الصالحين ... وإنّ كامل البنيان الذي تمّ تنصيبه هناك بمساعدة هيئة الأمم المتحدة وأمريكا سوف ينهار إلى الأرض على أيدي المسلمين، الذين بدعم من القوّة الإلهية، سوف يستعيدون صلاحهم ثانية .. وعندئذٍ

[1] - التفسير الصغير للإمام ميرزا بشير الدين محمود أحمد، الخليفة الثاني في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.

فإنه لا القنابل النووية ولا الهيدروجينية الأمريكية، ولا حتى عون روسيا سوف يكون له أيّ نفع لإسرائيل. إنّه قضاء الله الذي قضاه ليحدث مهما قاوم العالم". التفسير الكبير المجلد الرابع الصفحة 576

في العدد الصادر في 12 تموز 1948 نشرت جريدة النهضة (العربية) مقالاً قالت فيه:

"وصل جريدتنا مقالاً يحتوي على خطاب ألقاه السيد ميرزا بشير الدين محمود أحمد في لاهور دعا فيه جميع المسلمين ليتوحدوا وليتّخذوا إجراءات ملموسة قوية وفعالة لإنقاذ فلسطين من مخالب الصهاينة المجرمين. كما دعا شعب باكستان إلى تقديم المساعدة الفورية لعرب فلسطين. ولقد أهاب بجميع المسلمين مذكّراً إياهم بهدي الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ومقدّماً البيان على أساس آيات من القرآن الكريم بأنّ عليهم أن ينظّموا أنفسهم لمقاومة العدوان الصهيوني الذي تدعمه الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا دعماً لمصالحهم وأهدافهم.

ولقد لفت انتباه المسلمين إلى ضرورة طرح فكرة الضعف واليأس، وأن يحفظوا نصب أعينهم المسؤوليات الملقاة على أكتافهم في مسألة الجهاد والقوّة وازدهار الإسلام والمسلمين". مجلة النهضة / العدد الصادر في 12 يوليو تموز 1948

ولقد وضّح دائماً الإمام ميرزا طاهر أحمد الإمام الحالي للجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية للعالم كلّه وفي جميع دوله[1]، بأنّ الأرض المقدّسة هي مُلكٌ لأهل فلسطين وأنّه ليس ثمة أمل لغيرهم بشبرٍ واحد منها. ولقد كانت وما تزال الجماعة

[1] - بناءً على النبوءات الإلهية في الكتاب المقدّس والقرآن.

الإسلامية الأحمدية العالمية تُناهض المخططات والمؤامرات الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل في فلسطين، ولقد كانت وما تزال تدعم بوضوح وعلانية قضية فلسطين العربية، وهي ما تزال تُعلن اليوم أيضاً بأنّ دولة إسرائيل الصهيونية ليس لها أيّ حقٍّ أو شرعية فيها وأنها يجب أن تزول. /ميرزا طاهر أحمد إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية في كتابه (**من الربوة إلى تل أبيب**) ص 20 – 21

وأخيراً فإنّ **على شرفاء اليهود** أن ينتبهوا إلى حقيقة تهديدات توراتهم وإنذارات ربّ العالمين لهم، وعليهم أن يُنذروا قومهم وساستهم ليعودوا إلى رشدهم وصوابهم قبل أن يأتي يوم دمارهم المحتوم فلا ينفعهم نواح ولا عويل. ولا شكّ في أنّ هناك من شرفاء اليهود من بني إسرائيل من يعرفون هذه الحقائق ويرفضون الصهيونية العالمية رفضاً قاطعاً ويُنكرون سياساتها العدوانية الهمجية، ويعرفون حقّ العرب في فلسطين، وأنّ فلسطين هي الأرض التي وهبها الله للعرب الصالحين الودعاء لتكون لهم هم ملكاً أبدياً لا يقدر أحد على سلبه منهم مهما كان له من جولاتٍ باطلة.

*قضية فلسطين في بيان شرفاء اليهود المناهضين للصهيونية

يزرائيل ديفيد وايس، الناطق الرسمي باسم حركة "**ناطوري كارتا**" وهو، على ما يبدوا واحد من فقهاء الدين اليهودي الذين لم تستطع الصهيونية العالمية تضليلهم بتسخير الدين اليهودي لسياسة الحركة الصهيونية ولتكريس تلك السياسات لاحتلال فلسطين والعمل على مدّ السّلطة الصهيونية على العالم ودوله.

في حديث له في محطة الجزيرة الفضائية مع الإعلامي البارز الأستاذ أحمد منصور[1]، بيّن يزرائيل ديفيد وايس حقيقة أنّ تعاليم التوراة تُحرّم على اليهود المجيء إلى فلسطين واحتلالها، لأنّ إرادة الله كانت أن يقطّعهم في الأرض بسبب شرورهم وآثامهم وتدنيسهم اسمه ويشتتهم في بلدانها المختلفة، إلى أن يتّقوا الله ويؤمنوا بمسيحه الموعود الذي سيبعثه الله لهداية العالمين.

*إسرائيل دولة ضدّ الله

يقول عالم الدين اليهودي يزرائيل ديفيد وايس بأنّ **إسرائيل هي دولة ضدّ الله**. وحين سأله الأستاذ منصور ماذا يعني بذلك أجاب:

"اليهودية دين منذ آلاف السنين، لها كتاب التوراة من الله للشعب اليهودي، والشعب اليهودي يتبع التوراة دائماً. كتاب التوراة يقول إنّ الجيش اليهودي أعطي أرضاً، وأنّ من يرتكب الخطيئة يخرج من الأرض. **وكتب الأنبياء تقول بكلّ صراحة أننا قد طُردنا**[2]**، بسبب خطيئتنا، من تلك الأرض (فلسطين)**. هذا اعتقاد يهود العالم؛ اليهود قبلوا بهذا العقاب من الله[3]، وقبلوا أن يعيشوا بين الأمم بسلام وباحترام القانون في كلّ بلد يُقيمون فيه .. إلى أن جاءت الصهيونية وجاءت 'حركة الإصلاح' التي هجَرت الديانة اليهودية التابعة للتوراة. من هنا ولدت الحركة الصهيونية. هؤلاء لم يكونوا متدينين. 'فيدل هرتزل' وأصدقاؤه كانوا غير متدينين. لقد تركوا تعاليم التوراة، ولذلك عندما رأوا معاناة الشعب اليهودي، بدلاً من أن يقبلوا ذلك بأنه حكم الله، كما قال في التوراة: 'أنه إذا عوقبتَ فإنك تتوب'[4]".

---

[1] - بُثّت هذه المقابلة بتاريخ 2002/5/1.

[2] - أي عاقبهم الله بالطرد من فلسطين

[3] - اليهود الأتقياء، وليس اليهود الصهاينة.

[4] - ننقل هنا الصياغة المنشورة في الإنترنت في 2002/5/3موقع الجزيرة، واللغة هي لغة المنقول عنه.

*التوراة تُحرّم على اليهود إقامة دولة في فلسطين

وفي مفهومه التوراتي حول حُرمة أن يقيم اليهود دولة لهم، يتحدث يزرائيل ديفيد وايس عن مؤسسي الصهيونية فيقول:

"..قاموا بتحويل اليهودية من دين روحي قدسي إلى حركة وطنية علمانية، كيان علماني. أن نُقيم دولة، ونحمي أنفسنا، ولا يُزعجنا أحد، هذا بالنسبة إلينا كفر ضدّ الله.."

ويسأله الأستاذ أحمد منصور مندهشاً: "إقامة دولة الآن كفر ضدّ الله"

فيجيب يزرائيل ديفيد وايس بكلّ يقين:

"نعم بالتأكيد. إنّ الله منعنا وقال سأبقيكم في التشرد كعقوبة وعليكم أن تتوبوا وتتقربوا إلي، أما أن تفرّوا وتُحاربوني وتُقيموا دولة فإنّكم تُحرضون ضدّ الله.."

وفي موضع آخر من الحديث يُتابع هذا العالم اليهودي، فيقول:

"..إنّ الصهيونية كانت، في سعيها لإقامة دولة، ضدّ الله، لأنها تُعارض حكم الله؛ ولذلك قبل قيام دولة إسرائيل كان اليهود يُعارضون قيام دولة والذهاب إلى فلسطين وإقامة دولة .. لقد قال الحاخامات (الصهاينة) إنّ إقامة دولة، قبل أن يؤدّي إلى الضرر بالشعب الفلسطيني أو أي شعب آخر فإنكم بذلك تقتلون اليهودية، إنكم تُحولون اليهودية من دين روحي إلى دولة .. إلى أمة علمانية، وهي ستأتي عليكم بمصائب كبيرة. وكما قلت إنّ مثل قتل اليهود هو انتقال اليهودية من الدين الروحي إلى العلمانية، إذن عندما تسأل الحاخامات الذين يتبعون الصهيونية .. هناك طبعاً مئات الآلاف الذين لا يتبعون، وكثيرون يتبعون الصهيونية فقط للاستفادة من المأساة الكبيرة".

ويُتابع:

"أنا قُلت هؤلاء (الصهاينة) يرتكبون مأساة كبيرة .. جريمة كبرى ضدّ الفلسطينيين والشعب اليهودي، لأنهم يسببون عداءً كبيراً بين اليهود والعرب، ويسببون الموت والدمار. لقد سببوا ذلك منذ أول يوم قامت فيه دولة إسرائيل، كما حذّرنا تماماً الحاخامات من قبل. لقد سببوا الدمار والموت للفلسطينيين واليهود، والشعب اليهودي. لقد تخلّوا عن روحهم وأجبروا كثيرين من اليهود على التحول من التدين إلى عدم التدين، وعدم مخافة الله، وهذا أسوأ بكثير من القتل .. أن يكون الإنسان غير متديّن جريمة".

* الصهيانة يستغلون التوراة لتبرير جرائمهم

ويقول السيد وايس في موضع آخر:

"إنّ الصهيونية ليست دينية، وإنما يستغلّ الصهاينة التوراة كأداة، مثلاً، لديهم مثل قانون، والقانون ليس التوراة. كلّ ما يفعلون هو ضدّ التوراة. ولكنهم يفعلون ذلك حتى يجتذبوا اليهود ليتبعوهم. إنهم يضللونهم ويخدعونهم ويقولون لهم إنّ هذا من التوراة، ويستأجرون الحاخامات ليقولوا للناس اتبعوهم".

* الصهاينة يخدعون العالم بدعوى معاداة السامية

وفي موضع تعليقه على الأسباب التي تدفع أولئك الحاخامات لاتّباع الصهاينة، يقول السيد وايس:

"بكلّ بساطة، الصهيونية تستغلّ وتستعمل التخويف .. الترهيب. إنهم يستخدمون

حيلتين: الأولى دعوى معاداة السامية: كلّما عاديتَ الصهيونية يتّهمونك بمعاداة اليهودية[1]، ويُحذّرون الشعب اليهودي: أنهم لو أعطوا الأرض للعرب فإنّ العرب سيقتلونهم، هم دائماً يُحَقّرون الشعب العربي ويتهمونه بالبداءة، وأنهم شعوب بدون قلب وبدون عطف، وهذا بالطبع خطأ كبير وجريمة كبرى يرتكبها الصهيونيون، ويرتكبونها دائماً وباستمرار. يتهمون العرب بالسوء، ويتهمون الشعوب العربية بمعاداة اليهود.

* اليهود عاشوا في أمن وسلام في ظلّ المسلمين

لقد عاش اليهود على مرّ التاريخ تحت حكم العرب، وتحت حكم الإسلام في كلّ المناطق: في تونس والعراق وإيران واليمن ودول كثيرة، وكانت الضيافة متوافرة لهم ورائعة، وأفضل من أية دول أخرى، ونحن لا نُنكر ذلك—نحن الشعب اليهودي في كلّ أنحاء العالم. ولكن الصهيونية تكذب وتحاول أن تمحو هذه الحقيقة التي تُشكل جزءاً من تاريخ اليهود والمسلمين. إنها تُحاول أن تكتب تاريخاً جديداً بأنّ المسلمين يكرهون اليهود، وأنّ المسلمين يريدون محو اليهود—لا قدّر الله، ويضعون هذا الخوف في نفوس اليهود، ويقولون لهم: ... نحن لا نستطيع أن نتخلّى عن هذه الأرض .. إنها ألعوبة صهيونية .. هذا كذب صهيوني، دعاية صهيونية تجعل اليهود يرفضون إرجاء الأرض للشعب الفلسطيني".

* الصهاينة ينظرون إلى اليهود الأتقياء الواعين كعدوّ لهم

وعندما سأله الأستاذ أحمد منصور عن موقف إسرائيل من مثل هؤلاء اليهود الذين يلتزمون بدينهم الحق ويرفضون الصهيونية، قال:

[1] - هذا يُذكّرنا بما فعلته المنظمات اليهودية الصهيونية مع المفكّر الفرنسي المسلم روجيه غارودي في فرنسا بعد إصداره كتابه الشهير "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"

"موقف إسرائيل منا، طبعاً هم ينظرون إلينا كعدوّ كريه. منذ قيام دولة إسرائيل ونحن نقوم بمظاهرات، وهم يضربوننا أثناءها. يضربوننا دون رحمة. عندي صور كثيرة تُبين كيف الصهيونيون يضربون اليهودَ الأرثوذوكس معتبرين أننا نحن العدو الذي سيُدمّرهم من الداخل ... إنهم يخافون منا، ويخافون من أن تُسمع كلّمتنا، وأن نؤثّر على الشعب اليهودي .. وأن نجعلهم يعودون إلى الماضي".

* اليهود الأتقياء يُطالبون يهود العالم بعدم الهجرة إلى فلسطين

وسأله الأستاذ أحمد منصور فيما إذا كانوا يُطالبون يهود العالم بعدم الهجرة إلى إسرائيل وبالنزوح منها والعودة إلى بلادهم، فأجابه السيد وايس:

"بالتأكيد. الحاخامات الكبار في حركتنا دعوا إلى أنّه يجب عدم العيش في ظلّ الصهيونية. هناك عشرات الآلاف الذين تركوا فلسطين حتى لا يعيشوا في ظلّ الصهيونية. هناك منهم في لندن، وفي نيويورك، وهناك مدرسة فكرية أخرى في الجالية اليهودية لا تُريد أن تترك إسرائيل، **على أساس أنها تُريد أن تُحارب الصهيونية من الداخل**، وهم يقومون بالتظاهر دائماً ويُعارضون الصهوينية".

* من يهاجر من اليهود إلى فلسطين يستحق غضب الرب

وعندما سأله الأستاذ أحمد منصور: "ما حكمكم على من يُهاجر إلى إسرائيل من اليهود، هل يستحقّ غضب الرب لأنه يُهاجر إلى دولة ضدّ الرب وضدّ الله كما تقول أنت وفق معتقداتكم من التوراة؟" قال دافيد وايس:

"..نعم إنّ الله يقول بوضوح إنّ من يُخالف التوراة فإنه يتعرّض لغضب الله. إنّ الذهاب

إلى فلسطين كالصهيوني وتقوية الحركة الصهيونية هذا يأتي على الإنسان بغضب الله، ونحن نُعارض هذا، نحن نُعارض الهجرة إلى فلسطين، هذه كانت غلط، أنا لا أقول ذلك من نفسي ولكنه موجود في الكتاب المقدّس".

* يهود التوراة يعتبرون دولة إسرائيل غير شرعية ويُطالبون بإزالتها

وسأله أحمد منصور: "أنتم تقولون فلسطين للفلسطينيين، وإنّ إسرائيل الآن دولة غير شرعية. وفي المظاهرة التي كانت في واشنطن السبت قبل الماضي، كان هناك بيان لك رأيتُه وقرأته على الإنترنت. قلتَ إنه لن يعمّ سلام في الشرق الأوسط إلاّ بإزالة إسرائيل، هل تُطالبون بإزالة إسرائيل؟"

فأجابه يزرائيل ديفيد وايس قائلاً:

"نحن ندعوا حتماً بالتأكيد إلى إزالة دولة إسرائيل بالكامل، ليس كما قالت اتفاقات أوسلو أو غيرها من الاتفاقيات التي تقول إنه يجب أن تكون هناك دولتين، لأننا نحن نعمل بموجب التوراة؛ لسنا نحن حركة سياسية. إننا نحن كيهود، بموجب التوراة، محظور علينا أن يكون لدينا دولة على حساب الشعب الفلسطيني صاحب الأرض، نريد أن نعيش تحت ظل الفلسطينيين .. تحت حكم الفلسطينيين، ونقول إنه لن يكون هناك نجاح للسلام طالما أنّ هناك دولة صهيونية أو ما يسمونها دولة عبرية .. طالما هناك دولة فهذا تمرّد ضدّ الله، والتمرّد ضدّ الله لا ينجح .. هذا ما تقوله التوراة .. نحن نصلي دائماً أن يكون إزالة دولة إسرائيل بطريق سلمي، وأن لا يسفك دم فلسطيني أو يهودي، نحن نصلي دائماً أن تنتهي دولة إسرائيل بدون سفك دماء.[1]" ويُتابع:

[1] - وهذا بسبب خوفهم من تهديد الله لهم في التوراة من أنه سوف يجعل إسرائيل ذبيحته–كما بيّنا سابقاً.

".. إنّ خوفنا من بداية قيام دولة إسرائيل، وما حذّرنا به الحاخامات هو أنه سيعود علينا بالموت، وبالألم للشعب الفلسطيني وللشعب اليهودي. إذا استمرت دولة إسرائيل، فإنّ ذلك يؤلمنا كثيراً، وهذه مأساة كبيرة. لقد شاهدنا ذلك منذ اليوم الأول لقيام دولة إسرائيل. وبسبب دولة إسرائيل، وبسبب قيام دولة إسرائيل حصل هناك كثير من الألم والموت والتدمير للشعب الفلسطيني واليهودي. لذلك هذا ما نخشاه مما يحدث من الموت[1]."

* يهود التوراة يعترفون بحق الشعب الفلسطيني الكامل في فلسطين وبحقه في مقاومة الصهيونية / والانتفاضة ليست جريمة وإنما رد فعل مشروع:

وفي معرض حديثه عن حق الشعب الفلسطيني، وعن يقينه في أنّ الله ذاته عزّ وجلّ سيقف في وجه إسرائيل، يقول يزرائيل ديفيد وايس:

"أنا أخاف الله، والشعبُ المسلم يخاف الله ونحن متأكدون، مهما فعلنا، إنما الله هو الذي يريد. نحن نُصلي. نعرف أنّ الصهيونية تقوم بالتسلّح، ولكننا نؤمن بأنّ الله هو الذي سيقف في وجههم، ولا يمكننا أن نملي على الشعوب الأخرى كيف تُقاوم. نحن نقول الحقيقة فقط، وهي أنّ الشعب الفلسطيني له الحق مئة بالمئة في مقاومة الصهيونية للحصول على أرضه، فالأرض أرضه، والصهيونية ليس لها حق في أن تحتل بوصة واحدة من أرض فلسطين. هذه أرض فلسطينية. قلنا ذلك منذ تأسيس الدولة الصهيونية وحتى الآن. هذه معارضة لحكم الله والتوراة [2]، ونحن نعلم أنّ ذلك سوف يسبب الألم والموت للفلسطينيين ولليهود. طريقتنا

---

[1] - الشعب الإسرائيلي يموت. في كلّ يوم يموت.

[2] - هذه البيانات من هذا العالم التوراتي اليهودي تؤكّد ما بيّناه في هذا الكتاب من أنّ التوراة تنصّ على أنّ فلسطين للعرب الصالحين وليس للصهاينة المجرمين، وأنّ الله ذاته سيقضي على إرهابيي الدولة الصهيونية ورجالاتها وكلّ من يدعمها.

هي الصلاة والمطالبة بالسلام؛ إزالة دولة إسرائيل بالسلام. ولكننا نقول إنّ الجريمة ليست عند الفلسطينيين، ولكنها في المعسكر الصهيوني .. الذين سرقوا الأرض. الصهيونية تقول إنّ الانتفاضة جريمة؛ والفلسطينيون يقولون إنّ الانتفاضة سببها شارون، **نحن نقول إنّ الجريمة ليست الانتفاضة؛ الانتفاضة إنما هي رد فعل للاضطهاد الكبير**. الفلسطينيون تعرضوا للاضطهاد؛ والأرض سُرقت منهم؛ ولقد تعرضوا للتحقير والإهانة والمذلة من قِبل الصهيونية. **الانتفاضة ردّ فعل بسيط**، ولذلك فنحن لا نقول إنّ الجريمة هي الانتفاضة، والجريمة ليست على يد الفلسطينيين. **الصهيونيون هم الذين ارتكبوا الجريمة، وهم الذين بدؤوا ذلك،** وعليهم إزالة دولة إسرائيل والتوقّف عن إذلال الشعب الفلسطيني، وإعادة ما له من حق ومن سيادة."

* يهود التوراة يتظاهرون دائماً ضدّ الصهيونية

وفي معرض تعليقات مختلفة يقول الناطق الرسمي باسم حركة ناطوري كارتا اليهودية، السيد وايس:

"عشرون ألف يهودي يقومون بالتظاهر ضدّ الصهيونية .. ولكنها لم تُعرَض في أمريكا في وسائل الإعلام الأمريكية لأننا طبعاً نتعرض للإرهاب والتخويف من قِبل الإعلام الإسرائيلي الصهيوني والقوّة الصهيونية التي يملكها الصهاينة في العالم الغربي كلّه، لذلك لا تسمع عنّا ولا عن مظاهراتنا، ولكننا نقوم بذلك دائماً. وعليك أن تفهم أنّ ما يفعله الصهيونيون هو أنهم يُنذرونك: 'إياك أن تقول كلّمة واحدة ضدّ الصهيونية، وإلاّ فأنت معاد للسامية'...وإذا كنت يهودياً فإنهم يتّهمونك بأنك تكره ذاتك .. نحن ليس لدينا شيء ضدّ الشعب اليهودي، ولكننا ضدّ الصهيونية. اليهودية ليست المشكلة، إنما الصهيونية— وهذه نقطة هامّة جداً. الصهاينة يعيشون على الدم. كلّ الأشياء تعيش على الماء، ولكنّ الصهيونية تعيش على الدم. كلّما سُفك الدم اليهودي، كلّما أصبح الصهاينة أقوى. أينما يُقتل اليهود،

يقول الصهاينة هذا عذرنا بأن يكون لنا دولة، ويُطالبون الدول الغربية بدعمهم بحجة أن اليهود يتعرضون للتمييز العنصري. وعندما يقوم المسلمون، من الإحباط، بعمل شيء ضدّ اليهود، فإنّ الصهاينة يقولون: أرأيتم، هذا ما سيفعله المسلمون بنا.

هذا ما يعيش الصهاينة عليه.. سفك دماء اليهود!

لذلك نحن نقول للشعب اليهودي: تذكّروا إنهم يريدون أن تظهروا بصورة المعادي للسامية واليهود.."

* يهود التوراة يعدّون سفك دم اليهود في فلسطين عقاباً لهم من الله

وسأل الأستاذ أحمد منصور فيما إذا كان السيد وايس وجماعته يعتبرون سفك دم اليهود في فلسطين جزءاً أيضاً من عقاب الله لهم، فأجاب:

"إنه عقاب الله لسوء الحظ، كلّ ما يحدث هو عقاب من الله...نحن نؤمن بأنّ الصهيونية هي سبب الألم والعقاب للشعب اليهودي.."

ومُعلقاً على الانتفاضة، تابع فقال:

".. **إنّ اضطهاد الشعوب يسبب ردود الفعل**. إذا قمت بذلك ضدّ أيّ شعب، وليس ضدّ المسلمين فقط؛ لو قمت بذلك ضدّ البريطانيين أو الأمريكيين ألا يقومون بردود فعل؟ بالطبع."

* الصهاينة هم المسؤولون عن دم اليهود في فلسطين

ومُبيناً بأنّ الصهاينة هم المسؤولون عن سفك دم اليهود في فلسطين، يقول:

".. إنّ الصهيونية تُسبب الدم وسفك الدماء، وعلينا أن نُشير إليهم بالإصبع ونقول:

توقّفوا عن قتل اليهود .. لأنكم تُسببون هذا الألم. الصهيونيون يقولون 'لا، إنّ السبب هو المعاداة للسامية'——وهذا خطأ فادح. الشعوب المسلمة ما كانت تكره اليهود إلاّ عندما جاءت الصهيونية. إنه عمل الشيطان الذي يُقنع الناس."

وفي معرض حديثه عن سنوات عيش اليهود في ظل كرم المسلمين وأمانهم يقول:

"هناك شعوب كثيرة من اليهود السفرديم لا يُسمع صوتهم .. إنهم يشعرون بالإحباط، فهم يريدون أن يُسمع صوتهم، ويذكرون ويشكرون سنوات الضيافة في العالم الإسلامي، ولكن أصواتهم لا تُسمع. أريك هنا كتباً كثيرة كُتبت في هذا الموضوع .. ثمة كتاب هنا يتحدث كيف عاش اليهود في العراق بسلام .. ولكن الصهيونية تُضلل الشعب اليهودي. هنالك فضائح بن غوريون. لقد ضلّل الصهاينةُ اليهودَ وقالوا لهم إنّ العرب يكرهونهم؛ **ووضعوا بأنفسهم القنابل في المعابد اليهودية للتحريض ضد العرب،** ليعطوا سبباً لليهود بأنّ المسلمين يكرهونهم، وهذا خطأ فاضح. ثمة لدي وثائق أرسلها إلى الأمم المتحدة الحاخام (قدوري) الذي تحدث ضدّ الصهيونية في الأرض العربية، **وقال: إنّ الصهيونية تعيش على دم اليهود؛ إنهم يريدون أن يموت اليهود حتى يبقوا هم في فلسطين؛** يُريدون أن يُضللوا اليهود ويقولوا لهم بأنّ المسلمين يكرهونهم.

لقد عاش اليهود مع المسلمين في فلسطين بسلام، وهناك شهود على ذلك. أجدادنا قالوا لنا إنهم كانوا يرعون أطفال المسلمين؛ وكان الآباء المسلمون يرعون أطفال اليهود. هناك شهود على ذلك."

ومبيناً رأيه في موقف الدعم الأمريكي لإسرائيل يقول:

"..ليس من صالح أن يكونوا (الأمريكيون) إلى جانب إسرائيل، ولكن إلى جانب الفلسطينيين."

وعندما علّق الأستاذ أحمد منصور على كلامه قائلاً:

"أفهم من كلامك أنكم ترفضون مشروع التسوية القائم في المنطقة على أساس أوسلوا وغيرها من الاتفاقات"، أجاب السيد وايس:

"بالتأكيد مئة بالمئة كما قلت إنه محظور على اليهود، بموجب التوراة، أن تكون لهم أرض، وهذا (إقامة أرض لليهود في فلسطين) ظلم ضد الشعب الفلسطيني الذي عاش ليس فقط في نصف فلسطين، ولكن في كلّ فلسطين، ولهم حق العودة وحق الأرض."

وفي معرض حديثة عن الإرهاب الإسرائيلي لمظاهرات اليهود الأرثوذوكس الرافضين للدولة الصهيونية يقول:

"الأمر ليس كما يحدث في إسرائيل حيث إذا قمنا بمظاهرات فإنّ الشرطة (الإسرائيلية) تتصرّف بوحشية ضدّ الأرثوذوكس اليهود ويضربونهم. عندي صور كثيرة."

ومتحدثاً عن عامل هامّ جداً من عوامل إزالة الصهيونية، يقول:

"أعتقد أننا بإذن الله (**كيهود معادين للصهوينة**) بدأنا بإذن الله نتعاظم شيئاً فشيئاً؛ وعندما يتّضح للعالم بأنّ الصهاينة يكذبون في وصفهم (لأعدائهم) بمعاداة السامية؛ ويتّضح أنهم لا يُمثلون اليهود، وأنهم هم مناقضون لليهودية، فإنه لن يكون لهم سبب في الوجود والبقاء. عندما يتّضح أنّ اتّهامهم للمسلمين مغالطة، فإنه لن يكون لهم سبب للبقاء، ولن يكون هناك سبب لبقاء الدولة الصهيونية.

الصهيونية عنصرية تقول إنّ الأرض ليست ملكاً للفلسطينيين .. وهذا خطأ."

ومتحدثاً عن تعاطف الكثير من اليهود مع الشعب الفلسطيني يقول:

"..هناك مئات الآلاف من اليهود الذين يُعارضون كلّياً تعذيب وإنزال الألم بالشعب الفلسطيني. نحن نقف معهم؛ ونحن نبكي مع بكائهم، وفي معابدنا نُصلي لأجلهم؛ ويؤلمنا (عذابهم) كثيراً، ومن المؤسف جداً أن يحدث ذلك لهم."

* يهود التوراة يوقنون بأنّ إسرائيل دولة زائلة لا محالة لأنها ضدّ الله والتوراة:

وفي معرض بيان رؤيته لمستقبل دولة إسرائيل يقول:

"إنّ دولة إسرائيل سوف تنتهي لا محالة لأنها ضدّ الله. الله لا يُريد إسرائيل .. ونريدكم أن تفهموا بأنه طبعاً سوف تكون هناك سيادة فلسطينية، نحن ننتظر عودة المسيح ولا ننتظر عودة إسرائيل .. وما نسعى إليه هو أن يوحي الله إلينا، وأن يقرّ الناس بالعيش معاً بسلام، وبقول أنّ الحمل سيعيش مع الذئب. نحن لا نريد الباطل ضدّ الشعب الفلسطيني..ولكن أن تجتمع الأمم لخدمة الله. هذا هو أملنا من المسيح."[1]

وهكذا فإنّ علماء التوراة من اليهود الأتقياء يعلمون بأنّ الله ذاته قد قطّع اليهود في الأرض بسبب ظلمهم وعدوانهم، مصداقاً لقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ (الأعراف 169)

وأنه عزّ وجل قد حرّم عليهم السعي لإقامة دولة لهم. وأما فلسطين فقد بيّنت التوراة أنها ستكون مع باقي الأراضي والدول العربية ملكاً أبدياً للعرب باعتبارهم

[1] - في حلقة 2002/5/1 من قناة الجزيرة الفضائية، برنامج "بلا حدود"

المؤمنين من ذرية إبراهيم كما بيّنا. وأمّا اليهود الذين يطغون فيخالفون تعاليم توراتهم ويعتدون ويعيثون في الأرض فساداً ويظنون إنهم باستلابهم فلسطين سيقيمون لهم دولة صهيونية حربية قوية تبتلع العالم والأمم، فإنّ هؤلاء يكونون بفعلهم هذا يُحاربون الله، ويُناقضون تعاليم توراته، ولذلك فإنهم سينالون غضب الله الذي سيُحاربهم بنفسه ويجعلهم ذبيحته الهائلة –كما تقول توراة اليهود.

وبهذا فإنّه حتى علماء وفقهاء اليهود الصلحاء يعلمون أنّ توراتهم تُنذر بأنّ فلسطين ستكون مقبرة اليهود الصهاينة الذين سيدفنهم غضب الله الشديد في أرضها وعلى جبالها[1].

* حماقة إسرائيل القاتلة، وغباء ساستها المستحكِم

وبتجاهل ساسة إسرائيل وقادة جندها لهذه النُّذر المشؤومة في توراتهم فإنهم يرتكبون حماقة مهلكة تستأصل شأفتهم وتقطع دابرهم، وتورد اليهود المستغفَلين موارد الهلاك المحتوم.

إنّ إسرائيل بسعيها الباطل لسلب فلسطين قد جعلت من إرهابها ديناً وعقيدة. وهل ثمة أعتى من بطشة الإرهاب عندما يكون ديناً، أو عقيدة!

ولكن:

أيّ أرضٍ هذه التي يظن الصهاينة أنهم قادرون على سلبها؟

وأيّ سلام واستقرار هذا الذي ينشدونه ويَعِدونه لأغبيائهم أو تجّارهم أو

[1] - راجع سفر حزقيال

سوّاحهم؟!

أولا يرون أنّ الأرض (الموعودة) تدفنهم وتبتلعهم؟!

أولا يرون أن حجر الطفل الفلسطيني قد سلبهم هدأة أحلامهم،

وحطّم عنفوانهم،

ومرّغ أنوف قادتهم بتراب أرض فلسطين،

ومزّق نوم أجنادهم،

وهجّر سوّاحهم،

وأوقف هجرة اليهود المستغفَلين إليهم؟!

وهل يظنون أنّ الله (حاشى) أو قانون البقاء، أو الروح العربية، أو الدم الفلسطيني يسمح لهم بإبادة شعب فلسطين وفيهم:

الأب الفلسطيني الثاكل ما يزال يحرث أرض زيتونه،

والأم الفلسطينية ما تزال تلد الشهداء بدمائهم المتفجّرة،

والأرض العربية الفلسطينية ما تزال تنبع أحجاراً مقاتلة تمنع جنود اليهود من القدرة على الإطلالة للقنص من وراء جدرهم وحصونهم وجحور دباباتهم ومدرّعاتهم؟!

يا للانتفاضة التي مرّغت أنوف ساسة الصهاينة وقادة الجند في إسرائيل بتراب

فلسطين الأبي!

يا للحجر الذي يُبدّل الحكومات المتقارعة في إسرائيل، ويُثير غضبة الأحزاب ويُنطق وكالات الأنباء والفضائيات العالمية العميلة والخرساء.

الثمن صعب، ولا ريب،

والمهر باهظ ولا شكّ،

ولكنّ العروس الفاتنة (فلسطين) تستحق أغلى المهور.

فاحذري يا إسرائيل احذري لأنكّ بتحدّيك للوعيد التوراتي، وبغرورك الأحمق، وبغبائك القاتل، وبمخالب ظلمك واضطهادك وإرهابك، وبمقارعتك لقانون الحق والبقاء تحفرين قبرَ تلاشيكِ بيديك، وتُبيدين شعبك بخطط ساستك ومكر قادة أجنادك.

وإنني، بإيماني بوعد الله الحق في التوراة والقرآن، أُقسم بالله القوي القادر الذي قوله الحق ووعده الحق أنّ فلسطين لأهلها، ولن تكون لليهود ولا لغيرهم، مهما تكالب العالم واشتدّت الهجمات.

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

الفصل الثامن عشر

الإرهاب الدولي بين معضلة التعريف وواقع الممارسة!

(عود على بدء—الرحمة بالإنسان، بأنفسكم)

* تعريف الإرهاب—المعضلة الدولية!

أين مصلحة الولايات الأمريكية المتحدة وإسرائيل أو الدول المؤيّدة لهما من العالم الغربي في الاعتراف بتعريفٍ حقٍّ للإرهاب؟!

وهل يُشير المجرم إلى ذاته بتعريف واضح كالذي يعترف بجرمه ويُدين نفسه علناً؟

وهل يحتاج الإرهاب إلى تعريف؟

وهل إذا كان يحتاج إلى تعريف فإنّ ثمة مُعضلة عويصة تجعل من تعريفه أمراً صعباً يحتار فيه العلماء والحكماء والسياسيون وأهل الأرض أجمعون؟!

وإذا كان تعريف الإرهاب أمراً صعباً، إلى هذا الحد، بحيث لم تستطع دول العالم، بعد، الاتّفاق عليه والتوصّل إليه، **فما هذا إذن** الذي تتهم به أمريكا وإسرائيلُ ودولُ الغرب العربَ أو المسلمين، أو غيرهم فتُطلِق، كما يحلوا لها، على أفرادٍ أو دُوَلٍ منهم صفة الإرهابيين وتدعو حكوماتها وجيوشها، وحكومات

وجيوش العالم إلى قصفهم، أو تفجيرهم، أو تدمير بيوتهم، أو تجويع شعوبهم أو ذبحهم بأية وسيلة وحشية شديدة لا رحمة فيها ولا أثارة من إنسانية؟!

الإرهاب هو التخويف.

فكلّ من يخوِفك يُرهبك ويكون إرهابياً.

والتخويف يمكن أن يكون معنوياً أو مادّياً. ولذلك فإنّ الإرهاب يُمكن أن يكون معنوياً كما يُمكن أن يكون مادياً.

وإذا ما سألنا الإنسان الغربي والإنسان عموماً ما الذي يُمكن أن يخوفه، يروّعه أو يُرهبه؟! نجد الردّ يأتي بسيطاً واقعياً وصادقاً:

'إنّ لي كإنسان حقوقاً في الحياة مثل أيّ إنسان آخر؛ وإنّ سلب أيٍّ من هذه الحقوق، تحت أيّ شعار أو غاية، أو أي اعتداء عليها هو إرهاب وترويع أكيد'!

ويفيدنا، في هذا المقام، أن نذكر بعض حقوق الإنسان على سبيل التذكير:

يمكن إجمال حقوق الإنسان بما يتعلّق في:

*الحياة

*العمل

*الملكية

*الدّين

*الشرف

* إرهاب العدوان على الحياة

أليس من حقك أن تحيا؟

إذن فسلب الحياة منك أو الاعتداء عليها هو إرهاب.

والحياة هي مُلك الله وحده وهي هِبته للإنسان، ولا يحقّ لأحد أن يستردّ هذا الملك أو يُنهيه غير الله عزّ وجلّ بالوفاة الطبيعية؛ ولذلك فقد حرّم الله قتل النفس، سواءً أن يَقتل الإنسان نفسه أو أن يَقتل غيره. وهذه الحُرمة تعمّ جميع البشر على الإطلاق ودونما أيّ تمييز.

وأما في يتعلّق بالقصاص مثل قتل النفس بالنفس أو في القتال المشروع دفاعاً عن حقوق الإنسان فهذا من الأحكام التي قضاها الله دفاعاً عن النفس البشرية من أن تُستباح حرمتها أو الاعتداء عليها. ولولا ذلك لتهددت حياة الجنس البشري بأكمله، قال تعالى:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة 33) ولذلك فقد شرع الله الدفاع عن النفس حماية للناس جميعاً وللجنس البشري بأكمله.

وأما القتل في حالة القتال المشروع دفاعاً عن حقوق الإنسان ضد المعتدي، فهو مشروط بالاعتداء على هذه الحقوق، قال تعالى:

﴿فَمَنْ اعتَدى عَلَيكُم فاعْتَدوا عَلَيهِ بِمِثْلِ ما اعْتَدى عَلَيْكُم﴾

وحدّد هذا القتال بشرط المقاتلة، فقال:

﴿وَقاتِلوا الَّذينَ يُقاتِلونَكَم، وَلا تَعْتَدوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المعْتَدين﴾

ولقد بيّنا هذا بشكل وافٍ في الفصول السابقة.

وبناء على هذا المنطق الإلهي والإنساني السليم فإنّ قتل أيّ إنسان بغير القصاص القضائي العادل، أو الحرب المعلنة على الكيان المقاتل ومقاتليه هو إرهاب أكيد.

وبهذا فإنّ القتل السياسي والديني والطائفي وأيّ شكل آخر من أشكال الاغتيال والفتك وبأيّ وسيلة كانت، إنما هو إرهاب صريح وانتهاك لأهم حق من حقوق الإنسان.

* حق الملكية

وأهمّها الأرض——الوطن وكلّ ما ومن فيه.

إنّ أيّ اعتداء على الأرض والوطن وبأيّ شكل كان هو عدوان إرهابي مُبين لا يحق لأيّ كيان القيام به تحت أيّ مبرر أو مسمّى. وبهذا فإنّ الغارات والقصف والحصار خارج الحرب الدفاعية النظامية هي إرهاب أكيد. ولا تكون الحرب دفاعية إلاّ إذا كانت منطلقة من أرض الإنسان ووطنه باتجاه العدو الخارجي الذي باشر أو بيَّتَ العدوان عليه، أو المحتل القادم من مكان آخر خارج أرضه

ووطنه. وأمّا الردّ بشنّ الهجمات على قوى العدو المغير على الوطن على الحدود، أو العدو داخل وطن المهاجِم نفسه أو في المكان الذي يفرض المعتدي فيه القتال، فهي مقاومةٌ وحرب دفاعية مبرَّرَة **طالما أنها لا تطال المدنيين المسالمين وغير المقاتلين**.

*وبهذا فإنّ الاعتداء على الوطن هو إرهاب أكيد، والدفاع عنه مقاومة وحرب شرعية. ولا بدّ من إعلان كلّ قوّة معتدية أو محتلّة بأنها كيان إرهابي في كافّة أحوال وجوده وممارساته داخل الأرض المحتلة أو المعتدى عليها.

*والاعتداء على أيّ شيء فوق أرض الوطن ومياهه وسمائه هو إرهاب أكيد، والدفاع عن كلّ ما في وعلى أرض الوطن ومياهه وسمائه مقاومة وحرب شرعية.

ولذلك فإنّ هدم البيوت إرهاب، والدفاع عنها مقاومة وحرب شرعية.

وتخريب الأراضي الزراعية إرهاب، والدفاع عنها مقاومة وحرب شرعية.

وتخريب المنشآت الصناعية والبنى التحتية وضرب مصادر الماء والكهرباء إرهاب، والدفاع عنها مقاومة وحرب شرعية.

هذا وإن حقّ الإنسان في العلم والعمل هو من صلب حقّه في الحياة وتطويرها والحفاظ عليها، ولذلك فإنّ:

مصادرة وقت الإنسان أو التصرّف به، هو إرهاب، وكذلك منع الإنسان من العمل إرهاب، والدفاع عنه مقاومة وحرب شرعية.

ومنع الإنسان من العلم والتعليم إرهاب، والدفاع عنه مقاومة وحرب شرعية.

وببساطة بالغة فإنّ الاعتداء على أيّ مقوّم من مقوّمات حياة الإنسان **في وطنه أو خارجه** هو إرهاب.

* خطاب إلى المواطن الأمريكي والغربي

ألاّ تعدّ احتلال أرضك وسلب وطنك إرهاباً يجب عليكَ مقاومته دفاعاً عنهما؟ فكيف إذن يكون دفاع الفلسطيني عن أرضه المحتلّة ومقاومته للمحتلّ إرهاباً؟!

ألاّ تعدّ هدم بيتك إرهاباً يجب عليك مقاومته دفاعاً عن بيتك؟ إذن كيف تكون مقاومة الفلسطيني دفاعاً عن بيته الذي تهدمه بلدوزرات جنود إسرائيل إرهاباً؟!

ألا تعدّ جَرف أرضك الزراعية وتخريب منشآت عملك وقطع الماء والكهرباء ومنعك من العمل والتعلّم والتعليم إرهاباً يجب عليك مقاومته؟ إذن كيف تكون مقاومة الفلسطيني لجنود إسرائيل (الذين يهدمون بيته، ويجرفون أرضه، ويدمرون مصنعه ومتجره، ويقطعون عنه الماء، ويقطعون عنه الكهرباء، ويمنعونه من الذهاب إلى العمل وممارسة حتى التطبيب أو التمريض، ويمنعون أطفاله من الذهاب إلى المدرسة) إرهاباً؟

يعلم العالم كلّه الآن، ومن خلال التقارير التلفزيونية للمحطات الفضائية في العالم كلّه، والتي باتت أكثر من أن تُحصى، أنّ إسرائيل:

تقتل وتقنص—بالرشاشات والقنابل والدبابات والمدافع وطائرات الآباتشي—الأفراد الفلسطينيين الذين يحاولون الدفاع عن أنفسهم وبيوتهم وأراضيهم ومتاجرهم وحياة أهلهم وأبنائهم بالقليل من الطلقات المتاحة لهم بالإضافة إلى حجارة أطفالهم الذين باتوا يُقتلون في كلّ يوم بأعداد لم يعرف التاريخ لها مثيلاً. يُقتلون بقناصات الجنود الإسرائيليين المدججين بكلّ سلاح حديث، ومن وراء الفرجات الضيقة لدباباتهم الثقيلة التي تجول وتصول بين الأطفال الفلسطينيين وفي جميع الأحياء المدنية!

* شهادة العالم الموثّقة

– ولقد بات العالم كلّه يعرف أنّ بلدوزرات الجنود الإسرائيليين تجرف بين حين وحين العشرات والمئات من بيوت الفلسطينيين وتهدمها وتسويها بالأرض وتدبّ على أنقاضها، بكلّ صلف وغرور، تاركة أهلها بلا مأوى ولا جدار، يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ويموتون جائعين عطاشى وعرايا وقد امتلأت رئاتهم بدخان البارود وناره الحارقة!

ولقد شاهد العالم كلّه الجرافات الثقيلة لجنود إسرائيل تجرف أراضي الفلسطينيين الزراعية: تقتلع أشجار الزيتون والبرتقال وتُحيل البساتين خراباً تطؤه جنازير دبابات 'الميركافا' وأحذية أجناد الدمار والخراب، والويل كلّ الويل للفلسطيني الذي يُفكّر بأن يحمي بجسده جذع شجيرة خضراء، إذ سيجعل جنود الصهيانة عندها قبره المكشوف للعراء!

ولقد شاهد العالم أطفال فلسطين الأبطال وهم يُقاومون دبابات العدو بحجارتهم الصغيرة، يقذف الواحد منهم حجره وهو في طريقه إلى مدرسته الممنوعة أو دكّان أبيه المغلقة، ثم يُستشهد اليوم أو غداً، أو بعد غد وهو يحمل حقيبته المدرسية على كتفيه!

وشاهد العالم قتل الصبي الفلسطيني في حضن أمّه وهو يلوذ، عبثاً، بها؛ وقتْلَ الأمّ أمام عيني ولدها.

وشاهد العالم تدمير بيوت الفلسطينيين في نابلس وجنين ورام الله على رؤوس أهلها.

وشاهد العالم قوافل العمال والموظفين والطلاب الفلسطينيين تمرّ عبر الممرات الجبلية الإجبارية وتقف طوابير على حواجز الجنود الإسرائيليين الذين يمنعوهم من المرور لممارسة أعمالهم التي يعيلون أهلهم وأنفسهم من فتات دخلها وأجورها الزهيدة!

ولقد شاهد العالم كلّه كيف أنّ الفلسطيني يحمل ولده أو أخاه أو رفيقه القتيل أو الجريح ولا يجد سيارة إسعاف تستطيع الوصول إليه، إذ تمنعها حواجز أجناد إسرائيل في كلّ مكان، بل وتقصفها أو تهشمها بدباباتها والبلدوزرات، فيغيض دم الطفل الجريح بين ذراعي والده، ويموت الصبي الجريح على كتف أخيه أو رفيقه!

وشاهد العالم كلّه رضيعات فلسطينيات فجرت رصاصات جنود إسرائيل

دماءهنّ فَعَلَت الشهادةُ ووجوهَهن البريئة أجمل من بدور السماء!

هؤلاء الفقراء المنكوبون الذين تُدمّرهم إسرائيل بمدافعها ودباباتها وطائراتها وقذائفها كي لا يكون لهم بيتاً، ولا أراضاً ولا متجراً ولا مدرسة ولا عملاً، وهم في الأصل لا تصلهم مساعدة ولا دعم ولا مال ولا سلاح ..!

هؤلاء المحاصرون بجميع قوى دولة إسرائيل الصهيونية العسكرية الحربية المدججة بكلّ القوى والمال والسلاح والعون من أمريكا والعالم الغربي والثروات الصهيونية العالمية من جميع دول العالم وبنوكه ومؤسساته المالية ومنظماته السرية..

*كيف لا يستشهدون

هؤلاء الموتى في مطلع كلّ يوم:

كيف لا يُدافعون!

كيف لا يُقاومون!

كيف لا يُقاتِلون!

لا تترك لهم إسرائيلُ أباً ..

ولا أمّاً ..

ولا صديقاً ..

ولا أخاً ..

ولا أختاً ..

ولا زوجةً ..

ولا ولداً ..

ولا بنتاً ..

ولا تترك لهم إسرائيل بيتاً ولا حتى مخيّماً !

ولا تترك لهم أرضاً ..

ولا متجراً ..

ولا عِلْماً ..

ولا عملاً ..

ولا رغيف خبز ..

ولا قطرة ماء ..

ولا حياة!

هؤلاء الفلسطينيون الذين تحيل إسرائيل بيوتهم إلى مقابر وهم أحياء ..

كيف لا ينتحرون؟!

وكيف لا يجعلون من انتحارهم مقاومةً وقتلاً لقاتِلهم ومُغتصبِ جميع حقوقهم وممتلكاتهم وإنسانيتهم؟!

وإن كانوا لا يستطيعون مقاومة بطش إسرائيل وجبروتها بحياتهم،

فكيف لا يفكرون بالقضاء عليها بموتهم، باستشهادهم؟!

ألم يجعلوها تخاف موتهم أكثر بكثير من خوفها من حياتهم؟!

لقد علّمتهم إسرائيل الانتحار .. وها هي بحمقها وغبائها وصلفها تدفع الثمن غالياً!

ولِمَ لا تدفع الثمن وهي تُمارس إرهاب الدولة ضدّ الشعب الأعزل فوق صدر أرضه وأرض آبائه وأجداده!

قام المسيحُ الطفلُ وأمسكَ الحجرَ !

10/نيسان/2002

(1)

مهدُ المسيح محاصَرٌ ويئنّ من ظُلمٍ يعيثْ ..

والعالم اللاهي

يُبارُكُ ضربةَ الباغي ..

وينهرُ جرح طفلِ المهدِ كي

لا يستغيث!

(2)

الجندُ في المهد الذي فيه يسوعْ ..

الجند في الأقصى تدوس القدسَ تقتلعُ الجذوعْ ..

وتُدمِّر الأحياء بالقصف الشديدْ،

قبل الوعيدْ ..

وتدبّ فوق الباب والشباك تبطش بالحديدْ،

وتُذبّحُ الأطفال في عمر الورود: من الوريد إلى الوريدْ،

في هجمة الوحش الجديد!

* * *

(3)

يا أيها الطفل يسوعْ ..

هل كنتَ تظما أو تجوع ..

أو تُنذرف منكَ الدموع ..

لولا احتلال القاتلين ..

لولا اغتصاب الصالبين

أرضَ السلام !

هل كنت تدمى يا يسوعْ ..

أو تنكسر منك الضلوع ..

أو تُحتَضَرْ!

هل كنتَ يوماً في خطَر ..

لولا بُغاة الغاصبينْ ..

لولا تَعامي المؤمنين ..

أو ذُلّ صمتِ المخرَسين ..

لولا القهر!

* * *

(4)

يا أيها المتصهينون!

صَلَبَ المسيحَ جُدودُكمْ ..

ثَقَبوا يَديهِ ومزَّقوا لحمَهْ،

من دون ما رَحمَةْ.

وعلى صليبِ ذئابكم

سالَتْ دِماهُ

لِتَفتَدي آلامَكمْ ..

يا ويلكمْ،

يا أيها القَتَلَهْ!

* * * *

(5)

مهدُ المسيحِ مُحاصَرٌ

بجنود إسرائيل تَخنُقُ دَيرهُ ..

بدخان بارود يُغشّي نورهُ ..

بالقنصِ يُردي كلّ خدام الحرم،

في بحر دم.

وجَنازِرُ الدّبّابِ تعلو

فوقَ أجراسِ الكنائسِ

تَقصِفُ الصّلبانَ

والألحانَ

والطير المرتِّل في السما!

* * * *

(6)

يبكي المسيحُ الطّفل مِن قَهرٍ عتا ..

جفَّتْ مآقيهِ،

وغاضَ الماء في دمِه البريء!

ظَمِئَ المسيحُ الطِّفلُ لا ماءٌ ولا قطرة!

جاعَ المسيح الطِّفل لا خبز ولا كِسرةْ!

قطع اليهود الماءَ عن مهد المسيح ..

منع اليهودُ الخُبزَ عن مهد المسيحْ.

منعوا الصلاةَ

وحاصروا من قالَ: 'يا ربُّ،

إليكَ المشتَكى'

فبكى ومات.

* * * *

(7)

جَرحوا المسيحَ وفجَّروا سيارة الإسعافْ!

فالقتل باستهدافْ ..

والذبح باستخفاف ..

شريعةُ الجلادِ في صهيون ..

والويل للضعاف!

(8)

قام المسيح الطّفل من جرح الألم ..

وتسلق الصلبانْ.

فرأى هضاب القدس داميةً ..

تجتاحها النيرانْ ..

والموتَ في الأقصى

زحفاً من الشيطانْ.

شرّ حقود ينشر الموتى

بالجند والغيلان!

فقضى يسوعُ بمهده حزناً لكم!

يا ويلكم!

يا أيها الغيلان!

(9)

ضاق الخناق على المسيح بمهده،

طفح الهوانْ.

نسفوا سقوف بيوتهِ ..

قتلوا جميع أحبَّتهْ.

جرفوا حديقة مهدهِ

(واستهدفوا) زيتونتَهْ

(10)

لم يبق غير سمائه تهفو لهُ

فالمهد قد أُبيحْ

والمُفتدي جريحْ

والظلم رايةٌ

والحق قبض الريحْ!

الحقّ قبض الريحْ!

(11)

قام المسيح ليفتدي

حزنَ الثكالى المنهمرْ ..

فحنا على أرضٍ تجود حجارةً

في قلب مهد مُنكسِرْ.

يا ويلكم

من قبضة الطفل المسيحِ إذا هَدَرْ

في غضبةٍ ترمي الحَجرْ ..

والويل من حزامهِ،

ويل لكم

إذا انفجرْ!

محمد منير إدلبي

* الاجتياح الإسرائيلي المبيد

وتحت سمع العالم وبصره؛ وبتأييد أمريكي صريح، اجتاحت إسرائيل مُدن فلسطين نابلس وبيت لحم ورام الله وجنين .. وأعطى الغول الدموي شارون أوامره بالإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني على قدر ما تستطيع إسرائيل استغفال العالم كلّه واستغباءه.

وانطلق أجناد إسرائيل بكامل أسلحتهم، يعيثون في فلسطين فساداً وفي دم الفلسطينيين ولوغاً!

بدأ الاجتياح وتتابع. وانطلقت الدبابات تقصف بيوت الفلسطينيين وتدبّ على أنقاضها .. وحلّقت من فوقها قاذفات الآباتشي والفانتوم الأمريكية الحديثة تُسدّد صواريخها ورشاشاتها على المدنيين في بيوتهم أو سياراتهم، أو مُشاتهم في الأحياء .. وخوفاً من مقاومة أبناء فلسطين، استخدم أجناد إسرائيل الشيوخ والأطفال الفلسطينيين دروعاً بشرية قيدوها إلى دباباتهم. ودبّوا في الأحياء يعتقلون الشباب ويجمعونهم في الساحات (مطمّسي) الأعين بعد تهديم بيوتهم وبيوت أهاليهم وأمام أعينهم. وقتلوا كثيراً ممن نفدت ذخائرهم المحدودة فاستسلموا .. ورأى العالم ذلك في تقارير الأخبار الفضائية .. أطلقوا النار على أسرى مقيّدين وفجّروا رؤوسهم .. وهدموا على الذين أَبَوا بيوتهم .. وفي مقابل هجومٍ يائس على دبابة واحدة هدموا تسعة بيوت!

هدموا المدينة .. دمّروا نابلس وجنين واستباحوا مدينة بيت لحم المقدّسة مركزَ

حجيج المسيحيين، وحاصروا مهد المسيح، وقتلوا قارع أجراسها! بعثروا الجرحى في كنيسة **سانتا ماريا**، وكنيسة السريان .. ضربوا الكنيسة الكاثوليكية فقتلوا راهباً وجرحوا سبع راهبات .. وتركوا وراءهم جثث فلسطينيين عُذِّبوا حتى الموت بعد أن جعلوا الكلاب تنهش جروحهم وتمزّق لحومهم .. حاصروا المستشفيات ومنعوا سيارات الإسعاف والصليب الأحمر وتركوا جثث الشهداء تتعفّن والجرحى يموتون نزفاً .. قتلوا صحفياً إيطالياً وتعرّض صحفيٌ فرنسي وآخر مصري للقتل، ودهسوا أمريكية ناشطة ضدّ عدوانهم بآلية ثقيلة فأزهقوا أنفاسها، وآذوا كثيراً من المراسلين .. وقال المراسلون بأنّ إطلاق النار عليهم لم يكن عفوياً ولا بالصدفة، بل كان مقصوداً رغم ما يحملونه من شارات تدلّ على مهماتهم الصحفية والتلفزيونية!

* التأييد الأمريكي المطلق للإرهاب الصهيوني في فلسطين

مارست إسرائيل الإرهاب كلّه .. وقام بوش[1] أمريكا يدافع عنها وعن حقّها في الدفاع عن نفسها، وأعلن أنّه يتفهّم الممارسات الإسرائيلية وأنّ أمريكا أكثر التزاماً اليوم بإسرائيل مما مضى!

ربما تذكّر أشكال الإرهاب الصهيوني في أمريكا وخاصّة تجسسهم المنظّم وتجميعهم لأخطر المعلومات التي يُمسكون من خلالها بخنّاق الرؤساء الأمريكيين وساستهم! وهذا يُذكّرنا بقول خبير التجسس الأمريكي المستر **سبانوس** بأنّه على مدى الـ 25 سنة الماضية لم يكن ثمة أيّ رئيس أمريكي قادراً على قول لا لإسرائيل!

---

[1] - الابن

وقال بأنّه قد حصلت شركات إسرائيلية مختصّة بالإلكترونيات على امتياز تركيب أجهزة إلكترونية في البيت الأبيض الأمريكي فقام الصهيانة من خلال ذلك باختراق سجّلوا بواسطته 30 مخابرة غرامية بين لوينسكي وكلّينتون واستخدموهاً في التهديد لصالح إرهابهم![1]

وقال المستر سبانوس بأنّ إسرائيل بارعة جداً في ممارسة الضغط والابتزاز حتى ضدّ أصدقائها، وإنّ من ينتقد رجالاتها ويسعى لكشف مؤامراتهم يتعرّض لمخاطر كثيرة، ولذلك – كما يقول – فإنّ الإعلام الأمريكي ليس حرّاً بما فيه الكفاية. إنّ إسرائيل تعمل على جمع المعلومات التي تَلزمها في جميع دول العالم من خلال شبكة منظّمة هائلة، وكذلك تعمل شبكات الجريمة المنظّمة الإسرائيلية بشكل تضمن فيه لحكومة إسرائيل السياسة التي تُريد، والإرهاب الذي ترغب، دون خوف من النقد والمعارضة، بل هي تضمن دائماً موافقة أمريكا على إرهابها، كما تضمن استخدام الفيتو الأمريكي حسب مصلحتها!

"من يجرؤ على الكلام!"

هذا ما يقوله بعض خبراء التجسس الأمريكيون! إنّ إسرائيل تمسك بخنّاق ساسة أمريكا ومن يلزمها من دول العالم الغربي! وقضية **الجاسوس الإسرائيلي 'بولارد'**، الذي حوكم وسُجن في أمريكا، فيها البرهان الكافي ويعرفها العالم كلّه!

إسرائيل تُمارس الإرهاب كلّه ضدّ الفلسطينيين، والرئيس الأمريكي يتفهّم،

[1] - وردت هذه المعلومات في إحدى حلقات برنامج قضايا الساعة الذي تبثّه محطة الجزيرة الفضائية من قطر. وهذا هو دأب الصهاينة في الوسيلة التي يهددون بها كلّ رئيس ينتخبونه وتسوّل له نفسه مخالفتهم أو إدانتهم.

ويهدد الدول العربية بوصمها بالإرهاب، ويهدد العراقَ بالقصف، ويطلب من الرئيس الفلسطيني—الذي حاصرته القوات الإسرائيلية في غرفتين وطوّقت مكتبه بالدبابات، ومنعت عنه الماءِ والكهرباء—أن يمنع شباب فلسطين وأطفالهم من الاستشهاد دفاعاً عن الدم الفلسطيني المستباح والأرض الفلسطينية المجتاحة ومقاومة للإرهاب الإسرائيلي القاصف بكلّ سلاح ماحق!

إنّه الجنون بعينه!

وهو الاستغفال والاستغباء العالمي على المستوى الصهيوني-الأمريكي!

بل هو تحالف الإرهاب الدولي القائم على العنصرية الخفية، المؤسَّسة على المصالح الامبريالية الحديثة في نظامها العالمي الجديد المحكوم بالمنظمات السرية المسيطرة على المؤسسات المالية العالمية[1]!

* الإرهاب الإسرائيلي يدنّس قداسة المساجد والكنائس

في برنامج وثائقي بثّته الفضائية السورية في 2002/4/9، وفي حِوارت مصوّرة وعن شهود عيان جاء ما يلي:

- حوّل الصهاينة مسجداً أثرياً في صفد إلى خمارة وساحة رقص، ويعرضون

[1] - أنظر كتاب "الحكم بالسّـــر" تأليف الكاتب الأمريكي جيم مارس، ترجمة محمد منير إدلبي—الناشـــر دار الأوائل، دمشق.

فيه ليلاً أفلاماً إباحية تدغدغ رذالاتهم! كما حوّلوا مسجداً آخر إلى كنيس! ومسجداً آخر إلى حظيرة للأبقار[1]!

- وفي عسقلان حوّلوا مسجداً إلى ثكنة عسكرية، ومسجداً آخر إلى مركز لهو ومقامرة، ومتجر للبيع، ومسجداً آخر إلى مزبلة للحي!

- وحوّلوا مسجد النبي يوشع إلى حظيرة قذارة للأبقار التي بدت تدخل وتخرج منها وترتع وتزبل فيها. كما أزالوا لوحات المسجد الأثرية التاريخية، وأزالوا الأبواب والنوافذ ليسهل دخول الدواب إليه وخروجهم منها!

وهكذا فعلوا في كثير من المساجد في سعي صهيوني هادف لمحو الهوية الفلسطينية-الإسلامية على طريق محو الهوية الفلسطينية-المسيحية، لتبقى هوية الصهيونية-العنصرية-الإرهابية الوقحة هي الوجود الوحيد في فلسطين!

* دماء الفلسطينيين تسجد في أرض فلسطين، تُقَبِّل حجارة المسجد الأقصى وتغسل بلاط كنيسة مهد المسيح

ففي كلّيهما مزّق جنود الإرهاب الإسرائيلي أجساد الفلسطينيين مسيحيين ومسلمين. وبارك الصمت العالمي هذا الذّبح الصهيوني العاتي بصلفه وجبروته واستهتاره واستهزائه بجميع الجباه!

ذبحوا أبناءنا في القدس وبيت لحم.

---

[1] - لقد كان هذا البيان موثّقاً بالصور الناطقة ولولا ذلك لما تمّ تصديقه.

وما يزال يسوع الطفل يئنّ في مهده، وينتفض المسجد الأقصى لآلامه!

أفلا تصحّ إذن نبوءات التوراة المقدّسة بأنّ الله ذاته سرعان ما سيُدمّر أجناد الصهاينة وقواهم وأعوانهم بغضب منه يحيلهم أشلاءً ومزقاً على جبال صهيون وفي معاقلها؟

الفصل التاسع عشر

فلسطين وسؤال الدم !

كنتُ في بيتي أكتب،

أقول: فلسطين يا حزن العمر!

انتفض قلمي،

مدَّ جناحه المضطّهد

وطار بي إلى فلسطين.

* * * * *

وقفتُ على تلّة خضراء.

لمحتُ عن بعد مدينةً فلسطينية جميلة.

ربما نابلس، أو رام الله، أو جنين!

رُحتُ إليها..

صَمْتْ!

دنوتُ يسبقني نبض قلبي المكبوت..

أشجارها مازالت واقفة..

لكنّها سوداء متفحّمة..

بُيوتها مدمّرة..

أركانها راكعة..

وسقوفها ساجدة..

ركام فوق ركام..

دخان ورائحة دم رطب!

لم أسمع صوتاً

لا حسّاً

ولا حتى همس عصفور برّي،

ولا حفيف وريقة زيتونة خضراء!

* * * * *

دخلتُ أوّل طُرقها.

رائحةُ رطوبةٍ لزجة:

دم!

وحين هممتُ بنَقلَ خَطوي،

شدّتني لزوجةٌ سميكة إلى الأرض أمسكتْ بقدميّ!

نَظَرتُ:

دم!

ينساب ثقيلاً صامتاً، يتكاثف!

تلفّتُّ حولي:

دمٌ يشتدّ تكاثفاً..

ويشتدّ لزوجة ويمتدّ !

صار أيدي فوقَ العدّ

أمسكَ بقدَمَيَّ

تشبَّث بهما

وبصمتٍ:

كان يسترحمُ

ويستغيث!

* * * * *

انتزعتُ قدميَّ مرتاعاً

وتابعتُ أخطو بخوف شديد على دروب القرية – المدينة–المقدّسة–المنتهكة–المغتصبة– (الجميلة)!

وجدتُ أنني أوغل في أحشاء الموت:

صمتٌ في دمارٍ ودم!

* * *

نظرتُ من جُحر رعبي،

تلفّتُّ باحثاً عن ظلٍّ أستأنس به.

لمحتُ غابة زيتون حمراء قانية مَشوبةً بخضرة أشجار الأرض الفلسطينية.

رُحتُ إليها أرجو ظلاً، أُنساً، أو شبح حياة.

دنوتُ؛

هبّتْ نسمةُ بارود سوداء تدور وتلتفّ.

اهتزّت أشجار الزيتون..

اصطفقتْ أوراقها الحمراء..

غسلتْ رأسي بالدم الماطر منها..

فلسطينياً كان الدمُ،

عربياً كان الدم،

مسلماً ومسيحياً بلون زكيّ واحد!

* * *

اشتدّتْ لزوجةُ الدم تحتَ قدمَيّ،

حولي،

من ورائي،

وأمامي!

شدّتني لزوجة الدم وأعجزتني عن المسير!

وفجأةً:

انفتح الصمت!

وسمعتُ صوتاً يهمّ أن يخرج أو يئنّ!

حسبتُه صوت بشر، فما كان!

أو أنين طائر، فما كان ..

بل الدّم كان يئنّ!

انتَصبَ في وجهي عملاقاً بحجم الحق!
حدَّق في عينيّ المكسورتين!
مدّ استطالاته النازفة بكلّ إباء،
واستوقفني بلزوجة شديدة، سألني:
"هل أنتَ مسلم"؟
صار قلبي هواءً!
أحاطني تيهي؛
فقدتُ صوتي!
لا حرفاً..
لا حركة ..
ولا أنّة!
* * *
نظر الدمُ دافقا في عينيّ وأنَّ:
"هل أنتَ مسيحي"؟
اجتاحني الرّعب المهين!
حاولتُ نُطقاً
فوجدتني كالحجر المنحوت.
"هل أنتَ يهودي؟
بوذي، أو أيّ مؤمن؟"

اشتدّ خنّاقُ رُعبي،
غصصتُ بشهيقي،
جاهدتُ لأقول شيئاً!
وكان الدّم هذه المرّة يفيض حتى رُكبتَيّ،
تسلّق صدري.
هَلَعاً كِدتُ أموت من رؤية الدمِ يتسلّقني حتى خُنّاقي!
* * *
خطفَ انتباهي صوتُ بكاءٍ طفليّ يستنجد يائساً!
التفَتُّ إلى مصدر الصوت..
كان متروكاً في رُكام أحجار بيت مهدّم..
طفلاً[1] فلسطينياً رضيعاً!
ما زال حيّاً يدفع وجهه في صدر أمّه
مدفونةً كلّها في الركام إلاّ ذراعها الحاني عليه وفي قبضته حجر!
يُحاول الرضيع التقام ثدي أمّه الشهيدة!
يهمهمُ، رأيته، يبكي ويئنّ كقطّة جائعة تحتضر!
يدفع أنفه الصغير في صدر أمّه القتيلة،
يمدّ شفتيه الرقيقتين جائعاً يريد أن يرضع لبناً من صدر أمّه،
فلا ينساب في فمه

[1] - كان الصوت طفلاً، والطفل صوتاً.

إلاّ الدم!

وفجأة أمسكتْ بي عيناه الرضيعتان..

اصطادتني كفأر

فكفَّ عن البكاء!

وكفَّ عن محاولاته اليائسة لالتقام ثدي جثة أمّه..

نظر إليّ بوجه أبيض يُشبه الطفلَ يسوع، مضرّجاً بدم أمه ذبيحة الصهاينة،

وأطلق عليّ نظرات أطفال فلسطين،

مسلمين ومسيحيين،

ثم سألني بدم يتدفّق من فمه:

"هل أنتَ مُسلم؟

هل أنتَ مسيحي؟

هل أنتَ يهودي، بوذي أو أيّ مؤمن؟"

وقبل أن أفكّر بالجواب،

شَرَقَ غاصّاً بدمِ جثة أمّه ومات وهو يلتقم ثديها الجريح!

* * *

حاولتُ أن أتحرّك،

أن أحضن الطفل العربي الرّضيع؛

طفل فلسطين وقانا والعراق،

حاولت أن أستجدي منه عفواً عن ضعفي، وعجزي، وذلّي وجُبني وعدمي

و...

وأرجوه أن ألاّ يموت هكذا مُحبَطاً، عبثاً، وجائعاً يسعى ليرضع من صدر جثّة أمّه ..

فلا يجد إلاّ الدم يتدفّق جادّاً غاضباً، جارفاً وخانقاً يلعن!

* * *

كان الدّم الفلسطيني ينساب حولي كجدول ماء قديم،

غير أنه لا نبتَ فيه،

لا شاطئ له،

ولا ضفاف!

من فم الموت كان الدم الفلسطيني يجري وينساب؛

من القدس، من نابلس، من جنين وبيت لحم ورام الله.

من مهد الكنيسة وساحة المسجد..

من القلب المسلم والمآقي المسيحية.

وكان الدم يتسلّق مآذن المسجد الأقصى ويعلو أجراس كنيسة مهد المسيح حيث يَصلب اليهودُ يسوعَ الطفل من جديد!

صار الدم الفلسطيني سيلاً يفيض، ويُغرق، ويجرف..

ويسيل في العواصم كلِّها!

وفي جريانه صدَم جسدٌ قدميَّ ثم دار حولهما كقيد يريد إحكام تكبيلها!

ارتعدتُ!

كان الجسد ثقيلاً أزرقَ منتفخاً!

جثة طفلة تقبض يدها الصغيرة بقوّة على:

حقيبة مدرسية

لوحاً للكتابة

ورسوم أطفال!

طفلة مشقوقة الجمجمة

منثورة الدماغ،

وثمة شظية قنبلة عنقودية ما زالت عالقة تشقُّ بؤبؤ عينها إلى منتصف رأسها.

جمّدني الخوف الجبان!

صرتُ عيوناً ترصد رعباً!

كابوساً يتكرر في نومي وصحوي!

انتصبَتْ جثةُ الطفلة الفلسطينية من دُوار الدم الجاري!

رمَتْ حقيبتها ورسومها الطفلية،

واقتلعتُ الشظيةَ من جبهتها المنوّرة بالدم القاني،

والتقطتُ حجراً رفعته في وجهي مُعتدّة متحدّية، وسألَتْ:

"هل أنتّ مسلم؟"

"هل أنت مسيحي"؟

"هل أنتَ يهودي، بوذي، هندوسي أو أيّ مؤمن؟"

* * *

صيّرني الرّعبُ جليداً حارقاً
ومات صوتي!
حدّقتْ جثّةُ الطفلة الفلسطينية
بعينها المتبقية
في وجهي المنكمش!
حدّقتْ وحدَّقتْ،
ثم أشاحت دامعةً تغصّ بنحيب يائس
تتابع خطوها الشبحيّ المترنّح
إلى أطلال مدرستها المهدومة!
جفّ عقلي!
تبدّد وجودي ..
وانفجر قلبي!
لم أستوعب ..
حسبتني في تهويمة كابوس طويل،
لولا جثة شابّة فلسطينية،
شبه عارية،
ثقبتْ عينيَّ متدحرجة في نهر الدم المتدفّق،
مع بقايا أشلاء وأجساد بشر!
* * *

أشحتُ بِوجهي كأنما أردتُ أن ينخلع رأسي كي لا أرى..
ولكن قبضةً حمراء امتدّتْ تلوي عُنقي إليها،
ولم تكن شيئاً غير الدّم!
* * *

انتَصَب في وجهي من جديد، وسألني صارخاً:
"هل أنتَ مسيحي؟"
"هل أنتَ مسلم؟"
"هل أنتَ يهودي، بوذي.. أو أيّ مؤمن؟"
"هل أنتَ مُلحِد؟"
"هل أنتَ حَجر؟"
* * * !

شهِدتُ الدّمَ غاضباً يلعن ..
وشهدتُ الدّمَ زاحفاً يجتاحُ لِيُغرِقْ!
ورأيتُ الدّمَ يبحث عن صوتٍ بشريّ يوقف سَفْكه!
صوت حرّ شجاع ينتهر جريانه!
ولم يكن لي صوتٌ حرّ
ولا حرف شريف!
ولا إرادة قادرة!
* * *

وجثم الصّمتُ المهين جبلاً بيني وبين الدّم!
وامتدّ في لحظة دهوراً!
طفح في وجهي خزياً،
تدفّق من عينيّ
وأمعنَ إيغالاً في الجروح الشريفة.
في صدور الشباب دم ..
وفي قلوب الأطفال دم ..
وعلى جباه المسنّين دم ..
وغطاء صدور النساء دم!
وهبّ الدم في وجهي أشلاءً وبقايا فلسطينيين
وأنّات بشر!
كانت جميعها
تنتظر صوتاً بشرياً
يرفض؛
يستنكر؛
يغضب أو يلعن!
صوتاً يرأف
صوتاً، حرفاً يرحم!
والدم الغاضب يهدر يريد جواباً:

"للمرّة الأخيرة أسألك:
'هل أنتَ مسلم؟ '
'هل أنتَ مسيحي؟'
'هل أنتَ يهودي، بوذي..أو أيّ مؤمن؟'
'هل أنتَ ملحد؟'
' هل أنتَ إنسانٌ شريف؟'
ونظر في عينيّ مخترقاً جمجمتي ينتظر الجواب.
وتجلّط الصمت المهين رُعباً في عروقي!
صار وثناً مُلِحّاً؛
كفناً يلفّني حيّاً
وأَتَعَفَّنُ فيه!
* * *

وفجأة!
توقّف الدّم عن السؤال!
وساد صمت الموت القائم،
فنظر إليّ باحتقار قاتل
وكأنّه قد عرف سرّ صمتي العجيب،
فتراخت أصابعه شيئاً فشيئاً
وانحلّت قبضته عن خُنّاقي ببطء مميت

ونزل ينساب باتّجاه قدمَيّ،

منذرفاً على الطريق إلى القُدس والمهد والقيامة

وأشاح بوجهه

يشهق غاصّاً بلزوجته وانكساره،

وزحف على قدميَّ بألم شديد، وقال:

آ آ..!

فهمت...،

"أَنتَ حَيَوان" !

وغاض في الأرض المقدّسة يروي الجذور ... !

محمد منير إدلبي

الإهداء

** الفصل الأول: دم المسيح !

*من تاريخ الاضطهاد الديني *ما بعد الرومان *الاضطهاد المسيحي ـ المسيحي (المقدّس) *وكر التعذيب *حرق الساحرات

** الفصل الثاني: دم موسى!

*وانطلق مارد الإرهاب الوحشي من قمقمه! *الدمار الأول *الدمار الثاني

** الفصل الثالث : إرهاب أرباب الحضارة الحديثة

(تبشير، تجارة، سياسة، عنصرية، أم استراتيجية هادفة؟!).

*أرباب الحضارة الحديثة وماضيهم الإرهابي الفاضح *إبادة الهنود الحُمر *استعباد الشعوب الأفريقية *وثيقة غربية *فرض المعاناة على الأفارقة المستعبدين *دارون يستنكر الإرهاب الغربي في أفريقيا *تاريخ بريطانيا الأسود في أستراليا *الإرهاب العالمي الحديث *الإرهاب الذّري *حروب ما بعد العالميتين *الهجمة التدميرية على فييتنام

القسم الثاني

** الفصل الرابع: الإسلام ـ دين الكون والإنسان

*الإسلام في اللسان العربي *الإسلام بالمعنى الديني *الإسلام في بيان الله عزّ وجلّ * دين الله الواحد *الكون كلُّه يأتي اللهَ طائعاً ويخرّ له ساجداً *الكون كلّه يُسبح بحمد ربه *الكون كلّه مسلم ويدين لله بالإسلام *الأنبياء جميعاً بُعثوا بالإسلام ودَعوا إلى الإسلام *إبراهيم أبو الأنبياء أسلمَ وكان من المسلمين *الأنبياء إسماعيل وإسحق ويعقوب وبنوه كانوا مسلمين *النبي موسى وأتباعه كانوا مسلمين *فرعون أعلن أنه من المسلمين *جميع أنبياء اليهود أسلموا وكانوا مسلمين *كانت دعوة النبي سليمان إلى 'الإسلام'، وكان هو من 'المسلمين' *ملكة سبأ أسلمت وصارت هي وقومها من المسلمين *المسيح عيسى وحواريوه كانوا مُسلمين *جميع أنبياء الله ورسله كانوا مسلمين *الدعوة إلى الله هي دعوة إلى الإسلام *الإسلام هو دين الفطرة القيّم

** الفصل الخامس: الإسلام والمسلمون من منظور إسلامي

*تحقيق هام، وتصحيح لا بدّ منه *ثلاثة أنواع من المسلمين *النوع الأوّل المسلمون من غير أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم *النوع الثاني وهم المسلمون من أتباع محمد وأمته *النوع الثالث المسلمون كَرهاً *المسلم سلام شامل *بيان خطأ حصر مفهوم الإسلام والمسلمين فقط بأتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلّم *التعريف الأهم للمسلم *المسلم لا يسبّ ولا يقتل ولا ينتهك الحُرُمات *الإسلام يدعو إلى أخوّة عالمية حقّة غير مشروطة بالدخول فيه *مناقشة الحديث *المسلمون أخوة للناس جميعاً لأنهم عيال الله *اتّقوا حُرمة الطوائف وأهل الأديان *نظرة في بيان قرآني يتعلّق بالطوائف والفِرق *نظرة الإسلام إلى اليهود *نظرة الإسلام إلى البوذيين والهندوسيين وأهل الديانات الأخرى *الإسلام يحضّ على بِرّ الكفّار المسالمين *الإسلام يعدّ قتل النفس البريئة كقتل الجنس البشري بأكمله *تعريف تمهيدي للفظة "مؤمن" *وقفة تفكّر هامّة جداً *الإسلام يعدّ قتل النفس البريئة أعظم عند الله من زوال الدنيا *المؤمن لا يفتك ولا يغتال *الإسلام ينهى عن إرهاب وترويع الآمنين *طاعة أولي الأمر واحترام قوانين الحُكام *الإشكال الأول *الإشكال الثاني *الإشكال الثالث *التعليم القرآني في طاعة قوانين الحاكم غير المسلم وحكمه *حُبّاً بالوطن الغالي *دعوة وبلاغ

** الفصل السادس: الإسلام ــــ السلام

*الله السلام *المسلمون مأمورون بإفشاء السلام *المسلمون يُحيّون العالم بالسلام *المسلمون يدعون العالم إلى دار السلام *الإسلام يهدي العالم إلى سُبل السلام

** الفصل السابع: دين الحريّة في المعتقد ــــ لا إِكْراهَ في الدِّين

** الفصل الثامن: قَتْلُ المرْتـدّ ــــ الجريمة التي حرَّمها الإسلام

***جزاء المرتد بحسب القرآن الكريم**

** الفصل التاسع: الجهاد الحقّ في الإسلام

*حقيقة الجهاد في الإسلام *معنى الجهاد وأنواعه *أولاً (الجهاد الأكبر) *ثانياً(الجهاد الكبير) *ثالثاً (الجهاد الصغير) *حُرمة الحياة الإنسانية *الغاية من تشريع الجهاد *معاناة الرسول من الإرهاب واضطهاد *مبررات الحرب الدينية في الإسلام *القتال دفاع لنشر السلام وليس الحرب *معاهدات المسلمين وولاياتهم *إجارة المسلمين للمشركين حتى في الحرب *كانت حرب المسلمين الدفاعية فقط ضدّ الذين نقضوا عهودهم *ملخّص أسباب حرب المسلمين القتالية ضدّ المشركين *القيم الروحية في دفاع المسلمين وإمعان الإسلام

في الرحمة *الإسلام يوصي بالحفاظ على الناس والبيئة حتى في دار الحرب *وصية خليفة رسول الله[1] لجنود المسلمين قبل المضي إلى القتال *أخلاقيات الإسلام العسكري *إعلان القتال بوضوح وعدم الغدر *النصر أو الشهادة بلا تردد ولا إدبار *الثبات والصبر والالتزام بطاعة الله ورسوله *الحرب الإسلامية تنتصر للحق ولا تكون عدوانية ولا نفعية *المصابرة والمرابطة *متطلبات النجاح والفوز الخمسة وهي *المسلمون لا يخشون الكثرة *المسلمون لا يوالون ولا يوادّون عدوّ الله وعدوّهم *قواعد الحرب الإسلامية وقوانينها *المسلمون يجنحون للسلم دائماً *غزوات الرسول كانت جميعها دفاعية *معركة بدر *معركة أُحُد *معركة الخندق *السَّرِية إلى سورية *فتح مكّة *معركة حُنين *همسة حب

** الفصل العاشر: البرهان على عدم جواز فرض الشريعة الإسلامية كقانون دولة! **219**

*هل يمكن فرض الشريعة الإسلامية كقانون دولة؟ *رأي الإسلام في ذلك *ماذا يحدث لو فُرضت الشريعة كقانون دولة *وهكذا تصير المعضلة مستحيلة الحل *ضرورة ملاءمة المناخ لتطبيق الشريعة *معضلة موقف المتطرّفين *فرض الشريعة أو الإكراه فيها يُناقض الشريعة والدين ذاته *ماذا يمنع المسلمين من أن يلتزموا بشرع الإسلام من أنفسهم! *ولماذا ينتظر المسلم حتى يتغيّر التشريع بأكمله ليكون مسلماً حقّاً!

** الفصل الحادي عشر: حقيقة فناء جهنم—جميع خلق الله يدخلون الجنّة

235

*عقيدة الهندوس في جهنّم *عقيدة اليهود *عقيدة النصارى *العقيدة الخاطئة لعامة المسلمين *لا يظلم اللهُ أحداً *وفي يوم الحساب *السيئة بمثلها فقط *الأعمال تُحصى في كتاب وهي محدودة *يوفّي اللهُ الحسابَ جزاءً وفاقاً *الجزاء هو عمل الإنسان ذاته *جزاء الإنسان هو، فقط، ما كان قد كسب *الإشكال الكبير! *إشكال آخر *"الخلود" في القرآن الكريم *الحلّ الأقرب للتقوى *وثائق مؤكَّدة تؤيّد عدم البقاء في جهنّم *وثائق في فناء جهنّم *مسألة الوزن والميزان *القول الفصل في مسألة الحساب يوم القيامة *مُعادلة مُلفتة *بدليل قوله تعالى ﴿لابثين فيها أحقابا﴾ *بدليل قوله تعالى ﴿ورحمتي وسعتْ كلَّ شيء﴾ *بدليل أنّ عذاب الخلود يكون ذوقاً فقط *أهل جهنّم يذوقون العذاب فقط*حقيقة جهنّم وكيف تكون من رحمة الله *النار مأوى *عدم البقاء في جهنّم بدليل أنّ الله هو ربّ العالمين *معنى كلّمة "الرّب" في اللسان العرب *بدليل قوله تعالى ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون﴾ *الفرق بين الخلود في الجنّة والخلود في النار؟ *(عتقاء الرحمن) بدليل شفاعة الله ذاته للعباد *دراسة الحديث *شفاعة أرحم الراحمين *أولاً شفاعة أرحم الراحمين

[1] - صلى الله عليه وعلى آله وسلّم

*ثانياً بدليل قبضة ربّ العالمين

** الفصل الثاني عشر: الخلاص ليس حكراً على المسلمين

(نجاة أهل الأديان والعقائد الأخرى في المنظور الإسلامي)

*الخلاص ليس حكراً لدين واحد

** الفصل الثالث عشر: دولة الإسلام

*دولة الإسلام

*هل يدعو الإسلام إلى شكل معين للحكم؟ *هل يُعارض الإسلام رغبة المسلمين في تأسيس دول تقوم على الإسلام في بلادهم؟ *السلام والعدالة الدولية *عدالة الأمم المتحدة و "قدر الطرائد"*نظرة في بيان شريف *قوّة الفيتو المهينة للأمم! *تحذير مُخلص *اقتراح للتفكّر

** الفصل الرابع عشر: دم محمد صلى الله عليه وسلّم

(الإرهاب الموجّه ضدّ العرب والمسلمين من أتباع محمد)!

*الغزو الصليبي القديم *ملفات الإرهاب الغربي المعاصر *ملفّ القتل الصليبي في سراييفو البوسنة والهرسك *جانب من الإحصاءات *مشفى حكايا الرعب المهين *أطفال البوسنة يلعبون بالموت ويُلاعبهم *نكتة المساعدات *قبر للإعلان العالمي لحقوق الإنسان واتفاقيات هيئة الأمم *تقرير الرعب *المسلمون 'المجرمون' هم الذين يسعون للسيطرة على أوروبا!*قتل التعايش مع سبق الإصرار *شهادة الأرملة (إبزيا ميدوزرياك) *شهادة البوسني اليهودي دافيد كمحي *تجّار ومهرّبوا قوات الحماية الدولية! *همسات وجدانية *استراحة ! * قراصنة الإرهاب الدولي الشامل *ملفّ الإرهاب الصهيوني المعاصر *نبذة من وقائع الإرهاب الصهيوني الموثّق *الإرهاب الصهيوني ضدّ الانتداب البريطاني وساسته *الاغتيال الإرهابي الصهيوني بأسلوب الرسائل المتفجّرة *اقتراح مخلص *الإرهاب الصهيوني السافر ضدّ العرب *مسلسل العمليات الإرهابية ضد العرب *مجزرة دير ياسين الشهيرة *اغتيال الإرهابيين الصهيونيين لممثل الأمم المتحدة 'الكونت برنادوت' *الإرهاب الصهيوني خارج فلسطين *ذَبْحَ الصهاينةُ لعدد من الطّلابَ في أفريقيا *الإرهاب الصهيوني في نيويورك، والموجّه ضدّ فرنسا *الإرهاب الصهيوني في فرنسا *الإرهاب الصهيوني المسند لمنظّمة 'الغضب الإلهي' (ميفتساخ إيلوخيم) *عمليات الإرهاب الصهيوني في إيطاليا *استمرار مسلسل القتل الإرهابي الصهيوني في دول العالم *تهديد الخبراء الأجانب *القرصنات الإسرائيلة العالمية *سرقة السفينة (شيير سبيرغ) وحمولتها من اليورانيوم *سرقة زوارق حربية من فرنسا *سرقة مخططات طائرات الميراج الفرنسية المقاتلة *العدوان الصهيوني

على الدول العربية *قصف المفاعل النووي العراقي *العدوان الإسرائيلي على سورية ومصر والأردن عام 1967 *تدمير مدينة القنيطرة السورية *العدوان على لبنان *صبرا وشاتيلا وعملية (الدّماغ الحديدي) الإسرائيلية *وقائع الإرهاب الإسرائيلي في البيان العالمي الشريف *المجزرة الإسرائيلية في قانا *القصف الإسرائيلي لمكاتب منظمة التحرير في تونس *الأعمال الإرهابية الإسرائيلية اليومية في فلسطين

** الفصل الخامس عشر: من وقائع الإرهاب الإسرائيلي في وعي الوجدان العالمي

*حروب التوسّع الصهيوني المستمرّ بعد كلّ إعلان بعدم التوسّع!

** الفصل السادس عشر: بشارة التوراة ـ فلسطين للعرب

(خطأ إسرائيل العقائديّ القاتل)!

*البداية نشأت مع تزوير النص التوراتي *سعي شيوخ اليهود إلى تجريد النبيَّ إسماعيل من حقّه الذي منحه الله إياه *ابن إبراهيم البكر *بشارة ملاك الرب *مولد إسماعيل *العهد والختان *وعد الله لسارة *دعاء إبراهيم لله من أجل ولده إسماعيل *مولد إسحق *تعالوا نصدّق الكتاب المقدّس *الذبيح الذي فداه الله *التحريف *لماذا التحريف ونقل التضحية من إسماعيل إلى إسحق *بين عنصرية إسرائيل الصهيونية وإنسانية الإسلام الشاملة *يؤمن المسلمون برسالات الله لجميع الأمم *دعوى الصهيونية العالمية في سيطرتها وتملّكها *نسل إبراهيم الحقيقي *أتباع المسيح هم من نسل إبراهيم *النسل اليهودي بين بشارة الانتشار الكبير وضآلة الواقع *المسلمون هم نسل إبراهيم الكثير في أمم وشعوب الأرض *المسلمون العرب هم الذين يسكنون فلسطين والأرض ما بين الفرات والنيل *اليهود يُهينون إبراهيم ولا يُكرمونه *المسلمون هم الذين يُكرمون إبراهيم عليه السلام ويُعظّمون اسمه في الأمم كلّها * يُعلن اللهُ أنه قد اتّخذ إبراهيم خليلاً *ملّة إبراهيم هي ملّة النجاة التي يدعوا القرآن إليها *قد جعل الله في إبراهيم أسوة حسنة *مقام إبراهيم أسوة وصلة بالله تعالى *عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيته *محمّد صلى الله عليه وسلم أولى الناس بإبراهيم *قد وفّى إبراهيم كلّ عمل وسلوك أراده الله منه *المسلمون يذكرون بركات الله على إبراهيم عشرات المرات في صلواتهم اليومية

** الفصل السابع عشر:

إسرائيل ذبيحة الله في فلسطين—هكذا وعدُ التوراة!

*في توراة اليهود، يُدين اللهُ شعبَ إسرائيل بأنهم قد نَجّسوا اسمه ودنّسوه بين الأمم *إسرائيل ذبيحة الله في فلسطين ووليمته العظيمة لأصناف الطيور ووحوش البريّة *وصف ملحمة دمار إسرائيل في الكتاب المقدّس *فلسطين للأتقياء الودعاء وليست للصهاينة المجرمين *قضية فلسطين في بيان شرفاء اليهود المناهضين للصهيونية *إسرائيل دولة ضدّ الله *التوراة تُحرّم على اليهود إقامة دولة في فلسطين *الصهيانة يستغلون التوراة لتبرير جرائمهم *الصهاينة يخدعون العالم بدعوى معاداة السامية *اليهود عاشوا في أمن وسلام في ظلّ المسلمين *الصهاينة ينظرون على اليهود الأتقياء الواعين كعدوّ لهم *اليهود الأتقياء يُطالبون يهود العالم بعدم الهجرة إلى فلسطين *من يهاجر من اليهود إلى فلسطين يستحق غضب الرب *يهود التوراة يعتبرون دولة إسرائيل غير شرعية ويُطالبون بإزالتها *يهود التوراة يعترفون بحق الشعب الفلسطيني الكامل في فلسطين وبحقه في مقاومة الصهيونية / والانتفاضة ليست جريمة وإنما رد فعل مشروع *يهود التوراة يتظاهرون دائماً ضدّ الصهيونية *يهود التوراة يعدّون سفك دم اليهود في فلسطين عقاب لهم من الله *الصهاينة هم المسؤولون عن دم اليهود في فلسطين *يهود التوراة يوقنون بأنّ إسرائيل دولة زائلة لا محالة لأنها ضدّ الله والتوراة *حماقة إسرائيل القاتلة، وغباء ساستها المستحكِم

** الفصل الثامن عشر

الإرهاب الدولي بين معضلة التعريف وواقع الممارسة! **(عود على بدء—الرحمة بالإنسان، بأنفسكم)**

*تعريف الإرهاب—المعضلة الدولية! *إرهاب العدوان على الحياة *حق الملكية *خطاب إلى المواطن الأمريكي والغربي *شهادة العالم الموثّقة *كيف لا يستشهدون *قام المسيحُ الطفلُ وأمسكَ الحجرَ ! *الاجتياح الإسرائيلي المبيد *التأييد الأمريكي المطلق للإرهاب الصهيوني في فلسطين *دماء الفلسطينيين تسجد في أرض فلسطين، تُقَبّل حجارة المسجد الأقصى وتغسل بلاط كنيسة مهد المسيح

** **الفصل التاسع عشر: فلسطين وسؤال الدم**

مصادر ومراجع البحث

1- القرآن الكريم

2- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي

3- (التفسير الكبير) للحاج بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثاني في الجماعة الإسلامية الأحمدية

4- (التفسير الصغير) للحاج بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثاني في الجماعة الإسلامية الأحمدية

5- تفسير ابن كثير

6- صحيح البخاري

7- صحيح مسلم

8- شرح صحيح مسلم

9- الفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي

10-ا لجامع لأحكام القرطبي للقرطبي

11-ت فسير الإمام جلال الدين السيوطي

12- مختصر تفسير بن كثير

13- الدرّ المننثور للإمام السيوطي

14- الطبراني

15- أقرب الموارد

16-ل سان العرب لابن منظور

17- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم

18- المعجم الوسيط

19- محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني

* * * * * * * * * * * * * *

20- الكتاب المقدّس (العهد الجديد)

21- الكتاب المقدّس (العهد القديم)

22- (تفسير هنري ماثيو للكتاب المقدس)

23- (حكمة الأديان) ـــــجوزيف كاير

24- (التعذيب عبر العصور)ــــبيرنهاردت ج هروود؛ ترجمة ممدوح عدوان

25- (القتل باسم الدين) ميرزا طاهر أحمد إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية

26- (نيو إنغلاند تحكمها روح الرّب) جورج بيشوب؛ نشر في لندن عام 1703

27- (مطرقة الساحرات) للمحققيقن الراهبين الألمانيين جاكوب شيرينغر وهايزش كرايمر

28- (حفّارو القبور) روجيه غارودي

29- (أبناء آدم من الجن والشياطين) لـ محمد منير إدلبي

30-(كارثة الخليج والنظام العالمي الجديد) للإمام ميرزا طاهر أحمد

31- (يوميات هيروشيما) الدكتور متشهيكو هاتشيا؛ ترجمة عباس حامد

32- روح المعاني

33- روح البيان

34- الكامل في التاريخ لبن الأثير

35- (قتل المرتد—الجريمة التي حرّمها الإسلام) محمد منير إدلبي

36- (فلسفة تعاليم الإسلام) للإمام ميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية

37- (الإسلام والتحديات المعاصرة) للإمام ميرزا طاهر أحمد

38- (قصة الحضارة) وِل ديورانت؛ الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية

39- (الصليبيون في الشرق) ميخائيل زابوروف 93 دار التقدم موسكو

40- (العرب النصارى) حسين العودات

41- (تاريخ سورية ولنان وفلسطين) فيليب حتي مج 2

42- (موسوعة الحضارة الإسلامية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1979

43- (الحروب الصليبية كما رآها العرب) مؤسسة الأبحاث العربية

44- (المسيحيون العرب) المطران جورج خضر مؤسسة الأبحاث والدراسات العربية

45- (دفاتر العنف المقدس) للكاتب والصحفي الإسباني غويتيسولو؛ ترجمة الدكتور طلعت شاهين؛ الناشر مصر العربية للنشر والتوزيع

46- (الإرهاب أكاذيب وحقائق) ل إ مودغوريان؛ ترجمة المهندسان عبد الرحيم مقداد و ماجد بطح

47- (إرهابيو الموساد) فلاديمير ميخائيلوف

48- (بروتوكولات حكماء صهيون) تعليق عجاج نويهض

49- (حق التضحية بالآخر / أمريكا والإبادات الجماعية) منير العكش ؛ الناشر رياض نجيب الريس

50- (انتبهوا..الدجال يجتاح العالم) تأليف محمد منير إدلبي

* * * * * * * * * * * * * *

51- (مجلة رفيو أف ريليجن إصدار الجماعة الإسلامية الأحجمدية باللغة الإنكليزية العدد

52- مجلة June Afrique العدد 4 نيسان إبريل 1984

53- مجلة L'umanite 5 أيلول سبتمبر 1981

* * * * * * * * * * * * * *

54 - (The essence of Islam) By Mirza Ghulam Ahma of Qadian / Translated by Sir Zafarullah Khan

55 - (The Making of Israek) by James Cameron

56 - (The origins & Evolution of the Palestine 1917-1989; Published by U.N.O. 1990

57 - (Dispossessed, The Ordeal of the Palestinians, by D. Gilmour.

59 - (Laqueur W.A. History of Zionism. London, 1972

60 - (Begin M. The Resalt Story of the Irgon. New York, 1951

61 - الفيلم الأمريكي (The Patriot) بطولة مِل جبيسون

62 - (الحلقة التلفزيونية ليوم 2002/5/1 من برنامج بلا حدود تقديم أحمد منصور وبث محطة الجزيرة الفضائية

كتب للمؤلّف باللغة العربية

من سلسلة: الإسلام الذي يجهلون

عنوان الكتاب

1) قتل المرتد، الجريمة التي حرّمها الإسلام

2) أبناء آدم من الجنّ والشياطين

3) انتبهوا! الدجال يجتاح العالم

4) مات المسيح وما قام (ملف المسيح يُفتح من جديد)

5) النّبأ العظيم

6) نزع فتيل الإرهاب الدّولي (إسلام السلام وأمان العالم)

7) ملائكة الله (ضرورتهم .. مهامّهم .. الغاية من وجودهم)

كتب للمؤلّف باللغة الإنكليزية

*(Beware, Addjjal-Antichrist Is Ravaging The World!)

*** (انتبهوا! الدّجال يجتاح العالم)**

* (Heaven is your make, life, and destiny)

* **(الجنّة أنت تصنعها، وهي حياتك ومصيرك)**

* (Beware, America!)

* **(احذري يا أمريكا!)**

* (Doctor Faust In The Court Of Heaven) fiction

* **(الدكتور فاوست في محكمة السماء) / رواية /**

ومن سلسلة " البيان الموعود" نَشَرَ المؤلّف:

*1- **"فلسفة تعاليم الإسلام"**

وهو الكتاب العالمي الشهير الذي تمت ترجمته إلى ما يزيد على خمسين لغة عالمية وهو من **تأليف الإمام ميرزا غلام أحمد** مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية.

ترجمات للمؤلّف

1. "**المسيحية، رحلة من الحقائق إلى الخيال**"/ المؤلّف ميرزا طاهر أحمد الخليفة الرابع في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية/ صدر في لندن
2. "**شروط البيعة وواجبات الأحمدي**" / المؤلّف ميرزا مسرور أحمد الخليفة الخامس في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية / صدر في لندن
3. "**صلب المسيح برواية شاهد عيان**" / المؤلّف شاهد عيان عايش المسيح الناصري عليه السلام
4. "**الجنّة أنت تصنعها، وهي حياتك ومصيرك!**" / المؤلف محمد منير إدلبي/ قيد الترجمة
5. "**احذري يا أمريكا!**" (تفسير سفر الرؤيا ونبوءاته) / المؤلف محمد منير إدلبي/ قيد الترجمة

Contents